

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



ديوان

ابن الخياط

أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن علي التغلَبي المعروف بابن الخيّاط الدمشقي

٤٥٠ – ٥١٧

رواية تلميذه

أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني

٤٧٨ – ٥٤٨

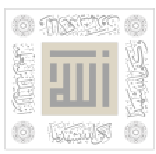
عني بتحقيقه

خليل مردم بك

رئيس المجمع العلمي العربي

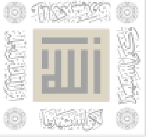
عورص ثمانى نسخ مخصوصه





المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

المقـــدّمة

ابْن الخَيَّاط

٤٥٠ — ٥١٧

حياته

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيي بن صدقـة التغلبي ، المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي الكاتب . يتصل نسبه بتَغْلِب وهي قبيلة من ربيعة من العرب العدنانية .

وولد ابن الخياط بدمشق سنة خمسين وأربعمائة، كما ذكر ذلك هو نفسه (١) ، وكان أبوه حياطاً(٢) فاشتهر بالنسبة إليه ، وكان له أخ اسمـه يحيي (٣) سيأتي ذكره . وكانت دار ابن الخياط في درب القصّاعين المعروف اليوم بحي الخيضرية (٤) داخل باب الجابية ، وكان عند داره مسجد (٥) معلّق وقنـاة(٦) ، ولم تكن داره بعيدة عن دار (٧) الأمير أبي الفتيان ابن حَيّوس شاعر الشام في ذلك الزمان .

---

(١) قال ابن عساكر : « سئل أبو عبد الله (ابن الخياط) عن مولده فقال : في سنة خمسين وأربعمائة » . تهذيب تاريخ دمشق ٢ / ٦٨ .

(٢) قال ابن فضل الله العمري في المصل الذي عقده في مسالك الأبصار لابن الخياط : « . . . منذ نظم حسدت الشعرى شعره ، وود الغزال لو أن روقيه أحدهما له قلم والآخر لأبيه الخياط إبره . » مسالك الأبصار ، الجزء العاشر القسم الثاني ص ٣٦٧ نسخة أحمد الثالث مخطوط مصور في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٣) قد يكون الأخ الأكبر ، لأنه سمي باسم جده جرياً على العادة المتبعة في تسمية أكبر الأبناء باسم جده .

(٤) ويلفظه الدماشقة اليوم « الحصيرية » .

(٥) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢/٥٦

(٦) ابن عساكر ٢ / ١٥٤ . والمراد بالقناة ما يطلق عليه الدماشقة اليوم اسم « الطالع » ، وهو مقسم لتوزيع الماء على الدور .

(٧) ديوان ابن حيوس المقدمة ١ / ٦

نشأ ابن الخياط في جوار ابن حَيُّوس الشاعر، ورأى الدنيا مقبلةً عليه، وهو يتقلب في أعطاف النعيم، فود الفتى الناشئ لو يكونُ مثله، وآنس في نفسه ميلاً للشعر، ونفوراً من صنعة أبيه الخيَّاط، فأخذ يؤدِّب نفسه بحفظ أشعار المتقدمين وأخبارهم. (١)

وكانت أحوال دمشق في حداثة ابن الخياط مضطربة غير مستقرة، وأهل دمشق أحزاب يثورون بالولاة والقواد وينتقضون عليهم كرها لحكم الدولة الفاطمية. وتأججت الفتنة سنة ٤٦٠ وعمر ابن الخياط وقتئذ عشر سنوات، فثار أهل دمشق بأمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني والي الشام، واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة، وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياه(٢)، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام.

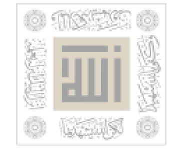
واشتد الخلاف بين الجنود وبين أهل دمشق، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت، واتصلت منه بجامع بني أمية من عربيّه فاحترق في شعبان سنة ٤٦١ ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة (٣)، ونهبت دور أهل البلد وأموالهم، فعظم الخطب واشتد الأمر.

وفي سنة ٤٦٣ فتح أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس، وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها، فضاق الناس وصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد (٤). وبقي يحاصرها من حين إلى آخر حتى دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨، فأنزل جنده في دور الدمشقيين، واعتقل من وجوههم جماعة وشمَّسهم بمرج راهط حتى افتدوا نفوسهم بمال أدوه له، ورحل جماعة منهم عن البلد الى طرابلس (٥).

وفي سنة ٤٦٩ لم يبق من أهل دمشق عشر العشر من الجوع والفاقة، بل لم يبق من أهلها سوى ثلاثة آلاف إنسان بعد خمسمائة الف أفناهم الفقر والغلاء والجلاء. وكان بها مائتان وأربعون خبازاً فصار بها خبازان، والأسواق خالية، والدار التي كانت تساوي

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٦٧.
(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٣.
(٣) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦.
(٤) ابن الأثير ٢٣/١٠
(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٣٣١.





ثلاثة آلاف دينار ينادي عليها بعشرة دنانير فلا يشتريها أحد ، والدكان الذي كان يساوى ألف دينار مايشترى بدينار ، وأكلت الكلاب والسنانير والفيران (١) .

في هذه الفترة العصيبة ، مابين سنة ٤٦٣ وسنة ٤٦٩ ، ترك ابن الخياط دمشق ، وهو في عنفوان الصبا ، لم يشتهر بالشعر ، فقصد حماة واتصل هناك بأمير اسمه أبو الفوارس محمد بن مانك وكتب له وخدمه مدة (٢) فعرف بابن الخياط الكاتب ، ثم اشتهر بالشعر ، وفي ديوانه ص ٧ قصيدة يمدح بها هذا الأمير أولها :

سَقَوْهُ كَأْسَ فُرْقَتِهِمْ دِهاقا ... وَأَسْكَرَهُ ٱلْوَدَاعُ فَمَا أَفاقا

وكان قد هاجر من دمشق إلى حلب أبو الفتيان ابن حَيُّوس (٣) جاره القديم سنة ٤٦٤ ، وأحسن وفادته بنو مرداس أمراء حلب وأغدقوا عليه عطاياهم ، فبدا لابن الخياط أن يزوره في حلب ، ولما اجتمع به وعرض عليه شعره قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلَّما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلا على موت الشيخ من أبناء جنسه (٤) .

وقال ابن الخياط : دخلت في الصبى على الأمير ابن حَيُّوس بحلب (٥) وهو مُسِنٌّ فأنشدته :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ما يُبَاعُ بِدِرْهَمٍ ... وَكَفاكَ مِنِّي مَنْظَرٌ عَنْ مَخْبَرِ
إِلاَّ صُبابَةُ ماءِ وَجْهٍ صُنْتُهُ ... عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ أَيْنَ ٱلْمُشْتَرِي

فقال له ابن حَيُّوس : لو قلتَ : « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن ، ثم قال : كرمتَ عندي ونعيت إليَّ نفسي ، فان الشام لايخلو من شاعر مجيد ، فأنت وارثي ، فاقصد بني عمَّار بطرابلس فانهم يحبون هذا الفن ، ثم وصله بثياب ودنانير (٦) .

---

(١) خطط الشام ١ / ٢٦٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي المجلد الثاني عشر ورقة ١١٠ (مخطوط) .
(٣) ديوان ابن حيوس المقدمة ص ١٤ .
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٥٦ .
(٥) كان ذلك سنة ٤٧٢ كما ورد في الديوان ص ٢٨٧ .
(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠ (مخطوط)

وقبل أن يذهب إلى طرابلس مدح الأمير وثّاب بن محمود بن نصر بقصيدة أنشده إياها بحماة سنة ٤٧٤ أولها(١) :

عَتادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تَبــــارى

ومـدح بعد ذلك بشيزر الأمير سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقـذ صاحب شيزر سنة ٤٧٦ بقصيدة أولها(٢) :

يَقِيني يَقِيني حادِثاتِ ٱلنوائِبِ وَحَزْمِيَ حَزْمِي في ظُهورِ ٱلنَّجائِبِ

وتصح عزيمته على العمل بوصية شيخه ابن حَيّوس ، فيترك الكتابة عند محمد بن مانك في حماة ، ويقصد بني عمّار بطرابلس في حدود سنة ٤٧٦ وهـو ابن ست وعشرين سنة ، وصحت نبوءة ابن حَيّوس ، فقد توفي بعد سنة من اجتماعـه بابن الخياط في حلب ، سنة ٤٧٣ وأصبح ابن الخياط بعد ذلك على حداثة سنه شاعر الشام ، وظل كذلك الى آخر حياته.

دخل ابن الخياط طرابلس وكان صاحبها يومئذ القاضي جـلال الملك أبا الحسن على بن محمد بن عمّار ، وبنو عمّار من خير الحُكّام ، ولهم أيادٍ بيض على العلم والأدب . فاتصل بجلال الملك ومدحه ولم يتوسل إليه إلا بما عرف به من العطف على الشعر والشعراء ، وإلى ذلك يشير بقوله من أبيات مدحه بها(٣) :

آلَيْتُ لا أَبْغي نَداكَ بِشافِـعٍ ما لي إِلَيْكَ وَسيلَةٌ إلاّ كا

وذكر في قصيده مدحه بها رحلته إليه فقال(٤) :

وَخَرْقٍ كَأَنَّ ٱلْيَمَّ مَوْجُ سَرابِهِ تَرامَتْ بِنا أَجْوازُهُ وَخُروقُها

---

(١) هي فاتحة الديوان .
(٢) الديوان ص ١٢ .
(٣) الديوان ص ٢٣ .
(٤) الديوان ص ٤٥ .

كَأَنَّا عَلَى سُفْنٍ مِنَ ٱلْعِيسِ فَوْقَهُ ... مَجادِيفُها أَيْدِي ٱلْمَطِيِّ وَسُوقُها
نُرَجِّي ٱلْحَيا مِنْ راحَةِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ ... وَأَيُّ سَماءٍ لا تُشامُ بُرُوقُها

ومدح أخاه فخر الملك بعدة قصائد هي من أحسن شعره ، منها قصيدة فريدة هي في رأينا أحسن شعره ، سلمت جميع أبياتها وشرفت ألفاظها ومعانيها ، أولها (١) :

أَعْطَى ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلْآرابِ ما طَلَبا ... وَراحَ يَخْتالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِبا

كما مدح غيرهما من آل عمّار ومن رجال دولتهم وأسبابهم .

دخل ابن الخياط طرابلس وهو شاب لا يعتمد إلا على كفاءته في الشعر وطبعه الفياض وما حفظه من شعر المتقدمين ، إذ أن بضاعته في آلات العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض بضاعة مزجاة . وكان في طرابلس شيخ أندلسي اسمه أحمد بن محمد الطليطلي له حلقة عامرة بالطلبة يلقي عليهم فيها دروساً في العربية والأدب ، فجعل ابن الخياط يغشى هذه الحلقة ولزم شيخها وأفاد من الأدب وفنونه . ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة ، بل جعل يختلف أيضا إلى دار العلم التي أنشأها بنو عمّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب ، ويعتبر نفسه من تلامذتها (٢) .

وصحب في طرابلس جماعة من الوجوه والرؤساء والأدباء فضلاً عن أمرائها بني عمّار ، وكان في أوقات فراغه يجلس في دكان بسوق من أسواق طرابلس مع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يخرج معهم إلى البساتين والأماكن النزهة ، يروّحون عن أنفسهم ويتطارحون الشعر والأدب . قال ابن عساكر (٣) : « حدث السابق وهو أبو اليمن محمد بن الخضر المعري قال : اجتمعت بأبي عبد الله بن الخياط بطرابلس ، وكنت أنا وهو نجلس في دكان

(١) الديوان ص ٦٤ .
(٢) الديوان ص ١٢١ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ١٠٢/٢ (مخطوط) .

إنسان عطّار نصراني يعرف بأبي الفضل ، ذكي محب الأدب ، فخرجنا يوماً إلى ظاهر البلد فاخترنا موضعاً جلسنا فيه على غدير هناك ، فقال أبو عبد الله للسابق : اعمل في هذا المعنى أبياتاً عاجلاً ، فقال نعم ؛ فعمل ابن الخياط بديهاً (١) :

أَوَ ما تَرى قَلَقَ ٱلْغَديرِ كَأَنَّهُ ... يَبْدُو لِعَيْنِكَ مِنْهُ حَلْيُ مَناطِقِ
مُتَرَقْرِقٌ لَعِبَ ٱلشُّعاعُ بِمائِهِ ... فَٱرْتَجَّ يَخْفِقُ مِثْلَ قَلْبِ ٱلْعاشِقِ
فَإِذا نَظَرْتَ إِلَيْهِ راعَكَ لَمْعُهُ ... وَعَلَتْ طَرْفَكَ مِن سَرابٍ صادِقِ

ولم يفتح الله على السابق ببيت ولا بلفظة ، فقال العطار : قد عملت بيتاً واحداً وهو :

قَدْ كُنْتُ آمُلُ أَنْ أَجِيءَ مُصَلِّيًا ... حَتَّىٰ رَأَيْتُكَ سابِقًا لِلسّـابِقِ

فاستحسنا ما أتى به وجعلناه من مأثور الأخبار . وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله إلى أن مات . »

والمدة التي عاشها ابن الخياط في طرابلس تقدر بعشر سنوات من سنة ٤٧٦ إلى سنة ٤٨٦ تزيد أو تنقص قليلاً ، نجا فيها من الفقر ، ولكنه لم يبلغ ماتصبو إليه نفسه من الثراء ، على أن ماحاز من مال وعقار هناك لم يسلم من محن الدهر ، فقد احترقت داره في طرابلس وأتت النار عليها وعلى مافيها من أثاث ومتاع ، وقد قال في ذلك قطعة منها قوله (٢) :

قَدْ نَحَتَتْ عَظْمي خُطوبٌ لَمْ تَزَلْ ... تَأْكُلُ ٱلْأَحْرارَ أَكْلاً مُمْعِنـا
وَأَتَتْنِي بَعْدَهـا نازِلَةٌ ... أَنْزَلَتْ في ساحَتَيَّ ٱلْمِحَنـا

وشعره الذي قاله في طرابلس فيه مقدار غير يسير من الشكوى من معاكسة الدهر له ومن تعذر المطالب .

(١) انظر الديوان ص ١٢٥ .
(٢) الديوان ص ٩١ .



وفي هذه المدة وفد من طرابلس على منير الدولة والي صور سنة ٤٨٤ ومدحه بقصيدة أنشده اياها بصور أولها (١) :

إذا عَزَّ نَفْسي عَنْ هَواكَ قُصورُها   فَمِثْلُ ٱلنَّوى يَقْضي عَلَيَّ يَسيرُها

وعاد الى طرابلس ولم يمكث بها طويلا وتركها وعاد الى دمشق في حدود سنة ٤٨٦ ولسانه رطب بالثناء على بني عمّار ، فقد كتب من دمشق بعد خروجه من طرابلس قصيدة الى جلال الملك أولها (٢) :

لَئِنْ عَداني زَمانٌ عَنْ لِقائِكُمُ   لَما عَدانِيَ عَنْ تَذْكارِ ما سَلَفا

ولما عاد ابن الخياط إلى دمشق كان ملكها يومئذ تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي ، وكان وزيره هبة الله بن بديع الأصفهاني فصحبه وكان أثيراً عنده ، قال ابن القيسراني (٣) : وقّع هبة الله بن بديع أبوالنجم لابن الخياط بألف دينار وهو آخر شاعر في زماننا وقع له بألف دينار .

وسافر معه سنة ٤٨٧ إلى الري وأنشده هناك قصيدة مدحه بها ، أولها (٤) :

أَيا بَيْنُ ما سُلِّطْتَ إلاّ عَلَى ظُلْمِي   وَيا حُبُّ ما أَبْقَيْتَ مِنِّي سِوىٰ ٱلْوَهْمِ

ويقول وهو بالري مخاطباً هبة الله من أبيات (٥) :

وَما كانَ لي لَوْلاكَ بِٱلرَّيِّ مَنْزِلٌ   وَإِنْ شَعَفَتْ غَيْري وَتَيَّمَ حُبُّها

(١) الديوان ص ١٣٣ .
(٢) الديوان ص ٣٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ (مخطوط) .
(٤) الديوان ص ١٤٥ .
(٥) الديوان ص ١٥٢ .



ولم تطب له الإقامة فيها فتركها بعد أن هجا مستوفي أعمالها واسمه فخراور بأبيات تظرّف فيها باستعمال كلمة فارسية وأول الأبيات(١) :

قُولا لِفَخْراوَرَ قَوْلَ امْرِئٍ في عِرْضِهِ عاثَ وَفي الرِّيشِ (٢) راثْ

وذهب من الري إلى خراسان ، وفيها يقول متشوقاً إلى دمشق وغوطتيها(٣) :

أَلا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَبِيتَنَّ لَيلَةً يُرَوِّحُنِي بِالْغُوطَتَيْنِ نسيمُ

ولم تطل مدة إقامته في بلاد العجم بل عاد إلى دمشق (٤) سنة ٤٨٧ واتصل فيها بالأمير حسّان بن مسمار بن سنان أمير الكلبيين ومدحه بقصيدتين : مطلع الأولى(٥) :

هِيَ الدِّيارُ فَعُجْ في رَسْمِها العاري إِنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْرِيجٌ عَلَى دارِ

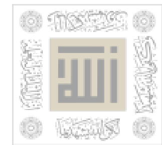
ومطلع الثانية(٦) :

مَتى أَنا طاعِنٌ قَلْبَ الْفِجاجِ وَرامِي الْخَرْقِ بِالْقُلُصِ النَّواجِي

كما اتصل في السنة نفسها بعضب الدولة أبق أحد مقدّمي أمراء دمشق ومدحه بالقصيدة المشهورة التي أولها(٧) :

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَمانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كادَ رَيّاها يطيرُ بِلُبِّه

(١) الديوان ص ١٥٣ .
(٢) ريش : بالفارسية اللحية .
(٣) الديوان ص ١٥٣ .
(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٧٠ .
(٥) الديوان ص ١٥٤ .
(٦) الديوان ص ١٦١ .
(٧) الديوان ص ١٧٠ .



وصحب عضب الدولة وخص به ومدحه بعدة قصائد ونادمه على الشراب في مجالس اللهو والأنس والطوب ، وكان يرتجل الشعر في وصف تلك المجالس وما يجري فيها من اللهو . وطالت صحبته لعضب الدولة حتى فرّق بينهما الدهر بوفاة عضب الدولة سنة ٥٠٢ فرثاه بقصيدة ليست من جيد شعره أولها(١) :

أَبَعْدَكَ أَتَّقي نُوَبَ ٱلزَّمـانِ   أَبَعْدَكَ أَرْتَجي دَرْكَ ٱلْأَماني

وبعد وفاة عضب الدولة اتصل بتاج الملوك أبي سعيد بوري بن طغتكين صاحب دمشق ، وكان حينئذ ولياً لعهد أبيه ، وصحبه كما صحب عضب الدولة ومدحه وكان يحضر مجالس لهوه وشرابه ويصفها .

وصحب أيضاً الرئيس أبا الذوّاد المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق ، والوزير طاهر بن سعد المزدقاني ، وأبا اليمن سعيد بن علي التنوخي المعري متولي الشرطة(٢) بدمشق ، وأبا يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي رئيس دمشق وصاحب التاريخ المعروف بذيل تاريخ دمشق . ومدحهم وأخذ جوائزهم كما مدح غيرهم من القواد والوجوه والرؤساء .

وكان له عدد من الأولاد لانعرف أسماءهم ، ولكن ورد في شعره مايدل على ذلك ، فقد كتب إلى ابن الصوفي رئيس دمشق قصيدة ذكر فيها أنه ازداد عدد أولاده بمولود جديد قال(٣):

.... غَيْرَ أَنِّي أَدْعو نَداكَ إِلىٰ يَوْ   مٍ بِهِ زادَ في عَبيدِكَ عَبْدُ
وَلَعَمْري ما كانَ يَخْرُجُ نَجْلٌ   عَنْ قَبيلٍ أَبوهُ فيهِمْ يُعَدُّ
وَلَأَنْتَ ٱلْأَوْلىٰ بِعَبْدِكَ مِنِّي   كُلُّ مَوْلًى بِعَبْدِهِ مُسْتَبِدُّ

(١) الديوان ص ٢٢٣ .
(٢) ابن عساكر ٢/٦٩ والأعلاق الخطيرة ص ١١٤ وص ٢٧٦ .
(٣) الديوان ص ٢٠٤ .

ومرض قبل وفاته مدة ، وكتب في مرضه سنة (٥١٧) إلى الرئيس ابن القلانسي قصيدة هي آخر ماورد في الديوان من شعره أولها(١) :

عَسىً باخِلٌ بِلِقاءٍ يَجودُ … عَسىً ما مَضىً مِنْ تَدانٍ يَعودُ

يقول فيهـا :

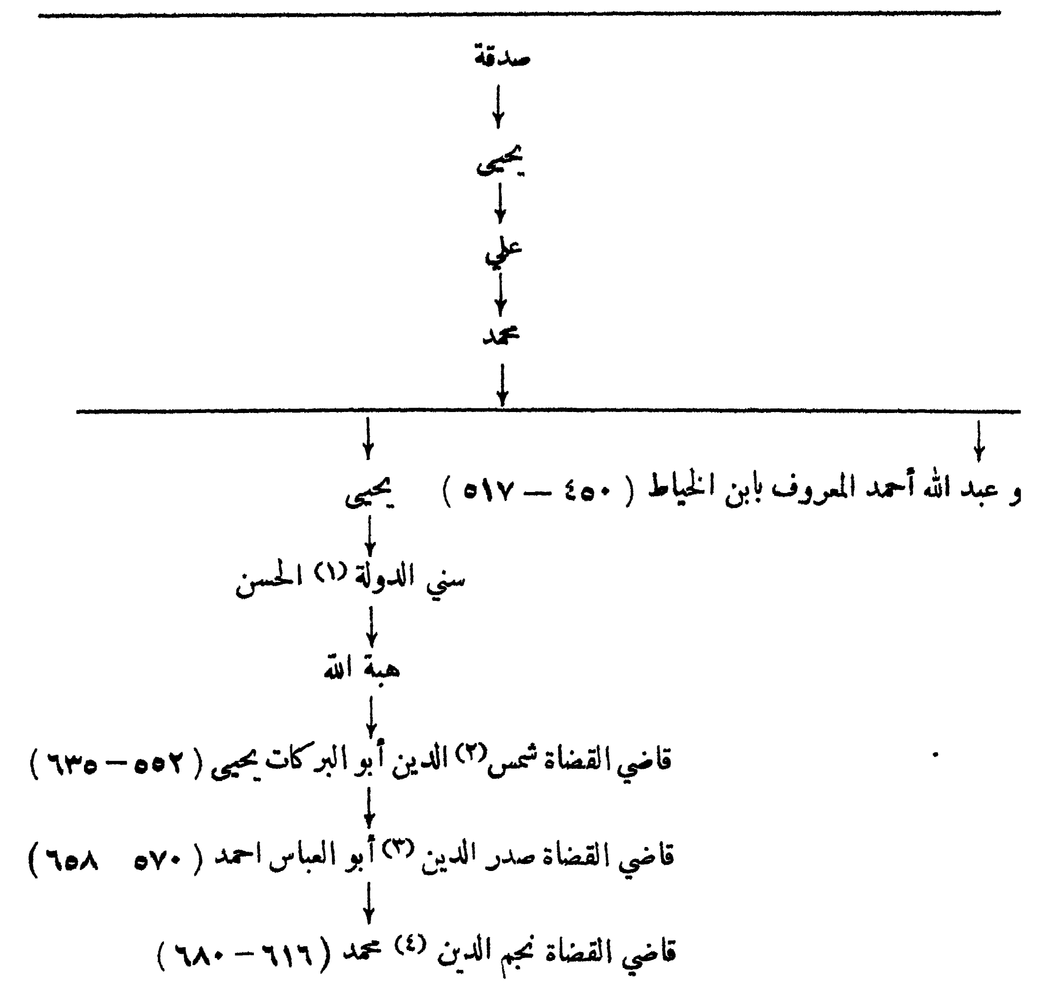
مَرِضْتُ فَهَلْ مِنْ شِفاءٍ يُصابُ … وَهَيْهاتَ وَٱلدّاءُ طَرْفٌ وجِيدُ
وَيا حَبَّذا مَرَضي لَوْ يَـكو … نُ مُمْرِضِيَ ٱلْيَوْمَ فِيمَنْ يَعُودُ

وتوفي بدمشق في حادي عشر شهر رمضان سنة ٥١٧ سبع عشرة وخمسمائة(٢) . ولم تعين المقبرة التي دفن فيها ولعلها مقبرة الباب الصغير لقربها من داره .

ولم يشتهر أحد من أولاده بعده ولا من أولادهم ؛ ولكن ذرية أخيه يحي اشتهر منهـا جماعة بالعلم والأدب والوجاهة عرفوا بأبناء سني الدولة ، ويظهر أن يحيى هذا هاجر مع أخيه الشاعر إلى طرابلس وتديَّرها ، وولد له بها ابنه الحسن الملقب بسني الدولة أبي الكتائب ، ورحم سني الدولة إلى دمشق « وتولى كتابة الإنشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد وكان له ثروة وحشمة ووقف على ذريته أوقافاً وهو ابن أخي احمد بن محمد بن الخياط الشاعر المشهور(٣)» وعرف أولاده ببني سني الدولة ، وتولى منهم غير واحد القضاء في دمشق ، منهم القاضي شمس الدين وابنه القاضي صدر الدين وابنه القاضي نجم الدين ، كان كل منهم قاضي القضاة في دمشق . وفيما يلي شجرة تبين نسب ابن الخياط وذرية أخيه :

---

(١) الديوان ص ٣٢٥ .
(٢) ابن خلكان ١ /٥٧ .
(٣) المنهل الصافي لابن تغري بردي ، (مخطوط) ، بترجمة صدر الدين احمد بن يحي ابن سني الدولة .



---

(١) كان من كتاب الانشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد . (المنهل الصافي بترجمة صدر الدين احمد بن يحي ابن سني الدولة) .

(٢) طبقات الشافعية ٥ / ١٥٠ وقضاة دمشق ص ٦٨ وشذرات الذهب ٥ / ١٧٧ .

(٣) قضاة دمشق ص ٧٠ وشذرات الذهب ٥ / ٢٩١ والمنهل الصافي .

(٤) قضاة دمشق ص ٧٤ وشذرات الذهب ٥ / ٣٦٧ .

علمه وأدبه

نشأ ابن الخياط بدار صانع فقير ، بحي من أحياء دمشق الحنوبية ، في فترة من الزمن شديدة الاضطراب في كل ناحية من نواحي الحياة ، لايكاد الإنسان ينال فيها قوت يومه إلا بالجد والكد ، فلم يتيسر للشاعر الفتى أن يتلقى العلم والأدب عن المشايخ كما ينبغي ، بل كان يحفظ مايطلع عليه ويختاره من الشعر الذي يعجبه وينسج على منواله ؛ وكانت دار ابن حَيّوس شاعر الشام وقتئذ غير بعيدة من داره ، وهو أمير موسر ، فود ابن الخياط لو يكون مثله ، وبقي معجباً به طول حياته . ولكن ابن حَيّوس هاجر من دمشق في اوائل[1] سنة ٤٦٤ قبل أن يتمكن ابن الخياط من الأخذ عنه ، وما يذكر في كتب التراجم من أن ابن حَيّوس شيخ ابن الخياط يقصد به اجتماعها في حلب كما سيأتي .

ويزداد الحال سوءاً في دمشق ، فيضطر ابن الخياط الى الخروج منها وهو ابن عشرين سنة ، تنقص أو تزيد قليلا ، ولم يحفظ من شعره شيء قبل خروجه من دمشق الى حماة حيث عمل كاتباً للأمير أبي الفوارس محمد بن مانك ، وكان لم يشتهر بعد بالشعر فعرف بابن الخياط الكاتب . وزار حلب غير مرة واجتمع هناك بابن حَيّوس ، قال ابن[2] خلكان : « لما اجتمع ابن الخياط بأبي الفتيان ابن حَيّوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلا على موت الشيخ من أبناء جنسه » .

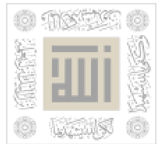
وتبدأ أخبار ثقافته وأخذه عن غيره من هذا التاريخ أي بعد بلوغه العشرين من عمره ، أما قبل ذلك فقد كان يأخذ نفسه بحفظ الشعر وأخبار الأدباء . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[3] : « اجتمع ابن الخياط بحلب بالأمير أبي الفتيان ابن حَيّوس ، وروى عنه وعن السابق محمد بن الخضر بن أبي مهزول المعري ، وحسان بن الحباب ، وأبي نصر بن الحيسي ،

---

(١) ديوان ابن حيوس ، المقدمة ص ١٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٥٦/١ .

(٣) المجلد ١٢ ورقة ١١٠ (مخطوط) .



وعبد الله بن أحمد بن الدويدة . وروى عنه أحمد بن محمد الطليطلي ومحمد بن نصر القسراني وتخرج به » .

وفي آخر مرة اجتمع بابن حيّوس وصله بثياب ودنانير ، ونصح له أن يقصد بني عمّار بطرابلس ففعل . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « قال أبو عبد الله أحمد الطليطلي : كان ابن الخياط أول مادخل طرابلس وهو شاب ، يغشاني في حلقتي وينشدني ماأستكثره له فأتهمه ، لأني كنت إذا سألته عن شيء من الأدب لايقوم به ؛ فوبخته يوماً على قطعة عملها ، وقلت أنت لاتقوم بنحوٍ ولا لغة ، فمن أين لك هذا الشعر؟ فقام إلى راوية ففكّر ثم قال اسمع :

وَفاضِلٍ قالَ إذ أَنْشَدْتُهُ نُخَباً ... مِنْ بَعْضِ شِعْرِي وَشِعْرِي كُلُّهُ نُخَبُ
لا شَيْءَ عِنْدَكَ مِمّا يَسْتَعِينُ بِهِ ... مَنْ شأْنُهُ مُعْجِزاتُ ٱلنَّظْمِ وَٱلْخُطَبُ
فَلا عَرُوضٌ وَلا نَحْوٌ وَلا لُغَةٌ ... قُلْ لي فَمِنْ أَيْنَ هٰذا ٱلْفَضْلُ وَٱلْأَدَبُ
فَقُلْتُ قَوْلَ ٱمْرِىءٍ صَحَّتْ قَرِيحَتُهُ ... إِنَّ ٱلْقَرِيحَةَ عِلْمٌ لَيْسَ يُكْتَسَبُ
ذَوْقِي عَرُوضِي وَلَفْظِي جُلُّهُ لُغَتِي ... وَٱلنَّحْوُ طَبْعِي فَهَلْ يَعْتاقُنِي سَبَبُ (١)

فقلت : حسبك الله ، والله لا استعظمت لك بعدها عظيما . ولزمني بعد ذلك فأفاد من الأدب ما استقل به » حتى أن الطليطلي نفسه روى عنه .

ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة بل جعل يختلف أيضاً إلى دار العلم التي أنشأها بنو عمّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب ، ويعتبر نفسه من تلامذتها ويطالب بما يوزّع عليهم من جراية وهبات (٢) .

(١) لم ترد هذه الأبيات في الديوان ، لأن الديوان لم يشتمل على أكثر ما قاله في صباه فيما نرى .
(٢) انظر الديوان ص ١٢١ .

ب

وأخذتْ تزداد ثقافته الأدبية مع الزمن وساعده على ذلك سرعة حفظه وقوة ذاكرته ، قال ابن عساكر : « كان ابن الخياط يحفظ أشعار المتقدمين وأخبارهم ، جالسته مرة عند جدي القاضي أبي الفضل وتفاوضنا في معانٍ كثيرة .... وأجازني بجميع ماقاله من النظم والنثر سنة سبع وخمساية (١) » .

وصحبه في دمشق محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور وكان فتى ناشئاً ، ولازمه وقرأ عليه الأدب وتخرج به(٢) . وهو الذي جمع ديوانه ورتبه ؛ واختار أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه .

وكان لابن الخياط نثر واشتهر بـ (الكاتب) قبل أن يشتهر بـ (الشاعر) ، وأجاز ابنَ عساكر برواية نظمه ونثره ، وكان يفتخر بنثره كما كان يفتخر بشعره — على قلة شعره في الفخر — وإلى ذلك يشير بقوله (٣) :

... مِمّا تَنَخَّلَهُ وَحَصَّلَ ماهِرٌ فَضَلَ ٱلْبَرِيَّةَ ناثِراً وَمُقَرِّضـا

ولكن لم يصل إلينا شيء من ذلك النثر .

على أن أثر الثقافة ضئيل في شعره ، فقد كان يعتمد على طبعه وذوقه أكثر مما يعتمد على ثقافته الأدبيه التي اتسعت مع الزمن ، والناظر في شعره يجده يأخذ بالرخص ويستعمل الضرورات وبعضها أشبه بالخطأ واللحن ، ويصوغ ألفاظاً ويشتقها على سبيل القياس ولو لم تسمع ، وسنبسط ذلك عند الكلام على لغته .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٦٧ .
(٢) ابن خلكان ٢/٢١ .
(٣) الديوان ص ٢٠٣ .

صفته وأخلاقه

لم يعن أحد ممن ترجم لابن الخياط بوصف هيئته ، ولو لا جملة واحدة نقلها الذهبي في سير أعلام النبلاء عن العماد الكاتب لما علمنا شيئاً عنها قال : « ... ومن كان ينظر إلى ابن الخياط يعتقده جمّالاً أو حمّالاً لبزّته وشكله وعرضه » فقد كان إذن ضخماً عريضاً خشن الهندام والهيئة واللبسة ، يلبس الغليظ الجافي من الكساء ؛ وعرفنا من شعره أشكالا من الثياب التي كان يلبسها ، فقد كتب إلى أحد أصحابه يقتضيه فوطة يلبسها مع ثوب كان وصله به قوله من أبيات(١) :

قَدْ وَصَلَ ٱلثَّوْبُ وَلا عُذْرَ لي   أَنْ أَلْبَسَ ٱلثَّوْبَ بِلا فُوطَهْ

« والفوطة واحدة الفُوَط وهي ثياب تجلب من السند غلاظ قصار مخططة تتخذ مآزر يشتريها الجمالون والأعراب والخدم فيأتزرون بها » .

وكان يلبس على هذه الفوطة ثوبا ، وفوقه جبة من صوف أو خز إن تيسر ، قال(٢) :

أَسُومُ ٱلْجِبابَ فَلا خَزَّها   أُطيقُ ٱبْتِياعًا وَلا صُوفَها
وَكَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلىٰ جُبَّةٍ   لِمَنْ لَيْسَ يَمْلِكُ تَصْحِيفَها

وغني عن البيان أنه كان يرسل لحيته ، ويعتمّ بعمامة يكوّرها على رأسه .

ولا بد من أن يكون استعاض عن تقشفه وحشونته بقسط من التنوف بعد أن ارتاش وحسنت حاله ، وصحب الأمراء والوزراء والقواد والرؤساء ونادمهم .

---

(١) الديوان ص ٣١٧ .

(٢) الديوان ص ٢٩٥ .

ويظهر أنه كان قويا جلداً على السفر ومشاقّه وركوب الخيل والجمال ، فقد وصف أسفاره وما كانت تعانيه فيها الخيل والإبل . ولقد سافر في شبابه من دمشق إلى حماة وحلب وطرابلس وصور ، وعاد الى دمشق كهلا ، ولم يكد يستقر بها حتى قصد بلاد العجم فدخل الري ومنها إلى خراسان ثم عاد الى دمشق . وفي ديوانه أبيات غير قليلة في وصف أسفاره(١).

وكان على مايظهر ، مع سرعة خاطره وبداهته وارتجاله ، حلو الحديث حسن المحاضرة ، فاصطفاه علية القوم في طرابلس وفي دمشق ، فصحبهم وحضر مجالسهم الخاصة ونادمهم على الشراب .

وكان يميل الى مخالطة الناس وملابستهم ، والترويح عن النفس والتفرج بالجلوس في الأسواق في أوقات فراغه عند بعض أصحابه ومع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يذهبون معاً إلى بعض الأماكن النزهة والبساتين ، فقد ذكر عنه أنه كان يجلس في طرابلس (٢) في دكان عطار أديب ، وكان يجلس في دمشق بدكان الحسن (٣) بن رويبل الأبّار الشاعر في سوق الأبّارين (٤) يتناشدان الأشعار ؛ وكان يلعب بالنرد (٥) ووصفه الصلاح الصفدي بالذكاء (٦)

وكان لما قاساه في حداثته من الفقر والحرمان والغربة ، كثير الشكوى من الزمان وأهله ، وظل هذا ديدنه حتى بعد أن حسنت حاله ، قال من قصيدة وقد بلغ الأربعين من عمره يشكو المحارفة في العيش(٧) :

---

(١) انظر الديوان ص ٤٥ وص ٧٤ وص ١٤٧ و ص ١٦١ وص ٢٣٧ وص ٢٥٦ .
(٢) انظر ص ٩ من المقدمة .
(٣) خريدة القصر ١ / ٢٦٢ ومرآة الزمان ص ١٠٠ .
(٤) سوق الأبّارين بباب الفرج (قرب الجامع المعلق) ولهم سوق آخر غربي البزوريين . أسواق دمشق ليوسف بن عبد الهادي . الخزانة الشرقية ٣ / ١٢٨ .
(٥) انظر الديوان ص ٢٨٤ .
(٦) الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخياط (مخطوط) .
(٧) الديوان ص ٢٩٠ .

وَقَدْ وَسَمَتْنِي ٱلْأَرْبَعُونَ بِمَرِّها ... وَحالَتْ بِشَيْبِي لِلشَّبِيبَةِ حالُ
فَلَيْتَ ٱلَّذي أَرْجُو مِنَ ٱلْعُمْرِ بَعْدَها ... يَطِيبُ بِهِ عَيْشٌ وَيَنْعَمُ بالُ
يَقُولُ أُناسٌ كَيْفَ يُعْجِزُكَ ٱلْغِنىٰ ... وَمِثْلُكَ يَكْفِيهِ ٱلْفِعالَ مَقالُ
وَما عِنْدَهُمْ أَنَّ ٱلسُّؤالَ مَذَلَّةٌ ... وَنَقْصٌ وَما قَدْرُ ٱلْحَياةِ سُؤالُ

ويظهر أنه كان ابن الجانب دمث الأخلاق يألف ويؤلف ، يدل على ذلك خلو شعره من الفخر والهجـــاء إلا قليلاً جداً من الأبيات في هذين المعنيين . وفي قوله يعاتب صديقاً له من أبيات(١) :

وَما هِيَ إِلاّ حُرْمَةٌ لَوْ رَعَيْتَها ... رَعَيْتَ فَتىً عَنْ شُكْرِها لا يُقَصِّرُ
كَرِيمًا مَتىٰ عاطَيْتَهُ كَأْسَ عِشْرَةٍ ... تَعَلَّمْتَ مِنْ أَخْلاقِهِ كَيْفَ تَسْكَرُ

مايدل على ذلك .

ويقـول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : « كان ابن الخياط في وقته ممن له القدر العلي ، والصدر الرحيب لفضله الجلي ، وهو دمشقي الدار ، شقي الحظ بالشام لا بغلبة الأقدار ، هجي بما نبَّه على جلالته ، ونوَّه بقدر أصالته ، وشُبِّه على حسوده فأكد له المدح بما يشبه الذم ، وأراد به النقص في حقه وأراد الله خلافـه فتم ، وتحيَّل في إخفـاء مسكه المتضوِّع وريحه قد نم » فـلم يأبه لمن هجاه من هؤلاء الحساد ومر بلغوهم مر الكرام ، ولم يحب أحداً منهم لأنه غير طعّان ولا لعّان .

(١) الديوان ص ١٢٤ .

شعره

ابن الخياط شاعر مطبوع فصيح ، جزل الألفاظ من غير إغراب ، واضح المعاني ، في شعره حلاوة وطلاوة ، وأثر الطبع فيه أظهر من جميع العناصر التي يتكون منها الشعر . وله بضع قصائد بلغ بها الذروة صحةَ معانٍ وحسنَ أداء ، وفي بعضها من الجزالة والقوة مابحاكي شعر الصدر الأول من المخضرمين والإسلاميين ، وذلك لصحة طبعه وسلامة ذوقه وكثرة حفظه من شعر المتقدمين .

وهو على قوة طبعه لايستوي جميع شعره ، بل ربما تفاوت ولكن من غير إفراط في التفاوت ، فقد يعلو حتى يبلغ الذروة ، وينحط عن تلك المكانة ، ولكن قلما يسف .

وسبيله في النظم سبيل المطبوعين ، يعتمد على طبعه وسليقته ، ولو خالف القواعد والرسوم ، ولذلك يكثر في شعره الزحاف الذي يلفى في الشعر القديم قبل أن يحرر الخليل بن احمد قواعد العروض ، ولعله هو والبحتري من أكثر الشعراء زحافاً ، من ذلك قوله :

الديوان ص ٣٩

أَمُرُّ بِالرَّوْضِ فيهِ مِنْكُمُ شَبَهٌ   فَأَغْتَدي بارِئا وَأَنْثَني دَنِفا

وقوله : ص ١٤٥

وَما مَنْ رَمى مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَأَقْصَدَتْ   نَوافِذُهُ كَمَنْ تعمّد أَنْ يرْمي

وقوله : ص ١٧٣

يَقُولُونَ تِرْبٌ لِلْغَمامِ وَإِنَّما   رَجاءُ الْغَمامِ أَنْ يُعَدَّ كَتِرْبِه

وقوله : ص ٢٤٢

كَفى مِنْ شَجايَ عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ   وَلُبٌّ مُطارٌ أَمْ سَقامٌ مُهَيَّجُ

وقوله : ص ٢٥٩

مَنْ كانَ يَفْخَرُ أَنَّهُ مِنْ أُسْرَةٍ كَرُمَتْ وَيَضْرِبُ في الْكِرامِ مُعْرِقا

وقوله : ص ٣٠٦

فَأَنتَ الْحَقيقُ بِالْعَلاءِ وَبِالثَّنا إِذا الْحَقُّ يَوْمًا أَوْجَبَتْهُ الْحَقائِقُ

وتجوّزه في اللغة في طائفة من شعره جريء وغير قليل ، وسنبسط الكلام عليه في فصل خاص يلي هذا الفصل .

وسعة روايته للشعر القديم جعلت في نفسه ملكةً على حسن البيان وإشراق الديباجة ، وقوةً على محاكاة الفحول من الشعراء والطبع على غرارهم في أصالة الأسلوب وشدة الأسر في طائفة صالحة من شعره .

لا نعلم متى بدأ يقول الشعر ، ولا بد من أن يكون قاله في سن مبكرة لأنه شاعر بالفطرة ، ولكن ليس في الديوان إلا ما قاله بعد أن بلغ العشرين من عمره واجتازها قليلا .

وشعره في شبابه من أحسن شعره وهو قليل الصنعة لولا قصيدة واحدة من أول ماقاله من الشعر أولها : ص ٧

سَقَوْهُ كَأْسَ فُرْقَتِهِمْ دِهاقا وَأَسْكَرَهُ الْوَداعُ فَما أَفاقا

ففيها قسط من الصنعة بخلاف سائر شعره ، ثم أقلع عن هذه الطريقة وسلك طريقة الطبع ، على أن هذه القصيدة لم تدون إلا في نسخة واحدة من ثماني نسخ مخطوطة من ديوانه رجعنا إليها في تحقيق هذا الديوان ، ولم يروها عنه تلميذه القيسراني الذي جمع ديوانه .

وفي بعض قصائده أثر من استعارات أبي تمام الطائي وتشبيهاته وكناياته ، من ذلك قوله : ص ٥٥

وَكَيْفَ تَرى مِياهَ الْفَضْلِ إلاّ وَقَدْ رُشِفَتْ بِأَفْواهِ الْعُقُولِ

وقوله : ص ٦٠

هَرَبْتُ مِنَ ٱرْتِياحِكَ حينَ أَنْحى ... عَلى حَمْدي بِعَضْبِ نَدىً صَقيلِ

وَلَمّا عُذْتُ بِٱلْعَلْيـــاءِ قالَتْ ... لَعَلَّكَ صاحِبُ ٱلشُّكْرِ ٱلْقَتيلِ

فأواه العقول ، والشكر القتيل بعضب الندى ، أشبه بمعاني أبي تمام ، وقلما يسلك طريقه أبي تمام في الصنعة اللفظية ، من ذلك قوله : ص ١٩٨

فَإِلىٰ ٱرْتِياحِكَ يَنْتَمي صَوْبُ ٱلْحَيا ... وَعَلىٰ ٱقْتِراحِكَ يَنْتَهي صَرْفُ ٱلْقَضا

فقابل إلى بعلى ، وارتياحك باقتراحك ، وينتمي بينتهي ، وصوب بصرف . ولكن مثل ذلك في شعره نادر .

وفي بعضها نفحة من نفحات البحتري منهــا قوله : ص ١٨٩

وَلَيْسَ يَبينُ ٱلدَّهْرَ إِخْلاصُ باطِنٍ ... إِذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهِ بِظـاهِرِ

وهو ينظر إلى قول البحترى :

وَلَنْ تَسْتَبينَ ٱلدَّهْرَ مَوْضِـعَ نِعْمَةٍ ... إِذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بِحاسِدِ (١)

وفي بعضها عبقة من نفس أبي الطيب المتنبي ، مثال دلك قوله : ص ٢٤

إِذا ما ٱلنّارُ كانَ لَها ٱضْطِرامٌ ... فَما ٱلدّاعِي إِلىٰ قَدْحِ ٱلزِّنادِ

رَجَوْتُ فَما تَجاوَزَهُ رَجائِي ... وَكـانَ ٱلْماءُ غايَةَ كُلِّ صـادِ

إِذا ما رُوِّضَتْ أَرْضِي وَساحَتْ ... فَما مَعْنىٰ ٱنْتِجاعِي وَٱرْتِيادِي

---

(١) ديوان البحتري ص ٥٤ .



وقوله : ص ٣

إِذَا عَايَنْتَ مِنْ عُودٍ دُخَانًا ... فَأَوْشِكْ أَنْ تُعَايِنَ مِنْهُ نَارَا

وقد يكون هـذا التشابه صدر عفواً عن غير قصد ، أو يكون من باب توارد الخواطر أو تقارب السبل ؛ أما الشاعر الذي قصد ابن الخياط أن يسلك طريقته فهو جاره وشيخه ابن حَيّوس ، للذي رآه من علو منزلته وإقبال الدنيا عليه حتى جعله مضرب المثل في الشاعرية ، قال يصف إحدى قصائده : ص ١٦٥

بَضِيقُ ٱلْأَعْصُرِيُّ بِهَا ذِرَاعَا ... وَيَعْذُرُ عَجْزَهُ عَنْهَا ٱلْخَفَاجِي

والأعصري هو ابن حَيّوس(١) ، أما الخفاجي فهو عبد الله بن سنان الخفـاجي ، وأرجو أن لا تكون القافية هي التي جرته .

كان ابن الخياط نطبع على غرار ابن حَيّوس ويقتفي أثره في عدة أمور ، منها : أن له عدة مدائح لم يستهلها بالنسب وهذه طريقة ابن حَيّوس ، ومنها قلة الغزل في شعره وخلو ديوانه من الفخر والهجاء إلا قليلاً ، أخذاً بطريقة ابن حَيّوس(٢) ، ومنها استعمال ألفاظ أكثر ابن حَيّوس من استعمالها على وجه خاص ، مثل ظَافَرَ بمعنى ظَاهَرَ أو أيَّد ، وإضافة كلمة أم الى المعنى الذي يريده تأكيداً له ، قال ابن الخياط : ص ٨٠

وَعَيْشٌ يَرِفُّ عَلَيْهِ ٱلنَّعِيمُ ... وَجَـدٌّ تَظَافَرُ فِيهِ ٱلسُّعُودُ

وقال ص : ٢٩٠ .

فَتىً ظَافَرَتْ هِمَاتُهُ عَزَمَاتِهِ ... كَمَا ظَافَرَتْ سُمْرَ ٱلصِّعَادِ نِصَالُ

---

(١) انظر ديوان ابن حيوس ح ١ ص ٦٦ وص ١٥٠ و ص ٣٢٨ .

(٢) انظر مقدمة ديوان ابن حيوس ص ٣٩ - ٤٣ .

وقال ص : ٨١ .

لَقَدْ طَرَّقَتْ بِكَ أُمُّ ٱلْعَلاءِ بِيَوْمٍ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَسُودُ

وقال ص : ٣٠٨

فَإِنْ أَنا لَمْ أُطْلِقْ لِساني بِحَمْدِها فَأُمُّ ٱلْعُلَى وَٱلْمَجْدِ مِنّيَ طالِقُ

وقال ص : ٣٢٨

فَتىً لَمْ تَزَلْ عاقِراً في ذَرا هُ أُمُّ ٱلْحَوادِثِ وَهْيَ ٱلْوَلودُ

وقد يجمع الأم فيقول : ص ٧٤

بَصُرْتُ بِأُمّاتِ ٱلْحَيا فَظَنَنْتُها أَنامِلَهُ إِنَّ ٱلسَّحائِبَ أَشْباهُ

ويقول : ص ٢٩٤

مِنْ مَعْشَرٍ كانوا لِأُمّاتِ ٱلْعُلى أَبَداً فُحولاً أَنْجَبَتْ وبُعولا

وتلاعب ابن حَيّوس مرة بالحروف فقال : (ديوان ابن حَيّوس ٢/٥٧٨)

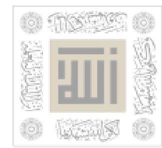
وَتُرْبَةِ ٱلْمَرْحومِ وَٱلْحاءُ جيمْ لَقَدْ ثَوىٰ في ٱلنّارِ مِنْهُ رَجيمْ

فقال ابن الخياط قطعة تلاعب بالحروف في كل بيت من أبياتها أولها : ص ١٤٢

صِرْتَ بَيْنَ ٱلصّادَيْنِ يا بْنَ ٱلْمُجَلّي بَيْنَ صَفْعٍ يوهي قَفاكَ وصَرْفِ

وقريب من ذلك قوله : ص ٩٦ .

وَبَكَّتْكَ كُلُّ عُروضِيَّةٍ تُرِنُّ بها كُلُّ ميمٍ وَلامْ



وقوله : ص ١٠٧

إنَّ خَيْرَ ٱلْمَعْروفِ ماجاءَ لا سينُ سُؤالٍ فيـهِ وَلا واوِ وَعْدِ

وقوله : ص ٢٨

لدىٰ بِرْكَةٍ حُرِّكَتْ راؤُها فَلَيْسَتْ تَقِلُّ وَلا تَنْقُصُ

وكان ابن حَيُّوس يزعم في مدائحه أنه لا يمدح طلباً للعطاء لأنه من ذوي اليسار ، ولكنه يبغي المجد والعلاء (١) ، فبدا لابن الخياط – على فقره ومرارة شكواه من الحرمان – أن يقول في إحدى قصائده : ص ٢٧٨

أَتَيْتُكَ لِلْعَلْيا فَإِنْ كُنْتَ مُنْعِماً فَبِالْعِزَّةِ ٱلْقَعْساءِ لا ٱلْعِيشَةِ ٱلرَّغْدِ

إذا نائِلٌ لَمْ يَحْبُنِي ٱلْفَخْرَ نَيـلُهُ فَإِنَّ ٱنْقِطاعَ ٱلرِّفْدِ فيهِ مِنَ ٱلرِّفْدِ

ولكنه لم يعد إلى هذا المعنى خشية أن يصدقه الممدوحون .

وليس هنا محل المفاضلة بينه وبين ابن حَيُّوس ولكن لا بأس بإيراد ما قاله العماد الكاتب في هذا الشأن : « ابن حَيُّوس أصنع من ابن الخياط ، لكن لشعر ابن الخياط طلاوة ليست له (٢) »

ومن دلائل قوة طبعه كثرة ارتجاله ، ففي الديوان مقدار غير قليل من الشعر الذي كان يقوله بداهةً وارتجالاً في مجالس الطرب ومع أصحابه إجابةً لمقترحهم ، أو غير ذلك من بواعث الشعر ، والشواهد على ذلك كثيرة ، انظر الديوان ص ٧٧ و ص ١١٩ و ص ١٢٥ و ص ١٣٢ و ص ١٤٠ و ص ١٩٢ و ص ١٩٥ وص ٢٠٣ و ص ٢٠٧ وص ٢١٢ وص ٢٢٠ وص ٢٢٣ و ص ٢٣٤ و ص ٢٧٣ و ص ٢٧٩ و ص ٢٨٠ و ص ٢٨١ و ص ٢٨٢ و ص ٢٨٣ و ص ٢٨٦ و ص ٢٩٨ و ص ٢٩٩ و ص ٣٠٠ و ص ٣٢١

(١) مقدمة ديوان ابن حيوس ص ٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (مخطوط) .
(٣) مسالك الأبصار (مخطوط) .

ولئن خصت ألفاظـــه في أكثر شعره بالجزالة والعذوبه والطلاوة فقد« كان ولوعاً بتصحيح المعنى [1] » كما يقـول ابن فضل الله العمري ، يعرضه أحسن مايكون وأوضح مايكون ، فقد يتناول المعنى المتداول المعاد الذي مله السمع ، فيعرضه بثوب جديد حتى كأنه مبتكر ترتاح له الأذن وتهش له النفس . لقـد أكثر الشعراء من عهد امريء القيس من الوقوف في ديار الأحباب الخالية ورسومها البالية حتى عافت الناس هذا المعنى فقال ابن الخياط ص ١٥٤

هِيَ ٱلدِّيارُ فَعُجْ في رَسْمِها ٱلْعاري إِنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْريجٌ عَلَى دارِ
إِنْ يَخْلُ طَرْفُكَ مِنْ سُكّانِها فَبِها ما يَمْلأُ ٱلْقَلْبَ مِنْ شوْقٍ وَتَذْكارِ

وقال : ص ٢٢٦

لَقَدْ وَجَدَتْ وَجْدي ٱلدِّيارُ بِأَهْلِها وَلَوْ لَمْ تَجِدْ وَجْدي لَماسَقِمَتْ سُقْمي

فكأنه أول من قال في هذا المعنى بعد أن نفخ فيه روحا جديدة .

وبينا تسمعه يهدر بمثل هذه الجزالة التي شبهها ابن فضل الله العمري بصليل السيوف وصرير الأقلام [1] إذا به يرق حتى تظنه من الشعراء المعاصرين إذ يقول مهنئاً بمولود ص ٨٤

أَطْلَعْتَ بَدْراً في سَماءِ مَمالِكٍ سَهِرَ ٱلْجَمالُ وَنامَ في تَلْوينِهِ

ويقول وقد رماه فتى صبيح بجمره ممازحاً : ص ١٢٧

يا مُؤْذِيًا بِٱلنّارِ جِسْمَ مُحِبِّهِ نارُ ٱلْجَوىٰ أَحْرىٰ بِأَنْ تُؤْذيهِ
عَذِّبْ بِها جَسَدي فَداكَ مُعَذِّبًا وَٱحْذَرْ عَلَى قَلْبي فَإِنَّكَ فيهِ

وفنون شعره : المديح والرثاء والوصف والشكوى والغزل وما يتصل بهـذه الفنون ، ويكاد يخلو من الفخر والهجاء لولا بضعة أبيات في هذين المعنيين .

(١) مسالك الأبصار (مخطوط) .

وله قصيدة في الحروب الصليبية قالها في ليلة واحدة ، حين شاع خبر مجيء الجيوش الصليبية ، وقدمها الى الأمير عضب الدولة زعيم الجيوش في دمشق يحضه على الجهاد ، ولعلها أول قصيدة قيلت في الحروب الصليبية ، أولها : ص ١٨٢

فَدَتْكَ ٱلصَّواهِلُ قُبًّا وَجُرْدا ... وَشُمُّ ٱلْقَبائِلِ شِيباً وَمُرْدا

وبعض شعره في الوصف يصف وجوهاً من الحياة الاجتماعية في أيامه ، وحياة القصور ، ومجالس اللهو والقصف والأنس والطرب ، وما يجري فيها من شراب وغناء ونعيم وترف ، في المقاصير وفي متنزهات دمسق ، ويصف الأزهار والفواكه والثمار والخضر في الغوطة وقراها .

وله في النرد (طاولة الزهر) قصيدة طريفة فريدة في بابها أولها : ص ٢٨٤

أقولُ وَٱلْيَوْمُ بَهيمٌ خَطْبُهُ ... مُسْوَدُّ أَوْضاحِ ٱلضُّحىٰ دَغُوشُها

والحسن من شعره أكثر من الوسط ، وقد يعلو حتى يبلغ الأوج ، وله قصيدة هي في رأينا أحسن شعره ، ومن مختار الشعر العربي في جميع عصوره ، سلمت جميع أبياتها ، عذبة الألفاظ ، خلابة المعاني ، جعل نسيبها وصفاً لآراب الشباب ونزعات الصبا ، ونزوات الفتوة ، يصلح أن يكون عنوان هذا القسم منها (الشباب) أولها : ص ٦٤

أَعْطىٰ ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلآرابِ ما طَلَبا ... وَراحَ يَخْتالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِبا

وقصيدته الثانية التي سلمت له كل أبياتها مع الجزالة والعذوبة أولها : ص ١٥٤

هِيَ ٱلدِّيارُ فَعُجْ في رَسْمِها ٱلْعاري ... إِنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْريجٌ عَلَى دارِ

وله قصيدة سما بغزلها حتى تغنى الناس به الى اليوم أولها : ص ١٧٠

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَماناً لِقَلْبِهِ ... فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بِلُبِّهِ

واستقصاء محاسنه يطول ، وليس كل شعره مستوياً فبعضه أحسن من بعض .

أما منزلته بين شعراء عصره فقد اتفق على أنه كان من المحسنين ، بشهادة معاصريه من طبقة شيوخه ومن دونهم ، فقد شهد له شيخه ابن حَيّوس بالإجادة وهو في ريّق الشباب وجعله ولي عهده . وقال ابن عساكر[1] : «ابن الخياط ختم به ديوان الشعر بدمشق ، وكان شاعراً مكثراً مجيداً محسناً » .

وقال السلفي[1] : « كان ابن الخياط شاعر الشام ، وقد اخترت من شعره مجلدة لطيفة وسمعتها منه » .

وقال ابو الفوارس نجا بن اسماعيل العمري[2] : « ابن الخياط في عصره أشعر الشاميين بلا خلاف » .

وقال الذهبي[2] : « ابن الخياط شاعر عصره ، من كبار الأدباء ، ونظمه في الذروة » .

وقال ابن خلكان[3] : « ... كان من الشعراء المجيدين ... وأكثر قصائده غرر » .

والذي نراه أنه ومعاصره أبا اسحق إبراهيم الغزي طبقة واحدة وكلاهما محسن ، ولكن الغزي رحل عن الشام ودخل بلاد العجم وبقي هناك بقية حياته ، فأصبح ابن الخياط وحده شاعر الشام .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٦٧ .
(٢) سير أعلام النبلاء (مخطوط) .
(٣) وفيات الأعيان ١ / ٥٦ .

لغته

لغة ابن الخياط في أكثر قصائده جزلة عذبة ذات طلاوة ، لصحة ذوقه ، وكثرة محفوظه من الشعر المختار ، يجزل حتى كأنه من شعراء الأعراب إذ يقول : ص ١٥٧ .

اَلطّاعِنُ ٱلطَّعْنَةَ ٱلْفَوْهاءَ جائِشَةً ... تَرُدُّ طاعِنَهــــا عَنْها بِتَيّارِ

يَــكادُ يَنفُذُ مِنْها حينَ يُنْفِذُها ... لَوْلا عُبابُ دَمٍ مِنْ فَوْرِها جارِ

ويرق ويعذب دون أن يفارق جزالته فيقول : ص ١٧٠

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَمانًا لِقَلْبِهِ ... فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بِلُبِّهِ

ومثل ذلك غير قليل في شعره . ولكن ليس كل شعره كذلك .

وله ألفاظ أغري باستعمالها تدور على لسانه أكثر من غيرها منها روّض قال : ص ١٤٩ .

أَضاءَتْ بِكَ ٱلأَوْقاتُ وَٱلشَّمْسُ لَمْ تُنِرْ ... وَرُوِّضَتِ ٱلسّاحاتُ وَٱلْغَيْثُ لَمْ يَهْمِ

وقال : ص ٢٥ .

إذا ما رُوِّضَتْ أَرْضي وَساحَتْ ... فَمــا مَعْنىٰ ٱنْتِجاعي وَٱرْتِيادي

وقال : ص ١٥٢

فَلَمْ يَأْتِ عِنْدي غَيْرُ ما أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلا عَجَبٌ لِلغَيْثِ أَنْ رَوَّضَ ٱلْمَحْلا

وقال : ص ٢٠٢ .

يُخْجِلْنَ ما حاكَ ٱلرَّبيعُ مُفَوَّفاً ... وَيَزِدْنَهُ خَجَلاً إِذا ما رَوَّضا

وقال : ص ١٧٥ .

تُرَوِّضُ قَبْلَ ٱلرّوضِ أَخْلاقُهُ ٱلثّرىٰ ... وَتَبْعَثُ قَبْلَ ٱلسُّكْرِ سُكْراً لِشَرْبِهِ

وقال : ص ٢٠٦ .

سَقاكَ — وَمَنْ سَقىٰ قَبْلِي سَحاباً ... تُرَوِّضُ قَبْلَ مَوْقِعِهِ ٱلْمَحولَ —

وقال : ص ٢٥٠ .

وَرَوَّضَ ساحَتَيْهِ كَأَنَّ وَشْياً ... يَحُلُّ بِهـا وَديباجاً نَشيرا

سبق لنـا أن قلنا في الفصل الذي عقدناه لعلمه وأدبه إن ثقافة ابن الخياط شخصية ، يعني أنه أخذ نفسه في أول الأمر بحفظ الشعر فكانت ثروته الأدبية باشتغاله على نفسه أكثر من اشتغاله على شيوخه ، ولعل ذلك جعله يقدم بجرأة غريبة على أمور منها : إتيان الرخص ، والتساهل في تعدي الحدود اللغوية ، والتجوز في الاشتقاق وصوغ المشتقات ، والتوسع في القياس ، حتى صارت هذه الأمور مذهباً له — إن صح أن تدعى مثل هذه المآخذ مذهباً — وبقي على هـذه الطريقة بعد أن أثرى من الأدب وصار من شيوخه . قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخياط : « روى ابن القيسراني شعره وبه تخرج ، وكان حافظاً لشعر الأقدمين ذكياً عارفاً باللغة » ولكنه بعد أن صار عارفاً باللغة وحدودها بقي يتعداها في عـدة أمور منها قوله : ص ١٣٩ على مافيه من الحسن والرشاقة :

مَنْ ظَنَّ أَنْ لا بُدَّ مِنْـهُ ... فَإِنَّ مِنْهُ أَلْفَ بُدّ

(فـلا بُدّ) لا يستعمل إلا في النفي كما في تاج العروس وكما ورد في الشطر الأول من هذا البيت .

وقوله : ص ٢

وَهَلْ مَنْ ضَمَّرَ ٱلْجُرْدَ ٱلْمَذاكي ... كَمَنْ جَعَلَ ٱلطِّرادَ لَهـا ضِمارا

يريد بالضمار : تضمير الخيل ، ولم أجدها بهذا المعنى .

وقوله : ص ٧

إذا ما ٱلـكأسُ لمْ تكُ كأسَ بَيْنٍ فَلَيْسَتْ بِٱلْحَميمِ وَلا ٱلْغَسافا

معطف المنصوب على المجرور

وقوله : ص ٨

تُعَيِّرُني بِأحْداثِ ٱللَّيـالي وَكَيْفَ يُدافِعُ ٱلْبَدْرُ ٱلمِحاقا

والمختار في فعل عيَّرَ أن يتعدى بنفسه لا بالباء ، يقال عيَّره الأمر .

وقوله : ص ١٠

وَأَقْبَلَ بِٱلْهَنـاءِ عَلَيْكَ عيدٌ حَداهُ إِلَيْكَ إِقْبالٌ وَساقا

وقوله : ص ٨٧

أَمّا ٱلْهَنـاءُ فَللزَّمانِ وَأَهْلِه كُلٌّ يَدينُ مِنَ ٱلزَّمانِ بِدينِهِ

وقوله : ص ٨٨

فَٱسْعَدْ وَدامَ لكَ الْهَناءُ بِماجِدٍ طالَتْ بِهِ ٱلْآمالُ وَهْيَ قِصارُ

والهناء بالمد غير صحيح على شيوعه على الألسنة والأقلام . وإنما هو : هنَأه هَنْأً وهَنُؤَ هناءَةً وهناةً وهنأً .

وقوله : ص ١٨

تَناقَلُ بي أَيْدي ٱلْمَهـارىٰ حَثِيثَةً كَما ٱخْتَلَفَتْ في ٱلْعَقْدِ أَنْمُلُ حاسِبِ

يريد بأنمل جمع أنملة ، والموجود في المعاجم أنامل وأنملات وهي رؤوس الأصابع .

وقوله : ص ٢٣

هَبْ ذا ٱلرَّمِيَّ مِنَ ٱلْحَوادِثِ جُنَّةً   وَلِذا ٱلْأَسيرِ مِنَ ٱلْخُطوبِ فِكاكا

والمشهور في فعل (وهب) أن يتعدى إلى المفعول الأول باللام لا بنفسه .

وقوله : ص ٢٤

أرىٰ ٱلْبيضَ ٱلْحِدادَ سَتَقْتَضيني   نُزُوعاً عَنْ هَوٰى ٱلْبِيضِ ٱلْخِرادِ

الحريدة : المرأة الحيية والبكر لم تمس ، تجمع على خرائد وخُرُد وخُرَّد . لا على خِراد .

وقوله : ص ٣٠

تُجَرِّدُ نَصْلاً وَٱلْخَلائِقُ مَفْصِلٌ   وَتُنْبِضُ سَهْماً وَٱلْبَرِيَّةُ مَقْتَل

يقال أَنْبَضَ القوس : إذا جذب وترها لتصوّت ، ولا يقال أنبضَ السهمَ .

وقوله : ص ٣٣

وَمَهْما هَفَتْ يَوْماً مِنَ ٱلْجَوِّ نَفْحَةٌ   فَهَبَّ بِحِضْنَيْكَ ٱلنَّسيمُ ٱلْمُمَنْدَلُ

المندل : اشتقه الشاعر من المَنْدَل ، وهو أجود العود ، وهذا الاشتقاق غير موجود في المعاجم .

وقوله : ص ٤٢

تَنَلْ أَجْراً وَذِكْراً سَوْفَ يَبْقىٰ   عَلَيْكَ مَعَ ٱللَّيالي ٱلْباقِيـــاتِ

جزم الفعل المضارع بلا جازم .

وقوله : ص ٤٤

فَيالَيْتَني أَبْقىٰ لِيَ ٱلْهَجْرُ عَبْرَةً   فَأَقْضي بِها حَقّ ٱلنَّوىٰ وَأُريقُها

الفاء بعد التمني تنصب الفعل المضارع ، وقد رفعه الشاعر هنا .

وقوله : ص ٤٥

وَأُعْرِضُ عَنْ مَحْضَ ٱلْمَوَدَّةِ باذِلٍ   وَقَدْ عَزَّنِي مِمَّنْ أَوَدُّ مَذِيقُها

يريد : وأعرض عن باذلٍ محضَ المودة ، ففصل بين الجار والمجرور هذا الفصل المنكر .

وقوله : ص ١٤١

أَبْلِغْ أَبا ٱلْفَضْلِ ٱلَّذي شَهِدَتْ   بِٱلْفَضْلِ مِنْهُ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ

الحضَر بفتح الضاد وقد سكّنها تقليداً لشيخه ابن حيُّوس القائل (ديوان ابن حيّوس ١ / ٢٤٥)

فَجَدٌّ لَهُ دانَتْ نِزارٌ وَيَعْرُبٌ   وَجَدٌّ رَعايا مِلْكِهِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ

وقوله : ص ١٩١

وَهَلْ تَنْهَضُ ٱلْأَيّامُ بي في مَقاوِمٍ   تَطولُ بِناهِ لِلزَّمانِ وَآمِرِ

جمع مقام على مقاوم وهو غير مسموع .

وقوله : ص ٢٠٨

تَرَىٰ ٱلطَّيْرَ وَٱلْوَحْشَ مِنْ جانِبَيْــــهِ   يَشْكو ٱلْبَطينَ بِها ٱلْأَخْمَصُ

الأخمص : باطن القدم ولا معنى لها هنا ، وإنما أراد الشاعر الخميص وهو الضامر جوعاً فقال الأخمص .

وقال : ص ٢١٠

تَخالَفُ في ٱلشَّكْلِ تِيجانُهُمْ   وَتَحْكي غَلائِلَها ٱلْأَقْمُصُ

يريد بالأقمُص : جمع قميص وليس بصحيح ، وانما يجمع على قُمُص وأقمصة وقمصان .

وقال : ص ٢٣٧

تَبيتُ رِكابُنا ما يَمَّمَتْهُ تُخالِجُنا أَزِمَّتَهــا خِلاجا

والخِلاج : البُرد المخططة ، فظنه مصدر خالج .

وقال : ص ٢٣٨

أَعَدْتَ لَهُ بِبيضِ الْهِنْدِ كَيًّا وَأَشْفَىٰ الْكَيِّ أَبلَغُهُ نِضاجا

يريد بالنضاج النضج .

وقال : ص ٢٣٨

وَقَيْلٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهُ بِخَيْــلٍ كَشُهْبِ الْقَذْفِ تَرْتَهِجُ ارْتِهاجا

يريد بقوله ترتهج ترْهج ، أي تثير الغبار ، فاستعمل ارتهج على سبيل الاشتقاق ولو لم يكن مذكوراً .

وقال : ص ٢٤٣

فَلَوْلا بَنُو الصُّوفِيِّ أَعْوَزَ مُفْضِلٌ إِلىٰ بابِهِ لِلْوَفْدِ مَسْرىً وَمَدْلَجُ

المسرى سير عامة الليل ، والإدلاج السير في أول الليل وآخره ، وهذا مراد الشاعر ، أما المدلج فهو الموضع الذي يمشى فيه بالدلو بين رأس البئر والحوض .

وقال ص : ٢٤٧

فَيالِيَ مِنْهُ صَوّالاً فَتوكاً وَيالِيَ مِنْهُ خَلاّباً سَحُورا

يريد فاتكاً وساحراً ، فاشتق فتُوكاً من الفتك ولو لم تذكر في كتب اللغة ، وسَحُوراً من السحر ، وإنما السَّحُور مايتسحر به من الطعام أو الشراب .

وقال : ص ٢٤٩

وَيا حاثي ٱلتُّرابِ عَلَيْهِ مَهْلاً   كَسَفْتَ بَهاءَهُ ذاكَ ٱلْبَهِيرا

أراد الباهر فقال البهير ، والبهير من انقطع نَفَسه من السعي الشديد .

وقال : ص ٢٥٠

وَرَوْضَ ساحَتَيْهِ كَأَنَّ وَشْياً   يَحُلُّ بِها وَدِيباجاً نَشيرا

يريد بالنشير المنشور . ومعنى النشير في كتب اللغة المئزر والزرع جُمِعَ وهم لايدوسونه.

وقال : ص ٢٥٠

إِذا خَطَرَ ٱلنَّسيمُ عَلَيْهِ أَهْدىٰ   إِلىٰ زُوّارِهِ أَرَجاً عَطِيراً

أراد بالعطير العَطِر . ولم تذكر دواوين اللغة العطير .

وقال : ص ٢٦٥

تَتُوقُ إِلىٰ ٱلْغُمودِ ٱلْبيضُ فيها   وَتَشْتاقُ ٱلرِّماحُ بِها ٱلرِّكازا

يقال رَكز الرمحَ رَكْزاً : غرزه في الأرض . اما الرِّكاز : فالمعادن تحت الأرض .

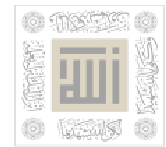
وقال : ص ٣١٨

وَلَئِنْ غَدَوْتَ ٱلْفَرْدَ في نَيْلِ ٱلْعُلىٰ   وَٱلْمَجْدِ فَٱلْقَمَرُ ٱلْمُنيرُ فُرادُ

يريد بـ (فُراد) أنه فرد ، ووجه الصواب في استعمالها ليس كذلك .

ومما أغري به استعمال صيغة استفعل ومستفعل فيما يشاء من الأفعال قياساً مطرداً ولو لم ينص عليه ، من ذلك قوله : ص ٢٠٧

وَيَوْمٍ أَخَذْنا بِهِ فُرْصَةً   مِنَ ٱلْعَيْشِ وَٱلْعَيْشُ مُسْتَفْرَصُ



وقوله : ص ٢٠٩

وَتَوَّجَهــا ٱلشَّرْبُ نارَنْجَةً فَخِلْتُ ٱلْمُذَبَّةَ تَسْتَخْوِصُ

يقال أخوَصت النخلة : أخرجت الخوص وهو ورق النخل ، ولم يقولوا استخوصت .

وقوله : ص ٢٠٩

وَدَوْحٍ أَغانِيُّ قُمْرِيِّهِ يَهُزُّ ٱللَّبِيبَ وَيَسْتَرْقِصُ

وقوله : ص ٢١٤

يا قُولُ قَوْلَةَ مُكْمَدٍ مُسْتَنْزِرٍ ماءَ ٱلشُّؤونِ لَهُ وَنارَ ٱلأَضْلُعِ

وقوله : ص ٢١٦

قَدْ كُنْتَ أَمْرَعَهُمْ لِمُرْتادِ ٱلنَّدىٰ كَفّـاً وَأَسْرَعَهُمْ إِلىٰ ٱلْمُسْتَفْزِعِ

وقوله : ص ٢٥٧

كَتَمَ ٱلصَّنائِعَ فَٱسْتَشاعَ ثَناؤُها مَنْ ذا يَصُدُّ ٱلصُّبْحَ عَنْ أَنْ يُشْرِقا

وقوله : ص ٢٦١

وَقَدْ ٱسْتَشادَ لَكَ ٱلثَّناءَ فَما تَرىٰ إِلاّ بَلِيغاً بِٱمْتِداحِكَ مُفْلِقا

وما استعمله من هذه الصيغة على وجه الصواب مثل يستضحك ص ٢٠٨ ويستحلص و يسترخص ويستنقص ص ٢١٠ ويستدل ص ٢١٥ فغير قليل .

وعجيب قوله : ص ٢٩٣

قَدْ نالَ مِنْ شَرَفِ ٱلْفِعالِ ذَخِيرَةً تَبْقىٰ إِذا كـادَ ٱلزَّمانُ يَزولا

فقد نصب الفعل المضارع ولا ناصب له هنا .



وفي شعره تعابير محلية لاتزال جارية على ألسنة الدماشقة إلى اليوم، منها قوله : ص٢٢٤

وَما إِنْ ذاكَ تَقْصيرٌ بِحَقٍّ   وَلٰكِنَّ ٱلْأَسىٰ قَيْدُ ٱللِّسانِ

وقوله : ص ٢٨٦

لا يَأْتَلي مِنْ ذَهَبٍ يَلُفُّهُ   مِنِّي وَمِنْ دَراهِمٍ يَحُوشُها

فقوله (تقصير بحق) تعبير تستعمل كثيراً في كلام أهل دمشق إلى اليوم . وكذلك (لَفّ) الشيء يلفه أي اختلسه أو اغتصبه ، وحاشه أي أصابه وجمعه وساقه .

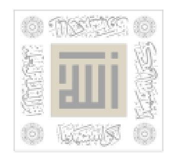
هذه أمثلة من المآخذ لم نوردها على سبيل الاستقصاء بل على سبيل المثال ، ونرجح أن ثقافته اللغوية كانت ترداد مع الزمن حتى عُدّ (عارفاً باللغة) كما يقول الصلاح الصفدي(١).
ولعل قوله يعاتب قوماً من العرب : ص ١٦٧

مَواعِدُ مَرْضىٰ كُلَّما قُلْتُ قَدْ بَرا   لَكُمْ مَوْعِدٌ بِٱلْبَذْلِ عاوَدَهُ ٱلنُّكْسُ

يدل على معرفة باختلاف بعض لغات العرب فان (بَرَأَ) لغة حجازية في (بَرِئَ) .

ولكنه كان ميالاً إلى الأخذ بالرخص والتوسع بالقياس .

(١) الوافي بالوفيات الجزء الثامن ورقة ٢٩ (مخطوط) .



ديوانه

المفروض أن يكون ديوان ابن الخياط الذي وصل إلينا وحققناه على متعدد نسخه ، مشتملاً على جميع شعره ، ومن أصح الشعر رواية ؛ لأن الذي جمعه ورواه عن الشاعر وسمعه منه وقرأه عليه وأخذ عليه خطه هو تلميذه محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور (٤٧٨ - ٥٤٨)، فقد رتبه ترتيباً يكاد يكون زمنياً ، فأول قصيدة فيه أنشدت سنة ٤٧٤ وعمر الشاعر أربع وعشرون سنة ، وآخر قصيدة فيه كتب بها الشاعر إلى ابن القلانسي سنة ٥١٧ وهي السنة التي توفي فيها الشاعر . وقد ذكر عن هذا الشاعر أنه « كان مكثراً محسناً مجيداً وأنه كان يحفظ شعره منذ بدأ يقول الشعر إلى أن مات[1] » واختار أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي العالم المحدّث الأديب (٤٧٢ — ٥٧٦) مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه .

والذي نراه أن الديوان لم يحط بجميع شعر ابن الخياط ، بل جمع على سبيل الاختيار مما ارتضاه الشاعر لنفسه وأجاز روايته عنه وأسقط ماسواه ، لأن الديوان متوسط غير كبير لايزيد على ٢٣٠٠ بيت ، على ما اشتهر عن صاحبه من أنه مكثر شديد العارضة متدفق الطبع كثير الارتجال ، يضاف إلى ذلك خلو الديوان من شعر الصبا أي ما قاله قبل أن بلغ العشرين من سنه ، وشاعر مطبوع مثله لابد من أن يكون قد قال غير قليل من الشعر قبل العشرين .

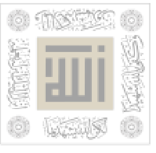
ومهما يكن فهذا هو الذي ارتضاه الشاعر لنفسه . ونسخ الديوان المخطوطة التي حصلنا عليها أو على صور منها عند تحقيق الديوان ثماني نسخ ترجع إلى أصلين وفرع .

الأصل الأول : رواية القيسراني وترتيبه ، وعدد نسخ هذا الأصل ست .

فرع من الأصل الأول : نسخة من رواية القيسراني ولكنها مرتبة على حروف المعجم .

الأصل الثاني : نسخة تختلف في ترتيبها عن كل ماتقدم كما تختلف بالزيادة والنقص . وهاك وصف كل نسخة على حدة :

(١) ابن عساكر ، انظر ص ١٠ و ص ٣٠ من هذه المقدمة .



نسخة الإسكوريال المحفوظة في الإسكوريال تحت رقم ٣٧٥ والمرموز اليها بحرف (س)، كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي : « ديوان الأديب اللبيب . البليغ الأريب الشيخ . شهاب [١] الدين احمد بن . محمد بن الخياط . رحمه الله تعالى » .

وفي أعلى الزاوية اليسرى من هذه الصفحة تملك بثلاثة أسطر هذا نصه :

« الحمد لله . من كتب عبدالله تعالى زيدان [٢] أمير المؤمنين بن أحمد المنصور بالله . أمير المؤمنين الحسني خار الله له . »

عدد صفحاتها ١٥٩ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً بخط مقروء واضح ، والنسخة تغلب عليها الصحة ، وترتيب القصائد فيها يكاد يكون زمنياً . وقد ورد في آخرها مانصه :

« تم الديوان على ما قرّره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي .

قال مؤلفه كل ما [٣] رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ ، وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد ابن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمسماية . والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده .

ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة أربع وثمانين وتسعماية ، على يد الفقير الحقير محمد بن علي الأحلافي الأزهري الشافعي غفرالله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

---

(١) كل من ترجم لابن الخياط لم يعرفه بهذا اللقب الذي كان يلقب به أكثر من اسمه أحمد .

(٢) زيدان بن أحمد من ملوك المغرب كان فقيهاً مشاركاً متضلعاً في العلوم وله تفسير على القرآن ، وله شعر ، وفي أيامه أخذ قراصين الاسبان مركباً له من جملة ما فيه ثلاثة آلاف كتاب من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك منها ديوان ابن الخياط . وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ « انظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوى ٣ / ١٢٨ »

(٣) رسمها في الأصل : كلما .

٢

النسخة الظاهرية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٣٩٧٤ والمرموز إليها بحرف (ظ) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي :

«ديوان الشيخ الأجل . أبي عبد الله محمد [1] بن أحمد بن الخياط . الدمشقي تغمده الله برحمته وكاتبه والمسلمين . آمين . آمين » .

عدد أوراقها ٨٧ ورقة سقط منها الورقة الثانية فبقي ٨٦ ورقة ، في كل صفحة تسعة عشر سطراً وخطها حسن وأغلاطها قليلة ولا تكاد تختلف عن نسخة الإسكوريال ، وعناوين القصائد مكتوبة بالحبر الأحمر على الأكثر وقد تكون بالحبر الأخضر وبهما معاً . ورد في آخرها مانصه :

« تم الديوان بأسره على ماقرّره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة قال فيها من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي ثم قال أيضاً كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمه الله بما نسخته : كل ما[2] رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ . وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد بن محمد بن علي بن الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائة .

وافق الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة في يوم الاحد المبارك سابع عشر ربيع الأول من شهور سنة خمس عشرة وألف ختمت بخير ، على يد الفقير يوسف بن علي الملاح سبط الشيخ الحنفي غفر الله له ولوالديه والمسلمين »

.

---

(١) كذا والصواب أحمد بن محمد .

(٢) رسمت في الأصل كلما .

٣ ا

النسخة الأيوبية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٣٢٩ والمرموز إليها بحرف (ي) كتب على ظاهرها بأربعة أسطر مايلي :

« ديوان الشيخ الفاضل العالم أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخياط رحمه الله تعالى . وغفر لنا وله ولجميع المسلمين . آمين . » وتحت ذلك إلى اليسار : « تملكه الفقير محمد عطا الله بن السيد محمد سعيد الأيوبي » وتحت ذلك « تملكه الفقير محمد علي بن السيد محمد عطا الله الأيوبي . غرة محرم سنة ٣٠ (١٣) »

عدد أوراقها سبع وتسعون ورقة صغيرة القطع ، في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وخطها حسن ولكنها كثيرة الأغلاط ، وقد يسقط الناسخ من بعض القصائد أبياتاً سهواً أو قصداً ، وعناوين القصائد مكتوبة بالحمرة . ورد في فاتحة الصفحة الأولى مانصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم .

هذه النسخة منقولة من نسخة بخط الشيخ الأديب العالم الفاضل أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني رحمه الله تعالى . قال أنشدني الشيخ الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن الخياط يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام وثّاب بن نصر بن صالح رحمه الله تعالى (١)

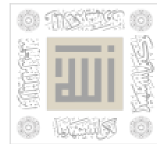
عَتادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تبارى

وورد في آخرها مانصه :

تم ديوان الشيخ الأجل أبي عبد الله أحمد بن محمد الخياط وصلواته وسلامه علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فرغ من نسخه في مستهل سنة ٩٩٣ من نسخة تاريخها رابع عشر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة . والأصل المنقول منه هذه النسخة نقلت من نسخة بخط

---

(١) وبعد ذلك بضع كلمات مأروضة .



الشيخ الإمام العالم الأوحد أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني رحمه الله تعالى وعليها خط الشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي الخياط وإجازته له بهـا وصحتها وصورة ما كتبه ابن الخياط : « كل ما(١) رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه علي . وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد ابن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائه »

عدد القصائد والمقاطع

١٤٥

٧٢٣٢ بيتاً (٢)

زبره أحقر العباد الفقير أبو بـكر بن يونس

٤

نسخة شيخ الإسلام عارف حـكمـة المحفوظة في مكتبته بالمدينة المنورة تحت رقمه ١٢٢ والمرموز إليها بحرف (ع) كتب على ظاهرها بستة أسطر مايلي :

« هذا ديوان الشاعر البليـغ . المفلق الأجل الـكامل الأديب . الأريب الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد الخياط . الدمشقي رحمه . الله تعالى »

وتحت ذلك خاتم كبير مدوّر نقش عليه بخمسة أسطر مايلي :

(١) في الأصل : كلما .
(٢) كذا والأقرب إلى الصحة ٣٢٣٢ .

« مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني . أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني . في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم . بشرط أن لايخرج من خزانته . والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦ » .

عدد صفحات هذه النسخة ١٧٢ صفحة في كل صفحة ١٩ سطراً وخطها مقرمط ولا تخلو من الأغلاط .

وورد في آخرها مانصه :

« تم الديوان بأسره على ماقرّره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي . ورأى راقم هذه الرقوم في الأصل الذي نقلت منه هذه الرقوم ماصورته : كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمه الله بما نسخته: كل ما(١) رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ ومارواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به. وكتبه أحمد بن محمد بن علي بن (الخياط) . وقال كاتب الأصل فرغ من نسخه بمدينة حلب بوري خان بن بلق بن بوري خان يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . وكان الفراغ من كتابة هذا الديوان المبارك لستة ايام خلون من شهر شوال سنة ١٢٣٨ على يد الفقير إلى الله محمد محمد محمد الوجيه المالكي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

٥

النسخة المصرية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٩٢ والمرموز إليها بحرف (م) نسخة جديدة حسنة الخط صحيحة ، وقد تكون أقل النسخ اغلاطاً . عدد أوراقها ٧٩ ورقة في كل صفحة ٢١ سطراً .

ورد في آخرها مانصه : تم الديوان بعون الله الملك المنان .

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ

---

(١) في الأصل : كلما .

٦

نسخة الأستاذ عبد الله كنون المحفوظة في خزانته والمرموز إليها بحرف (ن) وهي أقدم النسخ التي بين أيدينا ، خطها مشرقي من خطوط القرن السادس ، كتب على ظاهرها بخط مغربي ما يأتي :

« الحمد لله تملك هـذا المجلد المشتمل على ديوان الأديب البليغ ابن الخياط الدمشقي بالشراء من السيد محمد بن سيدي محمد حدوش الخالدي بثمن منتهاه ست موزونات ونصف في غرة ربيع الثاني عام أربعة وستين ومائة والف . عبيد ربه محمد بن صالح »

وقد سقط من اول النسخة ورقتان ذهب معها القصيدة الأولى من الديوان التي مطلعها :

عَتادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِها مُغَارا   فَقُدْها شُزَّبًا قُبًّا ، تَبارَىٰ

ولم يبق منها إلا البيتان الأخيران .

وفي أعلى الورقة السادسة منها على هامشها كتابة بخط مغربي يختلف عن حطالأصل ، ذكر كاتبها أنه نقلها من نسخة محمد بن احمد خطيب داريًّا سنة ٧٩٤ .

عدد أوراق هذه النسخة ١٣٣ ورقة في كل صفحة منها ١٣ سطراً وهي حسنة قليلة الأغلاط . وقد ورد في آخرها مانصه : « تم الكتاب والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما » . وفي الصفحة التي تلي الخاتمة تعليقات مختلفة تاريخها سنة ٦٠٨

٧

النسخة التيمورية المحفوظة في خزانة المرحوم احمد تيمور باشا والمرموز إليها بحرف (ت). هذه هي النسخة المخطوطة الوحيدة من ديوان ابن الخياط المرتبة على حروف الهجاء ، لاتختلف عن النسخ الست التي تقدم وصفها إلا في الترتيب ، يعني انهـا تعتمد على رواية القيسراني في

النص لا في الترتيب . ونرى أنها من عمل بعض الأدباء الذين يفضلون الترتيب الهجائي في الدواوين لتيسير المراجعة . ورد في أولها ماصورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية . حدثنا الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي قال أنشدني الشيخ الأديب أبو عبد الله أحمد بن محمد الخياط الدمشقي لنفسه على قافية الألف يمدح القاضي فخر الملك ابا علي عمّار بن محمد بن عمّار :

هَبُوا طَيْفَكُمْ أَعْدى عَلَى ٱلنَّأْيِ مَسْراهُ   فَمَنْ لِمَشُوقٍ أَنْ تُهَوِّمَ جَفْناهُ »

عدد صفحاتها ١٦٠ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً وخطها حسن ولكن الأغلاط فيها غير قليلة . ورد في آخرها مانصه : تم الديون .

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

٨

نسخة كوبنهاغ المحفوظة في دار الكتب هناك تحت رقم ٢٦٤ والمرموز إليها هنا بحرف (ك) . هذه النسخة تختلف عن جميع النسخ التي سبق وصفها بالترتيب والرواية والزيادة والنقص ، وجامعها غير محمد بن نصر القيسراني ، ولكنه اديب آخر معاصر لابن الخياط يروي عنه شعره .

عدد أوراق النسخة ١٣٨ ورقة في كل صفحة ١١ سطراً وخطها حسن من خطوط القرن الثامن ، وقد كتب على حواشي ستين ورقة من أوائل النسخة من الورقة رقم ١٠ إلى الورقة رقم ٧٠ كتاب نصيحة الملوك للإمام الغزالي بخط يختلف عن خط المتن .

وكتب على ظاهرها بثلاثة أسطرما نصه : « ديوان الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخياط الدمشقي . رحمه الله تعالى »

وورد في الصفحة الأولى ماصورته : « بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ أبي [1] عبد الله

(١) كذا .

أحمد بن محمد بن الخياط الدمشقي يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة جمال الملك زعيم الجيوش أبا منصور اتق (١) بن عبد الرزاق عند وروده الى دمشق سنة سبع وثمانين وأربعمائة :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ »

وترتيب الديوان في هذه النسخة كما يلي : أورد جامعه أولاً ماقاله الشاعر في عضب الدولة ، ثم ماقاله في تاج الملوك بوري بن طغتكين . واستغرق هذا القسم سبعين صفحة وورد في ختام هذا القسم مانصه : « هذا ما علقته من إملائه رضي الله عنه ، ولم أجد عشره في ديوانه عند جامعي شعره، ومدوني شكره. ثم أعود إلى مانظمه في عنفوان شبابه، وزمان اطرابه، وأبتدىء بالسابق من مدائحه، والمستغرب من قرائحه، فأجعل مدح كل ممدوح يتبع بعضه بعضاً على الوضع المقدَّم، في كل رئيس ومقدَّم. ثم لما صدر في صدره عن اعراضه(٢) باباً مفرداً، وما رأيت أن أقدم على مدائح الموليين المذكورين نوَّر الله ضريحها من الجماعة يمدحهم أحداً »

ثم أورد بقية ماجمعه من شعره مرتباً ترتيباً يكاد يكون زمنياً . وجاء في آخر الديوان مانصه : « هذا آخر ما انتهى من أشعاره وانتظم » ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

وقد يكون جامع هذه النسخة أبا طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي المحدِّث العالم الأديب الذي عاصر الشاعر ، فقد ذكر عنه أنه اختار مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه (٣) .

ولقد أخذنا مافيها من الزيادة وأشرنا إلى مافيها من نقص واختلاف في الرواية .

(١) كذا والصواب أبق .

(٢) لعلها أغراضه .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي مجلد ١٢ ورقة ١١٠ (مخطوط) .

صحيفة شكر

بعث إليّ الأستاذ عبد الله كنون حاكم طنجة وزميلنا في المجمع العلمي العربي بصورة مصغرة من مخطوطة ديوان ابن الخياط المحفوظة في خزانته ، كما بعث إليّ الأستاذ جون بدرسن المستشرق الدانيمركي وزميلنا في المجمع العلمي العربي بصورة مصغرة من مخطوطة الديوان المذكور المحفوظة في دار الكتب في كوبنهاغ .

واطلع الأستاذ عبد الهادي هاشم مدير دار الكتب الظاهرية على الديوان عند طبعه، وأعانني في تصحيحه ، وقابل معي بعض مخطوطاته ، وكان له ملاحظات صحيحة ودقيقة .

وبعث إليّ الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات العربية في القاهرة والسيد محمد رشاد عبد المطلب من موظفي المعهد المذكور بنصوص ذات بال تتصل بابن الخياط وديوانه .

فأشكر لهؤلاء الأساتذة الأفاضل حسن صنعهم .

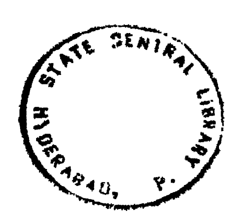
دمشق : ٢٧ شوال سنة ١٣٧٧
١٧ أيار سنة ١٩٥٨

خليل مردم بك



رموز النسخ المخطوطة من ديوان ابن الخياط

س	نسخة الإسكوريال
ظ	النسخة الظاهرية
ي	النسخة الأيوبية
ع	نسخة شيخ الإسلام عارف حكمت
م	نسخة دار الكتب المصرية
ن	نسخة الاستاذ عبد الله كنون
ت	نسخة احمد تيمور باشا
ك	نسخة كوبنهاغ

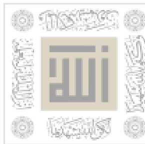




نموذجات

من مخطوطات ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE



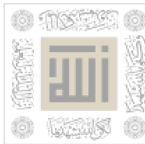
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاجل ابو عبد الله احمد بن محمد بن الخياط يمدح
الامير ابا الغوام وثاب بن نصر بن صالح عز الله نصرهم

عناك ان تشن بها مغارا • فتقتنها شوازبا قبا تبارا
كأن اهلة قذفت نجوما • اذا قدحت سنابكها شرارا
وهل من ضمّر الجرد المذاكي • كمن جعل الطراد لها اضمارا
كأن الليل موتور حريب • يحاول عند ضوء الصبح ثارا
فليس يجد عنها مستجيشا • على الاصباح عثيرها المثارا
اخذن بثاره عنقا وركضا • فردن على الصباح به ازارا
وقد هبت سيوفك لامعات • تشرّق في دجنته نهارا
اما والنار بمآب لقد ابلجت • لك الشوق المشيع والفخارا
ثم رحلنا بكل اقب نهد • فقد تدني لك الخيل المزارا
وكلف ردها ان شئت قسرا • عزائم تسترد المستعارا
فاحذر بالممالك ان تراها • لمن كانت ممالكه مرارا
وان ولدت لك الامال حظا • فما زالت مواعدها عشارا
اذا عاينت من عود دخانا • فاوشك ان تعاين منه نارا
ويابى الله ان ابيت الاعادي • لناصر دينه الا انتصارا
وما كثرت عليك امور مجد • اذا اصغرتها الهمم الكبارا
وما همم الغنى الا غصون • تكون لها مطالبه ثمارا
الست ابن الذي هطلت يداه • ندى سرفا لمن نطق اختصارا
واعطى الالف لم تغفر بنقص • وما غنى ولا شرب العقارا

وان

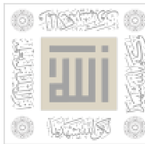
الصفحة الأولى من نسخة الإسكوريال المرموز إليها بحرف (س)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE


وما زال يحفظ منها المضاع لديك ويجمع منها البديد
فداءٌ عطايك ذاك الجزيل يا حمز شكري هذا الزهيد
وجدت فكنت حيًّا لا يُغب سقى الكون ريًّا وجودا الوجود
بلغت من الفضل أقصى مداه فما يستزيد لك المستزيد
وطال ابو الفتح ان لا يكون طريف العلى لك مار التليد
فلولاه اعوز أهل الزمان شبيهك في عصرهم والنديد
لقد صدقت في نداه الظنون فلا كذبت في علاه الوعود
تم الديوان على ما قرره صاحبه ابو عبد الله احمد بن الخياط
من نسخة الشيخ ابي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي
قال مولفه كلما رواه عني الشيخ الاجل الاديب ابو عبد الله
محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقراه علي وما رواه غيره
مخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به وكتبه احمد بن محمد بن علي الخياط
في سنة سبع عشرة وخمسماية والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة اربع وثمانين
وتسعماية على يد الفقير الحقير محمد بن علي الاحلاني الازهري الشافعي
غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دايما الى يوم الدين
وهو حسبي ونعم الوكيل
والحمد لله رب
العالمين
تم

الصفحة الأخيرة من نسخة الإسكوريال المرموز إليها بحرف (س)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE



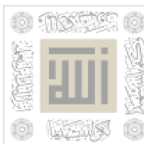


الدولة ابو [illegible] شبه ابن [illegible] رحمه الله

خذا من صبا نجد امانا لقلبه ... فقد كاد رياها يطير بلبه
واياكما ذاك النسيم فانه ... اذا هب كان الوجد ايسر خطبه
خليلي لو احببتما لعلمتما ... محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى ... يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على ياس الهوى ورجائه ... وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوي الضلوع على جوى ... متى يدعه داعي السقام يلبه
اذا خطرت من جانب الرمل نفحة ... تضمن منها داءه دون صحبه
ومحتجب بين الاسنة معرض ... وفي القلب من اعراضه مثل حجبه
اغار اذا انست في الحي انة ... حذارا وخوفا ان تكون لحبه
ويوم الرضى والصب يحمل سخطه ... بقلب ضعيف عن تحمل عتبه
جلالي براق الثنايا شتيتها ... وحلاني عن بارد الورد عذبه
كاني لم اقصر به الليل زائرا ... تخول يدي بين المهاد وجنبه
ولا ذقت امنا من سرار حجوله ... ولا ارتعت خوفا من نميمة حقبه
فيا سقمي من هوى متجنب ... بكى عاذلاه رحمة لمحبه
ومن ساعة للبين غير حميدة ... سمحت بطل الدمع فيها وسكبه
الا ليت اني لم تحل بين حاجر ... وبيني ذرى اعلام رضوى وهضبه
وليت الرياح الرائحات خوالص ... الي ولولا انين قلبي بكربه
اهيم الى ماء ببرقة عاقل ... ظمئت على طول الورود بشربه

الصفحه الحادية والأربعون من النسخة الظاهرية المرموز إليها بحرف (ظ)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE



اما الزمان فقد اضحى بدولته ، نضراً يحاكي الروض في الطلا فد مجوا

والعيش منتظم والامن مقتبل ، واللهو مستخلص والهم مطرح

وقال يذكرها في مجلس شرابه بالمستان

الا هكذا فليحرز الحمد والاجر ، ويحوي جميل الذكر من طلب الذكر كرا

لعبد كريم الله بن هر لسوده ، وشرف باتاج الملوك ابا لدهر

ومن على هذا الزمان واهله ، بادوع لا يعصي الزمان له امرا

حسام امير المؤمنين ومن له ، حساماً له فليتقل الخوف والفقرا

هززناك لدنا واستصبناك صارما ، فطلت القنا صما وغالت الظبى بترا

حساماً ترى في صفحه الصبح والندى ، وفي حده الجد المطمع والنصرا

وفي قربه الزلفى وفي بعده العنى ، وفي حلمه العتبا وفي طله البشرا

فتى لا يرى الا المحامد مغنما ، ولا يقتني الا الثنا له ذخرا

ومقربة جردا وذعفا سوابغا ، وهندية بيضا وخطية سمرا

اذا ضال باسا قطع البيض والقنا ، وان فاض جودا اخجل الديم الغزرا

لعمري لئن اغدقت انامك لحيا ، سماحا لقد اغدقت سماحا لك الحمرا

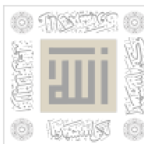
وكاس بعثت الراح بين ظلالك الصباه ، واكستها من نشرك الطيب النشرا

واودعتها من جد ما بك سود ، وعلمتها من ادمحتيك السكرا

كان الثريا بالثم البدر كلما ، تمطقتها في الكاس عانته بكرا

الورقة السابعة والستون من النسخة الأيوبية المرموز إليها بحرف (ي)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

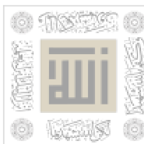




وقال يهني الشريف انس الدولة ابا جعفر عبيد الله بن الحسين بن الحسن الجعفري بطهور ولده الحسين

ببهاء وجهك تشرق الانوار ... وبفضل مجدك تفخر الاشعار
انست انس الدولة المجد الذي ... مازال فيه عن الانام نفار
بمكارم نصرت يداك بهن العلى ... ان المكارم للعلى انصار
واذا الفتى جعل المحامد غاية ... للمكرمات فبذ لها المضمار
فاسعد ودم لك الهنا بماجد ... طالت به الامال وهي قصار
لولاه في كرم الخليقة والنهى ... لم تكتحل بشبيهك الابصار
كم ليلة لك ما لها من ضرة ... منه ويوم ماله انظار
جادت اناملك المرادبها الورى ... ومن السحائب تقدر الامطار
وتناهت فطالت عينك انها ... من كريم سماؤه مدرار
واضا مجدك بالحسين ومجده ... وكذا السما تنيرها الاقمار
قد نال افضل ما ينال وقدره ... اعلى ولولا النجوم نثار
وجرت بمخيل السرور المهدي ... فرح دخان الند فيه عبار
وحوى صغيرالسن غايات العلى ... وصغار ابناء الكرام كبار
يبني الفتى قبل الفطام بفضله ... وتبين عتق الخيل وهي مهار
م نلحظ الابصار يوم طهوره ... الا كؤوسا للسرور تدار
فغدوت تنشو في علا متسكر ... ما سكر ماطره العموم عقار
تربعى بالموسم كالسنة ... حتى بعيد البين وهو نهار

الصفحة الثانية والأربعون من نسخة شيخ الإسلام عارف حكمة المرموز إليها بحرف (ع)
ديوان ابن الخياط

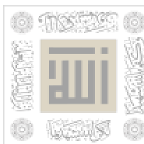

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT


لا تستقو بسوى جدوى يديك فما ... يروى من السحب الا كل مدرار
ولست اول راج قاده امل ... قد راح منك على شقراء محضار

متى انا طالع قلل الفجاج ... ورائي الخرق بالقلص النواجي
وقائد كل سلهبة عبوس ... الى يوم يطول به ابتهاجي
سيعتم الحوادث كل مجر ... الى امدي ويلقح النتاج
فأنهضها على كل اقب نهد ... وثوب ما يثير من العجاج
اذا الجوزاء امست من تراجي ... فاين سراي منها وادّلاجي
سوى عصباء عاصفة بهم ... وغير البيض من اربي وحاجي
عرفت فما اسائل البرق عني ... ولا الرسم قد اقوى تناجي
وما عن سلوة اقنى دمعي ... واضمار الفؤاد لعن لجاجي
ولكن جل عن فند ولوم ... غرامي بالمحامد والتهاجي
حماني العز حظي من ذوات الشعور الغر والمقل السواجي
وما عند الحسان سوى شوق ... هتكن فؤاده صدع الزجاج
عرضن لنا فمن لحظ مريض ... ومن برد بعير بضينة مجاج
وميس لكم قضيب في كثيب ... يشوقك باهتزاز وارتجاج
كأن نعاج رمل لاحظتنا ... وان كرمن عن حسن النعاج
الام لروض جامعة الاماني ... وداء الدهر مطلوب العلاج
اذا العذب النمير جنا بضيم ... تجاوزه الى الملح الاجاج
اذل بحيث لا عوض يعافى ... وانجح للمفاوز والملاجي
كمن ترك الاسنة صاديات ... غداة وغى وكن ملحن بالزجاج

الورقة السادسة والثلاثون من نسخة دار الكتب المصرية المرموز إليها بحرف (م)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE





[illegible] البساط

[illegible]

[illegible]

[illegible] على دار

[illegible] شوق وتذكار

[illegible] أثار

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

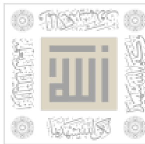
[illegible]

[illegible]

الورقة السابعة والخمسون من نسخة الأستاذ عبد الله كنون المرموز إليها بحرف (ن)

ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE



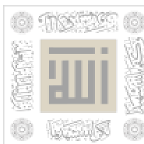
بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية

حدثنا الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير الكاتب قال أنشدني الشيخ الأديب أبو عبد الله أحمد بن محمد الخياط الدمشقي لنفسه على قافية الهاء يمدح القاضي عز الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار

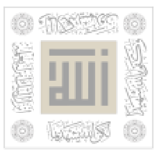
هبوا طيفكم أعدى على النأي مسرعا … فمن لمشوق أن تهوم جفناه
وهل يهتدي طيف الخيال لناحل … إذا السقم عن لحظ العوائد أخفاه
غنى في يد الأحلام لا أستفيده … ودين على الأيام لا أتقاضاه
وما كل مسلوب الرقاد معاده … ولا كل مسلوب الفؤاد مفاداه
يرى الصبر محمود العواقب معشر … وما كل صبر يحمد المرء عقباه
ألا لله من قلب يحن جنونه … إذا لاح برق بالقريتين مهواه
أحن إذا هبت صبا مطمئنة … حنين رذايا الركب وشك مغداه
حوائم خلاها عن الورد مطلب … بعيد على البزل المتاعب مرماه
هوى كلما عادت من الشرق نفحة … أعاد لي الشوق الذي كان أبداه
وما شغفي بالريح إلا لأنها … تمر بحي دون رامة مثواه
أحب ثرى الوادي الذي بان أهله … وأصبو إلى الربع الذي مح مغناه
فما وجد النضو الطليح بمنزل … رأى ورده في ساحتيه ومرعاه
كوجدي بأطلال الديار وإن عفا … على رسمها كر العصور وأبلاه
دوارس عفاها النحول كأنما … وجدن بكم بعد النوى ما وجدناه
ألا حبذا عهد الكثيب وناعم … من العيش مجرور الذيول لبسناه
ليالي عاطتنا الصبابة درها … فلم يبق منها منهل ما وردناه

الصفحة الأولى من النسخة التيمورية المرموز إليها بحرف (ت)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE







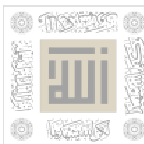
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو عبد الله
أحمد بن محمد بن الخياط التغلبي رحمه
الله يمدح عضب الدولة جلال الملك
الجيوش أبا منصور أنوش بن عبد الرزاق
عند وروده إلى دمشق سنة ست عشرة وأربعمائة

خُذا من صَبا نجدٍ أماناً لقلبه ... فقد كاد ريّاها يطيرُ بلُبّه
وإيّاكما ذاك النسيمَ فإنّه ... إذا هبّ كان الموتُ أيسرَ خطبه (الوجد)
خليليَّ لو أحببتما لعلمتما ... محلَّ الهوى من مغرم القلب صبّه
تذكّرَ والذكرى تشوقُ وذو الهوى ... يتوقُ ومن يعلقْ به الحبُّ يُصبِه
غرامٌ على يأسِ الهوى ورجائه ... وشوقٌ على بُعد المزار وقربه

وبرق

الصفحة الأولى من نسخة كوبنهاغ المرموز إليها بحرف (ك)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE




وجدت فكنت حبا لا يبيت سنى الكون يا محمد السعود

بلغت من الفضل أقصى مبلغ لم يصل ... المستزيد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذكت ... إذا ... الأشنب

في رسم كان له ... والبوزيح

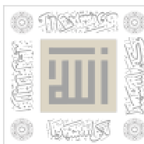
أما الزمان فلم يزل لي جانبا في ... الجرح

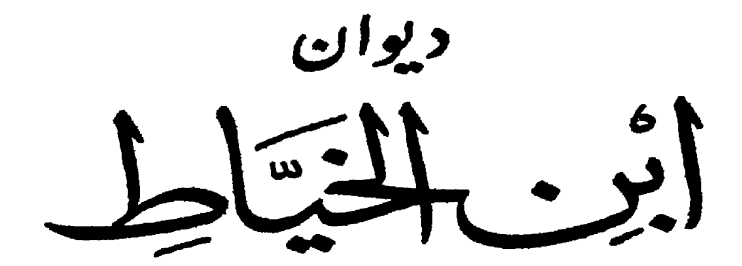
فلأنفحن ... عن ماكان منه ...

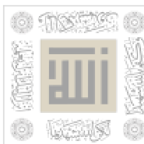
فالأبنية ... بباب الرجاء إلا أبو الفتح

هذا آخرها انتهى من أشعاره والنظم

الصفحة الأخيرة من نسخة كونهاع المرموز إليها بحرف (ك)
ديوان ابن الخياط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE



ديوان
ابن الخيّاط


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE




١

قال الشيخ الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد الخياط التغلبي الدمشقي يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام وثّاب[1] بن محمود بن نصر بن صالح ، وأنشده إياها بحماة سنة أربع وسبعين وأربع مائة :

---

(١) وثّاب بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي . تولى أخوه سابق إمارة حلب سنة ٤٦٨ ، فثار عليه وثاب واستعان بملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي وأخيه تاج الدولة تتش وبشرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل ، وحاصر حلب سنة ٤٧١ وأشار عليه مسلم بن قريش سراً بالعودة إلى أخيه سابق ففعل .

وفي سنة ٤٧٢ استولى مسلم بن قريش على حلب بعد أن بذل اليه تسليمها أميرها سابق ، وبذلك انقرضت دولة آل مرداس . وأقطع مسلم بن قريش وثّاباً وأخاه شبيباً قلعتي عزاز والأثارب وعدة ضياع ، فسكت وثّاب على مضض ، وكان يتحين الفرص لاسترداد حلب ويتنقل في المدن الشامية .

ففي سنة ٤٧٤ نجده في حماة يجتمع إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق ليعينه على استرداد حلب من مسلم بن قريش ، ونسمع ابن الخياط ينشده هذه القصيدة ويحرضه على استعادة حلب .

ولكن مسلم بن قريش استولى على حماة سنة ٤٧٥ وقبض على وثّاب وأخيه شبيب ، وأخذ منهما قلعتي عزاز والأثارب ثم أطلقهما .

واستولى على حلب بعد مسلم بن قريش الذي قتل سنة ٤٧٨ ملك شاه —

عَتادُكَ(١) أَنْ تَشُنَّ بِها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تَبارىٰ

كَأَنَّ أَهِلَّةً قَذَفَتْ نُجُوماً إِذا قَدَحَتْ سَنابِكُها(٢) شَرارا

وَهَلْ مَنْ ضَمَّرَ الْجُرْدَ الْمَذاكي(٣) كَمَنْ جَعَلَ الطِّرادَ لَها ضِمارا(٤)

كَأَنَّ اللَّيْلَ مَوْتُورٌ حَرِيبٌ يُحاوِلُ عِنْدَ ضَوْءِ الصُّبْحِ ثَارا

فَلَيْسَ يَحِيدُ عَنْها مُسْتَجِيشاً عَلَى الإِصْباحِ عِثْيَرَها(٥) الْمُثارا

— فأخوه تاج الدولة تتش سنة ٤٨٧ فابنه رضوان بن تتش سنة ٤٨٨ . وكان وثّاب يتودد إلى تاج الدولة ثم الى ابنه رضوان لعله يستعيد ملك آبائه في حلب فلم يفلح . ولكنه أصبح أمير قبيلته بني كلاب . وقاتل الصليبيين ومعه بنو كلاب في أنطاكية سنة ٤٩١ تحت راية رضوان بن تتش . وتنقطع أخبار وثّاب بعد هذه السنة . وأخباره هذه لمع متفرقة هنا وهناك في ذيل تاريخ **دمشق** لابن القلانسي وفي زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم .

(١) العتاد : الشيء الذي تعده لأمرٍ ما ونهيئه له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده أي أهبته وآلته . والمَغار : بالفتح ويضم مصدر بمعنى الغارة . والشُزَّب : جمع شارب وهو من الخيل الضامر . والقُبُّ : جمع أقبّ وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . وقد سقطت هذه القصيدة من (ن) ولم يبق منها هناك غير البيتين الاخيرين .

(٢) السنابك : جمع سُنْبُك وهو طرف الحافر .

(٣) المَذاكي : الخيل التي تمّ سنها وكملت قوتها الواحد مُذْكٍ ومذكٍّ .

(٤) يريد بالضِمار تضمير الخيل ولم أجدها بهذا المعنى في ما رجعت إليه من كتب اللغة .

(٥) العِثْيَر : العجاج .

أَخَذْنَ بِثَأْرِهِ عَنَقاً[١] وَرَكْضاً مَدَدْنَ عَلَى الصَّبَاحِ بِهِ إِزارا
وَقَدْ هَبَّتْ سُيُوفُكَ لامِعَاتٍ تُفَرِّقُ فِي دُجُنَّتِهِ[٢] نَهارا
أَمَا وَٱلسَّابِقاتِ لَقَدْ أَباحَتْ لَكَ ٱلشَّرَفَ ٱلْمُمَنَّعَ وَٱلْفَخَارا
فَزُرْ حَلَباً بِكُلِّ أَقَبَّ[٣] نَهْدٍ فَقَدْ تُدْنِي لَكَ ٱلْخَيْلُ ٱلْمَزَارا[٤]
وَكَلِّفْ رَدَّها إِنْ شِئْتَ قَسْراً عَزائِمَ تَسْتَرِدُّ ٱلْمُسْتَعارا
فَأَجْدِرْ بِٱلْمَمالِكِ أَنْ تَراها لِمَنْ كانَتْ مَمَالِكُهُ مِرارا
وَإِنْ وَلَدَتْ لَكَ ٱلْآمالُ حَظّاً فَما زالَتْ مَواعِدُها عِشَارا[٥]
إِذا عَايَنْتَ مِنْ عُودٍ دُخاناً فَأَوْشِكْ أَنْ تُعايِنَ مِنْهُ[٦] نارا
وَيَأْبَى ٱللهُ إِنْ أَبَتِ ٱلْأَعادي لِنَاصِرِ دِينِهِ إِلَّا ٱنْتِصارا
وَمَا كَبُرَتْ عَلَيْكَ أُمُورُ مَجْدٍ إِذا أَصْدَقْتَها ٱلْهِمَمَ ٱلْكِبارا

---

(١) العَنَقُ : السير الفسيح الواسع .
(٢) الدُّجُنَّةُ : الظلمة .
(٣) الأقَبُّ : من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . والنَّهْدُ : الفرس الحسن الجميل .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٥) العِشار : جمع عُشَراء وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية .
(٦) فيه (ك) .

وَمَا هِمَمُ ٱلْفَتَىٰ إِلاَّ غُصُونٌ ... تَكُونُ لَهَا مَطَالِبُهُ ثِمَارا

أَلَسْتَ ٱبْنَ(١) ٱلَّذِي هَطَلَتْ يَدَاهُ ... نَدىً سَرَفاً لِمَنْ نَطَقَ ٱخْتِصَارا

وَأَعْطَىٰ ٱلْأَلْفَ لَمْ تُعْقَرْ بِنَقْصٍ ... وَمَا غُنِيٌّ(٢) وَلا شَرِبَ(٣) ٱلْعُقَارا(٤)

وَأَشْبَعَ جُودُهُ غَرْثَىٰ ٱلْأَمَانِي ... وَرَوَّىٰ بَأْسُهُ ٱلْأَسَلَ ٱلْحِرَارا

وَقَادَ إِلَىٰ ٱلْأَعَادِي كُلَّ جَيْشٍ ... تَقُودُ(٥) إِلَيْهِ رَهْبَتُهُ(٦) ٱلدِّيارا

---

(١) ألست ترى الذي . . . (ت) .

(٢) ولا غني (ك) .

(٣) وما شرب (ت) .

(٤) العقار : الخمر . وفي البيت إشارة إلى حفاوة الأمير محمود (والد وثّاب) بالشاعر أبي الفتيان محمد بن حَيُّوس حين وفد عليه سنة (٤٦٤) وخبر ذلك ، كما ورد في الجزء الأول من ديوان ابن حَيُّوس ص ١٤ من المقدمة طبع المجمع العلمي العربي بدمشق وتحقيقنا : « . . . وكان محمود قد جلس في مجلسه وأمر باحضار الشراب فشرب أقداحاً ثم قال : ارفعوا الخمر فان ابن حَيُّوس يحضرني ممتدحاً ، وفي نفسي أن أهبه جائزة سنية ، فاذا كان الشراب في مجلسي قيل وهبه وهو سكران ، فرفع . وحضر ابن حَيُّوس فأنشده قصيدته التي أولها :

قِفُوا في القِلى حيثُ انتهيتم تَذَمُّما ... ولا تَقْتَفُوا مَن جارَ لـمَّا تحكَّما

فوهب له ألف دينار ذهباً في صينية فضة وجعلها له رسماً عليه في كل سنة » .

(٥) يقود (ك) .

(٦) هيبته (ت) .

وَلَوْ قُلتُ ٱبْنَ مَحْمُودٍ[١] كَفَتْنِي[٢] صِفَاتُ عُلَاكَ فَضْلاً وَٱشْتِهارا
وَهَلْ يَخْفَىٰ عَلَى ٱلسَّارِينَ نَهْجٌ إِذا ما ٱلْبَدْرُ في ٱلْأُفُقِ ٱسْتَنارا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْأُولىٰ جَادُوا سِرارا وَعَادَوْا كُلَّ مَنْ عَادَوْا جِهارا
وَمَا كَتَمُوا ٱلنَّدىٰ إِلاَّ لِيَخْفىٰ وَيَأْبىٰ ٱلْغَيْثُ أَنْ يَخْفىٰ ٱنْهِمارا
بُدُورُ ٱلْأَرْضِ ضَاحِيَةً عَلَيْها وَأَطْيَبُ مَنْ ثَوىٰ فِيها نُجارا
إِذا ما زُلْزِلَتْ كانوا جِبالاً وَإِنْ هِيَ أَمْحَلَتْ كانوا بِحارا
وَأَنْتَ[٣] أَشَدُّهُمْ بَأْسا وَأَنْدا هُمُ كَفّاً وَأَكْثَرُهُمْ فَخارا
وَأَوْفَاهُمْ إِذا عَقَدُوا ذِماما وَأَحْماهُمْ إِذا حَامَوْا ذِمارا
وَأَمْرَعُهُمْ لِمُرْتَادٍ جَناباً وَأَمْنَعُهُمْ[٤] لِمَطْلُوبٍ جِوَارا
لَقَدْ لَبِسَتْ بِكَ ٱلدُّنْيا جَمالاً فَلَوْ كانَتْ يَداً كُنْتَ ٱلسِّوَارا
يُضِيءُ جَبِينُكَ ٱلْوَضَّاحُ فيها إِذا ما ٱلرَّكْبُ في ٱلظَّلْماءِ حَارا

---

(١) محمود (والد وثّـاب) هو : محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب ، وليها سنة (٤٥٢) وتوفي سنة (٤٦٧) .

(٢) كفاني (ى) و (س) و (ع) و (م) و (ت) .

(٣) فأنت . (لـ) .

(٤) وأوسعهم (س) .



فَما يدْري أَنَارُ قِراكَ لاَحَتْ … لَهُ أَمْ بَرْقُ غَيْثِكَ قَدْ أَنارا
تَمَلَّ أَبا ٱلْقِوامِ شَرِيفَ حَمْدٍ(١) … رَفَعْتُ بِهِ عَلَى ٱلدُّنْيا مَنارا(٢)
ثَنَاءً ما حَدَاهُ ٱلفِكْرُ إِلاَّ … أَقَامَ بِكُلِّ مَنْزِلَةٍ وَسَارا
إِذا أُثْنِي بِحَمْدِكَ(٣) قَالَ قَوْمٌ … بِحَقٍّ(٤) ٱلرَّوْضِ أَنْ حَمِدَ ٱلْقُطارا(٥)
غَفَرْتُ(٦) ذُنُوبَ هٰذا ٱلدَّهْرِ لَمّا … أَصارَ إِلَيَّ رُؤْيَتَكَ ٱعْتِذَارا
وَرَدَّ لِيَ ٱلصِّبا بِنَداكَ حَتَّىٰ … خَلَعْتُ لَدَيْهِ(٧) فِي ٱللَّهْوِ ٱلعِذارا(٨)

. . .

(١) شريف حظ (ت) .

(٢) به رَفَعْتَ لكَ الدنيـا المنـارا (ك) (ب) وتارا (س) ومعنى تار : جرى .

(٣) بجودك : (ى) و (ك) .

(٤) بحق الحمـد ... (م) و (ت) وهـذا مثل قول جرير :

وقالت قد نحلت وشبت بعدي … بحق الشيبِ بعدك والنحولِ

أي حق لي أن أشيب وأنحل (ديوان جرير ص ٤٣٦) .

(٥) القطار : السحاب العظيم القطر .

(٦) موضع هذا البيت والذي بعده في (ك) يأتي قبـل البيت الذي أوله : تَمَلَّ أبا القوام ....

(٧) عليه (ك) .

(٨) الوقارا (ت) .

٢

وقال(١) أيضا يمدح الأمير أبا الفوارس(٢) محمد بن مالك بحماة :

سَقَوْهُ كَأْسَ فُرْقَتِهِمْ دِهَاقا(٣) وَأَسْكَرَهُ ٱلْوَدَاعُ فَما أَفَاقا
إِذا ما ٱلْكَأْسُ لَمْ تَكُ(٤) كَأْسَ بَيْنٍ فَلَيْسَتْ بِٱلْحَمِيمِ وَلاَ ٱلْغَسَاقا(٥)
أَبَى إِلاَّ ٱفْتِرَاقَا شَمْلُ صَبْرِي وَدَمْعِي إِذْ نَأَوْا(٦) إِلاَّ ٱفْتِراقا
رِفَاقٌ مَا ٱرْتَضَوْا(٧) فِي ٱلسَّيْرِ إِلاَّ قُلُوبَ ٱلْعَاشِقِينَ لَهُمْ(٨) رِفاقا

---

(١) لم ترد القصيدة إلا في (لـ) وهي من أول شعره .

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (المجلد ١٢ ورقة ١١٠ مخطوط) : « كتب أبو عبد الله (ابن الخياط) بحماة لأبي الفوارس ابن مانك ، وخدمه مدة ثم اشتهر بالشعر » وورد مثل ذلك في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (ج ٨ ورقة ٢٩ مخطوط) ولذلك كان يعرف بابن الخياط الكاتب .

(٣) كأس دِهاق : طافحة .

(٤) في الأصل : لم يك .

(٥) الغَسَاق والغَسَّاق : البارد الكريه الشديد البرد الذي يحرق من برده كاحراق الحميم .

(٦) لعله : إذ أبوا .

(٧) في الأصل : ما ارتضت .

(٨) في الأصل : له .

أَرائِقَـةَ ٱلْجَمَـالِ وَلاَ جَمِيلٌ أَرَاقَكِ أَنْ جعَلْتِ دَمِي مُرَاقا
وَسِرْتِ فَلِمْ أَسَرْتِ فُؤَادَ حُرٍّ حَلَلْتِ وَمَا حَلَلْتِ لَهُ وَثَاقا(١)
تُعَيِّرُنِي(٢) بِأَحْداثِ ٱللَّيَـالِي وَكَيْفَ يُدافِعُ ٱلْبَدْرُ ٱلْمِحاقا(٣)
شَبابٌ كانَ مُعْتَلاًّ(٤) فَوَلَّى وَصَدْرٌ كانَ مُتَّسِعاً فضَاقا
يُكَلِّفُنِي ٱلزَّمَانُ مَدِيحَ قَوْمٍ يَرَوْنَ كَسادَ ذِكْرِهِمُ نَفَاقا
وَمَنْ يَرْجُو مِنَ ٱلنَّارِ ٱرْتِواءً كَمَنْ يَخْشَىٰ مِنَ ٱلْمَآءِ ٱحْتِرافا
وَلَوْ أَنَّ ٱلزَّمانَ أَرادَ حَمْلَ ٱلـَّـ ـم ذِي حُمِّلْتُ مِنْـهُ مَا أَطَـاقا
وَلِي عَزْمٌ أَنَالُ بِـهِ ٱنْفِتَـاحاً لِبابِ ٱلْمَجْدِ إِنْ خِفْتُ ٱنْغِلاقا
بَعَثْتُ بِهِ ٱلنِّياقَ وَقَدْ يُرَجِّي أَنِيقَ ٱلْعَيْشِ مَنْ بَعَثَ ٱلنِّيَـاقا
سَرَيْتُ بِها وَحَظِّي ذُو سُبَاتٍ(٥) وجِئْتُ أَبَا ٱلْفَوَارِسِ(٦) فَٱسْتَفَاقا
سَعَىٰ وَسَعَىٰ ٱلْمُلُوكُ فَكَانَ أَقْصَىٰ مَدىً وَأَشَدَّ فِي ٱلسَّعْيِ ٱنْطِلاَقا

---

(١) الوَثاق : بالفتح ويكسر ما يُستَدُّ به من قيد أو حبل ونحوه .
(٢) المختار فى هذا الفعل أن يتعدى بنفسه لا بالباء يقال عيَّره الأمر .
(٣) المحاق : مثلثة أن يستسر القمر فلا يُرى غدوه ولا عشية ، سمى به لأنه طلع مع الشمس فمحقته .
(٤) كذا ولعل الصواب (مقتبلاً) .
(٥) السُبات : النوم وأصله الراحة .
(٦) أنظر الحاشية رقم(٢) ص (٩)

وَأَطْوَلَهُمْ لَدىٰ ٱلْعَلْيَاءِ باعاً   وَأَثْبَتَهُمْ لَدىٰ ٱلْهَيْجَاءِ سَاقا
يُطَبِّقُ(١) غَيْثُهُ أَرْضَ ٱلْأَمَاني   وَيَسْمُو سَعْدُهُ(٢) ٱلسَّبْعَ ٱلطِّباقا
وَيَسْبِقُ عَزْمُهُ كَلْمَ ٱللَّيالِي   فَكَيْفَ يُحاوِلُونَ لَهُ سِباقا
وَمَنْ يطْلُبْ لِلَمْعِ ٱلْبَرْقِ شَأْواً   يَجِدْهُ أَعزَّ مَطْلُوبٍ لَحَاقا
وَمَا بِٱلْجِدِّ فَاقَ ٱلنَّاسَ صِيتاً   وَلٰكِنْ بِٱلنَّدىٰ وَٱلْبَأْسِ فَاقا
وَمَنْ خَطَبَ ٱلْمَعَالِيَ بِٱلْعَوالِي   وَبِٱلْجَدْوىٰ فَقَدْ(٣) أَرْبىٰ ٱلصَّدَاقا
وَإِنْ طَرَقَ ٱلْعِدىٰ لَمْ يَرْضَ مِنْهُمْ   سِوىٰ هَامِ ٱلْمُلُوكِ لَهُ طِرَاقا(٤)
وَقَدْ كَرِهَ ٱلتَّلَاقِيَ كُلُّ صَبٍّ(٥)   كَأَنَّ إِلىٰ ٱلْفِراقِ بِهِ ٱشْتِيَاقا
(وَشَدَّدَ(٦) بِٱلْخِناقِ) عَلَى ٱلْأَعَادِي   فَتىً رَاخىٰ(٧) بِنَائِلِهِ ٱلْخِنَاقا

---

(١) طبّق : عمّ .

(٢) في الأصل : (ويسموا سعب دو السبع الطباقا) ولعل ما أثبتناه هو الصواب . والسبع الطباق : السموات السبع .

(٣) في الأصل : (وقد) والفاء في هذا المكان أحكم .

(٤) الطِّراق : جلد النعل .

(٥) كذا بالأصل ولعله (كل تدبٍ) .

(٦) في الأصل (وشدّد به الحباق) ولعل ما أثبتناه هو الأقرب إلى الصواب . والخِناق : ما يُخنق به من حبل أو وتر ونحوه .

(٧) راخى خناقه : أرخاه بمعنى نفّس عنه .

تَلاَقَتْ عِنْدَكَ ٱلْآمَالُ حَتَّى ... أَبىٰ إِسْرَافُ جُودِكَ أَنْ يُلاَقا
وَأَقْبَلَ بِٱلْهَنَاءِ عَلَيْكَ عِيدٌ ... حَدَاهُ إِلَيْكَ إِقْبالٌ وَسَاقا
فَسَرَّكَ وَهْوَ مِنْكَ أَسَرُّ قَلْباً ... وَلاَ عَجَبٌ (إِنِ ٱلْمُشْتَاقُ[1]) شَاقا
وَمِثْلُكَ يَا مُحَمَّدُ سَاقَ جَيْشاً ... يُكَلِّفُ[2] نَفْسَ رَائِيهِ ٱلسِّيَاقا
إِذَا ٱلْخَيْلُ ٱلْعِتَاقُ حَمَلْنَ هَمّاً ... فَهَمُّكَ يَحْمِلُ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقا
وَمَنْ عَشِقَ ٱلدِّقَاقَ ٱلسُّمْرَ يَوْماً ... فَإِنَّكَ تَعْشَقُ ٱلسُّمْرَ ٱلدِّقَاقا[3]
وَتَخْتَرِمُ ٱلْمُلُوكَ بِهَا ٱخْتِرَاماً ... وَتَخْتَرِقُ ٱلْعَجَاجَ بِهَا ٱخْتِرَاقا
يَسُرُّكَ أَنْ تُسَاقِي ٱلْجَيْشَ كَأْساً ... مِنَ ٱلْحَرْبِ ٱصْطِبَاحاً وَٱغْتِبَاقا
وَأَشْجَعُ مَنْ رَأَيْنَاهُ شُجَاعٌ ... يُلاقِيهِ ٱلسُّرُورُ بِأَنْ يُلاَقىٰ
وَمَا مَاءٌ لِذِي ظَمَإٍ زُلاَلٌ ... بِأَعْذَبَ مِنْ خَلاَئِقِهِ مَذَاقا
حَبَانِي جُودُهُ عَيْشاً كَأَنِّي ... ظَفِرْتُ بِهِ مِنَ ٱلدَّهْرِ ٱسْتِرَاقا
فَأَيَّامِي بِهِ بِيضٌ يِقَاقٌ[4] ... وَكَانَتْ قَبْلَهُ سُوداً صِفَاقا

---

(١) في الأصل : (إنَّ المشتاق) ولا يستقم به الوزن .
(٢) فى الأصل : (تكلف) .
(٣) يريد بالدقاق السمر : النساء السمر . وبالسمر الدقاق : الرماح .
(٤) أبيض يَقَق : شديد البياض . ويقاق جمع يقق قياساً مثل جَمَل وجمال . على أن المنصوص عليه يقايق وهو على غير القياس .



وَطَوَّقَنِي ٱبْنُ مَالِكَ[١] طَوْقَ مَنٍّ   فَصُغْتُ مِنَ ٱلثَّنـاءِ لَـهُ نِطَاقَا
أَرَىٰ ٱلْأَيَّامَ لاَ تُعْطِي كَرِيماً   بُلُوغَ مُرَادِهِ إِلاَّ (فَوَاقَا[٢])
فَلَا عَاقَتْكَ عَنْ طَلَبِ ٱلْمَعَالِي   (إِذَا ٱلْأَيَّامُ كَادَتْ أَنْ تُعَاقَا[٣])



---

(١) ورد اسم الممدوح في عنوان هذه القصيدة : ابن مانك وكذا في سير أعلام النبلاء والوافي بالوفيات أنظر الحاشية رقم (٢) ص (٩)

(٢) فى الأصل (وِقَتَا) ولعل ما أثبتنــــاه هو الصواب . والفَوَاق : ما بين الحلبتين من الوقت ، يعني في الحين بعد الحين .

(٣) في الأصل : (إذا ما كادت الأيام عاقا) ، ولعل ما أثبتنـاه هو الأقرب إلى الصواب .

٣

وقال يمدح الأمير سديد الملك[١] أبا الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ سنة ست وسبعين وأربع[٢] مائة :

يَقِينِي يَقِينِي حَادِثَاتِ ٱلنَّوائِبِ   وَحَزْمِيَ حَزْمِي في ظُهُورِ ٱلنَّجائِبِ

---

(١) هو الأمير سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، كان شجاعاً كريماً وله شعر جيد . ذكر ابن عساكر أنه دخل دمشق غير مرة . وذكر ابن خلكان أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه قلعة شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمّار فأقام عنده . وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ أن خروجه من حلب كان سنة ٤٦٥ .

وعلي بن مقلّد هذا أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ ، لأنه كان نازلاً يجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ ، وكانت القلعة بيد الروم فنازلها وتسلمها بالأمان سنة ٤٧٤ ، ومدحه جماعة من الشعراء كابن حيّوس وابن الخياط وابن سنان الخفاجي وغيرهم . وتوفي سنة ٤٧٩ وقيل سنة ٤٧٥ على أن تاريخ القصيدة يعين القول الأول .

« وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٤٦٤ » « تاريخ دمشق لابن عساكر ـ مخطوط ـ » « ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ و ١١٣ و ١١٤ »

(٢) لم يعين هذا التاريخ إلا نسخة كوبنهاغ .

سَيُنْجِدُنِي جَيْشٌ مِنَ ٱلْعَزْمِ طَالَمَا غَلَبْتُ بِهِ ٱلْخَطْبَ ٱلَّذِي هُوَ غَالِبِي
وَمَنْ كَانَ حَرْبَ ٱلدَّهْرِ عَوَّدَ نَفْسَهُ قِرَاعَ ٱللَّيَالِي لاَ قِرَاعَ ٱلْكَتَائِبِ
عَلَى أَنَّ لِي فِي مَذْهَبِ ٱلصَّبْرِ مَذْهَباً يَزِيدُ(١) ٱتِّسَاعاً عِنْدَ ضِيقِ ٱلْمَذَاهِبِ
وَمَا وَضَعَتْ مِنِّي ٱلْخُطُوبُ بِقَدْرِ مَا رَفَعْنَ وَقَدْ هَذَّبْنَنِي بِٱلتَّجَارِبِ
أَخَذْنَ ثَرَاءً غَيْرَ بَاقٍ عَلَى ٱلنَّدَى وَأَعْطَيْنَ فَضْلاً فِي ٱلنُّهَى غَيْرَ ذَاهِبِ
فَمَالِيَ لاَ رَوْضُ ٱلْمَسَاعِي بِمُمْرِعٍ لَدَيَّ وَلاَ مَاءُ ٱلْأَمَانِي بِسَاكِبِ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَعْدِي لَدَيْهَا(٢) بِحَائِنٍ زَمَاناً وَلاَ دَيْنِي عَلَيْهَا بِوَاجِبِ
وَحَاجَةِ نَفْسٍ تَقْتَضِيهَا مَخَايِلِي(٣) وَتَقْضِي بِهَا لِي عَادِلاَتٍ(٤) مَنَاصِبِي
عَدَدْتُ لَهَا بَرْقَ ٱلْغَمَامِ هُنَيْدَةً(٥) وَأُخْرَى وَمَا مِنْ قَطْرَةٍ فِي ٱلْمَذَانِبِ(٥)
وَهَلْ نَافِعِي شَيْمٌ مِنَ ٱلْعَزْمِ(٦) صَادِقٌ إِذَا كُنْتُ ذَا بَرْقٍ مِنَ ٱلْحَظِّ كَاذِبِ

(١) يريك اتساعاً . . . (ت)
(٢) عليها . س
(٣) المَخَايل من السحب : المنذرة بالمطر .
(٤) عادلات مناصب . (ى) ، (م) ، (ع) .
(٥) هُنَيْدَة : اسم للمائة من الابل وغيرها . والمذانب : جمع مِذْنَب وهو الجدول يسيل فى الروضة بمائها إلى غيرها ومسيل الماء . وهذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .
(٦) هذه رواية (ن) وفي بقية النسخ (البرق) .

وَإِنِّي لَأَغْنَىٰ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقِرَىٰ(١) ... وَبِالْبَرْقِ عَنْ صَوْبِ الْغُيُوثِ السَّوَاكِبِ
قَنَاعَةُ عِزٍّ لَا طَمَاعَةُ ذِلَّةٍ ... تَزَهُّدُ فِي نَيْلِ الْغِنَىٰ كُلِ(٢) رَاغِبِ
إِذَا مَا امْتَطَى الْأَقْوَامُ مَرْكَبَ ثَرْوَةٍ ... خُضُوعاً رَأَيْتُ الْعُدْمَ خَيْرَ مَرَاكِبِي(٣)
وَلَوْ رَكِبَ النَّاسُ الْغِنَىٰ بِبَرَاعَةٍ ... وَفَضْلٍ مُبِينٍ كُنْتُ أَوَّلَ رَاكِبِ
وَقَدْ أَبْلُغُ الْغَايَاتِ لَسْتُ(٤) بِسَائِرٍ ... وَأَظْفَرُ بِالْحَاجَاتِ لَسْتُ(٥) بِطَالِبِ
وَمَا كُلُّ دَانٍ مِنْ مَرَامٍ بِظَافِرٍ ... وَلَا(٦) كُلُّ نَاءٍ عَنْ رَجَاءٍ بِخَائِبِ
وَإِنَّ الْغِنَىٰ مِنِّي(٧) لَأَدْنَىٰ مَسَافَةً ... وَأَقْرَبُ مِمَّا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي
سَأَصْحَبُ آمَالِي إِلَىٰ ابْنِ مُقَلَّدٍ ... فَتُنْجِحُ(٨) مَا أَلْوَىٰ(٩) الزَّمَانُ بِصَاحِبِ

---

(١) وبالمنى (ن) .
(٢) خير راغب : (م) ، (س) ، (ع) .
(٣) مراكب : (ي) ، (م) ، (ع) ، (ت) .
(٤) في جميع النسخ (لبس بسائرٍ) إلا في نسخة كوبنهاغ فقد كتب فوق لبس لستُ « نسخة » .
(٥) في جميع النسخ (لبس بطالب) إلا في نسخة كوبنهاغ فقد كتب فوق ليس لستُ « نسخة » .
(٦) وما . . . (ي)
(٧) فبه . . . (ك)
(٨) فينجح : (ظ) ، (ي) .
(٩) ألوى به : ذهب ، وألوى به الدهر : أهلكه .

فَما ٱشْتَطَّتِ ٱلآمَالُ إلاَّ أَباحَهَا   سَماحُ عَليٍّ حُكْمَها في ٱلْمَواهِبِ
إِذَا كُنْتَ يَوْماً آمِلاً آمِلاً لَهُ   فَكُنْ واهِباً كُلَّ ٱلْمُنىٰ كُلَّ واهِبِ
وَإِنَّ ٱمْرَأً أَفْضىٰ إِلَيْهِ رَجاؤُهُ   فَلَمْ تَرْجُهُ ٱلأَمْلاكُ(١) إِحْدىٰ ٱلعَجائِبِ
مِنَ ٱلْقَوْمِ لَوْ أَنَّ ٱللَّيالي تَقَلَّدَتْ   بِأَحْسابِهِمْ(٢) لَمْ تَحْتَفِلْ بِالْكَواكِبِ
إذا أَظْلَمَتْ سُبْلُ ٱلسُّراةِ إلىٰ ٱلْعُلىٰ   سَرَوْا فَٱسْتَضاءوا بَيْنَها بِٱلْمَناسِبِ(٣)
هُمُ(٤) غادَرُوا بِٱلْعِزِّ حَصْباءَ أَرْضِهِمْ   أَعَزَّ مَنالاً مِنْ نُجُومِ ٱلْغَياهِبِ
تَرىٰ ٱلدَّهْرَ ما أَفْضىٰ إلىٰ مُنْتَواهُمُ   يُنَكِّبُ عَنْهُمْ بِٱلْخُطُوبِ ٱلنَّواكِبِ(٥)
إِذَا ٱلْمُنْقِذِيُّونَ ٱعْتَصَمْتَ بِحَبْلِهِمْ(٦)   خَضَبْتَ ٱلْحُسامَ ٱلْعَضْبَ مِنْ كُلِّ خاضِبِ(٧)
أُولٰئِكَ لَمْ يَرْضَوْا مِنَ ٱلْعِزِّ وَٱلْغِنىٰ   سِوىٰ ما ٱسْتَباحُوا بِٱلْقَنا وَٱلْقَواضِبِ
كَأَنْ لَمْ يُحَلِّلْ رِزْقَهُمْ(٨) دِينُ مَجْدِهِمْ   بِغَيْرِ ٱلْعَوالي وَٱلْعِتاقِ(٩) ٱلشَّوازِبِ

---

(١) الأفلاك : (لـ) . الآمال (ن) .
(٢) بإحسانهم : (س) ، (م) ، (ع) .
(٣) بالمناقب . (ت) . بالمناصب . (س) .
(٤) مكان هذا البيت في (ك) بعد الذي يليه هنا .
(٥) المُنْتَوَى : المكان والمنزل . ونكّب : نحى .
(٦) بعزهم (ن)
(٧) حاصب . (ك) . ومن معاني حاصب : العدد الكثير من الرحّالة والرماة .
(٨) دون مجدهم . (ك) .
(٩) العتاق الشوازب : الخيل الكريمة الضامرة .

إِذَا قَرَّبُوهَا لِلِّقَاءِ تَبَاعَدَتْ مَسَافَةُ مَا بَيْنَ ٱلطُّلَىٰ وَٱلذَّوَائِبِ
إِذَا نَزَلُوا أَرْضاً بِهَا ٱلْمَحْلُ رُوِّضَتْ(١) وَمَا سُحِبَتْ فِيهَا ذُيُولُ ٱلسَّحَائِبِ
بِأَنْدِيَةٍ خُضْرٍ فِسَاحٍ رِبَاعُهَا وَأَوْدِيَةٍ غُزْرٍ عِذَابِ ٱلْمَشَارِبِ(٢)
أَرَىٰ ٱلدَّهْرَ حَرْباً لِلْمُسَالِمِ بَعْدَمَا صَحِبْنَاهُ دَهْراً وَهْوَ سِلْمُ ٱلْمُحَارِبِ
فَعُذْ بِنَهَارِيِّ ٱلْعَدَاوَةِ أَوْحَدٍ مِنَ ٱلْقَوْمِ لَيْلِيِّ ٱلنَّدَىٰ وَٱلرَّغَائِبِ(٣)
تَنَلْ بِسَدِيدِ ٱلْمُلْكِ ثَرْوَةَ مُعْدِمٍ(٤) وَفَرْجَةَ(٥) مَلْهُوفٍ وَعِصْمَةَ هَارِبِ
سَعَىٰ وَارِثُ ٱلْمَجْدِ ٱلتَّلِيدِ فَلَمْ يَدَعْ بِأَفْعَالِهِ مَجْداً طَرِيفاً لِكَاسِبِ
يُغَطِّي عَلَيْهِ ٱلْحَزْمُ بِٱلْفِكْرِ ٱلَّتِي كَشَفْنَ لَهُ عَمَّا وَرَاءَ ٱلْعَوَاقِبِ
وَرَأْيٍ يُرِي خَلْفَ ٱلرَّدَىٰ مِنْ أَمَامِهِ فَمَا غَيْبُهُ ٱلْمَكْنُونُ عَنْهُ بِغَائِبِ
بَقِيتَ بَقَاءَ ٱلنَّيِّرَاتِ(٦) وَمِثْلَهَا عُلُوّاً وَصَوْناً عَنْ صُرُوفِ ٱلنَّوَائِبِ

---

(١) رَوَّض المطرُ الأرض : جعلها كالروض .
(٢) لم يرد هذا البيت فى (ك) .
(٣) يريد بنهاري العداوة : من يجاهر بالعداوة أعداءه ، وبليلي الندى، والرغائب : من يخفي معروفه .
(٤) مغرم . (س) .
(٥) وفرحة . . . (م) ، (ت) ، (ن) .
(٦) النيرين . (ت)

وَدَامَ بَنُوكَ السِّتَّةُ(١) الزُّهْرُ إِنَّهُمْ نُجُومُ الْمَعَالِي فِي سَمَاءِ الْمَنَاقِبِ
سَلَلْتَ سِهَاماً مِنْ كِنَانَةَ(٢) لَمْ تَزَلْ يُقَرْطِسُ(٣) مِنْهَا فِي الْمُنَى كُلُّ صَائِبِ
فَأَدْرَكْتَ مَا فَاتَ الْمُلُوكَ بِعَزْمَةٍ تَقُومُ مَقَامَ الْحَظِّ عِنْدَ الْمَطَالِبِ
وَمَا(٤) فُقْتَهُمْ حَتَّى تَفَرَّدْتَ دُونَهُمْ(٥) بِرَأْيِكَ فِي صَرْفِ الْخُطُوبِ اللَّوَازِبِ
وَمَا شَرُفَتْ عَنْ قِيمَةِ الزُّبَرِ(٦) الظُّبَى إِذَا لَمْ يُشَرِّفْهَا(٧) مَضَاءُ الْمَضَارِبِ
تَجَافَتْ عَنْ قَصْدِ الْمُلُوكِ وَعِنْدَهُمْ رَغَائِبُ لَمْ تَجْنَحْ إِلَيْهَا غَرَائِبِي(٨)

---

(١) عرفنا منهم أربعة هم : أبو سلامة مرشد ، وأبو العساكر سلطان ، وأبو المرهف نصر ، وأبو المتوّج مقلّد ، وكلهم فارس شاعر أديب . أنظر الجزء الأول من خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب قسم شعراء الشام من ص ٤٩٧ إلى ص ٥٧٢ طبع المجمع العلمي العربي بدمشق وتحقيق الدكتور شكري فيصل ، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور ج ١ ص ١٦٥

(٢) كِنانة : قبيلة الممدوح وهي من العرب القحطانية .

(٣) تقرطس . (س) ، (ي) ، (ك) ، (م) ، (ع) ، (ت) . وقرطس : أصاب القرطاس أي الغرض .

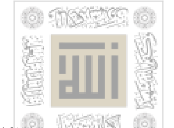
(٤) فما . (ك)

(٥) عنهمُ . (س)

(٦) الزُّبَر : جمع زُبْرَة وهي القطعة الضخمة من الحديد . والظُّبَى : جمع ظُبَة وهي حد سيف أو سنان .

(٧) لم تشرفها . (م) ، (ت) .

(٨) يريد بالغرائب : غرائب الابل . قال الحجّاج في الخطبة التي —



تَنَاقَلُ بِي أَيْدِي ٱلْمَهَارِىٰ حَثِيثَةً ... كَمَا ٱخْتَلَفَتْ فِي ٱلْعَقْدِ أَنْمُلُ حَاسِبِ(١)

إِذَا ٱلشَّوْقُ أَغْرَانِي بِذِكْرِكَ مَادِحاً ... تَرَنَّمْتُ مُرْتَاحاً فَحَنَّتْ رَكَائِبِي

بِمَنْظُومَةٍ مِنْ خَالِصِ ٱلدُّرِّ ، سِلْكُهَا ... عَرُوضٌ ، وَلَـٰكِنْ دُرُّهَا مِنْ مَنَاقِبِ(٢)

تُعَمِّرُ عُمْرَ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ ... أَقَامَتْ وَمَا أَرْمَتْ(٣) عَلَىٰ سِنِّ كَاعِبِ

شَعَرْتُ وَحَظُّ ٱلشِّعْرِ عِنْدَ ذَوِي ٱلْغِنَىٰ ... شَبِيهٌ بِحَظِّ ٱلشَّيْبِ عِنْدَ ٱلْكَوَاعِبِ

وَمَا بِيَ تَقْصِيرٌ عَنِ ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَىٰ ... سِوَىٰ أَنَّنِي صَيَّرْتُهُ مِنْ مَكَاسِبِي

يُعَدُّ مِنَ ٱلْأَكْفَاءِ مَنْ كَانَ عَنْهُمُ ... غَنِيّاً وَإِنْ لَمْ يَشْأَهُمْ فِي ٱلْمَرَاتِبِ

وَلَوْ خَطَرَتْ بِي فِي ضَمِيرِكَ خَطْرَةٌ ... لَعَادَتْ بِتَصْدِيقِ ٱلظُّنُونِ(٤) ٱلْكَوَاذِبِ

وَأَصْبَحَ مُخْضَرّاً بِسَيْبِكَ مُمْرِعاً ... جَنَابِي وَمَمْنُوعاً بِسَيْفِكَ جَانِبِي

* * *

- خطبها في الكوفة : « . . . لأضربنكم ضرب عرائب الإبل » وذلك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها . (لسان العرب) .

(١) المهارَى : جمع مَهْريَّة وهي الابل المنسوبة إلى مَهْرة بن حيدان تسبق الخيل . والعقد هنا : الحساب . والأُنمُلَة : رأس الإصبع تجمع على أنامل وأنملات ، أما أنمُل فلم أجدها فيما رجعت إليه من دواون اللغة .

(٢) مناقبي . (ظ) ، (م) ، (ت) .

(٣) أربت . (ط) . وأربى وأرمى : بمعنى واحد أي زاد .

(٤) الحظوظ . (ي) ، (س) ، (ك) ، (م) ، (ع) ، (ن) .

٤

وقال [١] يذم الزمان ويستعين بعض إخوانه على [٢] استخلاص مال له عند جماعة [٣] :

لَكَ ٱلْخَيْرُ قَدْ أَنْحَى عَلَيَّ زَمَانِي وَمَالِي بِمَا يَأْتِي الزَّمَانُ يَدَانِ
كَأَنَّ [٤] صُروفَ ٱلدَّهْرِ لَيْسَ يَعُدُّهَا صُرُوفاً إِذَا مَكْرُوهُهُنَّ عَدَانِي
وَلَوْ أَنَّ غَيْرَ ٱلدَّهْرِ بِٱلْجَوْرِ قَادَنِي [٥] جَمَحْتُ وَلٰكِنْ فِي يَدَيْهِ عِنَانِي
مُنِيتُ بِبَيْعِ الشِّعْرِ مِنْ [٦] كُلِّ بَاخِلٍ بِخُلْفِ [٧] مَوَاعِيدٍ وَزُورِ أَمَانِي

---

(١) ورد عنوان هذه القصيدة في (ك) : « وكتب في غرض له » وفي ت : « وقال يذم الزمان وكتب بها إلى الشريف أمين الدولة » ولكن البيت الثاني والعشرين من القصيدة يدل على انه كتب بها الى الشريف أُنس الدولة وهو أبو جعفر عبد الله بن الحسين بن المحسن الجعفري . انظر س (١) ص (٢٤) .

(٢) فى استخلاص (ظ ، س ، ن) .

(٣) عند قوم . (ظ ، ى ، ع ، ن) .

(٤) وإنَّ . (ت) .

(٥) قائدي . (ظ ، ي ، س ، م ، ع ، ن) .

(٦) في . (ك) .

(٧) بطول مواعيدٍ . (ك) .

وَمَنْ لِي بِأَنْ(١) يُبْتَاعَ مِنِّي وَإِنَّما أُقِيمُ لِماءِ ٱلْوَجْهِ سُوقَ هَوَانِ
إِذَا رُمْتُ أَنْ أَلْقَى بِهِ ٱلْقَوْمَ لَمْ يَزَلْ(٢) حَيائِي وَمَسُّ ٱلْعُدْمِ يَقْتَتِلانِ
أَخَافُ سُؤَالَ ٱلْباخِلِينَ كَأَنَّنِي مُلاقِي ٱلْوَغَى كُرْهاً بِقَلْبِ جَبَانِ
قَعَدْتُ(٣) بِمَجْرَى ٱلْحَادِثَاتِ مُعَرَّضاً لِأَسْبَابِها مَا شِئْنَ(٤) فِيَّ أَتَانِي
مُصَاحِبَ أَيَّامٍ تَجُرُّ ذُيُولَهَا(٥) عَلَيَّ بِأَنْواعٍ(٦) مِنَ ٱلْحَدَثَانِ
أَرَى ٱلرِّزْقَ أَمَّا ٱلْعَزْمُ مِنِّي فَمُوشِكٌ(٧) إِلَيْهِ وَأَمَّا ٱلْحَظُّ عَنْهُ فَوانِ
وَهَلْ يَنْفَعَنِّي أَنَّ عَزْمِيَ مُطْلَقٌ وَحَظِّي مَتَى رُمْتُ ٱلْمَطَالِبَ عَانِ
وَمَا زَالَ شُؤْمُ ٱلْجَدِّ(٨) مِنْ كُلِّ طَالِبٍ كَفِيلاً بِبُعْدِ ٱلْمَطْلَبِ ٱلْمُتَدَانِي
وَقَدْ يُحْرَمُ ٱلْجَلْدُ ٱلْحَرِيصُ مَرَامَهُ وَيُعْطَى مُنَاهُ ٱلْعَاجِزُ ٱلْمُتَوَانِي

---

(١) ومن لي بمن يبتاع . . . (ت) .
(٢) لم أزل . (ك) .
(٣) فعدت . . . (س ، ك ، ي) .
(٤) ماشئت . (س ، ت) . ما استن فيَّ أتاني . (ن) .
(٥) تجر سيولها . (ظ ، ي ، س ، ك ، م ، ع) .
(٦) بأنوآء . (م . ع) .
(٧) أوشك : أسرع السير .
(٨) الحظ . (م) . وما زال سوم الدهر . . . (ت) .

وَمِنْ أَنْكَدِ(١) ٱلْأَحْدَاثِ عِنْدِيَ أَنَّني عَلَى نَكَدِ ٱلْأَحْدَاثِ غَيْرُ مُعَانِ

فَها أَنَا مَتْرُوكٌ وَكُلُّ عَظِيمَةٍ أُقَارِعُهَا شَأْنَ ٱلْخُطُوبِ وَشَانِي

فَعَثْراً لِدَهْرٍ لا تَرى(٢) فِيهِ قَائِلاً : لَعاً(٣) ، لِفَتىً زَلَّتْ بِهِ ٱلْقَدَمَانِ

فَهَلْ أَنْتَ مُولٍ(٤) نِعْمَةً فَمُبَادِرٌ إِلَيَّ وَقَدْ أَلْقَى ٱلرَّدَى بِجِرانِ(٥)

وَحَطَّ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ أَثْقالَ لُؤْمِهِ وَتِلْكَ ٱلَّتِي يَعْيَا بِهَا ٱلثَّقَلانِ(٦)

وَمُسْتَخْلِصِي مِنْ قَبْضَةِ ٱلْفَقْرِ(٧) بَعْدَمَا تَمَلَّكَ رِقِّي ذُلُّهُ وَهَوانِي

وَجَاعِلُ حَمْدِي مَا بَقِيتُ(٨) مُخَلَّداً عَلَيْكَ وَمَا أَرْسَتْ هِضَابُ أَبانِ(٩)

إِذاً تَقْتَنِي شُكْرَ ٱمْرِئٍ غَيْرِ هَادِمٍ بِكُفْرِ ٱلْأَيَادِي مَا ٱرْتِيَاحُكَ بانِ

---

(١) ومن نكد الأحداث . . . (ك) ومن أنكر الأحداث . . . (ت).

(٢) لانرى . (ك) .

(٣) لعل الفتى . (ك) لعل فتى . (ظ ، ن) . ولعاً لَهُ : كلمة تقال للعاثر بمعنى سلمت ونجوت .

(٤) مولى نعمة . (ك ، ن).

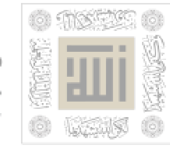
(٥) الجران : من البعير مقدَّم عنقه من مذبحه إلى منحره ، وألقى البعير جرانه إذا برك .

(٦) لم يرد هذا البيت فى (ك) .

(٧) من قبضة الدهر . . (ك) .

(٨) ما حييت . . . (ك) .

(٩) أبان : جبل .

فَمِثْلُكَ أُنْسَ ٱلدَّوْلَةِ [1] أُنْتَاشَ هَالِكاً ... أَخِيذَ مُلِمَّاتٍ أَسِيرَ زَمَانِ
وَغَادَرَ مَنْ يَخْشَى ٱلزَّمَانَ كَأَنَّما ... يُلاَقِيهِ مِنْ مَعْرُوفِهِ بِأَمَانِ

٥

وقال يمدح القاضي جلال [2] الملك أبا الحسن علي بن محمد بن عمّار بطرابلس الشام [3].

يَا سَيِّدَ ٱلْحُكَّامِ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ ... يَهْمِي عَلَيَّ بِهَا سَحَابُ نَدَاكَا
أَمْ هَلْ يَعُودُ لِيَ ٱلزَّمَانُ بِعَطْفَةٍ ... يَثْنِي إِلَيَّ بِهَا عِنَانَ رِضَاكَا

---

(١) هو الشريف أنس الدولة أبو جعفر عبد الله بن الحسين بن المحسن الجعفري .

(٢) حلال الدين (م ، ع ، ت) والصواب جلال الملك قاضي طرابلس الشام والمستقل بها . وأول من استقل بطرابلس من بني عمار القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمّار الطائي ، كان قاضي طرابلس واستقل بها سنة ٤٦٢ وتوفي سنة ٤٦٤ ، وهو عم جلال الملك الذي خلفه على طرابلس فضبطها أحسن ضبط ، وتوفي سنة ٤٩٤ وظل بنو عمّار مستقلين بها إلى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٢ .

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٦٣ والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢ / ١٨٨ ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ١٦٠ » .

(٣) سنة ٤٨٣ (ن) .

هَبْ(١) ذَا ٱلرَّمِيَّ مِنَ ٱلْحَوادِثِ جُنَّةً وَلِذَا ٱلْأَسِيرِ مِنَ ٱلْخُطُوبِ فِكَاكَا
قَدْ نَالَ مِنِّي صَرْفُهَا مَا لَمْ تَنَلْ يَوْمَ ٱلتُّلَيْلِ(٢) مِنَ ٱلْعُدَاةِ ظُبَاكَا
آلَيْتُ لاَ أَبْغِي نَدَاكَ بِشَافِعٍ مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلاَّ كَا
غَضَباً(٣) لِمَجْدِكَ أَنْ تُخَوِّلَ نِعْمَةً فَتَكُونَ فِيهَا مِنَّةٌ(٤) لِسِوَاكَا

٦

وقال(٥) أيضاً يمدحه :

أُمَنِّي ٱلنَّفْسَ وَصْلاً مِنْ سُعَادِ وَأَيْنَ مِنَ ٱلْمُنَى دَرْكُ ٱلْمُرَادِ
وَكَيْفَ يَصِحُّ وَصْلٌ مِنْ خَلِيلٍ إِذَا مَا كَانَ مُعْتَلَّ ٱلْوِدَادِ

(١) المسهور في هذا الفعل ان يتعدى الى المفعول الأول باللام لابنفسه.
(٢) ورد في نسخة كونهاع بعد هـذا البت ما يأتي : « التلبل بحون عرقة ، وقـد كان حلال الملك أوقع عليه بابن ملاعب وقتل وأسر كثيراً من رجاله ». وابن ملاعب هذا هـو حلف بن ملاعب الـكلابي صاحب أفامية قتله الباطنية سنة ٤٩٩ « ديل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٤٩ »
(٣) عجباً لمجدك . . . (س) .
(٤) . . . ساقع لسواكا (ك) .
(٥) وقال يمدحه ويهنيه بالعيد (ك) .

تَمَادَىٰ فِي ٱلْقَطِيعَةِ لَا لِجُرْمٍ ... وَأَجْفَىٰ ٱلْهَاجِرِينَ ذَوُو ٱلتَّمَادِي
يُفَرِّقُ بَيْنَ قَلْبِي وَٱلتَّأَسِّي ... وَيَجْمَعُ بَيْنَ طَرْفِي وَٱلسُّهَادِ
وَلَوْ بَذَلَ ٱلْيَسِيرَ لَبَلَّ شَوْقِي ... وَقَدْ يَرْوِىٰ ٱلظِّمَاءُ مِنَ ٱلثِّمَادِ(١)
أَمَلُّ مَخَافَةَ ٱلْإِمْلَالِ قُرْبِي ... وَبَعْضُ ٱلْقُرْبِ أَجْلَبُ لِلْبِعَادِ
وَعِنْدِي لِلْأَحِبَّةِ كُلُّ جَفْنٍ ... طَلِيقِ ٱلدَّمْعِ مَأْسُورِ ٱلرُّقَادِ
فَلَا تَغْرَ ٱلْحَوَادِثُ(٢) بِي فَحَسْبِي ... جَفَاؤُكُمُ مِنَ ٱلنُّوَبِ ٱلشِّدَادِ
إِذَا(٣) مَا ٱلنَّارُ كَانَ لَهَا ٱضْطِرَامٌ ... فَمَا ٱلدَّاعِي إِلَىٰ قَدْحِ ٱلزِّنَادِ
أَرَىٰ ٱلْبِيضَ ٱلْحِدَادَ سَتَقْتَضِينِي ... نُزُوعًا عَنْ هَوَىٰ ٱلْبِيضِ ٱلْخِرَادِ(٤)
فَمَا دَمْعِي عَلَى ٱلْأَطْلَالِ وَقْفٌ(٥) ... وَلَا قَلْبِي مَعَ ٱلظُّعُنِ ٱلْغَوَادِي
وَلَا أَبْقَىٰ جَلَالُ ٱلْمُلْكِ يَوْمًا ... لِغَيْرِ هَوَاهُ حُكْمًا(٦) فِي فُؤَادِي

(١) الثِّماد : الماء القليل .
(٢) الحواسد . (س) .
(٣) اذا ما كان للنار اضطرامٌ . (ت) .
(٤) الخريده : المرأة الحيية والبكر لم تمس ، تجمع على خرائد وخُرُد وخُرَّد . وقد جمعها الشاعر على خِراد ، ولم أره فيما رجعت إليه من دواوين اللغة .
(٥) وقفاً . (ت) .
(٦) كلاً . (لـ) يوماً . (ن) .

أُحِبُّ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْهُ وَأَعْشَقُ دَوْلَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَوَادِ

رَجَوْتُ فَما تَجَاوَزَهُ رَجائِي وَكَانَ[١] ٱلْماءُ غايَةَ كُلِّ صادِ

إِذَا مَا رُوِّضَتْ أَرْضِي وَساحَتْ فَما مَعْنَىٰ ٱنْتِجاعِي وَٱرْتِيادِي[٢]

كَفَىٰ بِنَدَىٰ جَلالِ ٱلْمُلْكِ غَيْثاً إِذا نَزَحَتْ قَرارَةُ كُلِّ وَادِ

أَمَلْنا أَيْنُقَ ٱلْآمَالِ مِنْهُ إِلَىٰ كَنَفٍ خَصِيبِ ٱلْمُسْتَرَادِ

وَأَغْنَانا نَدَاهُ عَلَىٰ ٱفْتِقَارٍ غَناءَ ٱلْغَيْثِ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْجَمادِ

فَمَنْ ذَا مُبْلِغُ ٱلْأَمْلَاكِ عَنَّا[٣] وَسُوَّاسِ ٱلْحَوَاضِرِ وَٱلْبَوادِي

بِأَنَّا قَدْ سَكَنَّا ظِلَّ مَلْكٍ مَخُوفِ ٱلْبَأْسِ مَرْجُوِّ ٱلْأَيَادِي

صَحِبْنَا عِنْدَهُ ٱلْأَيَّامَ بِيضاً وَقَدْ عُمَّ[٤] الزَّمَانُ مِنَ ٱلسَّوَادِ

وَأَدْرَكْنَا بِعَدْلٍ مِنْ عَلِيٍّ صَلَاحَ ٱلْعَيْشِ فِي دَهْرِ ٱلْفَسَادِ

فَما[٥] نَخْشَىٰ مُحَارَبَةَ ٱللَّيَالِي وَلَا نَرْجُو مُسَالَمَةَ ٱلْأَعَادِي

---

(١) فكان (لـ).

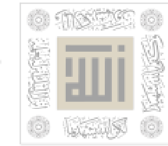
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك).

(٣) عني (ت) .

(٤) وقد عُمَّ : (س ، ي) عمر (ن) .

(٥) فلا نخشى (س) .





فَقُولاَ⁽¹⁾ لِلْمُعانِدِ وَهْوَ أَشْقىٰ بِمَا تَحْبُوهُ عَاقِبَةُ ٱلْعِنَادِ
رُوَيْدَكَ مِنْ عَدَاوَتِنَا سَتُرْدِي نَوَاجِذَ مَاضِغِ ٱلصُّمِّ ٱلصِّلاَدِ
وَلاَ تَحْمِلْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ سَيْفاً فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ يَقْطَعُ بِٱلنِّجادِ⁽²⁾
فَٱمْنَعْ مِنْكَ جَاراً قَدْ رَمَيْنَا كَرِيمَتَهُ بِداهِيَةٍ نَآدِ⁽³⁾
وَمَنْ يَحْمِي ٱلْوِهَادَ بِكُلِّ أَرْضٍ إِذَا مَا ٱلسَّيْلُ طَمَّ عَلَى ٱلنِّجَادِ⁽⁴⁾
هُوَ ٱلرَّامِيكَ عَنْ أَمَمٍ وَعُرْضٍ إِذَا مَا ٱلرَّأْيُ قَرْطَسَ فِي ٱلسَّدَادِ
وَمُطْلِعُهَا عَلَيْكَ مُسَوَّمَاتٍ تَضِيقُ بِهَمِّهَا سَعَةُ ٱلْبِلاَدِ
إِذَا مَا ٱلطَّعْنُ أَنْحَلَهَا⁽⁵⁾ ٱلْعَوَالِي فَدَى ٱلْأَعْجَازَ مِنْهَا بِٱلْهَوَادِي
فَدَآؤُكَ كُلُّ مَكْبُوتٍ مَغِيظٍ⁽⁶⁾ يُخَافِيكَ ٱلْعَدَاوَةَ أَوْ يُبَادِي
فَإِنَّكَ مَا بَقِيتَ لَنَا سَلِيماً فَمَا نَنْفَكُّ⁽⁷⁾ فِي⁽⁸⁾ عِيدٍ مُعَادِ

---

(١) فقولوا (ك) .
(٢) النِّجاد : حمائل السيف .
(٣) النَّآد : الداهية وكثيراً مارد في السعر بدلاً أو نعتاً للداهية .
(٤) النِّجاد : جمع نَجْد وهو ما أشرف من الأرص وارتفع .
(٥) أنحل : أعطى .
(٦) نغيط (ك) .
(٧) في أكثر النسخ (مما تنفك) وفى بعضها (مما ينفك) ولعل ما أبيناه هو الصواب .
(٨) من (ك) .

أَبُوكَ تَدَارَكَ ٱلْإِسْلَامَ لَمَّا وَهَىٰ أَوْ كَادَ يُؤْذِنُ بِٱنْهِدَادِ
سَخَا بِٱلنَّفْسِ شُحًّا بِٱلْمَعَالِي وَجَاهَدَ بِٱلطَّرِيفِ وَبِٱلتِّلَادِ
كَيَوْمِكَ إِذْ دَمُ ٱلْأَعْلَاجِ بَحْرٌ يُرِيكَ ٱلْبَحْرَ فِي حُلَلٍ وِرَادِ(١)
عَزَائِمُكَ ٱلْعَوَائِدُ سِرْنَ فِيهِمْ بِمَا سَنَّتْ(٢) عَزَائِمُهُ ٱلْبَوَادِي
وَهٰذَا ٱلْمَجْدُ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَسَاعِي وَهٰذَا ٱلْغَيْثُ مِنْ تِلْكَ ٱلْغَوَادِي
وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَعْدِلَةٍ سَبَقْتُمْ إِلَىٰ أَمَدِ ٱلْعُلَىٰ سَبْقَ ٱلْجِيَادِ(٣)
رَعَىٰ مِنْكَ ٱلرَّعِيَّةَ خَيْرُ رَاعٍ كَرِيمٍ(٤) ٱلذَّبِّ عَنْهُمْ وَٱلذِّيَادِ
تَقَيْتَ ٱللّٰهَ حَقَّ تُقَاهُ فِيهِمْ وَتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ مِنْ خَيْرِ ٱلْعَتَادِ
كَأَنَّكَ لَا تَرَىٰ فِعْلاً شَرِيفاً سِوَىٰ مَا كَانَ ذُخْراً لِلْمَعَادِ(٥)
مَكَارِمُ بَعْضُهَا فِيهِ(٦) دَلِيلٌ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ ٱلْوِلَادِ(٧)

---

(١) وِرَاد : جمع وَرْد وهو الأحمر .

(٢) بما شنّ (ت) .

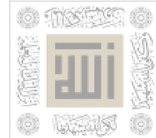
(٣) الجواد (لـ) .

(٤) كثير (لـ) .

(٥) في المعاد (ظ) .

(٦) فيهم (ب)

(٧) الوِلاد : الولادة .

هَجَرْتَ لَها ٱلْكَرَى شَغَفاً(١) وَوَجْداً   وَكُلُّ أَخِي هَوىً قَلِقُ ٱلْوِسَادِ

غَنِيتُ بِسَيْبِكَ ٱلْمَرْجُوِّ عَنْهُ   كَمَا يَغْنَى ٱلْخَصِيبُ عَنِ ٱلْعِهَادِ(٢)

وَرَوَّانِي سَمَاحُكَ مَا بَدَالِي   فَمَا أَرْتَاحُ لِلْعَذْبِ ٱلْبُرَادِ(٣)

إِذَا نَفَقَ ٱلثَّنَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ   فَلَسْتُ بِخَائِفٍ فِيهَا كَسَادِي

فَلاَ(٤) تَزَلِ ٱللَّيَالِي ضَامِنَاتٍ   بَقَاءَكَ مَا حَدَا ٱلأَظْعَانَ حَادِ

ثَنَائِي لاَ يُكَدِّرُهُ عِتَابِي   وَقَوْلِي لاَ يُخَالِفُهُ ٱعْتِقَادِي

---

(١) شَعَفاً : (س ، ك ، م ، ع)، والشَّعَفُ بمعنى الشغف .

(٢) العِهاد : جمع عَهْدَة وهي أول مطر الوسمي .

(٣) البُراد : البارد .

(٤) فلم تزل (س) .



٧

وقال يرثي جمال الدولة مملوك جلال الملك[1] ويعزيه به ، وقد وقع عن فرسه في الميدان فمات في وقته .

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَوْئِلُ[2] ... وَلَمْ يُغْنِ عَنْكَ ٱلْحُزْنُ فَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ
وَأَهْوَنُ مَا لاَقَيْتَ مَا عَزَّ دَفْعُهُ ... وَقَدْ يَصْعُبُ ٱلْأَمْرُ ٱلْأَشَدُّ فَيَسْهُلُ
وَمَا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ[3] ... فَيَحْزَنَ فِيهَا ٱلْقَاطِنُ ٱلْمُتَرَحِّلُ[4]
هِيَ ٱلدَّارُ إِلاَّ أَنَّهَا كَمَفَازَةٍ ... أَنَاخَ بِهَا رَكْبٌ وَرَكْبٌ تَحَمَّلُوا
مُنِينَا بِهَا خَرْقَاءَ لاَ ٱلْعَذْلُ تَرْعَوِي ... إِلَيْهِ وَلاَ مَحْضَ ٱلنَّصِيحَةِ تَقْبَلُ
لَنَا[5] وَلَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عَجَائِبٌ ... يَحَارُ لَهَا لُبُّ ٱللَّبِيبِ وَيَذْهَلُ
يَطُولُ[6] مَدَى ٱلْأَفْكَارِ فِي كُنْهِ أَمْرِهَا ... فَيَنْكُصُ عَنْ غَايَاتِهِ[7] ٱلْمُتَوَغِّلُ[8]

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٤) .
(٢) المَوْئل : الملجأ .
(٣) مُقَامَةٍ (ن) .
(٤) المترحل (ك) . المتوكل (ت) .
(٥) لها ولنا . . . . (ظ ، ي ، ن) .
(٦) وطول مدي الأيام في كنه أمرها . (س) .
(٧) عاياتها (ك) .
(٨) المتأمل (ن) .

وَإِنَّا لَمِنْ مَرِّ ٱلْجَدِيدَيْنِ في وَغىً ... إِذَا فَرَّ مِنْهَا جَحْفَلٌ كَرَّ جَحْفَلُ
تُجَرِّدُ نَصْلاً وَٱلْخَلاَئِقُ مَفْصِلٌ ... وَتُنْبِضُ(١) سَهْماً وَٱلْبَرِيَّةُ(٢) مَقْتَلُ
فَلاَ نَحْنُ يَوْماً نَسْتَطِيعُ دِفَاعَهَا ... وَلاَ خَطْبُهَا عَنَّا يَعِفُّ(٣) فَيُجْمِلُ(٤)
وَلاَ(٥) خَلْفَنَا مِنْهَا مَفَرٌّ(٦) لِهَارِبٍ ... فَكَيْفَ لِمَنْ(٧) رَامَ ٱلنَّجَاةَ ٱلتَّحَيُّلُ
وَلاَ نَاصِرٌ إِلاَّ(٨) ٱلتَّمَلْمُلُ وَٱلْأَسَىٰ ... وَمَاذَا ٱلَّذِي يُجْدِي ٱلْأَسَىٰ وَٱلتَّمَلْمُلُ
نَبِيتُ عَلَى وَعْدٍ مِنَ ٱلْمَوْتِ صَادِقٍ ... فَمِنْ حَائِنٍ يُقْضَىٰ(٩) وَآخَرَ يُمْطَلُ
وَكُلٌّ(١٠) وَإِنْ طَالَ ٱلثَّوَاءُ مَصِيرُهُ ... إِلَىٰ مَوْرِدٍ مَا عَنْهُ لِلْخَلْقِ مَعْدِلُ

---

(١) كذا في جميع النسخ ونراه محرفاً عن (وتُنْبِلُ) يقال أنبلته سهماً : أعطيته (لسان العرب) . ولا يقال أنبض السهمَ بل أنبض القوس : إذا حذب وترها لتصوت .
(٢) والخلائق (ن) .
(٣) يكف (ك) يغب (ن) .
(٤) فتجمل (ك) فيحمل (ي ، ت) .
(٥) لم يرد هذا البدء فى (ك) .
(٦) مَقَرٌّ (ظ) .
(٧) بمن (ظ ، ي ، س ، م ، ع ، ن) .
(٨) غير التململ (ن) .
(٩) يمضي (ك).
(١٠) هذا البيت مع خمسة وعشرين بيتاً بعده ساقطة من (ن) .

فَوَا عَجَبا (١) مِنْ حَازِمٍ مُتَيَقِّنٍ ... بِأَنْ سَوْفَ يَرْدَى كَيْفَ يَلْهُو وَيَغْفَلُ
أَلاَ (٢) لاَ يَثِقْ بِالدَّهْرِ مَا عَاشَ ذُو حِجىً ... فَمَا وَاثِقٌ بِالدَّهْرِ إِلاَّ سَيَخْجَلُ
نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ الرَّدَى فِي مَعَاشِرِي ... وَمَنْ ذَا عَلَى حُكْمِ الرَّدَى لَيْسَ يَنْزِلُ
تَبَدَّلْتُ بِالْمَاضِينَ مِنْهُمْ (٣) تَعِلَّةً ... وَأَيْنَ مِنَ الْمَاضِينَ مَنْ أَتَبَدَّلُ
إِذَا مَاءُ عَيْنِي بَانَ كَانَ مُعَوِّلِي ... عَلَى الدَّمْعِ إِنَّ الدَّمْعَ بِئْسَ الْمُعَوَّلُ
كَفَى حَزَنا أَنْ يُوقِنَ الْحَيُّ أَنَّهُ ... بِسَيْفِ الرَّدَى لاَ بُدَّ أَنْ سَوْفَ يُقْتَلُ
لِيَبْكِ جَمَالَ الدَّوْلَةِ الْبَأْسُ وَالنَّدَى ... إِذَا قَلَّ مَنَّاعٌ وَأَعْوَزَ مُفْضِلُ
فَتىً كَانَ لا يُعْطِي السَّوَاءَ قَسِيمَهُ ... إِبَاءً إِذَا مَا جَاشَ لِلْحَرْبِ مِرْجَلُ
وَلاَ (٤) يَعْرِفُ الإِظْمَاءَ فِي الْمَحْلِ (٥) جَارُهُ ... سَمَاحًا وَلَوْ (٦) أَنَّ الْمَجَرَّةَ مَنْهَلُ
فَمَنْ مُبْلِغُ الْعَلْيَاءِ أَنِّيَ بَعْدَهُ ... ظَمِئْتُ وَأَخْلاَفُ السَّحَائِبِ حُفَّلُ
فَوَا أَسَفَا مَنْ لِلطَّرِيدِ يُجِيرُهُ ... إِذَا نَاشَهُ نَابٌ مِنَ الْخَوْفِ أَعْصَلُ

---

(١) فيا عجباً (ك) .
(٢) ألا لا يثق ما عاش بالدهر دو حجى (ت) :
ألا لا يثق بالدهر من كان دا حجى (م ، ع) .
(٣) عنهم (ت) .
(٤) ولا يتشكى الظمء ... (ك) .
(٥) في الحرب جاره (ت) .
(٦) فلو أن ... (ك) .

وَوَا أَسَفَا مَنْ لِلْفَقِيرِ يَمِيرُهُ إِذَا شَفَّهُ دَاءٌ مِنَ ٱلْفَقْرِ مُعْضِلُ
تَهَدَّمَ ذَاكَ ٱلْبَاذِخُ (١) ٱلشَّامِخُ ٱلذُّرٰى وَأَقْلَعَ ذَاكَ ٱلْعَارِضُ ٱلْمُتَهَلِّلُ
فَيَا مَانِعَ ٱللاَّجِينَ هَا أَنَا مُسْلَمٌ وَيَا مُمْطِرَ (٢) ٱلرَّاجِينَ هَا أَنَا مُمْحِلُ
أَحِينَ ٱحْتَبىٰ فِيكَ ٱلْكَمَالُ وَخُوِّلَتْ يَدَاكَ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ مَا لاَ يُخَوَّلُ
وَشَايَعَكَ ٱلعَزْمُ (٣) ٱلْفَتِيُّ وَنَاضَلَ ٱلنَّـــوَائِبَ عَنْكَ ٱلسُّؤْدَدُ ٱلْمُتَكَهِّلُ
وَلَمْ تُبْقِ حَظًّا مِنْ عُلاً تَسْتَزِيدُهُ وَلاَ حُلَّةً مِنْ مَفْخَرٍ تَتَسَرْبَلُ
رَمَاكَ فَأَصْمَاكَ ٱلزَّمَانُ بِكَيْدِهِ كَذَا تَنْقُصُ ٱلأَقْمَارُ أَيَّانَ (٤) تَكْمُلُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَفُوتَ (٥) بِكَ ٱلرَّدٰى وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
وَلَمَّا يَقُمْ مِنْ دُونِ ثَأْرِكَ مَعْشَرٌ إِذَا عَزَمُوا فِي ٱلنَّائِبَاتِ تَوَكَّلُوا
مَنَاجِيدُ (٦) وَثَّابُونَ فِي كُلِّ صَهْوَةٍ (٧) مِنَ ٱلْعِزِّ قَوَّالُونَ لِلْمَجْدِ فُعَّلُ
أَتَذْهَبُ لَمْ يُشْرَعْ أَمَامَكَ ذَابِلٌ (٨) لِمَنْعٍ وَلَمْ يُشْهَرْ وَرَاءَكَ مُنْصُلُ (٨)

---

(١) ... الشامخ الباذخ الذرى (س ، م ، ع ، ت) .
(٢) ويا مطر الراجين (ت) .
(٣) العز (س) .
(٤) ابَّان (ع) أيام (س) .
(٥) أن يفوز (ك ، ت) .
(٦) مناجد (م ، ع) .
(٧) الصهوه : مقعد الفارس من الفرس .
(٨) الذابل : صفة للرمح . والمنصل السيف .



فَهَلاَّ بِحَيْثُ ٱلْمَشْرَفِيَّةُ (١) رُكَّعٌ ... تُكَبِّرُ في هامِ ٱلعِدَى وَتُهَلِّلُ

وَأَلاَّ (٢) بِحَيْثُ ٱلسَّمْهَرِيَّةُ (٣) شُرَّعٌ ... تُعَلُّ مِنَ ٱلأَكْبادِ رِيّاً وَتُنْهَلُ

كَدَأْبِكَ أَيَّامَ ٱلحَوَادِثُ نُوَّمٌ ... وَجَدُّكَ يَقْظَانٌ وَحَدُّكَ مِقْصَلُ (٤)

فَهَلْ عالِمٌ جَيْهانُ (٥) أَنَّكَ بَعْدَهُ ... رَمَى بِكَ مَرْمَاهُ ٱلحِمَامُ ٱلمُعَجَّلُ

سَلَكْتَ وَإِيَّاهُ سَبِيلاً غَدَا بِهِ ... زَمَانُكُما في قِسْمَةِ ٱلجَوْرِ يَعْدِلُ

سَقَاكَ وَإِنْ لَمْ يُرْضِنِي فِيكَ (٦) وَابِلٌ ... وَلَوْ حَلَّ لي قُلْتُ ٱلرَّحِيقُ ٱلمُسَلْسَلُ

مِنَ ٱلمُزْنِ مَشْمُولٌ يَرِفُّ (٧) كَأَنَّهُ ... بِجُودِ جَلالِ ٱلمُلْكِ يَهْمِي وَيَهْطِلُ (٨)

وَمَهْمَا هَفَتْ يَوْماً مِنَ ٱلجَوِّ (٩) نَفْحَةٌ ... فَهَبَّ بِحِضْنَيْكَ ٱلنَّسِيمُ ٱلمُمَنْدَلُ (١٠)

---

(١) المشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) ولا في (ت) .

(٣) السمهرية : الرماح .

(٤) مقصل : قطاع .

(٥) ورد بعد هذا البيت في (ك) ما يأتي : (حيهان ولده قنطر به الفرس قبله فأهلكه ، وقنطر به فرسه من بعده) . وورد في (ي) ما يلي : (يعني ولده وكان تقطر به فرسه فقتله ، وتقطر به بعده فماتا جميعاً في أيام يسيرة) .

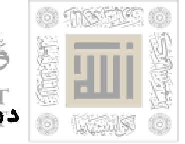
(٦) عنك (ت) .

(٧) يرق (ك ، ي ، ت) .

(٨) ويهمل (ظ ، ن) .

(٩) الجود (ت) المجد (ك) .

(١٠) الممندل : اشتقه الشاعر من المَنْدَل ، والمندل أجود العود . وهو غير موجود بهذا المعنى في ما رجعت إليه من دواوين اللغة .



وَلاَ (١) عَدِمَ الْمَوْلَى مِنَ الأَجْرِ خَيْرَهُ ... وَبُلِّغَ فِي أَعْدَائِهِ مَا يُؤَمِّلُ

فِدًى لَكَ مَنْ تَحْتَ السَّماءِ وَلاَ تَزَلْ ... وَمَجْدُكَ مَرْفُوعُ الْبِنَاءِ (٢) مُؤَثَّلُ

إِذَا جَلَّ (٣) خَطْبٌ غَالَ (٤) هَمَّكَ عِنْدَهُ ... نُهًى (٥) تَسَعُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ وَتَفْضُلُ

وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ (٦) النَّائِبَاتِ بِوَطْأَةٍ ... تَخِفُّ عَلَى ظَهْرِ الزَّمَانِ وَتَثْقُلُ

وَأَيُّ مُلِمٍّ يَزْدَهِيكَ (٧) وَإِنَّمَا ... بِحِلْمِكَ فِي أَمْثَالِهِ يُتَمَثَّلُ

غَنِيتَ (٨) بِمَا تَقْضِي بِهِ عِنْدَكَ النُّهَى ... وَفَضْلُكَ عَنْ تَعْرِيفِ مَا لَسْتَ (٩) تَجْهَلُ

وَمَاذَا (١٠) يَقُولُ الْقَائِلُونَ لِمَاجِدٍ ... أَصِيلِ الْحِجَى (١١) فِي لَفْظَةٍ (١٢) مِنْهُ فَيْصَلُ (١٣)

---

(١) فلا عدم ... (ك) .
(٢) الثناء (ك) .
(٣) إذا حلّ ... (ت) .
(٤) غال عندك همه (ك) .
(٥) تقى ... (ك) .
(٦) وجه النائبات (م ، ع) .
(٧) يزدهيك : يستخفك .
(٨) رضيت (ك) .
(٩) ما ليس يجهل (ك) .
(١٠) مكان هذا البيت في (ك) قبل بيتين .
(١١) أصيل العلى ... (ك) .
(١٢) في لفظه (ك ، م ، ع ، ت) .
(١٣) الفيصل : القضاء بين الحق والباطل .

٨

وقال (١) يرثي أخت حلال الملك (٢) :

أَحَتّىٰ إِلىٰ ٱلْعَلْياءِ يا خَطْبُ تَطْمَحُ ... وَحَتّىٰ فُؤَادَ ٱلْمَجْدِ ياحُزْنُ تَجْرَحُ
أَكُلُّ بَقاءٍ لِلفَنَاءِ مُؤَهَّلٌ ... وَكُلُّ حَياةٍ لِلْحِمامِ تُرَشَّحُ
سَلَبْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ لِباقٍ بَقِيَّةً ... فَيا دَهْرُ هَلَّا بِالْأَفاضِلِ تَسْمَحُ
تَجافَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيْحَكَ إِنَّهُ ... لِما يُجْتَوىٰ (٣) مِنْ فاسِدٍ فِيكَ مُصْلِحُ
إِذا كُنْتَ عَنْ ذِي ٱلْفَضْلِ لَسْتَ بِصافِحٍ ... فَواحَسْرَتا عَمَّنْ تَكُفُّ وَتَصْفَحُ
خَلِيلَيَّ قَدْ كانَ ٱلَّذِي (٤) كانَ يُتَّقىٰ ... فَما عُذْرُ عَيْنٍ لا تَجُودُ وَتَسْفَحُ
قِفا فَٱقْضِيا حَقَّ ٱلْمَعالِي وَقَلَّما (٥) ... يَقُومُ بِهِ دَمْعٌ يَجُمُّ وَيَطْفَحُ
فَمَنْ كانَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ يَسْتَقْبِحُ (٦) ٱلْبُكا ... فَقَدْ حَسُنَ ٱلْيَوْمَ ٱلَّذِي كانَ يَقْبُحُ
فَلا رُزْءَ مِنْ هٰذا أَعَمُّ مُصِيبَةً ... وَلا خَطْبَ مِنْ هٰذا أَمَرُّ وَأَفْدَحُ

---

(١) وقال يعزيه بأخته ويرثيها ولم يعرض بذكرها (ك) .
(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٢) .
(٣) يحتوى (ت) .
(٤) .... الذي كنتُ أتقي (مختارات البارودي ج ٣ ص ٤٢٦) .
(٥) فقلّما (م ، ت) .
(٦) مستقبح البكا (ع) .

مُصابٌ لَوَأَنَّ ٱللَّيْلَ يُمْنَى بِبَعْضِ مَا … تَحَمَّلَ مِنْهُ ٱلْمَجْدُ ما كانَ يُصْبِحُ
وَحُزْنٌ تَساوىٰ ٱلنَّاسُ فِيهِ وَإِنَّما … يَعُمُّ مِنَ ٱلْأَحْزانِ ما هُوَ أَبْرَحُ
تَرىٰ ٱلسَّيْفَ لا يَهْتَزُّ فِيهِ كَآبَةً … وَلا زاعِبِيَّاتِ(١) ٱلْقَنا تَتَرَنَّحُ
فَيا لَلْمَعالِي وَٱلْعَوالِي لِهالِكٍ … لَهُ ٱلْمَجْدُ باكٍ وَٱلْمَكارِمُ نُوَّحُ
مَضىٰ مُذْ قَضىٰ تِلْكَ ٱلْعَشِيَّةَ نَحْبَهُ … وَمَا كُلُّ مَغْبُوقٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ يُصْبَحُ
لَغاضَ لَهُ ماءُ ٱلنَّدىٰ وَهْوَ سائِحٌ … وضاقَ بِهِ صَدْرُ ٱلْعُلىٰ وَهْوَ أَفْيَحُ
ظَلِلْنا نُجِيلُ ٱلْفِكْرَ هَلْ تَمْنَعُ(٢) ٱلرَّدىٰ … كَتائِبُهُ وَٱلْيَوْمُ أَرْبَدُ أَكْلَحُ
فَما مَنَعَتْ بُتْرٌ مِنَ ٱلْبِيضِ قُطَّعٌ … وَلا نَفَعَتْ جُرْدٌ مِنَ ٱلْخَيْلِ قُرَّحُ
وَلا ذادَ مَشْهُورٌ مِنَ ٱلْفَضْلِ باهِرٌ … وَلا كَفَّ مَعْرُوفٌ مِنَ ٱلْخَيْرِ أَسْجَحُ(٣)
وَهَيْهاتَ ما يَثْنِي ٱلْحِمامَ إِذا أَتىٰ … جِدارٌ مُعَلّىً أَوْ رِتاجٌ(٤) مُصَفَّحُ
وَلا مُشْرَعاتٌ بِٱلْأَسِنَّةِ تَلْتَظِي … وَلا عادِياتٌ فِي ٱلْأَعِنَّةِ تَضْبَحُ(٥)

(١) الرماح الزاعبية : تنسب إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الأسنة .

(٢) يمنع (س ، ك) .

(٣) أسمح (م ، ع ، ت) .

(٤) الرتاج : الباب العظيم .

(٥) العاديات : الجاريات والمراد بها الخيل . وتضبح : تصهل . وهو مقتبس من الآية الكريمة (والعاديات ضَبْحاً) .

وَلا سُؤْدَدٌ جَمٌّ بِهِ ٱلْخَطْبُ يُزْدَهى ... وَلا نائِلٌ غَمْرٌ بِهِ ٱلْقَطْرُ يُفْضَحُ
فَيالَلَّيالِي كَيْفَ أَنْجُو مِنَ الرَّدى ... وَخَلْفِي وَقُدَّامِي لَهُ أَيْنَ أَسْرَحُ (١)
أَأَرْجُو ٱنْتِصاراً بَعْدَ ما خُذِلَ النَّدى ... وَآمُلُ عِزّاً وَٱلْكِرامُ تُطَحْطَحُ (٢)
أَرى ٱلإِلْفَ ما بَيْنَ النُّفُوسِ جَنىً لَها ... جَوانِحَ تُذْكَى أَوْ مَدامِعَ تَقْرَحُ
فَياوَيْحَ إِخْوانِ الصَّفاءِ مِنَ ٱلأَسى ... إِذا ما ٱسْتَرَدَّ الدَّهْرُ ما كانَ يَمْنَحُ
وَمَنْ عاشَ يَوْماً ساءَهُ ما يَسُرُّهُ ... وَأَحْزَنَهُ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذي كانَ يُفْرِحُ
عَزاءً جَلالَ ٱلْمُلْكِ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ ... بِفَضْلِ النُّهى فِي (٣) مَقْفَلِ ٱلْخَطْبِ تَفْتَحُ
فَذا الدَّهْرُ مَطْوِيٌّ عَلَى ٱلْبُخْلِ بَذْلُهُ ... يَعُودُ بِمُرِّ ٱلْمَذْقِ حِينَ يُصَرِّحُ
يُساوِي لَدَيْهِ ٱلْفَضْلَ بِٱلنَّقْصِ جَهْلُهُ ... وَسِيّانِ لِلْمَكْفُوفِ مُمْسىً وَمُصْبَحُ
وَمِثْلُكَ لا يُعْطِي الدُّمُوعَ قِيادَهُ ... وَلَوْ أَنَّ إِدْمانَ ٱلْبُكا لَكَ أَرْوَحُ
وَلَوْ كانَ يُبْكى كُلُّ مَيْتٍ بِقَدْرِهِ (٤) ... إِذاً عَلِمَتْ جَمّاتُها (٥) كَيْفَ تُنْزَحُ

---

(١) أبرح (ك) .
(٢) طَحْطَحَ الدهر القوم : بددهم وأهلكهم .
(٣) عن (ك) .
(٤) لقدره (ك) .
(٥) جَمّات : جمع جَمَّة وهي البئر الكثيرة الماء ، ومجتمع ماء البئر . والضمير راجع للدموع .

لَسالَتْ نُفُوسٌ لا دُمُوعٌ مُرِشَّةٌ   وَعَمَّ حِمامٌ لا سَقامٌ مُبَرِّحُ
وَما كُنْتَ إِذْ تَلْقَى ٱلْخُطُوبَ بِضارِعٍ   لَهَا أَبَداً أَنَّى وَحِلْمُكَ أَرْجَحُ
وَكَمْ عَصَفَتْ فِي جانِبَيْكَ فَلَمْ تَبِتْ   لَهَا قَلِقاً وَٱلطَّوْدُ لا يَتَزَحْزَحُ
وَأَيُّ مُلِمٍّ فِي عَلائِكَ يَرْتَقِي   وَأَيُّ ٱلرَّزايا فِي صَفاتِكَ يَقْدَحُ

* * *

٩

وقال يمدحه وكتب بها إليه من دمشق (بعد خروجه من طرابلس[١]) :

لَئِنْ عَدانِي زَمانٌ[٢] عَنْ لِقائِكُمُ   لَمَا[٣] عَدانِيَ عَنْ تَذْكارِ ما سَلَفَا
وَإِنْ تَعَوَّضَ قَوْمٌ مِنْ[٤] أَحِبَّتِهِمْ   فَما تَعَوَّضْتُ إِلاَّ ٱلْوَجْدَ وَٱلْأَسَفَا
وَكَيْفَ يَصْرِفُ قَلْباً عَنْ وِدادِكُمُ   مَنْ لا يَرَى مِنْكُمُ بُدّاً إِذا ٱنْصَرَفا
ما حَقُّ شَوْقِيَ أَنْ يُثْنَى بِلائِمَةٍ   وَلا لِدَمْعِيَ أَنْ يُنْهَى إِذا ذَرَفا

(١) الزيادة ما بين القوسين من (ك) .
(٢) زماني (ي ، ت) .
(٣) لما عداني ... (ن) .
(٤) عن (ن) ، عن محبتهم (ك) .

ما وَجْدُ مَنْ فارَقَ الْقَوْمَ الأُلى ظَعَنُوا   كَوَجْدِ مَنْ فارَقَ الْعَلْياءَ وَالشَّرَفا
لَأُغْرِيَنَّ بِذَمِّ الْبَيْنِ بَعْدَكُمُ   وَكَيْفَ تَحْمَدُ نَفْسُ التَّالِفِ التَّلَفا
أَمُرُّ بِالرَّوْضِ فِيهِ مِنْكُمُ شَبَهٌ   فَأَغْتَدِي بارِئاً وَأَنْثَنِي دَنِفا
وَيَخْطِرُ الْغَيْثُ مُنْهَلاًّ فَيَشْغَفُنِي (١)   أَنِّي أَرى فِيهِ مِنْ أَخْلاقِكُمْ طَرَفا
أَعْدَيْتُمُ يا بَنِي عَمَّارَ كُلَّ يَدٍ   بِالْجُودِ حَتّى كَأَنَّ الْبُخْلَ ما عُرِفا
ما كانَ يُعْرَفُ كَيْفَ الْعَدْلُ قَبْلَكُمُ   حَتّى مَلَكْتُمْ فَسِرْتُمْ سِيرَةَ الْخُلَفا
ما أَحْدَثَ الدَّهْرُ عِنْدِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ   إِلاَّ وِداداً كَماءِ الْمُزْنِ إِذْ (٢) رُشِفا
وَشُرَّداً مِنْ ثَناءٍ لا يُغِبُّكُمُ   مُضَمَّناً (٣) مُلَحَ الأَشْعارِ وَالطُّرَفا
كَالْوَرْدِ نَشْراً وَلٰكِنْ مِنْ سَجِيَّتِهِ   أَنْ لَيْسَ يَبْرَحُ غَضّاً كُلَّما قُطِفا
مَحامِدٌ لَيْسَ يُبْلِي الدَّهْرُ جِدَّتَها   وَكَيْفَ تَبْلى وَقَدْ أَوْدَعْتُها الصُّحُفا
غُرٌّ إِذا أُنْشِدَتْ كادَتْ (٤) حَلاوَتُها   تُرْبِي (٥) الْقَصائِدَ مِنْ أَبْكارِها نُتَفا

---

(١) فيسفي (ظ ، س)، فسعفي (لـ) .
(٢) إن رشفا (لـ ، ت ، ن) .
(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (مضمنٍ) بالجر لأنها صفة لـ (ثناء) .
(٤) كانت (ت) .
(٥) ترى القصائد (ك ، ت)، ترمي القصائد (ى ، ن) .

يَغْنَىٰ بِهَا ٱلْمَجْدُ عَنْ عَدْلٍ عَلَيَّ وَمَنْ ... يَبْغِي ٱلشُّهُودَ عَلَىٰ مَنْ جاءَ مُعْتَرِفَا
ما أَنْتُمُ بِٱلنَّدىٰ إِذْ كَانَ دِينَكُمُ ... أَشَدُّ مِنِّي — عَلَىٰ بُعْدِي(١) — بِكُمْ شَغَفَا
مَنْ رَاكِبٌ وَاصِفٌ شَوْقِي إِلَىٰ مَلِكٍ ... لا يَخْجَلُ ٱلرَّوْضُ إِلَّا كُلَّمَا وُصِفَا
يُثْنِي بِحَمْدِ جَلالِ ٱلْمُلْكِ عَنْ نِعَمٍ ... عِنْدِي بِمَا رَقَّ مِنْ شُكْرِي(٢) لَهُ وَصَفَا
قُلْ لِلْهُمَامِ رَعَىٰ ٱلْآمَالَ بَعْدَكُمُ ... قَوْمٌ فَرُحْتُ أَسُوقُ ٱلْعُرَّ(٣) وَٱلْعُجُفَا
إِنْ كَانَ يَخْشُنُ لِلْأَعْدَاءِ جَانِبُهُ ... فَقَدْ يَلِينُ لِرَاجِي سَيْبِهِ كَنَفَا
حَاشَا لِمَنْ حَكَّمَتْ(٤) نُعْمَاكَ هِمَّتَهُ ... أَلَّا يَبِيتَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُنْتَصِفَا
كَمْ عَزْمَةٍ لَكَ فِي ٱلْعَلْيَاءِ سَابِقَةٍ(٥) ... إِذَا جَرَىٰ ٱلدَّهْرُ فِي مَيْدَانِهَا وَقَفَا
وَبَلْدَةٍ(٦) قَدْ حَمَاهَا مِنْكَ رَبُّ وَغًى ... لا تَسْتَقِيلُ(٧) ٱلرَّدَىٰ مِنْهُ(٨) إِذَا دَلَفَا
إِنْ أَقْلَقَ ٱلْخَطْبُ كَانَتْ مَعْقِلاً حَرَمًا ... أَوْ طَبَّقَ ٱلْمَحْلُ كَانَتْ رَوْضَةً أُنُفَا

---

(١) على وجدي (ك) .
(٢) شعري (ت) ، فكري (ك ، ظ ، ي ، ن) .
(٣) العُرُّ : جمع أعر وهو الأجرب. والعُجُف : جمع أعجف وهو الضعيف.
(٤) كفلت (ت) .
(٥) موبقة ؟ (لـ) .
(٦) سقط هذا البيت من (ك) .
(٧) لا يستقيل (س ، ي ، م ، ع) .
(٨) منها (م ، ت) .



نَّ ٱلنَّعِيمَ لِباسٌ خَوَّلَتْهُ(١) بِكُمْ ... فَدامَ مِنْكُمْ عَلَى أَيَّامِها وَضَفا
نْ كُنْتَ غادَرْتَ فِي(٢) دُنْياكَ مِنْ شَرَفٍ ... فَزادَكَ ٱللّٰهُ مِنْ إِحْسانِهِ شَرَفا

١٠

وقال(٣) أيضاً يغريه باليهودي المعروف بالمورد وكان فاسقاً :

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَلِيًّا ... وَقَاهُ ٱللّٰهُ صَرْفَ(٤) ٱلنَّائِباتِ
مَقالاً لَمْ يَكُنْ وَأَبِيكَ مَيْناً ... وَلَمْ أَسْلُكْ بِهِ طُرُقَ ٱلسُّعاةِ
أَصِخْ لِيَبُثَّكَ ٱلإِسْلامُ شَكْوىٰ ... تُلِينُ لَهُ(٥) ٱلْقُلُوبَ ٱلْقاسِياتِ
فَلَيْسَ(٦) لِنَصْرِهِ مَلِكٌ يُرَجَّىٰ ... سِواكَ ٱلْيَوْمَ يا مَجْدَ ٱلْقُضاةِ

(١) حولته لكم (ت) .
(٢) من دنياك (م) .
(٣) لم يرد هذه القصيدة كلها في (لـ) وورد عنوانها في (ظ) كما يلي :
(وقال يخاطبه في عرض له) .
(٤) شر النائبات (ي) .
(٥) في جميع النسخ (لها) إلا في (ن) وقد اخترناها .
(٦) لم يرد هذا البيت في (ظ) .

لَأَعْيــا ٱلْمُسْلِمِينَ يَهُودُ سُوءٍ فَمَا تَحْمِي ٱلْحُصُونُ ٱلْمُحْصَنَاتِ
وَلا لِلْمُورِدِ ٱلْمَلْعُونِ وِرْدٌ سِوى أَبْنــائِهِمْ بَعْدَ ٱلْبَنَاتِ
يَبِيتُ مُجاهِــداً بِٱلْفِسْقِ فِيهِمْ فَتَحْسَبُهُ يُطــالِبُ بِٱلتِّرَاتِ
بِأَيَّةِ حُجَّةٍ أَمْ أَيِّ حُكْمٍ أُحِلَّ لَهُ سِفــاحُ ٱلْمُسْلِماتِ
أَما أَحَدٌ يَغــارُ عَلَى حَرِيمٍ أَماتَتْ غِــيرَةُ ٱلْعَرَبِ ٱلنُّخاةِ
أَنامَتْ فِي ٱلْغُمُودِ سُيُوفُ طَيٍّ(١) أَمِ ٱنْقَطَعَتْ مُتُونُ ٱلْمُرْهَفاتِ
أَما لَوْ كَانَ لِلإِسْلامِ عَيْنٌ لَجــادَتْ بِٱلدُّمُوعِ ٱلْجارِياتِ
دَعاكَ ٱلدِّينُ دَعْوَةَ مُسْتَجِيرٍ بِعَدْلِكَ مِنْ(٢) أُمُورٍ فاضِحاتِ
لَعَلَّكَ غاسِلٌ لِلْعــارِ عَنْهُ بِسَيْفِكَ يا حَلِيفَ ٱلْمَكْرُماتِ
تَنَلْ أَجْراً وَذِكْراً سَوْفَ يَبْقَى عَلَيْكَ مَعَ(٣) ٱللَّيالِي ٱلْباقِياتِ
أَمِثْلُكَ(٤) مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ هٰذا بِخُبْثِ(٥) مِحالِهِ(٦) وَٱلتُّرَّهــاتِ

---

(١) طيء : من قبائل العرب القحطانية .
(٢) في الأمور الفاضحات (م ، ت) .
(٣) مع الأمور الباقيات (م ، ت) .
(٤) هذا البيت وثلاثة أبيات بعده لم ترد في (ظ) .
(٥) بمثل محاله (س) .
(٦) المحال : المكر والكيد . والتُّرَّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، واحدتها (تُرَّهَة) فارسي معرب ، ثم استعير للباطل .

وَمـــا قَلَّ ٱلْوَرىٰ حَتّىٰ تَراهُ مَكاناً لِلصَّنيعَةِ في ٱلسَّراةِ
فَقَدْ مَلَأَ ٱلْبِـــلادَ لَهُ حَديثٌ يُرَدِّدُ (١) بَيْنَ أَفْواهِ ٱلرُّواةِ
يَشُقُّ عَلَى ٱلْوَلِيِّ إِذا أَتـــاهُ وَيُشْمِتُ مَعْشَرَ ٱلْقَوْمِ ٱلْعُداةِ
فَخُذْ لِلّهِ مِنْهُ بِكُلِّ حَقٍّ وَلا تَضَعِ ٱلْحُدُودَ عَنِ ٱلزُّناةِ
بِقَتْلٍ أَوْ بِحَرْقٍ أَوْ بِرَجْمٍ يُكَفِّرُ مِنْ عَظيمِ ٱلسَّيِّئاتِ
وَلا تَغْفِرْ لَهُ ذَنْباً فَيَضْرىٰ فَبَعْضُ ٱلْعَفْوِ (٢) أَغْرىٰ لِلْجُناةِ
لِيَعْلَمَ مَنْ بِأَرْضِ ٱلنِّيلِ أَضْحىٰ وَمَنْ حَلَّ ٱلْفُراتَ إِلىٰ ٱلصَّراةِ (٣)
بِأَنَّكَ مِنْهُمُ لِلْعَدْلِ أَشْهىٰ (٤) وَأَرْغَبُ في ٱلتُّقىٰ وَٱلصّالِحاتِ
وَأَغْضَبُهُمْ لِدِينِ ٱللّهِ سَيْفاً وَأَقْتَلُ لِلْجَبـــابِرَةِ ٱلْعُتاةِ
إِذا أَمْرٌ أُضِيعَ (٥) مِنَ ٱلرَّعايا فَإِنَّ ٱللَّوْمَ فيهِ عَلَى ٱلرُّعاةِ

* * *

---

(١) يردد (ي) .
(٢) في جميع النسخ : الذنب ، إلا في (ن) وهي الصواب .
(٣) الصَّراة : نهر يصب في دجلة . ويريد بمن أضحى بأرض النيل : الفاطميين في مصر ، وبمن حلّ الفرات إلى الصَّراه : العباسيين في العراق .
(٤) أشفى (س) .
(٥) على (ن) .

١١

وقال يمدح جلال الملك أيضاً (بطرابلس ويهنيه بالعيد)[١] :

أَما وَالْهَوىٰ يَوْمَ اُسْتَقَلَّ فَرِيقُها لَقَدْ حَمَّلَتْنِي لَوْعَةً لا أُطِيقُها
تَعَجَّبُ مِنْ شَوْقِي وَما طالَ نَأْيُها وَغَيْرُ حَبِيبِ النَّفْسِ مَنْ لا يَشُوقُها
فَلا شَفَّها ما شَفَّنِي يَوْمَ أَعْرَضَتْ صُدُوداً وَزُمَّتْ لِلتَّرَحُّلِ نُوقُها
أَهَجْراً وَبَيْناً شَدَّ ما ضَمِنَ الْجَوىٰ[٢] لِقَلْبِيَ دانِي صَبْوَةٍ وَسَحِيقُها
وَكُنْتُ إِذا ما اُشْتَقْتُ عَوَّلْتُ فِي الْبُكا[٣] عَلَى لُجَّةٍ إِنْسانُ عَيْنِي غَرِيقُها
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذا الدَّمْعِ إِلاَّ نَشِيجُهُ[٤] وَمِنْ كَبِدِ الْمُشْتاقِ إِلاَّ خُفُوقُها[٥]
فَيالَيْتَنِي أَبْقىٰ لِيَ الْهَجْرُ عَبْرَةً فَأَقْضِي بِها حَقَّ النَّوىٰ[٦] وَأُرِيقُها
وَإِنِّي لَآبِي الْبِرَّ مِنْ وَصْلِ خُلَّةٍ وَيُعْجِبُنِي مِنْ حُبِّ[٧] أُخْرىٰ عُقُوقُها

---

(١) الزيادة ما بين القوسين من (ك) .
(٢) الهوى (ك ، م ، ع) .
(٣) بالبكا (ن) .
(٤) النشيج : أن يغص الباكي بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .
(٥) حريقها (ك) ، خفيقها (م) .
(٦) الهوى (ك) .
(٧) من وصل ... (ل) .

وَأُعْرِضُ عَنْ مَحْضِ ٱلْمَوَدَّةِ باذِلٍ ... وَقَدْ عَزَّنِي (١) مِمَّنْ أَوَدُّ مَذِيقُها

كَذٰلِكَ هَمِّي وَٱلنُّفُوسُ يَقُودُها ... هَواها إِلىٰ أَوْطارِها (٢) وَيَسُوقُها

فَلَوْ (٣) سَأَلَتْ ذاتُ ٱلْوِشاحَيْنِ شِيمَتِي ... لَخَبَّرَهـا عَنِّي ٱلْيَقِينَ صَدُوقُها

وَما نَكِرَتْ مِنْ حادِثاتٍ بَرَيْنَنِي (٤) ... وَقَدْ عَلِقَتْ قَبْلِي ٱلرِّجالَ عَلُوقُها (٥)

فَإِمَّا (٦) تَرَيْنِي يا ٱبْنَةَ ٱلْقَوْمِ (٧) ناحِلاً ... فَأَعْلىٰ أَنابِيبِ ٱلرِّماحِ (٨) دَقِيقُها

وَكُلُّ سُيُوفِ ٱلْهِنْدِ لِلْقَطْعِ آلَةٌ ... وَأَقْطَعُها يَوْمَ ٱلْجِلادِ رَقِيقُها

وَما خانَنِي مِنْ هِمَّةٍ تَأْمُلُ ٱلْعُلىٰ ... سِوىٰ أَنَّ أَسْبابَ ٱلْقَضاءِ تَعُوقُها

سَأَجْعَلُ هَمِّي فِي ٱلشَّدائِدِ هِمَّتِي ... فَكَمْ كُرْبَةٍ بِٱلْهَمِّ (٩) فُرِّجَ ضِيقُها

وَخَرْقٍ (١٠) كَأَنَّ ٱلْيَمَّ مَوْجُ سَرابِهِ ... تَرامَتْ (١١) بِنا أَجْوازُهُ وَخُرُوقُها

---

(١) غرني (ك) .
(٢) أوطانها (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ت ، ن) .
(٣) فان (ظ) .
(٤) تريني (ك ، ي ، ت) .
(٥) العَلوق : الداهية وما يعلق بالانسان .
(٦) مكان هذا البيت في (ظ) بعد الذي يليه هنا .
(٧) يا ابنة العم (ك) .
(٨) القناة (ظ) .
(٩) في الهم (ي) .
(١٠) الخرق : الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح، والجمع خروق. وترامت به البلاد : أي أخرجته . وجوز الشيء : وسطه ومعظمه ، والجمع أجواز .
(١١) ترامت به (ك) .

كَأَنَّا عَلَى سُفْنٍ مِنَ ٱلْعِيسِ فَوْقَهُ ... مَجادِيفُها(١) أَيْدِي ٱلْمَطِيِّ(٢) وَسُوقُها
نُرَجِّي ٱلْحَيا مِنْ راحَةِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ(٣) ... وَأَيُّ سَماءٍ لا تُشامُ بُرُوقُها
فَما نُوِّخَتْ(٤) حَتَّىٰ أَسَوْنا بِجُودِهِ ... جِراحَ ٱلْخُطُوبِ ٱلْمُنْهَراتِ(٥) فُتُوقُها
وَإِنَّ بُلُوغَ ٱلْوَفْدِ ساحَةَ مِثْلِهِ ... يَدٌ لِلْمَطايا لا تُؤَدَّى حُقُوقُها
عَلَوْنَ بِآفاقِ ٱلْبِلادِ يَحِدْنَ عَنْ ... مُلُوكِ بَنِي ٱلدُّنْيا إِلَىٰ مَنْ يَفُوقُها
إِلَىٰ مَلِكٍ لَوْ أَنَّ نُورَ جَبِينِهِ ... لَدَىٰ(٦) ٱلشَّمْسِ لَمْ يُعْدَمْ بِلَيْلٍ شُرُوقُها
هُمامٌ إِذا ما هَمَّ سَلَّ ٱعْتِزامَهُ ... كَما سُلَّ ماضِي ٱلشَّفْرَتَيْنِ ذَلِيقُها
يَطُولُ إِذا غالَ ٱلذَّوابِلَ قَصْرُها ... وَيَمْضِي إِذا أَعْيا ٱلسِّهامَ مُرُوقُها
نَهَىٰ سَيْفُهُ ٱلْأَعْداءَ حَتَّىٰ تَناذَرَتْ(٧) ... وَوُقِّرَ مِنْ بَعْدِ ٱلْجِماحِ نُزُوقُها
وَما(٨) يَتَحامَىٰ ٱللَّيْثُ لَوْلا صِيالُهُ ... وَلا تُتَوَقَّىٰ ٱلنَّارُ لَوْلا حَرِيقُها

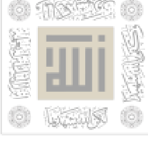
---

(١) مجاذيفها (ى ، م ، ع) .
(٢) المطايا (ظ) .
(٣) هو القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار .
(٤) لما أنوخت (س) ، لما برحت (ك) .
(٥) المبهرات (ك) .
(٦) على الشمس (ت) .
(٧) تبادرت (ك ، ت) ، تباعدت (ى) .
(٨) فلا يتحامى ... (ت) .

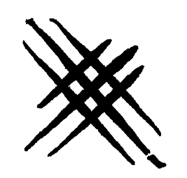
وَقى ٱللهُ فِيكَ ٱلدِّينَ(١) وَٱلْبَأْسَ(٢) وَٱلنَّدىٰ ... عُيُونَ ٱلْعِدىٰ ما جاوَرَ(٣) ٱلْعَيْنَ مُوقُها
عَزَفْتَ عَنِ ٱلدُّنْيا فَلَوْ أَنَّ مُلْكَها ... لِمُلْكِكَ بَعْضٌ ما أَطَّباكَ أَنيقُها
خُشُوعٌ وَإِيمانٌ وَعَدْلٌ وَرَأْفَةٌ(٤) ... فَقَدْ حُقَّ(٥) بِٱلنَّعْماءِ مِنْكَ حَقِيقُها
عَلَوْتَ فَلَمْ تَبْعُدْ عَلَى طالِبٍ نَدىً ... كَمُثْمِرَةٍ يَحْمِي جَناها بُسُوقُها(٦)
فَلا تَعْدَمِ ٱلْآمالُ(٧) رَبْعَكَ مَوْئِلاً ... بِهِ فُكَّ عانِيها وَعَزَّ طَلِيقُها
سَبَقْتَ إِلىٰ غاياتِ(٨) كُلِّ خَفِيَّةٍ(٩) ... وَما يُدْرِكُ ٱلْغاياتِ(١٠) إِلاَّ سَبُوقُها
وَلَمَّا أَغَرْتَ ٱلْباتِراتِ مُخَنْدَقاً ... تَوَجَّعَ ماضِيها وَسِيءَ ذَلُوقُها
وَيُغْنِيكَ عَنْ حَفْرِ ٱلْخَنادِقِ مِثْلُها ... مِنَ ٱلضَّرْبِ(١١) إِمَّا قامَ لِلْحَرْبِ سُوقُها
وَلٰكِنَّها فِي مَذْهَبِ ٱلْحَزْمِ سُنَّةٌ ... يَفُلُّ بِها كَيْدَ ٱلْعَدُوِّ صَدِيقُها

---

(١) الجود والبأس والندى (ت) .
(٢) والباس والندى (ك) .
(٣) ما حاقت العين موقها (ت) .
(٤) خسوعا وإيمانا وعدلاً ورأفة (ب) .
(٥) حف (ظ) .
(٦) سحيقها (ت) .
(٧) الأملاك (ت) .
(٨) إلى الغايات (ك) .
(٩) حقيقة (ت) .
(١٠) العلياء (ك) .
(١١) من اخترت لما ... (ك) .

لَنا كُلَّ يَوْمٍ مِنكَ عِيدٌ مُجَدَّدٌ صَبُوحُ ٱلتَّهانِي عِنْدَهُ وَغَبُوقُها
فَنَحْنُ بِهِ مِنْ فَيْضِ سَيْبِكَ فِي غِنىً وَفِي نَشَواتٍ لَمْ يُحَرَّمْ رَحِيقُها
وَقَفْتُ ٱلْقَوافِي فِي(١) ذَراكَ فَلَمْ يَكُنْ سِواكَ مِنَ ٱلْأَمْلاكِ مَلْكٌ يَرُوقُها
مُعَطَّلَةً إِلاَّ لَدَيْكَ حِياضُها وَمَهْجُورَةً إِلاَّ إِلَيْكَ طَرِيقُها
وَمالِيَ لا أُهْدِي ٱلثَّناءَ لِأَهْلِهِ وَلِي مَنْطِقٌ حُلْوُ ٱلْمَعانِي رَشِيقُها
وَإِنْ تَكُ أَصْنافُ ٱلْقَلائِدِ جَمَّةً فَما يَتَساوىٰ دُرُّها وَعَقِيقُها



(١) في ديارك لم يكن (ت) .

١٢

وقال في عمه أبي المناقب (١) :

يَدٌ (٢) لَكَ عِنْدِي لا تُؤَدَّى حُقُوقُها ... بِشُكْرٍ وَأَيُّ الشُّكْرِ مِنِّي (٣) يُطِيقُها
سَماحٌ وَبِشْرٌ كَالسَّحائِبِ ثَرَّةً ... تَوالَى حَياها وَاسْتَطارَتْ (٤) بُرُوقُها
وَكَمْ كُرْبَةٍ نادَيْتُ جُودَكَ عِنْدَها ... فَما رامَنِي حَتَّى تَفَرَّجَ ضِيقُها
وَمَكْرُمَةٍ وَالَيْتَها وَصَنِيعَةٍ ... زَكَتْ لَكَ عِنْدِي حِدْثُها وَعَتِيقُها
مَناقِبُ إِنْ تُنْسَبْ فَأَنْتَ لَها أَبٌ ... وَعَلْياءُ إِنْ عُدَّتْ فَأَنْتَ شَقِيقُها
وَوَلَّيْتَها نَفْساً لَدَيْكَ (٥) كَرِيمَةً ... تَبِيتُ أَغارِيدُ السَّماحِ (٦) تَشُوقُها

* * *

(١) ورد في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٦٠ : أن فخر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس ، استناب عمه أبا المناقب على طرابلس لما خرج إلى دمشق سنة ٥٠١ ، فأظهر عمه الخلاف له والعصيان عليه ، فلما علم فخر الملك بذلك أمر بالقبض عليه وحمل إلى حصن الخوابي .
(٢) لم ترد هذه المقطوعة في (ك) .
(٣) عندي (ن) .
(٤) واستطالت (ي ، م) .
(٥) عليك (ي) .
(٦) السماع (ظ) .

١٣

وقـال يرثي ثقة الملك ابن الطهماني (١) والي صيدا، ويعزي به القاضي جلال الملك أبا الحسن علي ابن عمّار بعد هربه من صيدا واستجارته به :

بِنَفْسِي عَلَى قُرْبِهِ ٱلنَّازِحُ وَإِنْ غالَنِي خَطْبُهُ ٱلْفادِحُ
تَصافَحَ تُرْبَتَهُ وَٱلنَّسِيمُ فَنَشْرُ ٱلصَّبا عَطِرٌ فائِحُ
كَأَنَّ ٱلْمُغَرِّدَ فِي مَسْمَعِي لِفَرْطِ ٱكْتِئابِي لَهُ نائِحُ
أَيا (٢) نازِلاً حَيْثُ يَبْلَى ٱلْجَدِيدُ وَيَذْوِي أَخُو ٱلْبَهْجَةِ ٱلْواضِحُ
ذَكَرْتُكَ ذِكْرَى ٱلْمُحِبِّ ٱلْحَبِيبَ هَيَّجَها (٣) ٱلطَّلَلُ ٱلْماصِحُ (٤)
فَما عَزَّنِي كَبِدٌ تَلْتَظِي وَلا خانَنِي مَدْمَعٌ سافِحُ
مُقِيمٌ بِحَيْثُ يَصَمُّ ٱلسَّمِيعُ وَيَعْمَى عَنِ ٱلنَّظَرِ ٱلطَّامِحُ

---

(١) ورد في الكامل لابن الأثير (ج ١٠ ص ٦٥) أن المستنصر الفاطمي صاحب مصر أرسل سنة ٤٨٢ عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المقدمين، فحصروا مدينة صور واستولوا عليها، ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك .... وانظر ابن القلانسي ص ١٢٠ . .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٣) هيجه (ك) .

(٤) الماصح : الدارس .

يَرِقُّ عَلَيْكَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْمُبِينُ وَيَرْثِي لَكَ ٱلْحَاسِدُ ٱلْكاشِحُ
كَأَنْ لَمْ يَطُلْ بِكَ يَوْمَ ٱلْفَخارِ سَرِيرٌ وَلا أَجْرَدٌ سابِحُ
وَلَمْ تَقْتَحِمْ(١) غَمَراتِ ٱلْخُطُوبِ فَيُغْرِقَها قَطْرُكَ ٱلنّاضِحُ
سَقاكَ كَجُودِكَ غادٍ عَلَى ثَراكَ بِوابِلِهِ رائِحُ
يُدَبِّجُ فِي ساحَتَيْكَ ٱلرِّياضَ كَما نَمَّقَ ٱلْكَلِمَ ٱلْمادِحُ
أَرىٰ كُلَّ يَوْمٍ لَنا رَوْعَةً كَما ذُعِرَ ٱلنَّعَمُ ٱلسّارِحُ
نُفاجا بِجِدٍّ مِنَ ٱلْمُعْضِلاتِ كَأَنَّ ٱلزَّمانَ بِهِ مازِحُ
نُعَلِّلُ أَنْفُسَنا بِٱلْمُقامِ وَفِي طَيِّهِ ٱلسَّفَرُ ٱلنّازِحُ
حَياةٌ غَدَتْ لاقِحاً بِٱلْحِمامِ وَلا بُدَّ أَنْ تُنْتَجَ(٢) ٱللاّقِحُ
وَكُلٌّ تَمادٍ إِلىٰ غايَةٍ وَإِنْ جَرَّ أَرْسانَهُ ٱلْجامِحُ
وَما ٱلْعُمْرُ إِلاّ كَمَهْوَىٰ ٱلرِّشاءِ إِلىٰ حَيْثُ أَسْلَمَهُ ٱلْماتِحُ(٣)

(١) ولم يقتحم (ك ، م ، ع ، ت ، ن) .
(٢) ينتج (ك ، س ، ي) .
(٣) المائح (ك ، ت) . الماتح : من يستخرج الدلو وهو على رأس البئر . والمائح : من يملأ الدلو وهو في قعر البئر .

لَقَدْ نَصَحَ ٱلدَّهْرُ مَنْ غَرَّهُ (١) فَحَتّامَ يُتَّهَمُ ٱلنّاصِحُ
حِمىً ٱللّهُ أَرْوَعَ يَحْمِي ٱلْبِلادَ مِنَ ٱلْجَدْبِ مَعْرُوفُهُ ٱلسّائِحُ
أَغَرُّ يَزِينُ ٱلتُّقىٰ مَجْدَهُ وَيُنْجِدُهُ ٱلْحَسَبُ ٱلْواضِحُ
أَيا ذا ٱلْمَكارِمِ لا رُوِّعَتْ بِفَقْدِكَ ما هَدْهَدَ ٱلصّادِحُ
فَما سُدَّ بابٌ مِنَ ٱلْمَكْرُماتِ إِلاّ وَأَنْتَ لَهُ فاتِحُ
أَبىٰ ثِقَةُ ٱلْمُلْكِ إِلاّ حِماكَ حِمىً وَٱلزَّمانُ بِهِ طائِحُ
وَما كُلُّ ظِلٍّ بِهِ يَسْتَظِلُّ مَنْ شَفَّهُ ٱلرَّمَضُ ٱللاّفِحُ
طَوىٰ ٱلْبَحْرَ يَنْشُدُ بَحْرَ ٱلسَّماحِ إِلىٰ ٱلْعَذْبِ يَقْتَحِمُ ٱلْمالِحُ
فَبادَرْتَ تَخْسَأُ (٢) عَنْهُ ٱلْخُطُوبَ دِفاعاً كَما يَخْسَأُ (٢) ٱلنّابِحُ
تَرُوعُ ٱلرَّدىٰ وَٱلْعِدىٰ دُونَهُ كَما رَوَّعَ ٱلْأَعْزَلَ ٱلرّامِحُ
عَطَفْتَ عَلَيْهِ أَبِيَّ ٱلْحُظُوظِ قَسْراً كَما يُورَدُ ٱلْقامِحُ (٣)
وَباتَ كَفِيلاً لَهُ بِٱلثَّراءِ وَٱلْعِزِّ طائِرُكَ ٱلسّانِحُ

---

(١) في عَثْرِهِ (ك)، من عرةٍ (ي).
(٢) خَسَأَ الكلبُ: بعد وانزجر، وخَسَأَ الرجلُ الكلبَ: طرده لازم متعد تقول: خسأتُ الكلبَ فخسأ.
(٣) القامح: الكاره للماء لأنه علة كانت.



صَنائِعُ لا وابِلُ ٱلْمُعْصِراتِ نَداها وَلا طَلُّها ٱلرّاشِحُ
وَأُقْسِمُ لَوْ أَنَّ عِزّاً حَمىٰ مِنَ ٱلْمَوْتِ ما ٱجْتاحَهُ جائِحُ
وَلٰكِنَّ أَنْفُسَ(١) هٰذا ٱلْأَنامِ مَنائِحُ يَرْتَدُّها ٱلْمانِحُ
وَأَيُّ فَتىً ساوَرَتْهُ ٱلْمَنُونُ فَلَمْ يُرْدِهِ رَوْقُها(٢) ٱلنّاطِحُ
سَبَقْتَ إِلىٰ ٱلْمَجْدِ شُوسَ(٣) ٱلْمُلُوكِ كَما سَبَقَ ٱلْجَذَعَ(٤) ٱلْقارِحُ



(١) أنفاس (س ، لـ ، ي ، م ، ع ، ن) .
(٢) الرَّوْقُ : القرن .
(٣) شوس : جمع أشوس وهو من ينظر بمؤخر عينه تكبراً ، والجريء على القتال الشديد .
(٤) الجَذَعُ : الحديث السن والقارح أكبر منه .

١٤

وقال يمدح القاضي فخر الملك (١) أبا علي عمّار بن محمد بن عمّار ، وأنشده إياها بطرابلس الشام سنة ٤٨٢ :

أَرىٰ ٱلْعَلْيـاءَ واضِحَةَ ٱلسَّبِيلِ فَمـا لِلْغُرِّ سالِمَـةَ ٱلْحُجُولِ (٢)
إِلىٰ كَمْ يَقْتَضِيكَ ٱلْمَجْدُ دَيْنًا تُحِيلُ بِهِ عَلَى ٱلْقَدَرِ ٱلْمَطُولِ
وَأَيُّ فَتىً تَمَرَّسَ بِٱلْمعالي فَلَمْ يَهْجُمْ (٣) عَلَى خَطَرٍ مَهُولِ
وَإِنَّ عِناقَ حَرِّ ٱلْمَوْتِ أَوْلىٰ بِذِي ٱلْإِمْلاقِ مِنْ بَرْدِ ٱلْمَقِيلِ

(١) القاضي فخر الملك ابن عمار خلف أخاه القاضي جلال الملك على طرابلس الشام سنة ٤٩٤ ، وحاصره الصليبيون منذ سنة ٤٩٥ إلى أن اشتد عليه الحصار سنة ٥٠١ ، فخرج إلى بغداد مستنفراً ومستنجداً ثم إلى دمشق ، واستولى الصليبيون على طرابلس سنة ٥٠٣ . قال ابن الفوطي في معجم الألقاب : « كان من أعيان الملوك ، وكان غزير المروءة عالي الهمة ، وفي أيامه ملك صنجيل الفرنجي جبيل ، وأقام على طريق طرابلس وعمل حصناً مقابلها وأقام مراصداً لها ، فخرج فخر الملك ومعه ثلثمائة فارس فأحرق ربضه ، ووقف صنجيل على بعض سقوفه المذهبة المحرقة ومعه جماعة من القامصة فانخسف بهم ومرض ومات . وقام مقامه ابن أخيه المعروف بالسيرادّى ودامت الحرب بين فخر الملك وبين الفرنج خمس سنين . ولابن الخياط في مدح فخر الملك قصائد كثيرة » .

(٢) الغُرّ : جمع أغَرّ وهو من الخيل ما بجبهته غرة . والحُجُول : جمع حجل ، بياض في قوائم الخيل .

(٣) فلم يقدم (ت) .

وَما كانَتْ مُنىً بَعُدَتْ لِتَغْلُو (١) بِطُولِ مَشَقَّةِ ٱلسَّيْرِ ٱلطَّوِيلِ
فَكَيْفَ تَخِيمُ (٢) وَٱلآمالُ (٣) أَدْنى إِلَيْكَ مِنَ ٱلْقِداحِ (٤) إِلى ٱلْمُجِيلِ
وَقَدْ نادى ٱلنَّدى هَلْ مِنْ رَجاءٍ وَقالَ ٱلنَّيْلُ هَلْ مِنْ مُسْتَنِيلِ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ أَمَلاً (٥) جَواداً يُشارُ (٦) بِهِ إِلى (٧) عَزْمٍ بَخِيلِ
عَلامَ تُرَوِّضُ ٱلْحَصْباءَ خِصْباً وَتَجْزَعُ أَنْ تُعَدَّ مِنَ ٱلْمُحُولِ (٨)
وَكَيْفَ (٩) تَرى مِياهَ ٱلْفَضْلِ إِلاّ وَقَدْ رُشِفَتْ بِأَفْواهِ ٱلْعُقُولِ
لَقَدْ أَعْطَتْكَ صِحَّتَها ٱلْأَمانِي فَلا تَعْتَلَّ بِٱلْحَظِّ ٱلْعَلِيلِ
وَما لَكَ أَنْ تَسُومَ ٱلدَّهْرَ حَظّاً إِذا ما فُزْتَ بِٱلذِّكْرِ ٱلْجَمِيلِ
إِذا أَهْلُ ٱلثَّناءِ عَلَيْكَ أَثْنَوا فَسِرْ فِي (١٠) ٱلْمَكْرُماتِ بِلادَلِيلِ

(١) لتعلو (ك، ي، م، ع).
(٢) تخيم: تجبن وتنكص.
(٣) والأملاك (ع)، والإملال (م، ت).
(٤) القِداح: سهام الميسر.
(٥) إلاّ جواداً (ك).
(٦) يُسار به (ظ).
(٧) على عزم (م).
(٨) هذا البيت ساقط من (ك).
(٩) فكيف (ظ).
(١٠) بالمكرمات (م، ع)، للمكرمات (ت).

أَرىٰ حُلَلَ ٱلنَّباهَةِ قَدْ أَظَلَّتْ … تُنازِعُ فِيَّ أَطْمارَ ٱلْخُمُولِ
فَيا جَدِّي نَهَضْتَ وَيا زَمانِي … جَنَيْتَ فَكُنْتَ أَحْسنَ مُسْتَقِيلِ
وَيا فَخْرِي — وَفَخْرُ ٱلْمُلْكِ مُثْنٍ … عَلَيَّ — لَقَدْ جَرَيْتُ بِلا رَسِيلِ
تَفَنَّنَ (١) فِي ٱلْعَطاءِ ٱلْجَزْلِ حَتّىٰ … حَبانِي فِيهِ بِٱلْحَمْدِ ٱلْجَزِيلِ
فَها أَنا بَيْنَ تَفْضِيلٍ وَفَضْلٍ … تَبَرُّعُ خَيْرِ فَوّالٍ فَعُولِ
غَرِيبُ ٱلْجُودِ يَحْمَدُ سائِلِيهِ … وَفَرْضُ ٱلْحَمْدِ أَلْزَمُ لِلسَّؤُولِ
سَقانِي ٱلرِّيَّ مِنْ بِشْرٍ وَجُودٍ … كَما رَقَصَ ٱلْحَبابُ عَلَى ٱلشَّمُولِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ نَشْواتِ ٱلْعَطايا … سَيَخْمُرُ بِٱلْغِنىٰ (٢) عَمّا قَلِيلِ
أَما وَنَداكَ إِنَّ لَهُ لَحَقّاً … يُبِرُّ (٣) بِهِ أَلِيَّةَ كُلِّ مُولِ
لَئِنْ أَغْرَبْتَ (٤) فِي كَرَمِ ٱلسَّجايا … لَقَدْ أَعْرَبْتَ (٤) عَنْ كَرَمِ ٱلْأُصُولِ
أَلا أَبْلِغْ مُلُوكَ ٱلْأَرْضِ أَنِّي (٥) … لَبِسْتُ ٱلْعَيْشَ مَجْرُورَ ٱلذُّيُولِ
لَدىٰ مَلِكٍ مَتىٰ نَكَّبْتَ عَنْهُ … فَلَسْتَ عَلَى ٱلزَّمانِ بِمُسْتَطِيلِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) بالمنى (ك) .
(٣) تَسُرُّ به أَلِيَّةٌ (ت ، ن) .
(٤) أعريت (ن) .
(٥) عني (ت) .

وَلَمّا عَزَّ نائِلُهُمْ قِيـاداً وَهَبْتُ ٱلصَّعْبَ مِنْهُمْ لِلذَّلُولِ

وَطَلَّقْتُ ٱلْمُنىٰ لا ٱلْعَزْمُ يَوْماً لَهُـنَّ وَلا ٱلرَّكائِبُ لِلذَّمِيلِ

وَلَوْلا آلُ عَمّارٍ لَباتَتْ تَرىٰ عَرْضَ ٱلسَّماوَةِ[١] قِيدَ مِيلِ

أَعَزُّونِي وَأَغْنَوْنِي وَمِثْلِي أُعِينَ بِكُلِّ مَنّاعٍ بَذُولِ

وَحَسْبُكَ أَنَّنِي جارٌ لِقَوْمٍ يُجِيرُونَ ٱلْقَرارَ مِنَ ٱلسُّيُولِ

أَلا لِلّٰهِ دَرُّ نَوىً رَمَتْ بِي إِلىٰ أَكْنافِ ظِلِّهِمِ ٱلظَّلِيلِ

وَدَرُّ نَوائِبٍ صَرَفَتْ عِنانِي إِلىٰ تِلْقائِهِمْ عِنْدَ ٱلرَّحِيلِ

أَسَرُّ بِأَنَّ لِي جَدّاً عَثُوراً وَعَمّارُ بْنُ عَمّارٍ مُقِيلِي

وَلَوْلا قُرْبُهُ ما كُنْتُ يَوْماً لِأَشْكُرَ[٢] حادِثَ ٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ

وَقَدْ يَهْوىٰ ٱلْمُحِبُّ ٱلْعَذْلَ شَوْقاً إِلىٰ ذِكْرِ ٱلْأَحِبَّةِ لا ٱلْعَذُولِ

لَهُ كَرَمُ ٱلْغَمامِ يَجُودُ عَفْواً فَيُغْنِي عَنْ ذَرِيعٍ[٣] أَوْ وَسِيلِ

وَما إِنْ زِلْتُ أَرْغَبُ عَنْ نَوالٍ يُقَلِّدُنِي يَداً[٤] لِسوىٰ ٱلْمُنِيلِ

---

(١) بادية السماوه : بين الكوفة والشام .
(٢) لأحمد (ظ) .
(٣) الذريع : التشفيع . والوسيل : جمع وسيلة .
(٤) ندى، (ك ، ت) .

تَجُودُ بِطِيبِ رَيّاها ٱلْخُزامى ... وَيَغْدُو ٱلشُّكْرُ لِلرِّيحِ ٱلْقَبُولِ (١)
وَغَيْرِي مَنْ يُصاحِبُهُ خُضُوعٌ (٢) ... أَنَمُّ مِنَ ٱلدُّمُوعِ عَلَى ٱلْغَلِيلِ
يَعُبُّ إِذا أَصابَ ٱلضَّيْمُ شَرْباً ... وَبَعْضُ ٱلذُّلِّ أَوْلَى بِٱلذَّلِيلِ
تَرَفَّعَ مَطْلَبِي عَنْ كُلِّ جُودٍ ... فَما أَبْغِي بِجُودِكَ (٣) مِنْ بَدِيلِ
وَمالِيَ لا أَعافُ ٱلطَّرْقَ (٤) وِرْداً ... وَقَدْ عَرَضَتْ حِياضُ ٱلسَّلْسَبِيلِ (٤)
وَقَدْ عَلَّمَتْنِي خُلُقَ ٱلْمَعالِي ... فَما (٥) أَرْتاحُ إِلّا لِلنَّبِيلِ
وَلِي عِنْدَ ٱلزَّمانِ مُطالَباتٌ ... فَما عُذْرِي وَأَنْتَ بِها كَفِيلِي
وَإِنَّ فَتىً رَآكَ لَهُ رَجاءً ... لَأَهْلٌ أَنْ يُبَلَّغَ كُلَّ سُولِ
وَرُبَّ صَنِيعَةٍ خُطِبَتْ فَزُفَّتْ ... إِلَى غَيْرِ ٱلْكَفِيءِ مِنَ ٱلْبُعُولِ
أَبِنْ قَدْرَ ٱصْطِناعِكَ لِي بِنُعْمَى ... تَبُوحُ بِسِرِّ ما تُسْدِي وَتُولِي
إِذا ما رَوَّضَ ٱلْبَطْحاءَ غَيْثٌ ... تَبَيَّنَ فَضْلُ عارِضِهِ ٱلْهَطُولِ

---

(١) القبول : ريح الصَّبا وهي الشرقية .
(٢) خشوع (ت) .
(٣) لجودك (ت) .
(٤) الطَّرْق : الماء الذي خوضته الابل . والسلسبيل : المـــاء السهل المساغ واسم عين في الجنة .
(٥) فلا . . . (س) .

وَأَعْلِنْ حُسْنَ رَأْيِكَ فِيَّ يَرْجَحْ عَدُوِّي فِي ٱلْمَوَدَّةِ مِنْ(١) خَلِيلِي
فَلَيْسَ بِعائِبِي نُوَبٌ أَكَلَّتْ شَبا عَزْمِي وَلَمْ يَكُ بِٱلْكَلِيلِ
فَإِنَّ ٱلسَّيْفَ يُعْرَفُ ما بَلاهُ بِما فِي مَضْرِبَيْهِ مِنَ ٱلْفُلُولِ
وَكَائِنْ(٢) بِٱلْعَواصِمِ(٣) مِنْ مُعَنًّى بِشِعْرِي لا يَرِيعُ(٤) إِلىٰ ذُهُولِ
أَقَمْتُ(٥) بِأَرْضِهِمْ فَحَلَلْتُ مِنْها مَحَلَّ ٱلْخالِ فِي ٱلْخَدِّ ٱلْأَسِيلِ
وَلٰكِنْ قادَنِي شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَحُبِّي كُلَّ مَعْدُومِ ٱلشُّكُولِ
فَأَطْلَعَ فِي سَمائِكَ مِنْ ثَنائِي نُجُومَ عُلًى تَجِلُّ(٦) عَنِ ٱلْأُفُولِ
سَوائِرُ تَمْلَأُ ٱلْآفاقَ فَضْلاً تُعِيدُ ٱلْغُمْرَ ذا رَأْيٍ أَصِيلِ
قَصائِدُ كَٱلْكَنائِنِ فِي حَشاها سِهامٌ كَٱلنُّصُولِ بِلا نُصُولِ
نَزائِعُ عَنْ قِسِيِّ ٱلْفِكْرِ يُرْمىٰ بِها غَرَضُ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلذُّحُولِ
وَكُنَّ إِذا مَرَقْنَ بِسَمْعِ صَبٍّ أَصَبْنَ مَقاتِلَ ٱلْهَمِّ ٱلدَّخِيلِ

---

(١) أو خليلي (ظ) ، عن حليلي (ك ، ي ، ت) .
(٢) كائن : لغة في كأيٍّ وهي بمعنى كم التي تفيد التكثير .
(٣) بالجزيرة (ك) . والعواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية .
(٤) يريع : يرجع وينقاد ، والذهول : النسيان والسلو .
(٥) وقفت . . . (ت) .
(٦) تحيد (ك) .

إِذا ما أُنْشِدَتْ فِي ٱلْقَوْمِ رَقَّتْ شَمائِلُ يَوْمِهِمْ قَبْلَ ٱلْأَصِيلِ

تَزُورُ أَبا عَلِيٍّ حَيْثُ أَرْسَتْ هِضابُ ٱلْعِزِّ (١) وَٱلْمَجْدِ ٱلْأَثِيلِ

وَمَنْ يَجْزِيكَ عَنْ فِعْلٍ بِقَوْلٍ لَقَدْ حاوَلْتَ عَيْنَ ٱلْمُسْتَحِيلِ

وَكَيْفَ (٢) لِيَ ٱلسَّبِيلُ إِلىٰ مَقالٍ يُخَفِّفُ مَحْمِلَ ٱلْمَنِّ ٱلثَّقِيلِ

فَلا (٣) تَلُمِ ٱلْقَوافِيَ إِنْ أَطالَتْ قَطِيعَةَ بِرِّكَ ٱلْبَرِّ ٱلْوَصُولِ

هَرَبْتُ مِنَ ٱرْتِياحِكَ حِينَ أَنْحىٰ عَلَى حَمْدِي بِعَضْبٍ نَدىً صَقِيلِ

وَلَمّا عُذْتُ بِٱلْعَلْياءِ والَتْ لَعَلَّكَ صاحِبُ ٱلشُّكْرِ ٱلْقَتِيلِ

فَيالَكِ مِنَّةً فَضَحَتْ مَقالِي (٤) وَمِثْلِي فِي ٱلْقَرِيضِ بِلا مَثِيلِ

فَعُذْراً إِنْ عَجَزْتُ لِطُولِ هَمِّي عَنِ ٱلْإِسْهابِ وَٱلنَّفَسِ ٱلطَّوِيلِ

فَإِنْ وَجىٰ ٱلْجِيادِ إِذا تَمادىٰ بِها شَغَلَ ٱلْجِيادَ عَنِ ٱلصَّهِيلِ

---

(١) ... المجد والعز (ظ) .
(٢) فكيف (ك) .
(٣) ولا (ك) .
(٤) مقامي (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ت ، ن) .

١٥

وقال أيضا يمدحه ويهنيه بالعيد :

خَلِيلَيَّ إِنْ (١) لَمْ تُسْعِدا فَذرانِي ... وَلا تَحْسَبا وَجْدِي ٱلذي تَجِدانِ
خُذا مِنْ شُجُونِي (٢) ما يَدُلُّ عَلَى ٱلْجَوى ... فَما ٱلنَّارُ إِلاَّ تَحْتَ كُلِّ دُخانِ
أَماتَ ٱلْهَوى صَبْرِي وَأَحْيا (٣) صَبابَتِي ... فَها أَنا مَغْلُوبٌ كَما تَرَيانِ
وَلَوْ أَنَّ مَنْ أَهْواهُ عايَنَ لَوْعَتِي ... لَعَنَّفَنِي فِي حُبِّهِ وَلَحانِي (٤)
تَحَمَّلْتُ مِنْ جَوْرِ ٱلأَحِبَّةِ ما كَفى ... فَلا يَبْهَظَنِّي (٥) ٱلْيَوْمَ جَوْرُ زَمانِي
وَكَيْفَ ٱحْتِفالِي بِٱلزَّمانِ وَصَرْفِهِ ... وَما زالَ فَخْرُ ٱلْمُلْكِ مِنْهُ أَمانِي
عَلِقْتُ إِذا ما رُمْتُ عَدَّ كِرامِهِ ... بِأَوَّلِ مَنْ يُثْنى (٦) عَلَيهِ بَنانِي
بِأَزْهَرَ وَضّاحِ ٱلْجَبِينِ مُهَذَّبٍ ... جَمِيلِ ٱلْحَيا ماضٍ أَغَرَّ هِجانِ (٧)

---

(١) إنْ لا (ظ ، ع) ، إلاّ (ك) .
(٢) شجوبي (ن) .
(٣) وأبقى (س ، م ، ن) ، فأبقى (ب) .
(٤) ونهاني (ك) .
(٥) فلا ينهضني (ك ، ي ، ت) .
(٦) تثنى (س ، م ، ع) .
(٧) الهجان : الكريم الحسيب .

إِذا آلُ عَمّارٍ أَظَلَّكَ عِزُّهُمْ ... فَغَيْرُكَ مَنْ يَخْشىٰ يَدَ (١) ٱلْحَدَثانِ
هُمُ ٱلْقَوْمُ إِلاّ أَنَّ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ ... يُهانُ ٱلْقِرىٰ وَٱلْجارُ غَيْرُ مُهانِ
هُمُ أَطْلَقُوا بِٱلْجُودِ كُلَّ مُصَفَّدٍ ... كَما أَنْطَقُوا بِٱلْحَمْدِ كُلَّ لِسانِ (٢)
لَهُمْ بِكَ فَخْرَ ٱلْمُلْكِ فَخْرٌ عَلَى ٱلْوَرىٰ ... لَهُ شائِدٌ مِنْ راحَتَيْكَ وَبانِ
نُجُومٌ (٣) عَلاءٍ في سَماءِ مَناقِبٍ ... عَلِيٌّ (٤) وَعَمّارٌ بِها ٱلْقَمَرانِ
هَنِيئاً لَكَ ٱلأَيّامُ فَٱلدَّهْرُ كُلُّهُ ... إِذا ما وَقاكَ ٱللّٰهُ دَهْرُ تَهانِ
لِذا ٱلْخَلْقِ عِيدٌ في أَوانٍ (٥) يَزُورُهُمْ ... وَأَنْتَ لَنا عِيدٌ بِكُلِّ أَوانِ (٦)
فَحَسْبِي مِنَ ٱلنَّعْماءِ أَنَّكَ وَٱلنَّدىٰ ... خَلِيلا صَفاءٍ لَيْسَ يَفْتَرِقانِ
إِذا رُمْتُ شِعْرِي في عُلاكَ أَطاعَنِي ... وَإِنْ (٧) رُضْتُ (٨) فِكْرِي في سِواكَ عَصانِي
وَما ذاكَ إِلاّ أَنَّنِي لَكَ ناطِقٌ ... بِمِثْلِ ٱلَّذِي يُطْوىٰ عَلَيْهِ جَنانِي

(١) من الحدثان (ت ، ن) .
(٢) لم رد هذا البيت في (ظ ، ي) .
(٣) نجومٌ على أدنى سماء مناقب ؟ (ك) .
(٤) هو جلال الملك أبو الحسن علي أخو فخر الملك أبي علي عمار ، انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٢) .
(٥) في زمان (س) .
(٦) مكان (ن) .
(٧) فان (ت) .
(٨) رمت (ك ، ظ) .



أَلاَ حَبَّذا دَهْرٌ إِلَيْكَ أَصارَني ... وَخَطْبٌ إِلىٰ جَدْوىٰ يدَيْك دَعاني

لَقَدْ أَثْمَرَتْ أَيّامُهُ لِيَ أَنْعُمًا ... وَلَوْلاكَ لَمْ يُثْمِرْنَ غَيْرَ أَماني

وَإِنّي (١) لَتَقْتادُ ٱلْمَطالِبَ هِمَّتي ... فَأَرْجِعُ (٢) مَثْنِيًّا إِلَيْكَ عِناني

وَإِنّي لَأَرْجُو مِنْ عَطائِكَ رُتْبَةً ... يُقَصِّرُ عَنْ إِدْراكِها ٱلثَّقَلانِ

فَما (٣) تَقْرُبُ ٱلدُّنْيا وَعَطْفُكَ نازِحٌ ... وَلا تَبْعُدُ ٱلنُّعْمىٰ وَجُودُكَ دانِ

(١) لم يرد هذا البيت في (ع) .
(٢) فيرجع (ك) .
(٣) فلا . . . (س) .

١٦

وقال أيضاً يمدحه (١) :

أَعْطى ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلآرابِ ما طَلَبا ... وَراحَ يَخْتالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِبا
لَمْ يُدْرِكِ ٱلشَّيْبُ إلاّ فَضْلَ (٢) صَبْوَتِهِ ... كَما يُغادِرُ فَضْلَ ٱلكَأْسِ مَنْ شَرِبا
رَأَى ٱلشَّبيبَةَ خَطّاً مُوثِقاً فَدَرى ... أَنَّ ٱلزَّمانَ سَيَمْحُو مِنْهُ ما كَتَبا
إِنَّ ٱلثَّلاثِينَ لَمْ يُسْفِرْنَ عَنْ أَحَدٍ ... إِلاّ ٱرْتَدى بِرِداءِ ٱلشَّيْبِ وَٱنْتَقَبا
وَٱلْمَرْءُ مَنْ شَنَّ فِي ٱلأَيّامِ غارَتَهُ ... فَبادَرَ ٱلْعَيْشَ (٣) بِٱللَّذّاتِ وَٱنْتَهَبا
ما شاءَ (٤) فَلْيَتَّخِذْ أَيّامَهُ فُرَصاً ... فَلَيْسَ يَوْمٌ بِمَرْدُودٍ إِذا ذَهَبا
هَلِ ٱلصِّبى غَيْرُ مَحْبُوبٍ ظَفِرْتُ بِهِ ... لَمْ أَقْضِ مِنْ حُبِّهِ قَبْلَ ٱلنَّوى (٥) أَرَبا
إِنّي لَأَحْسُدُ مَنْ طاحَ ٱلْغَرامُ بِهِ ... وَجاذَبَتْهُ حِبالُ ٱلشَّوْقِ (٦) فَٱنْجَذَبا
وَٱلْعَجْزُ أَنْ أَتْرُكَ ٱلأَوْطارَ مُقْبِلَةً ... حَتّى إِذا أَدْبَرَتْ حاوَلْتُها (٧) طَلَبا

---

(١) ويهنيه بالعيد (ك) .
(٢) لم يدرك الشيب إلا بعض لمته (ن) ، لم يترك الشيب إلا بعض لمته (جمهرة الإسلام للشيزري ورقة ١٩٣) مخطوط .
(٣) فبادر الشيب . . . (ت) .
(٤) من شاء . . (س ، ك ، ي ، م ، ع ، ت ، ن) .
(٥) يوم النون (ن) .
(٦) يد الأيام (ن) .
(٧) قابلتها طرباً (ك) .

مالِي وَلِلْحَظِّ لا يَنفكُّ يَقْذِفُ بِي ... صُمَّ ٱلْمَطالِبِ لا وِرْداً(١) وَلا قَرَبا
أَصْبَحْتُ فِي قَبْضَةِ ٱلْأَيّامِ مُرْتَهَناً ... نائِي ٱلْمَحَلِّ طَرِيداً عَنْهُ مُغْتَرِبا
أَلَحَّ(٢) دَهْرٌ لَجُوجٌ فِي مُعانَدَتِي ... فَكُلَّما رُضْتُهُ فِي مَطْلَبٍ صَعُبا
كَخائِضِ ٱلْوَحْلِ إِذْ(٣) طالَ ٱلْعَناءُ بِهِ ... فَكُلَّما قاقَلَتْهُ نَهْضَةٌ رَسَبا
لَأَسْلُكَنَّ صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ مُقْتَحِماً ... هَوْلاً يُزَهِّدُ فِي ٱلْأَيّامِ مَنْ رَغِبا
غَضْبانَ لِلْمَجْدِ طَلّاباً بِثَأْرِ عُلاً ... وَٱللَّيْثُ أَفْتَكُ ما لاقَى إِذا غَضِبا
عِنْدِي عَزائِمُ(٤) رَأْيٍ لَوْ لَقِيتُ بِها ... صَرْفَ ٱلزَّمانِ لَوَلَّى مُمْعِناً هَرَبا
لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ أَمْرٍ مَخافَتُهُ ... لَيْسَ ٱلْعُلَى لِنَفِيسٍ(٥) يَكْرَهُ ٱلْعَطَبا
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ إِذا ما لَمْ(٦) تَخِمْ فَرَقاً(٧) ... لا عَيْبَ لِلسَّيْفِ إِلّا أَنْ يُقالَ نَبا
لا تَلْحَ فِي طَلَبِ ٱلْعَلْياءِ ذا كَلَفٍ ... فَقَلَّما أَعْتَبَ ٱلْمُشْتاقُ مَنْ عَتَبا
لَتَعْلَمَنَّ بَناتُ ٱلدَّهْرِ ما صَنَعَتْ ... إِذا ٱسْتَشاطَتْ بَناتُ ٱلْفِكْرِ لِي غَضَبا

---

(١) الورد : الإشراف على الماء ، والماء الذي يورَد . والقَرَبُ : سير الليل لِورد الغد . ومنه قول المتنبي : (كأنه الوقت بين الورد والقرَب) .
(٢) فلَجَّ ... (جمهرة الاسلام) .
(٣) إن طال ... (س ، ي) .
(٤) عزائم صبر ... (ت) .
(٥) لتعس (ت) .
(٦) ما لم يخف ... (ت) .
(٧) رَهَباً (جمهرة الاسلام) .

هِيَ ٱلْقَوافِي فَإِنْ خَطْبٌ تَمَرَّسَ بِي ... فَهُنَّ ما شاءَ عَزْمِي مِنْ قَنًا وَظُبا

عَقـائِلٌ فَلَمَّا زُفَّتْ إِلىٰ مَلِكٍ ... إِلاّ أَباحَ لَهُنَّ ٱلْوُدَّ وَٱلنَّشَبا

غَرائِبٌ ما حَدا ٱلرَّكْبُ ٱلرِّكابَ بِها ... إِلاّ تَرَنَّحْنَ مِنْ تَرْجِيعِها طَرَبا

مِنْ كُلِّ حَسْناءَ تَقْتادُ ٱلنُّفُوسَ هَوىً ... إِذا أَلَمَّ بِسَمْعٍ رَجْعُهـا خَلَبا

شامَتْ بُرُوقَ حَيًا باتَتْ تَشِبُّ كَما ... تُجاذِبُ ٱلرِّيحُ عَنْ أَرْماحِها[1] ٱلْعَذَبا

وَٱسْتَوْضَحَتْ سبلَ ٱلْآمالِ حائِدَةً ... عَنِ ٱلْمُلُوكِ إِلىٰ أَعْلاهُمُ حَسَبا

تَؤُمُّ أَبْهَرَهُمْ فَضْلاً وَأَغْمَرَهُمْ ... بَذْلاً وَأَفْخَرَهُمْ فِعْلاً وَمُنْتَسَبا

تَفَيَّأَتْ ظِلَّ فَخْرِ ٱلْمُلْكِ وَٱعْتَبَطَتْ[2] ... بِحَيْثُ حَلَّ عِقالُ ٱلْمُزْنِ فَٱنْسَكَبا

حَتّىٰ إِذا وَرَدَتْ تَهْفُو قَلائِدُها ... أَلْفَتْ أَغَرَّ بِتاجِ ٱلْمَجْدِ[3] مُعْتَصِبا

أَشَمَّ أَشْوَسَ مَضْرُوباً[4] سُرادِقُهُ ... عَلَى ٱلْمَمالِكِ مُرْخٍ دُونَهـا ٱلْحُجُبا

مُمَنَّعَ ٱلْعِزِّ مَعْمُورَ ٱلْفِنـاءِ بِهِ ... مُظَفَّرَ ٱلْعَزْمِ وَٱلْآراءِ مُنْتَجَبا[5]

مِنْ مَعْشَرٍ طالَما شَبُّوا بِكُلِّ وَغىً ... ناراً تَظَلُّ أَعادِيهِمْ لَهـا حَطَبا

---

(١) عن أرماحنا (ت) ، ولعل الصواب : من أرماحنا .

(٢) وارتبطت (ك وجمهرة الاسلام) .

(٣) بتاج الملك . . . (س ، ك ، ظ ، ي ، ت وجمهره الاسلام) .

(٤) مضروبٌ (ن) .

(٥) منتحبا (ن) .

بِيضٌ تَوَقَّدُ فِي أَيْمانِهِمْ شُعَلٌ ... هِيَ ٱلصَّواعِقُ إِذْ (١) تَسْتَوْطِنُ ٱلسُّحُبا

مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ مَضّاءٍ إِذا قَصُرَتْ ... خُطَى ٱلْمُحامِينَ فِي (٢) مَكْرُوهَةٍ وَثَبا

ذا (٣) لا كَمَنْ قَصَّرَتْ فِي ٱلْمَجْدِ هِمَّتُهُ ... فَباتَ يَسْتَبْعِدُ ٱلْمَرْمَى (٤) ٱلَّذِي قَرُبا

عَضْبِ ٱلْعَزِيمَةِ لَوْ لاقَتْ مَضارِبُها ... طَوْداً مِنَ ٱلْمُشْرِفاتِ ٱلصُّمِّ لَٱنْقَضَبا

زاكِي ٱلْعُرُوقِ لَهُ مِنْ طَيِّءٍ حَسَبٌ ... لَوْ كانَ لَفْظاً لَكانَ ٱلنَّظْمَ وَٱلْخُطَبا

اَلْهادِمِينَ مِنَ ٱلْأَمْوالِ ما عَمَرُوا ... وَٱلْعامِرِينَ مِنَ ٱلْآمالِ ما خَرِبا

رَهْطِ ٱلسَّماحِ وَفِيهِمْ طابَ مَوْلِدُهُ ... إِنَّ ٱلسَّماحَ يَمانٍ (٥) كُلَّما ٱنْتَسَبا

أَمّا ٱلْمُلُوكُ فَمالِي عِنْدَهُمْ أَرَبٌ ... مَنْ جاوَرَ ٱلْعِدَّ (٦) لَمْ يَسْتَغْزِرِ ٱلْقُلُبا

أَيُّ ٱلْمَطالِبِ يَسْتَوْفِي مَدَى هِمَمِي ... وَٱلشُّهْبُ تَحْسَبُها مِنْ فَوْقِها ٱلشُّهُبا (٧)

خَلا نَدَى مَلِكٍ تُصْبِي خَلائِقُهُ ... قَلْبَ ٱلثَّناءِ إِذا (٨) قَلْبُ ٱلْمُحِبِّ صَبا

---

(١) إن . . . (ك) .
(٢) عن مكروهة . . . (ك ، ظ) .
(٣) ولا كمن . . . (جمهرة الاسلام) .
(٤) الأمر . . (ي) ، المرعى . . (ت ، ن) .
(٥) إن السماح يمانيٌّ إذا انتسبا (ك) .
(٦) العِدُّ : بالكسر الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع، كماء العين والينبوع . والقُلُب : جمع قليب وهو البئر ، مذكر وقد يؤنث . وفي (ت وجمهرة الاسلام) من جاور البحر . . .
(٧) شهبا (جمهرة الاسلام) .
(٨) إلى قلب (جمهرة الاسلام) .

لَقَدْ رَمَتْ بِي مَرامِيها ٱلنَّوىٰ زَمَناً ... فَٱلْيَوْمَ لا أَنْتَحِي فِي ٱلْأَرْضِ مُضْطَرَبا
أَأَرْتَجِي غَيْرَ عَمّارٍ لِنائِبَةٍ ... إِذَنْ فَلا آمَنَتْنِي كَفُّهُ ٱلنُّوَبا
اَلْمانِعُ ٱلْجارَ لَوْ[1] شاءَ ٱلزَّمانُ لَهُ ... مَنْعاً لَضاقَ بِهِ ذَرْعاً وَإِنْ رَحُبا
اَلْباذِلُ ٱلْمالَ مَسْئُولاً وَمُبْتَدِئاً[2] ... وَٱلصّائِنُ ٱلْمَجْدَ مَوْرُوثاً[3] وَمُكْتَسَبا
اَلْواهِبُ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْخَضْراءَ[4] يُتْبِعُها ... أَمْثالَها غَيْرَ مُعْتَدٍّ بِما وَهَبا
إِذا أَرَدْتُ أَفاءَتْنِي عَواطِفُهُ ... ظِلاًّ يُرِيحُ لِيَ ٱلْحَظَّ ٱلَّذِي عَزَبا
وَٱلْجَدُّ وَٱلْفَهْمُ أَسْنىٰ مِنْحَةٍ[5] قُسِمَتْ ... لِلطالِبِينَ وَلٰكِنْ قَلَّما ٱصْطَحَبا
أَرانِيَ ٱلْعَيْشَ مُخْضَرًّا وَأَسْمَعَنِي ... لَفْظاً إِذا خاضَ سَمْعاً فَرَّجَ ٱلْكُرَبا
خَلائِقٌ حَسُنَتْ مَرْأًى وَمُسْتَمَعاً ... قَوْلاً وَفِعْلاً يُفِيدُ ٱلْمالَ وَٱلْأَدَبا
كَٱلرَّوْضِ أَهْدىٰ إِلىٰ رُوّادِهِ أَرَجاً ... يُذْكِي ٱلنَّسِيمَ وَأَبْدىٰ مَنْظَراً عَجَبا
عادَتْ بِسَعْدِكَ أَعْيادُ ٱلزَّمانِ وَلا ... زالَ ٱلْهَناءُ جَدِيداً وَٱلْمُنىٰ كَثَبا
وَعِشْتَ ما شِئْتَ لا زَنْدٌ يُقالُ كَبا ... يَوْماً وَلا بَرْقُ غَيْثٍ مِنْ نَداكَ خَبا

---

(١) لو حار الزمان له (م ، ع) ، ومعنى جار هنا طلب أن يحار .
(٢) مسئولاً لطالبه (ت) .
(٣) مأثوراً (جمهرة الاسلام) .
(٤) المراد بالخضراء كثيرة الخير .
(٥) أسنى قسمة مُنِحَتْ (ت) .

إِنَّ ٱلزَّمانَ بَرَتْ عُودِي نَوائِبُهُ ... فَما أُعَدُّ بِهِ نَبْعاً (١) وَلا غَرَبا
وَغالَ بِٱلْخَفْضِ جَدّاً كانَ مُعْتَلِياً ... وَبِٱلْمَرارَةِ عَيْشاً طالَما عَذُبا
فَما سَخا ٱلْعَزْمُ بِي إِلاّ إِلَيْكَ وَلا ... وَقَفْتُ إِلاّ عَلَيْكَ ٱلظَّنَّ مُحْتَسِبا (٢)
يا رُبَّ أَجْرَدَ وَرْسِيٍّ سَرابِلُهُ ... تَكادُ تَقْبِسُ مِنْهُ فِي ٱلدُّجى لَهَبا
إِذا نَضا ٱلْفَجْرُ عَنْهُ صِبْغَ فِضَّتِهِ ... أَجْرى ٱلصَّباحُ عَلَى أَعْطافِهِ ذَهَبا
يَجْرِي فَتَحْسُرُ عَنْهُ ٱلْعَيْنُ (٣) ناظِرَةً ... كَما ٱسْتَطارَ وَمِيضُ ٱلْبَرْقِ وَٱلْتَهَبا
جَمٌّ ٱلنَّشاطِ إِذا ظَنَّ (٤) ٱلْكَلالُ بِهِ ... رَأَيْتَ مِنْ مَرَحٍ فِي جِدِّهِ لَعِبا
يَرْتاحُ لِلْجَرْيِ فِي إِمْساكِهِ قَلَقاً ... حَتّى كَأَنَّ لَهُ فِي راحَةٍ تَعَبا
يَطْغى مِراحاً فَيَعْتَنُّ ٱلصَّهِيلُ لَهُ ... كَٱلْبَحْرِ جاشَ بِهِ ٱلآذِيُّ فَٱصْطَخَبا
جادَتْ يَداكَ بِهِ فِي عُرْضِ ما وَهَبَتْ ... قَبْلَ ٱلسُّؤالِ وَأَحْرِ (٥) ٱلْيَوْمَ أَنْ تَهَبا
رِفْقاً بِنا آلَ عَمّارٍ إِذا طَلَعَتْ ... خَيْلُ ٱلسَّماحِ عَلَى سَرْحِ ٱلثَّنا سُرَبا

(١) النَّبْعُ: شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام. والغَرَب: شجر.
(٢) من معاني احتسب: انتهى واكتفى.
(٣) الريح . . . (ط).
(٤) ضَنّ . . . (س، م، ع، ت).
(٥) وأحرى (م، ن)، وأحرى اليوم إن وهبا (جمهرة الاسلام).

لا تَبْعَثُوها(١) جُيُوشاً يَوْمَ جُودِكُمُ(٢) إِنَّ ٱلطَّلائِعَ مِنْها تَبْلُغُ ٱلْأَرَبا

قَدْ أَنْصَبَ ٱلْحَمْدَ ما تَأْتِي مَكارِمُكُمْ ما خِلْتُ أَنَّ مَعِيناً قَبْلَهُ نَضَبا

وَلَوْ نَظَمْتُ نُجُومَ ٱللَّيْلِ مُمْتَدِحاً لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّكُمْ بَعْضَ ٱلَّذي وَجَبا

لَأَشْكُرَنَّ زَماناً كانَ حادِثُهُ وَغَدْرُهُ بِي إِلىٰ مَعْرُوفِكُمْ سَبَبا

فَكَمْ كَسا نِعْمَةً أَدْنىٰ مَلابِسِها أَسْنىٰ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْأُولىٰ ٱلَّتِي سَلَبا

وَما ٱرْتَشَفْتُ ثَنايا ٱلْعَيْشِ عِنْدَكُمُ إِلاّ وَجَدْتُ بِها مِنْ جُودِكُمْ شَنَبا

٢

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) من عطائكم (جمهرة الاسلام) .

١٧

وقال أيضاً يمدحه :

هَبُوا طَيْفَكُمْ أَعْدىٰ عَلَى ٱلنَّأْيِ مَسْراهُ ... فَمَنْ لِمَشُوقٍ أَنْ يُهَوِّمَ جَفْناهُ
وَهَلْ يَهْتَدِي طَيْفُ ٱلْخَيالِ لِناحِلٍ ... إِذا ٱلسُّقْمُ عَنْ لَحْظِ ٱلْعَوائِدِ أَخْفاهُ
غِنىً فِي يَدِ ٱلْأَحْلامِ لا أَسْتَفِيدُهُ ... وَدَيْنٌ عَلَى ٱلْأَيّامِ لا أَتَقاضاهُ (١)
وَما كُلُّ مَسْلُوبِ ٱلرُّقادِ مُعادُهُ ... وَلا كُلُّ مَأْسُورِ ٱلْفُؤادِ مُفاداهُ
يَرىٰ ٱلصَّبْرَ مَحْمُودَ ٱلْعَواقِبِ مَعْشَرٌ ... وَما كُلُّ صَبْرٍ يَحْمَدُ ٱلْمَرْءُ عُقْباهُ
لِيَ ٱللهُ مِنْ قَلْبٍ يُجَنُّ جُنُونُهُ ... مَتىٰ (٢) لاحَ بَرْقٌ بِٱلْقَرِينَيْنِ (٣) مَهْواهُ
أَحِنُّ إِذا هَبَّتْ صَباً مُطْمَئِنَّةٌ ... حَنِينَ رَذايا (٤) ٱلرَّكْبِ أَوْشَكَ مَغْداهُ
خَوامِسَ (٥) حَلاَّها عَنِ ٱلْوِرْدِ مَطْلَبٌ ... بَعِيدٌ عَلَى ٱلْبُزْلِ ٱلْمَصاعِيبِ مَرْماهُ

---

(١) لا أتقضَّاه (ظ ، م) .
(٢) إذا لاح ... (ت) .
(٣) القرينيْن : في بادية الشام .
(٤) الرذايا : الإبل المهزولة من السير .
(٥) إبل خوامس : ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . حَلَّأه عن الماء : طرده ومنعه عن وروده . والبُزْل : جمع بازل وهو البعير دخل في السنة التاسعة أي اكتمل . والمصاعيب : جمع مُصْعَب وهو الفحل من الإبل لم يُركَب ولم يمسسه حبل حتى صار صعباً .

هَوىً كُلَّما عادَتْ مِنَ ٱلشَّرْقِ نَفْحَةٌ ... أَعادَ لِيَ ٱلشَّوْقَ ٱلَّذي كانَ أَبْداهُ

وَما شَغَفِي بِٱلرِّيحِ إِلاّ لِأَنَّها ... تَمُرُّ بِحَيٍّ دُونَ رامَةَ(١) مَثْواهُ

أُحِبُّ ثَرىٰ ٱلْوادِي ٱلَّذِي بانَ أَهْلُهُ ... وَأَصْبُو إِلىٰ ٱلرَّبْعِ ٱلَّذِي مَحَّ مَغْناهُ

فَما وَجَدَ ٱلنِّضْوُ ٱلطَّلِيحُ بِمَنْزِلٍ ... رَأَىٰ وِرْدَهُ فِي ساحَتَيْهِ وَمَرْعاهُ

كَوَجْدِي بِأَطْلالِ ٱلدِّيارِ وَإِنْ مَضىٰ ... عَلَى رَسْمِها كَرُّ ٱلْعُصُورِ فَأَبْلاهُ

دَوارِسَ عَفّاها ٱلنُّحُولُ كَأَنَّما ... وَجَدْنَ بِكُمْ بعْدَ ٱلنَّوىٰ ما وَجَدْناهُ

أَلا حَبَّذا عَهْدُ ٱلْكَثِيبِ وَناعِمٌ ... مِنَ ٱلْعَيْشِ مَجْرُورُ ٱلذُّيُولِ لَبِسْناهُ

لَيالِيَ عاطَتْنا ٱلصَّبابَةُ دَرَّها ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْها مَنْهَلٌ ما وَرَدْناهُ

وَلِلّهِ وادٍ دُونَ مَيْثاءِ(٢) حاجِرٍ ... تَصِحُّ(٣) إِذا أُعْتَلَّ ٱلنَّسِيمُ خُزاماهُ

أُناشِدُ أَرْواحَ ٱلْعَشِيّاتِ كُلَّما ... نَسَبْنَ إِلىٰ رَيّا ٱلْأَحِبَّةِ رَيّاهُ

أَناشَتْ(٤) عَرارَ ٱلرَّمْلِ أَمْ صافَحَتْ ثَرىً ... أَغَذَّ بِهِ ذاكَ ٱلْفَرِيقُ مَطاياهُ

---

(١) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة . ورامة أيضاً من قرى بيت المقدس .

(٢) الميْثاء : الأرض السهلة . وحاجر : منزل للحاج بالبادية .

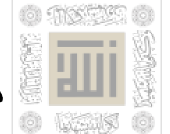
(٣) يصح (ظ ، ت) .

(٤) كذا في جميع النسخ . ومعنى ناش : تناول . ولعل الصواب : أناسَت : أي حركن . والبيت لم يرد في (ل) .

خَليلَيَّ قَدْ هَبَّ ٱشْتِياقي هُبُوبُها حُسُوماً (١) فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَتَلافاهُ
أَعِينا عَلَى وَجْدي فَلَيْسَ بِنافِعٍ إِخاؤُكُما خِلاًّ إِذا لَمْ تُعِيناهُ
أَما سُبَّةٌ أَنْ تَخْذُلا ذا صَبابَةٍ دَعا وَجْدَهُ ٱلشَّوْقُ ٱلْقَدِيمُ فَلَبّاهُ
وَأَكْمَدُ مَحْزُونٍ وَأَوْجَعُ مُمْرَضٍ مِنَ ٱلْوَجْدِ شاكٍ لَيْسَ تُسْمَعُ شَكْواهُ
شَرىٰ لُبَّهُ خَبْلُ ٱلسَّقامِ وَباعَهُ وَأَرْخَصَهُ سَوْمُ ٱلْغَرامِ وَأَغْلاهُ
وَبِٱلْجِزْعِ (٢) حَيٌّ كُلَّما عَنَّ ذِكْرُهُمْ أَماتَ ٱلْهَوىٰ مِنِّي فُؤاداً (٣) وَأَحْياهُ
تَمَنَّيْتُهُمْ بِٱلرَّقْمَتَيْنِ وَدارُهُمْ بِوادِي ٱلْغَضا يا بُعْدَ ما أَتَمَنّاهُ (٤)
سَقىٰ ٱلْوابِلُ ٱلرِّبْعِيُّ ماحِلَ رَبْعِكُمْ وَراوَحَهُ ما شاءَ رَوْحٌ (٥) وَغاداهُ
وَجَرَّ عَلَيْهِ ذَيْلَهُ كُلُّ ماطِرٍ (٦) إِذا ما مَشىٰ فِي عاطِلِ ٱلتُّرْبِ حَلّاهُ
وَما كُنْتُ لَوْلا أَنَّ دَمْعِيَ مِنْ دَمٍ لِأَحْمِلَ مَنّاً لِلسَّحابِ بِسُقْياهُ
عَلَى أَنَّ فَخْرَ ٱلْمُلْكِ لِلْأَرْضِ كافِلٌ بِفَيْضِ (٧) نَدىً لا يَبْلُغُ ٱلْقَطْرُ شَرْواهُ

---

(١) الحُسُوم : التتابع .
(٢) الجزع : منعطف الوادى .
(٣) مني الفؤاد (ت) ، مني فؤادى (ظ) .
(٤) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . والغضا : وادٍ بنجد .
(٥) الرِّبعي : نسبة إلى الربيع . والرَّوْح : نسيم الريح .
(٦) كل خاطر (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ن) .
(٧) يفيض (ظ ، ى ، ت) .



بَصُرْتُ بِأُمّاتِ ٱلْحَيا فَظَنَنْتُها(١) أَنامِلَهُ إِنَّ ٱلسَّحائِبَ أَشْباهُ
أَخُو ٱلْحَزْمِ ما فاجاهُ خَطْبٌ فَكادَهُ وَذُو ٱلْعَزْمِ ما عاناهُ أَمْرٌ(٢) فَعَنّاهُ
وَساعٍ إِلىٰ غاياتِ كُلِّ خَفِيَّةٍ مِنَ ٱلْمَجْدِ ما جاراهُ خَلْقٌ فَباراهُ
بِهِ رُدَّ نَحْوِي فائِتُ ٱلْحَظِّ راغِماً وَأَسْخَطَ فِيَّ ٱلدَّهْرُ مَنْ كانَ أَرْضاهُ
تَحامَتْنِيَ ٱلْأَيّامُ عِنْدَ لِقائِهِ كَأَنِّيَ فِيها بَأْسُهُ وَهْيَ أَعْداهُ
إِلَيْكَ رَحَلْتُ ٱلْعِيسَ تَنْقُلُ وَقْرَها ثَناءً وَلِلْأَعْلىٰ يُجَهَّزُ أَعْلاهُ
وَلا عُذْرَ لِي إِنْ رابَنِي ٱلدَّهْرُ بَعْدَما تَوَخَّتْكَ بِي(٣) يا خَيْرَ مَنْ تَتَوَخّاهُ
وَرَكْبٍ أَماطُوا ٱلْهَمَّ عَنْهُمْ بِهِمَّةٍ سَواءٌ بِها أَقْصىٰ(٤) ٱلْمَرامِ(٥) وَأَدْناهُ
قَطَعْتُ بِهِمْ عَرْضَ ٱلْفَلاةِ وَطالَما رَمىٰ مَقْتَلَ ٱلْبَيْداءِ عَزْمِي فَأَصْماهُ
وَسَيْرٍ كَإِيماضِ ٱلْبُرُوقِ وَمَطْلَبٍ لَبِسْنا ٱلدُّجىٰ مِنْ دُونِهِ وَخَلَعْناهُ
إِلىٰ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَعْدِ ٱلْجَزِيلِ عَطاؤُهُ إِلىٰ ٱلْقَمَرِ ٱلسَّعْدِ ٱلْجَمِيلِ مُحَيّاهُ

---

(١) فحسبتها (ت) .
(٢) حطبٌ فعنّاه (ظ) .
(٣) لي (ك ، ت) .
(٤) أدنى المرام وأقصاه (م) .
(٥) المراد (ن) .

إِلى رَبْعِ عَمّارِ بْنِ عَمّارٍ ٱلَّذي تَكَفَّلَ أَرْزاقَ ٱلْعُفاةِ(١) بِجَدْواهُ
وَلَمّا بَلَغْناهُ بَلَغْنا بِهِ ٱلْمُنىٰ وَشيكاً وَأَعْطَيْنا ٱلْغِنىٰ مِنْ عَطاياهُ
فَتىً لَمْ نَمِلْ يَوْماً بِرُكْنِ سَماحِهِ عَلى حَدَثانِ ٱلدَّهْرِ إِلاّ هَدَمْناهُ
مِنَ ٱلْقَوْمِ ياما أَمْنَعَ ٱلْجارَ بَيْنَهُمْ وَأَحْلىٰ مَذاقَ ٱلْعَيْشِ فيهِمْ وَأَمْراهُ
وَأَصْفىٰ حَياةً عِنْدَهُمْ وَأَرَقَّها وَأَبْرَدَ ظِلاًّ في ذَراهُمْ(٢) وَأَنْداهُ
أَغَرُّ صَبيحٌ عِرْضُهُ وَجَبينُهُ كَأَنَّهُما أَفْعالُهُ وَسَجاياهُ
لَكَ ٱللهُ ما أَغْراكَ بِٱلْجُودِ هِمَّةً سُرُوراً بِما تَحْبُو كَأَنَّكَ تُحْباهُ
دَعَوْنا رُقُودَ ٱلْحَظِّ بِٱسْمِكَ دَعْوَةً فَهَبَّ كَأَنّا مِنْ عِقالٍ نَشَطْناهُ
وَجُدْتَ فَأَثْنَيْنا بِحَمْدِكَ إِنَّهُ ذِمامٌ بِحُكْمِ ٱلْمَكْرُماتِ قَضَيْناهُ
مَكارِمُ أَدْنَيْنَ ٱلزَّمانَ فَقَدْ غَدا بِها مُقْلِعاً عَمّا جَنىٰ وَتَجَنّاهُ
أَيامَنْ أَذالَ ٱلدَّهْرُ حَمْدي فَصانَهُ وَقَلَّصَ ظِلَّ ٱلْعَيْشِ عَنّي فَأَضْفاهُ
وَعَلَّمَني كَيْفَ ٱلْمَطالِبُ جُودُهُ وَما كُنْتُ أَدْري ما ٱلْمَطالِبُ لَوْلاهُ
لَأَنْتَ ٱلَّذي أَغْنَيْتَني وَحَمَيْتَني لَيالِيَ لا مالٌ لَدَيَّ وَلا جاهُ

---

(١) العباد (س، ك، ت) .

(٢) الذَّرَا : فناء الدار ونواحيها وكل ما استترت به .



أَنَلْتَنِيَ ٱلْقَدْرَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَمَّنْتَنِي ٱلْخَطْبَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ

وَأَمْضَبْتَ عَضْباً مِنْ لِسانِيَ بَعْدَما عَمِرْتُ(١) وَحَدّاهُ سَواءٌ وَصَفْحاهُ

وَسَرْبَلْتَنِي بِالْعِزِّ حَتّى تَرَكْتَنِي بِحَيْثُ يَرانِي ٱلدَّهْرُ كُفْؤاً وَإِيّاهُ

فَدُونَكَ ذا ٱلْحَمْدَ ٱلَّذِي جَلَّ لَفْظُهُ وَدَقَّ عَلَى(٢) ٱلْأَفْهامِ فِي ٱلْفَضْلِ مَعْناهُ

فَلا (طُلَّ)(٣) إِلّا مِنْ(٤) حِبائِكَ رَوْضُهُ وَلا باتَ إِلّا فِي فِنائِكَ مَأْواهُ



---

(١) عَمِرَ الرجلُ : عاش زماناً طويلاً .

(٢) عن (ط) .

(٣) طُلَّ الروض : نزل عليه الطَّلُّ وهو الندى . وفى جميع النسخ (فلا طَلَّ) ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٤) من حياتك (س ، م) ، من حبابك (ت ، ن) ، فى حبائك (ك) .

١٨

وقال [١] ارتجالاً يهنيه بظهور ولده شرف الدوله أول يوم ركوبه وعمره خمس سنين :

أَلا [٢] هٰكَذا تَسْتَهِلُّ ٱلْبُدُورُ ... مَحَلٌّ عَلِيٌّ وَوَجْـــــهٌ مُنِيرُ
وَجَدٌّ سَعِيدٌ وَمَجْــــــدٌ مَشِيدٌ ... وَعِزٌّ [٣] جَدِيدٌ وَعَيْشٌ نَضِيرُ
وَيَوْمٌ يَصِحُّ ٱلرَّجاءُ ٱلْعَلِيــلُ ... بِهِ وَيَطُولُ ٱلثَّناءُ ٱلْقَصِيرُ
دَعا شَرَفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَجْــدُ فِيهِ ... فَلَبّـــــاهُ مِنْبَرُهُ وَٱلسَّرِيرُ
مَرامٌ بِــكُلِّ فَلاحٍ حَقِيقٌ [٤] ... وَسَعْيٌ بِكُلِّ نَجـــاحٍ جَدِيرُ
عَلَى ٱلطّالِعِ ٱلسَّعْدِ يا ٱبْنَ ٱلْمُلُو ... كِ هٰذا ٱلرُّكُوبُ وَهٰذا ٱلظُّهُورُ
طَلَعْتَ تُجَلِّي ٱلدُّجىٰ وَٱلْخُطُوبَ ... بِوَجْهٍ عَلَيْهِ بَهاءٌ وَنُورُ
تَكَفَّلَ رِيَّ ٱللِّحاظِ ٱلعِطــــا ... شِ ماءٌ مِنَ ٱلْحُسْنِ فِيهِ نَمِيرُ
يَتِيهُ بِكَ ٱلْمُلْكُ وَهْوَ ٱلْوَقُورُ ... وَيَشْجىٰ بِكَ ٱلدَّهْرُ وَهْوَ ٱلصَّبُورُ

(١) لم ترد كلمة (ارتجالاً) فى (ك ، س ، ب) .
(٢) لم رد هده القصيده كلها فى (ط) .
(٣) وحد حديد ... (ت) .
(٤) حليق (ت) .

ظُهُورٌ ظَهِيرٌ عَلَى ٱلْمَطْلَبَــاتِ فَـكُلٌّ عَسِيرٍ لَدَيْهَا(١) يَسِيرُ

صَباحٌ صَبِيحٌ بِأَمْثَــالِهِ تَقَرُّ ٱلْعُيُونُ وَتَشْفَىٰ ٱلصُّدُورُ

شَرِبْنَــا بِهِ ٱلْعِزَّ صِرْفاً فَمالَ بِنا طَرَباً وَٱتَّقَتْنا ٱلْخُمُورُ

وَما لَذَّةُ ٱلسُّكْرِ(٢) إِلاّ بِحَيْثُ تُغَنِّىٰ ٱلْمُنَىٰ وَيَدُورُ ٱلسُّرُورُ

فَيا شَرَفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُسْتَجَــارُ لَكَ ٱللهُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ مُجِيرُ

لِمِثْلِكَ حَقّاً وَإِنْ قَلَّ عَنْكَ يُرَشَّحُ هٰذا ٱلْمَحَلُّ ٱلْخَطِيرُ

فَإِنَّ ٱلنُّجُومَ حَرِىٌّ(٣) بِٱلسَّماءِ وَأَحْرَىٰ بِها ٱلْقَمَرُ ٱلْمُسْتَنِيرُ

لَقَدْ هُزَّ لِلطَّعْنِ رُمْحٌ سَدِيدٌ(٤) وَجُرِّدَ لِلضَّرْبِ نَصْلٌ طَرِيرُ

وَسُوِّمَ لِلسَّبْقِ يَوْمَ ٱلرِّهَــانِ جَوادٌ بِطُولِ ٱلْمَدَىٰ لا يَخُورُ(٥)

فَتىً ســادَ فِي مَهْدِهِ ٱلْعالَمِينَ وَشادَ ٱلْعُلَىٰ وَهْوَ طِفْلٌ صَغِيرُ

غَنِيٌّ مِنَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْمَكْرُماتِ وَلٰكِنَّهُ مِنْ نَظِيرٍ فَقِيرُ

---

(١) لديه (ت) .

(٢) التسكر (م ، ت) .

(٣) الحَرِىّ : الخليق .

(٤) شديد (ك ، ت ، ن) .

(٥) لا يحور (ك ، ت) .



فَلا زالَ ذا(١) ٱلسَّعْدُ مُسْتَوْطِناً مَحلَّكَ ما حَلَّ قَلْباً ضَميرُ
وَلا بَرِحَ ٱلْمُلْكُ يـــا فَخْرَهُ وَمَجْدُكَ قُطْبٌ عَلَيْهِ يَدُورُ
وَأُعْطِيتَ في شَرَفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْـ بَقاءَ ٱلَّذي تَتَمَنّىٰ ٱلدُّهُورُ
وَلا زالَ حَمْدِيَ وَقْفاً عَلَيْكَ إِلَيْكَ رَواحِي بِهِ وَٱلْبُـكُورُ
ثَنـــاءٌ كَما هَبَّ غِبَّ ٱلْحَيا بِنَشْرِ ٱلرِّياضِ نَسيمٌ عَطِيرُ
مُقيمٌ لَدَيْكَ وَلٰـكِنَّهُ بِمَدْحِكَ في كُلِّ فَجٍّ يَسِيرُ



(١) والسعد (ك)، ذو السعد (ت) .

١٩

وقال أيضاً يمدح شرف الدولة ووالده فخر الملك، ويهنيه بعيد الفطر وبالبرء من مرضه (سنة ٤٨٢)(١) :

لَنا كُلَّ يَوْمٍ هَناءٌ جَدِيدُ وَعِيدٌ مَحاسِنُهُ لا تَبِيدُ
وَعَيْشٌ يَرِفُّ(٢) عَلَيْهِ ٱلنَّعِيمُ وَجَدٌّ تَظافَرُ(٣) فِيهِ ٱلسُّعُودُ
وَدارٌ يُخَيِّمُ فِيها ٱلسَّماحُ وَبابٌ تَلاقىٰ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ
بِبُرْئِكَ(٤) يا شَرَفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱسْتَفادَ سَعادَتَهُ ٱلْمُسْتَفِيدُ
لَقَدْ دَفَعَ ٱللّٰهُ لِلْمَجْدِ عَنْكَ وَأُعْطِيَ فِيكَ ٱلنَّدىٰ ما يُرِيدُ
فَسُهِّلَ مِنْهُ ٱلطِّلابُ ٱلْعَسِيرُ وَقُرِّبَ مِنْهُ ٱلْمَرامُ ٱلْبَعِيدُ
وَأَشْرَقَ(٥) ذاكَ ٱلرَّجاءُ ٱلْعَبُوسُ وَرُدَّ عَلَيْنا ٱلْعَزاءُ(٦) ٱلشَّرُودُ

---

(١) ما بين الهلالين من (ن) .
(٢) يرف (ك) .
(٣) يريد تتظافر تتظاهر أي تتعاون ، تقليداً لابن حيّوس انظر مقدمة ديوان ابن حيّوس ، الحاشية (٢) ، ص (٤٣) .
(٤) ببرئك (ك ، ي ، ن) .
(٥) وأشرف (ك ، ت) .
(٦) المعز (ك) .
(٧) لم يرد هذا البيت في (ى) .

فَأَعْيادُنا مالَهــا مُشْبِهٌ وَأَفْراحُنـا ما عَلَيْها مَزِيدُ(١)
وَكَيْفَ يُقَوِّضُ عَنّا السُّرُورُ وَأَنْتَ إِذا ما انْقَضَى الْعِيدُ عِيدُ
هَنِيئًا لِأَيّامِ دَهْرٍ نَمَتْكَ أَلا إِنَّ ذا الدَّهْرَ دَهْرٌ سَعِيدُ
لَقَدْ طَرَّقَتْ(٢) بِكَ أُمُّ الْعَلاءِ بِيَوْمٍ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ حَسُودُ
فَأَنْتَ عَلَى الدَّهْرِ حَلْيٌ بَهِيٌّ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجْدِ تاجٌ عَقِيدُ
رَجَعْتَ لَيـالِيَهُ السُّودَ بِيضًا وَكانَـ وَأَيّامُهُ الْبِيضُ سُودُ
فَعِشْ ما تَشاءُ بِهِ ضافِيــاً عَلَيْكَ مِنَ الْعِزِّ ظِلٌّ مَدِيدُ
فَأَنْزَرُ نَيْلِكَ فِيهِ الْعَلاءُ(٣) وَأَيْسَرُ عُمْرِكَ فِيــهِ الْخُلُودُ
وَقُلْ لِأَبِيكَ وُقِي السُّوءَ فِيكَ كَذا فَلْتُرَبِّ الشُّبُولَ الْأُسُودُ
فَلَوْلاكَ أَعْجَزَ أَهْــلَ الزَّمانِ شَبِيهٌ لَهُ فِي الْعُلَى أَوْ نَدِيدُ
فَبُقِّيتُما مــا دَجا غَيْهَبٌ وَما ابْيَضَّ صُبْحٌ وَما اخْضَرَّ عُودُ
وَلا أَخْفَقَتْ فِيكَ هٰذِي الظُّنُونُ وَلا أَخْلَفَتْ مِنْكَ هٰذِي الْوُعُودُ
وَلِي حُرْمَةٌ بِكَ إِنْ تَرْعَها فَمِثْلُكَ تُرْعَى لَدَيْهِ الْعُهُودُ
بِأَنِّيَ أَوَّلُ مُثْنٍ عَلَيْكَ وَأَوَّلُ مَنْ نالَهُ مِنْكَ جُودُ

(١) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٢) يريد بقوله : « طرّقت بك » أتت بك . على أن الرواية في (ت)
« لقد ظفرت بك أم العلى » .
(٣) فيه الغنى (ت) .

٢٠

وقال يمدح فخر الملك عند وصوله إلى دمشق (من طرابلس في شهر رمضان سنة إحدى وخمس مايةٍ)[1] :

مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ قَبْلَكَ[2] فِي أُفْقٍ وَلَا مَوْكِبِ[3]
وَلَا سَمَتْ هِمَّةُ ذِي هِمَّةٍ حَتَّى ٱسْتَوَتْ فِي ذُرْوَةِ ٱلْكَوْكَبِ
هَانَ ٱلَّذِي عَزَّ وَنِلْتَ ٱلَّذِي حَاوَلْتَهُ مِنْ دَرَكِ ٱلْمَطْلَبِ
فَٱسْعَدْ وَبُشْرَاكَ بِهَا عِزَّةً مَتَى تَرُمْ صَهْوَتَهَا تَرْكَبِ
مُمَلَّأً بِٱلْعِزِّ سَامِي ٱلْعُلَى مُهَنَّأً بِٱلظَّفَرِ ٱلْأَقْرَبِ
مَا ٱلْفَخْرُ فَخْرَ ٱلْمُلْكِ إِلَّا ٱلَّذِي شِدْتَ بِطِيبِ ٱلْفِعْلِ وَٱلْمَنْصِبِ
فَٱلْيَوْمَ أَدْرَكْتَ ٱلْمُنَى[4] غَالِباً وَلَيْسَ غَيْرُ ٱللَّيْثِ بِٱلْأَغْلَبِ
فَٱلنَّصْرُ كُلُّ ٱلنَّصْرِ فِي سَيْفِكَ ٱلْـ بَاتِكِ أَوْ فِي عَزْمِكَ ٱلْمِقْضَبِ
فِي عِزِّكَ ٱلْأَقْعَسِ أَوْ هَمِّكَ ٱلْـ أَشْرَفِ أَوْ فِي رَأْيِكَ ٱلْأَنْجَبِ
يَا كَاشِفاً لِلْخَطْبِ[5] يَا رَاشِفاً لِلْعَذْبِ مِنْ ثَغْرِ ٱلْعُلَى ٱلْأَشْنَبِ

---

(١) ما بين الهلالين لم يرد إلا في (ك) .
(٢) مثلك (ن) .
(٣) لم يرد في (ظ) إلا أربعة أبيات من هذه القصيدة .
(٤) العلى (ت) .
(٥) للكروب (ك) .

٢١

وقال يهنىء شمس الملك(١) أبا الفرج محمد بن أمين الدولة أبي طالب عبد الله بن عمار بولد(٢) له ، أنشده إياها بطرابلس الشام :

أَتُرَى ٱلْهِلالَ أَنارَ ضَوْءَ جَبِينِهِ حَتَّىٰ أَبانَ ٱللَّيْلُ عَنْ مَكْنُونِهِ
شَفَّ ٱلْحِجابُ بِنُورِهِ حَتَّىٰ رَأَىٰ مُتَأَمِّلٌ ما خَلْفَهُ مِنْ دُونِهِ
أَوَما رَأَيْتَ ٱلْمُلْكَ تَمَّ بَهاؤُهُ بِضِياءِ كَوْكَبِ شَمْسِهِ ٱبْنِ أَمِينِهِ
نُضِيَ ٱلْحُسامُ فَدَلَّ رَوْنَقُ صَفْحِهِ(٣) وَظُباهُ أَنَّ ٱلْمَجْدَ بَعْضُ قُيُونِهِ
يا حَبَّذا ٱلثَّمَرُ ٱلْجَنِيُّ بِدَوْحَةِ ٱلْـ حَسَبِ ٱلزَّكِيِّ وَناعِماتِ غُصُونِهِ
ما عُذْرُهُ أَلَّا يَطِيبَ مَذاقُهُ طِيبَ ٱلسُّلافِ وَأَنْتَ مِنْ زَرَجُونِهِ(٤)

---

(١) لعله ذو المناقب بن أمين الدولة أبي طالب عبد الله بن عمار ، انظر الحاشية رقم (١) ص (٤٩) .

(٢) اسم هذا الولد عبد الله كما يؤخذ مما ورد في أواخر هذه القصيدة وهو قوله :

وكأن عبدَ الله عبدُ الله في حركات همته وفضل سكونه

(٣) صَفْحُ السيف : عرضه . والظُّبى : جمع ظُبَة وهي حدُّ السيف . والقُيُون : جمع قَيْن وهو الحدّاد والصانع .

(٤) السُّلاف : أفضل الخمر . والزَّرَجون : شجر العنب .

اَلْيَوْمَ مَدَّ إِلىٰ ٱلْمَطَـــالِبِ بَاعَهُ ... مَنْ لَمْ تَكُنْ(١) خَطَرَتْ بِلَيْلٍ(٢) ظُنُونُـهِ
حَلَّ ٱلرَّجَاءُ وَثَاقَـ كُلِّ مَسَرَّةٍ ... كَـانَتْ أَسِيرَةَ هَمِّهِ وَشُجُونِـهِ(٣)
قَدْ كَـانَ رَجَّمَ ظَنَّهُ فِيكَ ٱلنَّدىٰ ... فَجَلا ظَلامَ ٱلشَّكِّ صُبْحُ(٤) يَقِينِهِ
أَطْلَعْتَ بَدْراً فِي سَمَاءِ مَمَالِكٍ(٥) ... سَهِرَ ٱلْجَمَالُ وَنَامَ فِي تَلْوِينِهِ(٦)
عَلِقَتْ يَدُ ٱلْآمَالِ يَوْمَ وِلادِهِ ... بِعَرِيرٍ حَبْلِ ٱلْمَـكْرُمَاتِ مَتِينِهِ
بِأَجَلِّ(٧) مَوْلُودٍ لِأَكْرَمِ(٨) وَالِدٍ ... سَمْحٍ مُبَـــارَكِ مَوْلِدٍ(٩) مَيْمُونِـهِ
صَلْتِ ٱلْجَبِينِ كَأَنَّـ دُرَّةَ تَاجِهِ ... جَعَلَتْ تَرَقْرَقُ فِي مَكَانِ غُضُونِـهِ
رَبِّ(١٠) ٱلْجِيَادَ لِرَبِّهَا يَوْمَ ٱلْوَغىٰ ... وَصُنِ ٱلْحُسَامَ لِخِلِّهِ وَخَـــدِينِهِ
قَدْ بَاتَ يَشْتَاقُ ٱلْعِنَــــانُ شِمَالَهُ ... شَوْقَ ٱلْيَرَاعِ(١١) إِلىٰ بَنَانِ يَمِينِهِ

---

(١) من لم يكن (ك ، ت ، ي ، ن) .
(٢) سيل طنونه (ظ) .
(٣) وسجونه (ي) .
(٤) نور يقيبه (ظ) .
(٥) مناقب (ك) .
(٦) تكوينه (ك ، ظ ، ت ، ي) .
(٧) يا حسن مولود (ك) .
(٨) وأكرم والدٍ (ي ، ت) .
(٩) والد (ت) .
(١٠) رُدَّ ... (ك) .
(١١) اليراع : القصب والواحدة يراعة ، ومن معانيها القلم .

وَاُعْقِدْ[(١)] لَهُ ٱلتَّاجَ ٱلْمُنِيفَ فَإِنَّما ... فَخْرُ ٱلْمَفاخِرِ عَقْدُها لِجَبِينِهِ[(٢)]
لَغَدَوْتَ تَقْتـــادُ ٱلْمُنَى بِزِمامِها ... وَتَرُوضُ سَهْلَ ٱلنَّيْلِ غَيْرَ حَرُونِهِ[(٣)]
بِٱلْعَزْمِ[(٤)] إِذْ يُنْطِيكَ عَفْوَ نَجاحِهِ ... وَٱلْحَزْمِ إِذْ يُعْطِيكَ ظَهْرَ أَمُونِهِ
فَٱلْيَوْمَ هَزَّ ٱلْمَجْدُ مِنْ أَعْطافِهِ ... تِيهاً وَباحَ مِنَ ٱلْهَوَى بِمَصُونِهِ
وَٱلْآنَ[(٥)] ذُدْتَ عَنِ ٱلْعُلَى وَذَبَبْتَ[(٦)] عَنْ ... مَجْدٍ يَعُدُّكَ مِنْ أَعَزِّ حُصُونِهِ
وَٱللَّيْثُ ذُو ٱلْأَشْبالِ أَصْدَقُ مَنْعَةً ... لِفَرِيسَةٍ وَحِمـــايَةً لِعَرِينِهِ
وَٱلْآنَ إِذْ نَشَأَ ٱلْغَمامُ وَصَرَّحَتْ ... نَفَحاتُ[(٧)] جَوْنِيِّ ٱلرَّبابِ هَتُونِهِ
فَلْيَعْلَمِ ٱلْغَيْثُ ٱلْمُجَلْجِلُ رَعْدُهُ ... أَنَّ ٱلسَّماحَ مَعِينُهُ بِمَعِينِهِ
وَلْيَـأْخُذِ ٱلْجَدُّ[(٨)] ٱلْعَلِيُّ مَكانَهُ ... مِنْ أُفْقِ مَحْرُوسِ ٱلْعَلاءِ مَكِينِهِ
وَلْيَضْرِبِ ٱلْعِزُّ ٱلْمَنِيعُ رُواقَهُ ... بِجَنابِ مَمْنُوعِ ٱلْجَنابِ حَصِينِهِ
وَلْتَبْتَنِ ٱلْعَلْياءُ شُمَّ قِبابِهـــا ... بِذُرَى رُباهُ أَوْ سُفُوحِ مُتُونِهِ

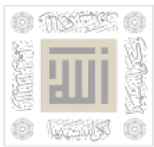
---

(١) فاعقد (ن) .
(٢) بحبينه (ك) .
(٣) حزونه (ك ، ي ، ت) . دون حرونه (ن) .
(٤) بالعز ... (س) ، وموضع هذا البيت في (ك) قبل سابقه .
(٥) واليوم (ط) .
(٦) ودفعت (ك) .
(٧) بالغيث حوني .... (س ، ط ، ي ، م ، ع ، ت) .
(٨) المجد (ت) .

وَلْيَحْظَ رَبْعُ ٱلْمَكْرُماتِ بِأَنْ غَدا ... شَرِقَ (١) ٱلْمَنازِلِ آهِلاً بِقَطِينِهِ
وَلْتَخْلَعِ ٱلْأَفْكارُ عُذْرَ جِماحِها ... بِنِظامِ أَبْكارِ ٱلْقَرِيضِ وَعُونِهِ
سِرْبٌ مِنَ ٱلْحَمْدِ (٢) ٱلْجَزِيلِ غَدَوْتُمُ ... مَرْعىً عَقائِلِهِ وَمَوْرِدَ عِينِهِ
كَمْ مِنْبَرٍ شَوْقاً إِلَيْهِ قَدِ ٱنْحَنَتْ ... أَعْوادُهُ مِنْ وَجْدِهِ وَحَنِينِهِ
وَمُطَهَّمٍ قَدْ وَدَّ أَنَّ سَراتَهُ ... مَهْدٌ لَهُ فِي سَيْرِهِ وَقُطُونِهِ
وَمُخَزَّمٍ (٣) ناجَتْ ضَمائِرُهُ ٱلْمُنىٰ ... طَمَعاً بِقَطْعِ سُهُولِهِ وَحُزُونِهِ
وَمُهَنَّدٍ قَدْ وامَرَتْهُ شِفارُهُ ... بِطُلَىٰ ٱلْعَدُوِّ أَمامَهُ وَشُؤُونِهِ
وَمُثَقَّفٍ قَدْ كانَ قَبْلَ طِعانِهِ ... تَنْدَقُّ أَكْعُبُهُ بِصَدْرِ طَعِينِهِ
وَكَأَنَّ عَبْدَ ٱللّٰهِ (٤) عَبْدُ ٱللّٰهِ فِي ... حَرَكاتِ هِمَّتِهِ وَفَضْلِ سُكُونِهِ
لَمْ تَرْضَ (٥) أَنْ كُنْتَ ٱلْكَفِيلَ بِشَخْصِهِ ... حَتّىٰ شَفَعْتَ كَفِيلَهُ بِضَمِينِهِ
نَشَرَ ٱلْأَمِينَ (٦) وِلادُهُ فَجَنَيْتَهُ ... مِنْ غَرْسِهِ وَجَبَلْتَهُ مِنْ طِينِهِ

---

(١) شرف .. (ت) .
(٢) المجد (ن) ..
(٣) ومحزّم (ك ، ظ ، ي ، ن) .
(٤) عبد الله الأول : المولود . والثاني : حده .
(٥) لم يرض (ك) .
(٦) الأمين : أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار والد الممدوح وحد المولود .

ذاكَ ٱلَّذِي لَوْ خَلَّدَ ٱللّٰهُ ٱلنَّدىٰ وَٱلْبَأْسَ ما مُنِيا بِيَوْمِ مَنُونِهِ

وَإِذا (١) أَرَدْتُ لِقَبْرِهِ أَزْكىٰ حَيًا يُرْوِيهِ قُلْتُ سَقاهُ فَضْلُ دَفِينِهِ

أَمّا ٱلْهَناءُ فَلِلزَّمانِ وَأَهْلِهِ كُلٌّ يَدِينُ مِنَ ٱلزَّمانِ (٢) بِدِينِهِ

كَٱلْغَيْثِ جادَ فَعَمَّ أَرْضَ شَرِيفِهِ وَدَنِيِّهِ وَصَرِيحِهِ وَهَجِينِهِ

لٰكِنَّ أَهْلَ ٱلْفَضْلِ أَوْلاهُمْ بِهِ مَنْ ذا أَحَقُّ مِنَ ٱلصَّفا (٣) بِحَجُونِهِ

عِيدٌ وَمَوْلُودٌ كَأَنَّ بَهاءَهُ زَهْرُ ٱلرَّبِيعِ وَمُعْجِباتُ فُنُونِهِ

فَتَمَلَّهُ عُمْرَ ٱلزَّمانِ مُمَتَّعاً بِفَتَى ٱلْعُلىٰ وَأَخِي ٱلنَّدىٰ وَقَرِينِهِ

---

(١) فاذا ... (ك ، ي) ، والبيت ساقط من (ن) .

(٢) من الأنام بديه (ك) ، من الهناء بدينه (ظ) .

(٣) الصفا : مكان مرتفع من جبل أبي قبس بمكة . والحجون : جبل بأعلى مكة .

٢٢

وقال يهنىء الشريف أنس (١) الدولة أبا جعفر عبيد الله بن الحسن بن المحسن الجعفري بطهور ولده الحسين :

بِبَهــاءِ وَجْهِكَ تُشْرِقُ ٱلْأَنْوارُ وَبِفَضْلِ (٢) مَجْدِكَ تَفْخَرُ ٱلْأَشْعارُ
آنَسْتَ أُنْسَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَجْدَ ٱلَّذي ما زالَ فِيهِ عَنِ ٱلْأَنامِ نِفــارُ
بِمَكارِمٍ نَصَرَتْ يَداكَ بِها ٱلْعُلىٰ إِنَّ ٱلْمَكارِمَ لِلْعُلىٰ أَنْصــارُ
وَإِذا (٣) ٱلْفَتىٰ جَعَلَ ٱلْمَحامِدَ (٤) غايَةً لِلمَكْرُماتِ فَبَذْلُها الْمِضْمــارُ
فَٱسْعَدْ وَدامَ لَكَ ٱلْهَناءُ بِماجِدٍ طالَتْ بِهِ ٱلْآمالُ وَهْيَ قِصارُ
لَوْلاهُ فِي كَرَمِ ٱلْخَلِيقَةِ وَٱلنُّهىٰ لَمْ تَكْتَحِلْ بِشَبِيهِكَ ٱلْأَبْصارُ
كَمْ لَيْلَةٍ لَكَ ما لَهَا مِنْ ضَرَّةٍ مِنْهُ وَيَوْمٍ ما لَهُ أَنْظــارُ
جادَتْ أَنامِلُكَ ٱلْغِزارُ بِهِ (٥) ٱلْوَرىٰ وَمِنَ ٱلسَّحائِبِ تُغْدِقُ ٱلْأَمْطارُ

---

(١) وقال أيضــاً يهني الشريف أنس الدولة بن دي الجلالتين الجعفري بطهور ولده (ك) .

(٢) وبفصل مدحك (ك) وبيمن مجدك (ت) .

(٣) فإذا (ك) .

(٤) المكارم (ك ، ت) .

(٥) بها (ت) .

وَتَتَابَعَتْ قَطَرَاتُ غَيْثِكَ أَنْعُماً ... إِنَّ الْكَرِيمَ سَمَاؤُهُ (١) مِدْرَارُ
وَأَضَاءَ مَجْدُكَ بِالْحُسَيْنِ وَمَجْدِهِ (٢) ... وَكَذَا السَّمَاءُ تُنِيرُهَا الأَقْمَارُ
قَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا يُنَالُ وَقَدْرُهُ ... أَعْلَى وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ نِثَارُ
وَجَرَتْ بِهِ خَيْلُ السُّرُورِ إِلَى مَدَى ... فَرَحٍ دُخَانُ النَّدِّ فِيهِ غُبَارُ
وَحَوَى صَغِيرَ السِّنِّ غَايَاتِ الْعُلَى ... وَصِغَارُ أَبْنَاءِ الْكِرَامِ كِبَارُ
يُنْبِي الْفَتَى قَبْلَ الْفِطَامِ بِفَضْلِهِ ... وَيَبِينُ (٣) عِتْقُ الْخَيْلِ وَهْيَ مِهَارُ
لَمْ تَلْحَظِ الأَبْصَارُ يَوْمَ طَهُورِهِ ... إِلاَّ كُؤُوساً لِلسُّرُورِ تُدَارُ
فَغَدَوْتَ تَشْرَعُ (٤) فِي حَلاَلٍ مُسْكِرٍ ... مَا كُلُّ مَا طَرَدَ الْهُمُومَ عُقَارُ
قَمَرٌ يُضِيءُ جَمَالُهُ وَكَمَالُهُ ... حَتَّى يُعِيدَ اللَّيْلَ وَهْوَ نَهَارُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرُومَ لِمِثْلِهِ ... طُهْراً وَكَيْفَ يُطَهَّرُ (٥) الأَطْهَارُ
قَدْ طَهَّرَتْهُ أُبُوَّةٌ وَمُرُوءَةٌ ... وَنَمَى بِهِ فَرْعٌ وَطَابَ نِجَارُ
إِنَّ الْعُرُوقَ الطَّيِّبَاتِ كَفِيلَةٌ ... لَكَ حِينَ تُثْمِرُ (٦) أَنْ تَطِيبَ ثِمَارُ

---

(١) عطاؤه (ت) .
(٢) وأهله (ت) .
(٣) وتبين عِتْق ... (س ، لـ ، م ، ع) .
(٤) تسرع : تشرب .
(٥) تُطَهَّرُ (، ت ، ي ، ن) .
(٦) يثمر (س) .

لَبِسْتَ(١) مِنْ شَرَفِ ٱلْمَنَاسِبِ(٢) حُلَّةً ... بِٱلْفَخْرِ يُسْدَى(٣) نَسْجُها وَيُنارُ(٤)
فَطُلِ ٱلْأَنامَ وَهَلْ تَرَكْتَ لِفاخِرٍ ... فَخْراً وَجَدُّكَ جَعْفَرُ(٥) ٱلطَّيَّارُ
بَنْمِيكَ(٦) صَفْوَةُ مَعْشَرٍ لَوْلاهُمُ ... ما كانَ يُرْفَعُ لِلْعَلاءِ مَنارُ
وَلِيٌّ وَخَلَّفَ كُلَّ فَضْلٍ فِيكُمُ ... وَٱلْغَيْثُ تُحْمَدُ بَعْدَهُ ٱلْآثارُ
إِنِّي ٱقْتَصَرْتُ عَلَى ٱلثَّناءِ وَلَيْسَ(٧) بِي ... عَنْ أَنْ تَطُولَ مَناسِبِي إِقْصارُ
وَلَرُبَّ قَوْلٍ لا يُعابُ بِأَنَّهُ ... خَطَلٌ وَلٰكِنْ عَيْبُهُ ٱلْإِكْثارُ
وَأَراكَ وَٱبْنَكَ لِلسَّماحِ خُلِقْتُما ... قَدْراً سَواءً وَٱلْوَرَى أَطْوارُ
فَبَقِيتُما عُمُرَ ٱلزَّمانِ مُصاحِبَيْ ... عَيْشٍ تَجَنَّبُ صَفْوَهُ ٱلْأَكْدارُ

* * *

(١) أُلبستَ (س ، ك ، ت) .
(٢) المناصب (س ، ظ ، م ، ع ، ت) ، المنازل (ك) .
(٣) أسدى الثوب : أقام سداه . والسَّدَى من الثوب ما مُدَّ من خيوطه وهو خلاف لحمته .
(٤) نارَ الثوبَ ونَيَّره وأناره : جعل له نيراً خلاف أسداه .
(٥) هو جعفر بن أبي طالب من أبطال الصحابة . انظر الاصابة ٢٣٧/١
(٦) تنميك (ت) ، يهنيك (ك) ومحله فيها بعد البيت الذي يليه .
(٧) وليس لي (ت) .



٢٣

وكتب إلى القاضي شمس الملك[١]، وقد احترق منزله وجميع ما فيه، يستعينه :

يَاْبْنَ مَنْ شادَ ٱلْمَعالِي جُودُهُ وَبَنَىٰ ٱلْمَجْدَ فَأَعْلَىٰ ما بَنا
آمَنَ ٱلْأُمَّةَ فِي أَيّامِهِ كُلَّ خَوْفٍ وَأَخافَ ٱلزَّمَنا
كُلَّما يَمَّمَ عافٍ رَبْعَهُ عَذُبَ ٱلْمَنْهَلُ أَوْ ساغَ ٱلْجَنا
قَدْ نَحَتْ عَظْمِي خُطُوبٌ لَمْ تَزَلْ تَأْكُلُ ٱلْأَحْرارَ أَكْلاً مُمْعِنا
وَأَتَتْنِي بَعْدَها نازِلَةٌ أَنْزَلَتْ فِي ساحَتَيَّ ٱلْمِحَنا
وَلَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْلَىٰ أَنْ[٢] تَلِي كَشْفَها يَاْبْنَ أَمِينِ[٣] ٱلْأُمَنا
فَٱنْتَهِزْها فُرْصَةً مُمْكِنَةً قَلَّ ما يُوجَدُ مَجْدٌ مُمْكِنا

* * *

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٨٣) .
(٢) أولى من يلي (ي) .
(٣) هو أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار، كان قاضي طرابلس، واستقل بها سنة ٤٦٢، وتوفي سنة ٤٦٤ .

٢٤

وكتب إلى أبي الحسين أحمد بن علي الزهيري[١] وقد عول على الحج :

يا فَرْحَةَ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ إِذا ... ما قِيلَ هٰـذا أَحْمَدُ بْنُ عَلِي
وافـــاهُ خَيْرُ مُعَرِّسٍ وَثَنَىٰ ... عَنْهُ ٱلْأَزِمَّـةَ خَيْرُ مُحْتَمِلِ[٢]
فَكَأَنَّنِي بِٱلْعِيسِ قـافِلَةً ... بِأَبَرِّ نَزّالٍ وَمُرْتَحِـلِ
سِرْ فِي ضَمانِ ٱللّٰهِ مُكْتَنَفاً[٣] ... حَتّىٰ تَعُودَ مُبَلَّغَ ٱلْأَمَـلِ
فَلَكَمْ حَجَجْتَ بِمـا تُنَوِّلُهُ ... وَأَرَحْتَ أَيْدِي ٱلْخَيْلِ وَٱلْإِبِلِ[٤]
لَوْ كانَ يَغْنَىٰ عَنْ تَيَمُّمِهِ ... أَحَدٌ غَنِيتَ بِصالِحِ ٱلْعَمَلِ

---

(١) لم أطلع على ترجمة له .
(٢) مرتحل (ك) .
(٣) مكتفياً (م ، ع) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ي) .

٢٥

وقال في أبي[١] الكتائب حمزة بن الحسين بطرابلس الشام :

يَا بْنَ ٱلْحُسَيْنِ وَأَنتَ[٢] مَنْ غُرِسَ ٱلنَّدىٰ ... فِي راحَتَيْهِ فَأَثْمَرَ[٣] ٱلْمَعْرُوفا
كَرَماً[٤] شُغِفْتَ[٥] بِهِ فَشاعَ حَدِيثُهُ ... حَتَّىٰ ٱغْتَدىٰ بِكَ ذِكْرُهُ مَشْعُوفا
وَلَأَنتَ أَعْرَقُ فِي ٱلْمَكارِمِ مَنْصِباً ... مِنْ أَنْ تَبِيتَ بِغَيْرِها مَوْصُوفا
وَإِذا ٱلْفَتىٰ كانَ ٱلسَّماحُ حَلِيفَهُ ... أَمْسىٰ وَأَصْبَحَ لِلثَّناءِ حَلِيفا
كَمْ هِزَّةٍ لَكَ وَٱرْتِياحٍ لِلنَّدىٰ ... لَوْلاهُ ما كانَ ٱلشَّرِيفُ شَرِيفا
أَفْنَيْتَ مالَكَ فِي ٱكْتِسابِكَ لِلْعُلىٰ ... وَصَحِبْتَ أَيّامَ ٱلزَّمانِ عَزُوفا
ما ضَرَّ دَهْراً غَدْرُهُ بِكِرامِهِ ... تَرْكَ ٱلْقَوِيِّ مِنَ ٱلرَّجاءِ[٦] ضَعِيفا
أَلّاَ يَكُونَ[٧] عَلَى ٱلْأَفاضِلِ أَنْعُماً ... وَعَلَى ٱللِّئامِ حَوادِثاً وَصُرُوفا

---

(١) لم أطلع على ترجمة له .
(٢) وأنت عرس للندى (ى) .
(٣) فأنت (س ، ك) .
(٤) كرمٌ (ك) .
(٥) شغفت . . . مشغوفاً (ي ، ت) .
(٦) من الرجال (ك ، ي ، ت) .
(٧) ألاّ تكون (ن) .

٢٦

وقال يرثي أبا محمد الحسن بن أحمد الزرافي وقد توفي باليمن بعد طول غيبة ويعزي أخاه أبا علي :

بَكَيْتُكَ لِلْبَيْنِ قَبْلَ ٱلْحِمامِ وَأَيْنَ مِنَ ٱلثُّكْلِ حَرُّ ٱلْغَرامِ
وَما كانَ ذاكَ ٱلْفِراقُ ٱلْمُشِتُّ إِلاّ دُخاناً لِهٰذا ٱلضِّرامِ
فَعُوِّضْتُ بَعْدَ ٱلْحَنِينِ(١) ٱلْأَنِينَ وَبُدِّلْتُ بَعْدَ ٱلْجَوىٰ بِٱلسَّقامِ
إِذا قَتَلَ ٱلْبُعْدُ أَهْلَ ٱلْهَوىٰ فَأَقْتَلُ لي مِنْهُ مَوْتُ ٱلْكِرامِ
فَيا قَمَراً يَمَنِيَّ ٱلْمَغِيبِ وَإِنْ كانَ مَطْلَعُهُ بِٱلشَّآمِ
أَكادُ لِذِكْرِكَ أَلْقىٰ ٱلْحِمامَ إِذا هَتَفَتْ ساجِعاتُ ٱلْحَمامِ
فَأَنْشُدُ(٢) مَثْواكَ عِنْدَ ٱلْهُبُوبِ وَأَرْقُبُ طَيفَكَ عِنْدَ ٱلْمَنامِ
وَأَهْفُو إِلىٰ كُلِّ بَرْقٍ يَمانٍ وَأَصْبُو إِلىٰ كُلِّ رَكْبٍ تَهامِ(٣)
وَأَسْأَلُ عَنْكَ نَسِيمَ ٱلرِّياحِ وَمَنْ لِلنَّسِيمِ بِمَنْ فِي ٱلرِّجامِ

(١) بعد الأنين الحنين (م) .
(٢) وأنشد (ك) .
(٣) تِهامي (ك ، ت) . قال المدائني تِهامة من اليمن والنسبة إليها تِهاميٌّ وتَهامٍ (معجم البلدان) .

وَإِنِّي لَظَامٍ إِلىٰ نَفْحَةٍ ... بِرَيَّاكَ ما وَرَدَ ٱلْماءَ ظَامِي
وَكَمْ عَبْرَةٍ لِي وَما بَيْنَنَا ... سِوىٰ أَنْ تَكِلَّ بَناتُ ٱلْمَوامِي
فَكَيْفَ وَقَدْ أَنْزَلَتْكَ ٱلْمَنُونُ ... بِأَسْحَقِ دارٍ وَأَنْأَى مَقامِ
غَرِيباً يُبَكِّي لَهُ ٱلْأَبْعَدُونَ ... صَرِيعاً يُوَسَّدُ صُمَّ ٱلسِّلامِ
سَلِيباً يُجَلْبَبُ[1] ثَوْبَ ٱلْبِلىٰ ... ضَعِيفاً يُحَمَّلُ[2] ثِقْلَ ٱلرَّغامِ
وَيا غائِباً كَمَدِي حاضِرٌ ... بِهِ ما شَجَتْ فاقِدٌ[3] بِأَلْبُغامِ
تَشَكَّتْ رِكابُكَ عَضَّ ٱلْقُتُودِ ... لَيالِي سُراكَ وَجَبَّ ٱلسَّنامِ
وَما كانَ غارِبُها فِي ٱلرَّحِيلِ ... بِأَوْجَعَ مِنْ كَبِدِي فِي ٱلْمُقامِ
زِمامٌ مَعَ ٱلْوَجْدِ لِي طَيِّعٌ ... طِواعَ ٱلْمُذَلَّلِ جَذْبَ الزِّمامِ
وَدَمْعٌ يُبارِي[4] وَجِيفَ ٱلْمَطِيِّ ... فَأَخْفافُها وَجُفُونِي دَوامِي
رُزِئْتُكَ حَيّاً وَخَطْبُ ٱلْفِرا ... قِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِخَطْبِ ٱلْحِمامِ
وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِي مُقْلَةٌ ... تَبِيتُ لِفَقْدِكَ ذاتَ ٱنْسِجامِ

---

(١) يجلبب (ك ، ت ، ن) .
(٢) يحمل (ك ، ت) .
(٣) ناقة (ك) .
(٤) يجاري (ك) .

فَداوَيْتُ شَوْقِي بِذِكْرِ ٱللِّقاءِ وَعَلَّلْتُ شَمْلِي بِعَوْدِ ٱلنِّظامِ
أُؤَمِّلُ قُرْبَكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَرْجُو لِقاءَكَ فِي كُلِّ عامِ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ مَرامِي ٱلْقَضاءِ قَدْ حُلْنَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَرامِ
فَسُدَّتْ مَطالِعُ ذاكَ ٱلْجَوادِ وَفُلَّتْ مَضارِبُ ذاكَ ٱلْحُسامِ
وَغُودِرَ مُحْيِي ٱلنَّدىٰ لِلْفَناءِ وَعُوجِلَ بانِي ٱلْعُلىٰ بِٱنْهِدامِ
فَواحَسْرَتا مَنْ أَذَلَّ ٱلْعَزِيزَ وَوَاأَسَفا مَنْ أَذَلَّ(١) ٱلْمُحامِي
عَجِبْتُ لِضَيْمِكَ تِلْكَ ٱلْغَداةَ وَما كانَ جارُكَ بِٱلْمُسْتَضامِ
وَأَيُّ فَتىً حاوَلَتْهُ ٱلْمَنُونُ فَلَمْ تَرْمِ عِزَّتَهُ بِٱهْتِضامِ
وَكَمْ بُزَّ مِنْ مانِعٍ لِلْجِوارِ وَضُيِّعَ مِنْ حافِظٍ لِلذِّمامِ
سَقَتْكَ بِأَلْطَفِ أَندائِها وَأَغْزَرِها سارِياتُ ٱلْغَمامِ
وَإِنْ قَلَّ ماءٌ مِنَ ٱلْقَطْرِ(٢) جارٍ فَجادَكَ قَطْرٌ مِنَ ٱلدَّمْعِ هامِ
وَبَكَّتْكَ كُلُّ عَرُوضِيَّةٍ تُرِنُّ(٣) بِها كُلُّ مِيمٍ وَلامِ
إِذا ضُنَّ عَنْكَ بِنَوْرِ ٱلرِّباضِ حَبَتْكَ غَرائِبَ نَوْرِ ٱلْكَلامِ

(١) أباح (ن) .
(٢) من المزن . . . (ت) .
(٣) تُرَنِّ (ت) .

لَعَمْرِي لَئِنْ ساءَنا ٱلدَّهْرُ فِيكَ ... لَقَدْ سَرَّنا في أَخِيكَ ٱلهُمامِ
هُوَ ٱلْمَرْءُ يَشْجُعُ فِي كُلِّ خَطْبٍ ... مَهُولٍ وَيَجْبُنُ عَنْ كُلِّ ذامِ
ذَهَبْتَ وَكَلَّفْتَهُ فِتْيَةً ... ذَوِي غُرَرٍ وَوُجُوهٍ وِسامِ
كَما أَوْدَعَ ٱلْأُفْقَ زُهْرَ ٱلنُّجُومِ ... وَوَلَّىٰ إِلَىٰ ٱلْغَرْبِ بَدْرُ ٱلتَّمامِ
عَلَى أَنَّ أَدْمُعَنا بِٱلْجُفُو ... نِ أَغْرِيٰ(١) مِنَ ٱلْوَجْدِ بِٱلْمُسْتَهامِ
وَلِمْ لا وَذِكْرُكَ يَرْمِي ٱلْقُلُوبَ ... بِأَنْفَذَ مِنْ صائِباتِ ٱلسِّهامِ
هُمُومٌ تُبَلِّدُ فَهْمَ(٢) ٱلْبَلِيغِ ... وَتُعْيِي نَوافِثَ(٣) سِحْرِ ٱلْكَلامِ
صَدَعْنَ ٱلْقُلُوبَ فَلَوْلا أَبُو ... عَلِيٍّ لَما ظَفِرَتْ بِٱلْتِئامِ
أَغَرُّ تُمَزِّقُ(٤) عَنْهُ ٱلْخُطُوبُ ... كَما مَزَّقَ ٱلْبَدْرُ ثَوْبَ ٱلظَّلامِ
رَعَتْ مَجْدَ آلِ ٱلزَّرافِيِّ(٥) مِنْهُ ... مَكارِمُ تَعْضُدُهُ بِٱلدَّوامِ
فَإِنْ حُطِمَ ٱللَّدْنُ فَٱلْعَضْبُ باقٍ ... وَإِنْ أَقْلَعَ ٱلْغَيْثُ فَٱلْبَحْرُ طامِ

---

(١) لأعرى (ت) .
(٢) قلب البليع (ك) .
(٣) بواقب (ت) .
(٤) يمزق (ت) .
(٥) أهل الرراقي (ك) .

وَفِي واحِدٍ مِنْ بَنِي أَحْمَدٍ ... لَنا خَلَفٌ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَنامِ

عَزاءَكَ يَاٱبْنَ ٱلْعُلَى إِنَّما ... تَهُونُ ٱلْعَظائِمُ عِنْدَ ٱلْعِظامِ

كَذا أَخَذَ ٱلنّاسُ فِي دَهْرِهِمْ ... بِقِسْمَيْنِ مِنْ عِيشَةٍ وَٱخْتِرامِ

فَكُلُّ ٱجْتِماعٍ بِهِ لِلشَّتاتِ ... وَكُلُّ رَضاعٍ بِهِ (١) لِلْفِطامِ

بَقِيتَ وَأَبْناؤُكَ ٱلْأَكْرَمُونَ ... بَقاءَ ٱلْهِضابِ بِرُكْنَيْ شَمامِ (٢)

فَمِثْلُكَ لَيْسَ عَلَى حادِثٍ ... أَلَمَّ فَنَكَّبَهُ مِنْ مَلامِ

* * *

٢٧

وقال يرثي أبا محمد (٣) بن أبي علي الرراقي :

يا قَبْرُ (٤) ما لِلْمَجْدِ عِنْدَكَ فَاحْتَفِظْ ... بِمُهَنَّدٍ ما كُنْتَ مِنْ أَغْمادِهِ

تَشْتاقُ مِنْهُ ٱلْعَيْنُ مِثْلَ سَوادِها ... وَيَضُمُّ مِنْهُ ٱلصَّدْرُ مِثْلَ فُؤادِهِ

---

(١) له (ت) .

(٢) شَمام : جبل لباهلة .

(٣) أبا محمد بن علي الرراقي (س ، ي) .

(٤) لم يرد هذا البيتان في (ك) .



٢٨

وقال في علي ابن الزراقي أيضاً :

مَحا[1] ٱلدَّهْرُ آثارَ ٱلْكِرامِ فَلَمْ يَدَعْ ... مِنَ ٱلْبَأْسِ وَٱلْمَعْرُوفِ غَيْرَ رُسُومِ
وَأَصْبَحْتُ أَسْتَجْدِي ٱلْبَخِيلَ نَوالَهُ ... وَأَحْمَدُ فِي ٱللَّزْباتِ[2] كُلَّ ذَمِيمِ
سِوىً[3] أَنَّ مِنْ آلِ ٱلزَّرافِيِّ مَعْشَراً ... وَفَوْا لِيَ لَمّا خانَ كُلُّ حَمِيمِ
هُمُ جَبَرُوا عَظْمِي ٱلْكَسِيرَ وَلاءَمُوا ... عَلَى طُولِ صَدْعِ ٱلنّائِباتِ أَدِيمِي
مَتىً خِفْتُ حالاً حالَ بَيْنِي وَبَيْنَها ... تَخاطُرُهُمْ مِنْ بُزَّلٍ وَقُرُومِ
وَإِنَّكَ مِنْهُمْ يا عَلِيُّ لَناصِرِي ... عَلَى كُلِّ خَطْبٍ لِلزَّمانِ عَظِيمِ

* * *

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٢) الكربات (ت) .
(٣) هذا البيت ساقط من (ي) .



٢٩

وسأله أبو الفرج[١] علي بن الحسين الزرافي أن يعمل أبيـاتاً في جارية أراد شراءها، واعترضها أبو الفتح محمد بن محمد القائض فتجافى له عنها، وأدرك المعترض غفلة عنها كانت سبباً إلى أن اشتراها غيره، فقال أبو عبد الله :

يا مُفْلِتَ ٱلظَّبْيَةِ ٱلْغَنّاءِ مِنْ يَدِهِ ... هَلاّ عَلِقْتَ بِها حُيِّيتَ مُقْتَنِصا
ذُقِ ٱلْمَلامَةَ مَحْقُوقاً فَما ظَلَمَتْ ... كَأْسُ ٱلنَّدامَةِ إِنْ جُرِّعْتَها غُصَصا
قَدْ أَمْـكَنَتْكَ فَما بادَرْتَ فُرْصَتَها ... مَنْ شاوَرَ ٱلْعَجْزَ لَمْ يَسْتَنْهِضِ[٢] ٱلْفُرَصا
وَقَدْ تَحاماكَ فِيها حاذِقٌ دَرِبٌ ... بِٱلصَّيْدِ لَوْلاكَ لَمْ يُحْجِمْ وَلا نَـكَصا
إِنَّ ٱللَّبِيبَ إِذا ما عَنَّ[٣] مَطْلَبُهُ ... أَهْوى إِلَيْهِ وَلَمْ يَنْظُرْ بِهِ ٱلرُّخَصا

* * *

(١) أبو الفرج بن علي الزرافي (م) .
(٢) لم يستنهو (ك ، ت) ، يستنهز (ن) .
(٣) في جميع النسخ (إذا ماَعزّ) إلا في (ي) وهي الصواب .



٣٠

وقال يرثي والدة أبي المغيث محمد بن علي بن روزنة (كاتب[١] القاضي حلال الملك بن عمار) ويعزيه بها:

صُرُوفُ ٱلْمَنايا لَيْسَ يُودىٰ قَتِيلُها ... وَدارُ ٱلرَّزايـا لا يَصِحُّ عَلِيلُها

مُنِيتُ[٢] بِها مُسْتَكْرَهًا فَٱجْتَوَيْتُها ... كَما يَجْتَوِي دارَ ٱلْهَوانِ نَزِيلُها

يُشَهِّي إِلَيَّ ٱلْمَوْتَ عِلْمِي بِأَمْرِها ... وَرُبَّ حَيـاةٍ لا يَسُرُّكَ طُولُها

وَأَكْدَرُ ما كانَتْ حَياةُ نُفُوسِها ... إِذا ما صَفَتْ أَذْهانُهـا وَعُقُولُها

وَمَنْ ذا ٱلَّذِي يَحْلُو لَهُ ٱلْعَيْشُ بَعْدَما ... رَأَتْ كُلُّ نَفْسٍ أَنَّ هٰذا سَبِيلُها

أَقِمْ مَأْتَمًا قَدْ أَثْكَلَ ٱلْفَضْلُ أَهْلَهُ ... وَبَكِّ[٣] ٱلْمَعالِي قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُها

إِذا أَنْتَ كَلَّفْتَ ٱلْمَدامِعَ حَمْلَ ما ... عَناكَ مِنَ ٱلْأَحْزانِ خَفَّ ثَقِيلُها

وَيا باكِيَ ٱلْعَلْياءِ دُونَكَ عَبْرَةً ... مَلِيًّا بِإِسْعـادِ ٱلْخَلِيلِ هُمُولُها

وَمُهْجَةَ مَحْزُونٍ تَخَوَّنَهـا ٱلضَّنا ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاّ وَجْدُها وَغَلِيلُها

---

(١) ما بين الهلالين انفردت به (ك).

(٢) بُليتُ (ك).

(٣) وتلك المعالي (ك).

أَلا بِٱلتُّقى(١) وَٱلصّالِحاتِ مُفارِقٌ(٢) طَوِيلٌ عَلَيْهِ بَثُّها وَعَوِيلُها
أَصابَ ٱلرَّدى نَفْساً عَزِيزاً مُصابُها كَرِيماً(٣) سَجاياها قَلِيلاً(٣) شُكُولُها
فَأَقْسَمْتُ مارامَتْ(٤) مَنِيعَ حِجابِها ٱلْـمَنُونُ وَفي غَيْرِ ٱلْكِرامِ دُخُولُها(٥)
وَما زالَ ثَأْرُ ٱلدَّهْرِ عِنْدَ مَعاشِرٍ يَشِيمُ ٱلنَّدى أَيْمانَهُمْ وَيُخِيلُها
فَمَنْ يَكُ مَدْفُوعاً عَنِ ٱلْمَجْدِ قَوْمُهُ(٦) فَإِنَّ قَبِيلَ ٱلْمَكْرُماتِ قَبِيلُها
وَمَنْ يَكُ مَنْسِيَّ ٱلْفِعالِ فَإِنَّهُ مَدى(٧) ٱلدَّهْرِ بِٱلذِّكْرِ ٱلْجَمِيلِ كَفِيلُها
يَطِيبُ بِقَدْرِ ٱلْفائِحاتِ نَسِيمُها وَتَزْكُو ٱلْفُرُوعُ ٱلطَّيِّباتُ أُصُولُها
سَحابَةُ بِرٍّ آنَ مِنْها ٱنْقِشاعُها وَأَيْكَةُ مَجْدٍ حانَ مِنْها ذُبُولُها
أَوَدُّ لَها سُقْيا ٱلْغَمامِ وَلَوْ أَشا إِذاً(٨) كَشَفَتْ صَوْبَ ٱلْغَمامِ سُيُولُها
وَكَيْفَ أُحَيِّي ساكِنَ ٱلْخُلْدِ بِٱلْحَيا وَما ذُخِرَتْ إِلاّ لَهُ سَلْسَبِيلُها

---

(١) فالتقى (ك) .
(٢) مفارقاً (ت) .
(٣) كريمٌ ... قليل .. (ك) .
(٤) ماراعت (س) .
(٥) دخولها (س ، ظ ، ي ، ت) .
(٦) أهله (ي) .
(٧) يد الدهر .. (ك) .
(٨) إذاً اسقتْ .. (ك ، ن) .

سَيَشْرُفُ فِي دارِ ٱلْحِسابِ مَقامُها وَيَبْرُدُ فِي ظِلٍّ ٱلْجِنانِ مَقِيلُها
تَلُوذُ(١) بِأَسْبابِ ٱلْعَزاءِ وَإِنَّهُ لَيَقْبُحُ فِي حُكْمِ ٱلْوَفاءِ جَمِيلُها
وَهَلْ يَنفَعُ ٱلْمَرْزِيَّ(٢) أَنْ طالَ عَتْبُهُ عَلَى ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَيّامُ صَعْبٌ ذَلُولُها
فَلا يَسْلِمَنَّ ٱلْحُزْنُ قَلْبَكَ بَعْدَها فَقِدْماً أَبادَ(٣) ٱلْمُرْهَفاتِ فُلُولُها
وَماذا ٱلَّذِي يَأْتِي بِهِ لَكَ قائِلٌ(٤) وَأَنْتَ قَؤُولُ ٱلْمَكْرُماتِ فَعُولُها
إِذا ٱبْنُ عَلِيٍّ رامَ يَوْماً بِحَزْمِهِ لِقاءَ خُطُوبِ ٱلدَّهْرِ دَقَّ جَلِيلُها
وَما زِلْتَ مَمْلُوءاً مِنَ ٱلْهِمَمِ ٱلَّتِي تُقَصِّرُ أَيّامَ ٱلرَّدىٰ وَتُطِيلُها
يَنالُ مَدىٰ ٱلْمَجْدِ ٱلْبَعِيدِ رَذِيُّها(٥) وَيَقْطَعُ فِي حَدِّ ٱلزَّمانِ كَلِيلُها
فَقَدْتَ فَلَمْ تَفْقِدْ عَزاكَ(٦) وَإِنَّما يُضَيِّعُ مَأْثُورَ ٱلْأُمُورِ جَهُولُها
عَلَى أَنَّ مَنْ فارَقْتَ بِٱلْأَمْسِ لا تَفِي بِحَقٍّ لَهُ أَغْزارُ دَمْعٍ تُسِيلُها(٧)
وَما عُذْرُها أَنْ لا يَشُقَّ مُصابُها عَلَى ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيا وَأَنْتَ سَلِيلُها

---

(١) تلوذ ... (ك ، ت) .
(٢) المرزوء ... (ك) .
(٣) أفاد (ظ) .
(٤) قابل (س ، ع) .
(٥) الرذي : الضعيف .
(٦) غناك (ك) .
(٧) نسيلها (ن) .

٣١

وقال يمدح أبا الحسين أحمد بن[1] عبد الرزاق :

يا نَسيمَ ٱلصَّبا ٱلْوَلُوعَ بِوَجْدِي حَبذا أَنْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِنَجْدِ
أَجْرِ[2] ذِكْرِي نَعِمْتَ وَٱنْعَتْ غَرامِي بِٱلْحِمىٰ وَلْتَكُنْ يداً[3] لَكَ عِنْدِي
وَلَقَدْ[4] رابَنِي شَذاكَ فَبِٱللّٰـهِ مَتىٰ عَهْدُهُ بِأَطْلالِ هِنْدِ
إِنْ يَكُنْ عَرْفُها ٱمْتَطاكَ[5] إِلَيْنا فَلَقَدْ زُرْتَنا بِأَسْعَدِ سَعْدِ
أَهْدِ لِي نَفْحَةً تَضَمَّنُ رَيّا ها بِما شِئْتَ مِنْ عَرارٍ وَرَنْدِ
رُبَّما نَهْلَةٍ سُقِيتُ بِفِيها فَكَفَتْنِي مَعَ ٱلصَّدىٰ[6] كُلَّ وِرْدِ
وَغَرِيمٍ مِنَ ٱلْهُمُومِ ٱقْتَضانِي دَلَجَ[7] ٱلْعِيسِ بَيْنَ وَجْدٍ وَوَخْدِ
كُلَّما أَرْزَمَتْ مِنَ ٱلشَّوْقِ كِدْنا فَوْقَ أَكْوارِها مِنَ ٱلشَّوْقِ نَرْدِي

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الرزاق (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (س) .
(٣) يدٌ . . . (ت) .
(٤) هذا البيت وسبعة وعشرون بيتاً بعده ساقطة من (ي) .
(٥) استطال (س) .
(٦) مع الظما (ت) .
(٧) دَاَسَ العيس . . . (س ، ظ ، م ، ع) .



يا خَلِيلَيَّ خَلِّيـــــانِي وَهَمِّي أَنا أَوْلا كَما بِغَيِّي (١) وَرُشْدِي

لَوْ أَمِنْتُ ٱلْمَلامَ (٢) وَٱلدَّمْعَ ما ٱخْتَرْ تُ وُقُوفِي عَلَى ٱلْمَنازِلِ وَحْدِي

وَلَقَدْ أَصْحَبُ ٱلْمِراحَ إِلَىٰ ٱللَّـ ـدّاتِ مُلْقَىٰ ٱلْوِشاحِ أَسْحَبُ بُرْدِي

بَيْنَ دُعْجٍ (٣) مِنَ ٱلظِّباءِ وَنُعْجٍ وَلِدانٍ مِنَ ٱلْحِسانِ وَمُلْدِ

فِي زَمانٍ مِنَ ٱلشَّبِيبَةِ مَصْقُو لٍ وَعَيْشٍ مِنَ ٱلْبَطالَةِ رَغْدِ

وَأَمانٍ مِنَ ٱلْخُطُوبِ كَأَنِّي لِأَبْنِ عَبْدِ ٱلرَّزّاقِ أَخْلَصُ عَبْدِ

لِكَرِيمٍ (٤) ٱلثَّناءِ وَٱلْيَدِ وَٱلْخِيـــمِ عَمِيمِ ٱلْأَخْلاقِ وَٱلْخَلْقِ نَجْدِ

يَقِظٍ تَلْجَأُ ٱلْعُلَىٰ أَبَداً مِنْـــهُ إِلَىٰ أَوْحَدِ ٱلْعَزِيمَةِ فَرْدِ

طالِبٍ أَشْرَفَ ٱلْمَطالِبِ لا يَهْـــجُمُ (٥) إِلّا عَلَى ٱلْمَرامِ ٱلْأَشَدِّ

تُنْذِرُ ٱلنّائِباتُ أَنْفُسَهـــا مِنْـــهُ بِخَصْمٍ لِلنّائِباتِ أَلَدِّ

جاعِلٍ مالَهُ طَرِيقاً إِلَىٰ ٱلْحَمْـــدِ فَمَا يَأْتَلِي يُنِيرُ وَيُسْـــدِي

---

(١) بغي ورشد (م ، ع) .

(٢) الغرام (م) .

(٣) الدعج : جمع دعجاء ، وهي ذات العين الشديدة السواد مع سعتها . والنعج : النساء البيض ، يقال « نساء نعج المحاجر ، دعج النواظر » .

(٤) الكريم ... (ك) .

(٥) لايقحم ... (ك) .

١٢١ / ٤

فَقِراهُ سارٍ إِلىٰ كُلِّ سارٍ ... وَنَداهُ وَفْدٌ عَلَى كُلِّ وَفْدِ

يَوْمُهُ فِي ٱلنَّدىٰ بِعامٍ (١) مِنَ ٱلْغَيْـ ... ـثِ إِذا فَلَّ مَنْ يَجُودُ وَيُجْدِي

كَرَمٌ سافِعٌ (٢) بِناصِيَةِ ٱلْفَقْـ ... ـرِ وَجُودٌ عَلى ٱلنَّوائِبِ مُعْدِي

وَيَدٌ أَغْنَتِ ٱلْمُقِلِّينَ حَتّىٰ ... ما تَرىٰ (٣) فِي ٱلْأَنامِ طالِبَ رِفْدِ

جادَ قَبْلَ ٱلسُّؤالِ لا ماءُ وَجْهِي ... نابَ (٤) فِي جُودِهِ وَلا ماءُ حَمْدِي

وَبَدانِي بِٱلْوُدِّ عَفْواً وَما كُنْـ ... ـتُ خَلِيقاً فِي ذا ٱلزَّمانِ بِوُدِّ

وَلَعَمْرِي لَقَدْ عَلِمْتُ يَقِيناً ... أَنَّ ذِكْرِي بِهِ (٥) سَيَعْلُو وَجَدِّي (٦)

ما تَوَهَّمْتُهُ فَخالَجَ فِكْرِي ... أَنَّهُ لَيْسَ لِي بِزادٍ مُعَدِّ

جادَنِي مِنْ نَدىٰ عَلِيٍّ سَحابٌ ... مُسْتَهِلٌّ بِغَيْرِ (٧) بَرْقٍ وَرَعْدِ

---

(١) كعامٍ ... (ت) .

(٢) شافع (س ، ك ، ظ ، ع) ، شائع (م) ، وكل ذلك غير صواب ؛ والصواب ما انفردت به (ت) وانبتناه . يقال : « سَفَعَ بناصيته : قبض عليها فاجتذبها بسدة » ، وهو مأخوذ من الآية الكريمة « لَنَسْفَعَنْ بالناصية » .

(٣) مايُرى (ك) .

(٤) ذاب (ك) .

(٥) له (ت) .

(٦) ومجدي (ت) .

(٧) من غير (ك ، ن) .

حِينَ لاقادَنِي إِلى[(١)] نَكَدِ ٱلْمَطْـلِ وَلا راعَنِي بِخَجْلَةِ رَدِّ

إِنَّ خَيْرَ ٱلْمَعْرُوفِ ماجاءَ لا سِينُ سُؤالٍ فِيهِ[(٢)] وَلا واوُ وَعْدِ

عاقَدَتْنِي بِهِ[(٣)] ٱللَّيالِي فَما تَخْفِرُ عَهْدِي وَلا تُغَيِّرُ عَقْدِي

وَلَعَمْرِي[(٤)] ما كُنْتُ لَوْلاهُ إِلاّ فِي طِرادٍ مَعَ ٱلْهُمُومِ[(٥)] وَطَرْدِ[(٦)]

يَاٱبْنَ عَبْدِ ٱلرَّزّاقِ لا زايَلَتْكُمْ نِعَمُ ٱللهِ بَيْنَ طُرْفٍ وَتُلْدِ

مُطْلَقاتٍ أَعِنَّةَ ٱلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ لِسانٍ حَتّى يُعِيدَ وَيُبْدِي

مِنْ بُدُورٍ[(٧)] عَلَى نَمارِقَ مِيثٍ وَلُيُوثٍ عَلَى سَوابِقَ جُرْدِ

وَكُهُولٍ قَشاعِمٍ تَتَلاقى فِي ذُرى ٱلْمَجْدِ أَوْ غَطارِفَ مُرْدِ

حَيْثُ يُلْفى[(٨)] أَبُو ٱلْحُسَيْنِ مَلِيًّا بِٱلنَّفِيسَيْنِ مِنْ عَلاءٍ وَمَجْدِ

ذُو ٱلْمَقامِ ٱلْحَمِيدِ فِي كُلِّ فَضْلٍ يَتَعاطاهُ وَٱلْمَقالِ ٱلأَسَدِّ

---

(١) إلى كدر ... (ك) .

(٢) سؤالٍ يبدو ... (ك) .

(٣) فيه الليالي (ك) ، يد الليالي (ت) .

(٤) ولعمري لولاك ما كنت إلا (س ، ك ، ت) .

(٥) مع الخطوب (ك ، ى ، ت) ، من الخطوب (ن) .

(٦) ونكد (ت) .

(٧) من ندور (م ، ع) .

(٨) يلقى (س ، ظ ، م ، ع) ، تلقى أبا الحسين (ت) ، تلفي أبا الحسين (ك) .

ضارِبٌ في ٱلصَّميمِ مِنْهُ إِلىٰ خَيْـرِ أَبٍ باهِرِ ٱلْأُصُولِ وَجَـدٍّ
هَلْ يُجارِي سَماحَ كَفِّكَ تَقْرِيـبِيَ في حَلْبَةِ ٱلثَّنـاءِ وَشَدِّي
فَأُجازِيكَ(١) بِٱلْمَدِيحِ وَهَيْها تَ وَلٰـكِنَّنِي سَأَبْلُغُ جُهْدِي
وَلَئِنْ نَوَّهَتْ عُلاكَ بِأَشْعـا رِي وَأَوْرَيْتَ بِٱلْمَكارِمِ زَنْدِي
فَلَقَدْ أُوْدِعَتْ أَميناً عَلَى ٱلْمِنَّـةِ لا يُفْسِدُ ٱلْجَميلَ بِجَحْـدِ
بِقَوافٍ مِثْلِ ٱلنُّجُومِ سَوارٍ تَتَبـارىٰ في كُلِّ نَشْزٍ وَوَهْدِ
سابِقاتِ(٢) ٱلرِّكابِ وَٱلرَّكْبِ ما تَنْـفَكُّ تُحْدىٰ بِها ٱلرَّذايا فَتَخْدِي(٣)
باقِياتٍ(٤) لَمْ تَخْلُ ما قَدُمَ ٱلْعَهْـدُ عَلَيْها مِنْ مَفْخَرٍ مُسْتَجَدِّ
لَوْ أُتِيحَتْ لِلْغانِيـاتِ لَفَضَّلْـنَ بِها ٱلْمُنْفِساتِ مِنْ كُلِّ عِقْدِ
فَأَدَّخِرْها مالاً نَفِيساً فَخَيْرُ(٥) ٱلْـمالِ ما لَمْ يَنَلْهُ حادِثُ فَقْدِ

* * *

(١) فأحاريك (س) .
(٢) سايقات (ن) .
(٣) الردايا : الإبل المهزولة من السير . وتخدي : تسرع .
(٤) ساقيات (ظ) ، ساقبات (ن) .
(٥) فخير الملك . . . (ك) .

٣٢

وقال [١] يشكر القاضي أبا علي الحسين بن أبي العش على جميل تقدم له، ويستزيده، بطرابلس :

مَنْ كانَ مِثْلَ أَبي عَلِيٍّ فَلْيَنَلْ أُفُقَ ٱلسَّماءِ بِهِمَّةٍ لَمْ تُخْفَضِ
أَغْنىٰ وَقَدْ أَبْدىٰ ٱلنَّدىٰ وَأَعادَهُ عَنْ أَنْ أَقُولَ لَهُ أَطَلْتَ فَأَعْرِضِ
ما كانَ فِيما نِلْتُ مِنْهُ بِواعِدٍ فَأَقُولَ إِنَّ ٱلْوَعْدَ غَيْرُ مُمَرِّضِ
سَبَقَتْ مَواهِبُهُ ٱلْوُعُودَ وَرُبَّما جادَ ٱلسَّحابُ وَبَرْقُهُ لَمْ يُومِضِ
وَقَفَ ٱلْحُسَيْنُ عَلَى ٱلسَّماحِ غَرامَهُ لَيْسَ ٱلْمُحِبُّ عَنِ ٱلْحَبِيبِ بِمُعْرِضِ
كَشّافُ كُلِّ عَظِيمَةٍ إِنْ تَدْعُهُ لا تَدْعُهُ لِلْخَطْبِ ما لَمْ [٢] يُرْمِضِ
وَإِذا أَرَدْتَ إِلىٰ ٱلْحُسَيْنِ صَنِيعَةً فَاعْرِضْ لِفَضْلِ نَوالِهِ وَتَعَرَّضِ
إِنَّ ٱلسُّؤالَ لَواقِعٌ مِنْهُ بِمَنْـــزِلَةِ ٱلنَّوالِ مِنَ ٱلْمُقِلِّ ٱلْمُنْفِضِ [٣]

---

(١) وكتب إلى القاضي أبي علي ... يتشكره ... (ك) .
(٢) إن لم ... (ك) .
(٣) المنفض : من هلك ماله وفني زاده .

وَلَهُ إِذا وَعَدَ ٱلْجَمِيلَ(١) مَكارِمٌ لا يَقْتَضِيهِ بِغَيْرِهِنَّ ٱلْمُقْتَضِي
مَحْضُ ٱلْعَلاءِ صَرِيحُهُ فِي أُسْرَةٍ جُمَحِيَّةِ ٱلنَّسَبِ ٱلصَّرِيحِ ٱلأَمْحَضِ
ضَرَبَ ٱلْحِمامُ عَلَيْهِمُ فَتَقَوَّضُوا وَبِناءُ ذاكَ ٱلْمَجْدِ لَمْ يَتَقَوَّضِ
قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ ٱلْحَطِيمِ(٢) وَمُبْتَنَى ٱلْـعِزِّ ٱلْمُشَيَّدِ فِي ٱلْبِطاحِ ٱلأَعْرَضِ
يُحْيِي ٱلثَّنا مَوْتَى ٱلْكِرامِ وَرُبَّما ماتَ ٱللَّئِيمُ وَرُوحُهُ لَمْ تُقْبَضِ
ماذا تَقُولُ لِمَنْ أَتاكَ مُصَرِّحًا نِعَمٌ تَعَرَّضُها لِكُلِّ مُعَرِّضِ
قَدْ كانَ خَيَّمَ صَرْفُ كُلِّ مُلِمَّةٍ عِنْدِي فَقالَ لَهُ سَماحُكَ قَوِّضِ
وَلَحَظْتَنِي فَعَرَفْتَ مَوْضِعَ خَلَّتِي نَظَرَ ٱلطَّبِيبِ إِلَى ٱلْعَلِيلِ ٱلْمُمْرِضِ
وَنَظَرْتَ مِنْ تَحْتِ ٱلْخُمُولِ تَطَلُّعِي كَٱلْماءِ بُرْقِعَ وَجْهُهُ بِٱلْعَرْمَضِ(٣)
لَمّا رَأَيْتَ ٱلدَّهْرَ يَقْصُرُ هِمَّتِي عَنْ غايَةِ ٱلأَمَلِ ٱلْبَعِيدِ ٱلْمَرْكَضِ
أَنْهَضْتَنِي وَٱلسَّهْمُ لَيْسَ بِصائِبٍ غَرَضًا إِذا ٱلرّامِي بِهِ لَمْ يُنْبِضِ
وَٱلْعَضْبُ لَيْسَ بِبَيِّنٍ تَأْثِيرُهُ وَٱلأَثْرُ(٤) حَتَّى يَنْتَضِيهِ ٱلْمُنْتَضِي
وَعَلَيْكَ حَقٌّ رَفْعُ ما أَسَّسْتَهُ فِي مَذْهَبِ ٱلْكَرَمِ ٱلَّذِي لَمْ يُرْفَضِ

(١) النوال (ب) .
(٢) الحطيم : حدار حجر الكعبة ، وريد بمبتنى العز : الكعبة .
(٣) العَرْمَض والعِرْمِض : الطحلب .
(٤) الاثر : حوهر السيف .

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ يَدٍ والَيْتَهـا أَنِّي بِشُكْرِ صَنِيعِها لَمْ أَنْهَضِ
إِنَّ ٱلْغَمامَ إِذا تَرادَفَ وَبْلُهُ أَبْقَىٰ أَنِيقَ ٱلرَّوْضِ غَيْرَ مُرَوَّضِ
وَلَئِنْ بَقِيتُ لَتَسْمَعَنَّ غَرائِباً يَقْضِي ٱلزَّمانُ وَفَضْلُها لَمْ يَنْقَضِ
يَظْمَا إِلَيْها ٱلْمُنْعِمُونَ فَمَنْ يَرِدْ يَرِدِ ٱلثَّناءَ ٱلْعَذْبَ غَيْرَ مُبَرَّضِ (١)
هٰذا وَلَسْتُ بِبالِغٍ بَعْضَ ٱلَّذي أَوْلَيْتَ(٢) ما لُبْسَ ٱلظَّلامُ(٣) وَما نُضِي
أَقْرَضْتَنِي حُسْنَ ٱلصَّنِيعِ تَبَرُّعاً وَٱلْقَرْضُ أَفْضَلُ مِنْ جَزاءِ ٱلْمُقْرِضِ
فَٱعْذُرْ إِذا ما ٱلدَّهْرُ أَخْمَدَ فِكْرَتِي أَيُّ ٱلْكِرامِ بِدَهْرِهِ لَمْ يَغْرَضِ (٤)
جاءَتْكَ تُنْذِرُ بِٱلتَّوالِي بَعْدَها كَٱلْفَجْرِ فِي صَدْرِ ٱلصَّباحِ ٱلْأَبْيَضِ
أَبَنِي أَبِي ٱلْعَيْشِ ٱلْأَكارِمَ إِنَّنِي لَوْلاكُمُ لَرَضِيتُ ما لَمْ أَرْتَضِ
ما زِلْتُ أَعْتَرِضُ ٱلْمَوارِدَ قامِحاً (٥) حَتَّىٰ وَصَلْتُ إِلَىٰ ٱلْبُحُورِ ٱلْفُيَّضِ

---

(١) ماء بَرْض : أي قليل .
(٢) أبليت (س ، ظ ، م ، ع) .
(٣) الزمان (س) .
(٤) غَرِضَ : ضجر وَملّ .
(٥) القامح : الكاره للماء . قاحماً (س ، م ، ع ، ن) ، جامحاً (ك) .

٣٣

وقال وقد أهدى إليه القاضي أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن أبي العيش ، أخو المقدم ذكره ، هدية ومعها أبيات يعتذر فيها من نزارة ما أنفذه إليه :

سَأَشْكُرُ ما مَنَنْتَ بِهِ وَمِثْلِي ... لِأَهْلِ ٱلْمَنِّ فَلْيَكُنِ ٱلشَّكُورُ
وَأَحْمَدُ حُسْنَ رَأْيِكَ فِيَّ حَمْداً ... يَدُومُ إِذا تَطاوَحَتِ ٱلدُّهُورُ (١)
وَإِنْ تَكُ مُسْتَقِلاًّ ما أَتاني ... فَمِثْلُكَ يُسْتَقَلُّ لَهُ ٱلْكَثِيرُ
وَأَذْكَى ما يَكُونُ ٱلرَّوْضُ نَشْراً ... إِذا ما صابَهُ ٱلْقَطْرُ ٱلْيَسِيرُ
وَلا وَأَبِي ٱلْعُلَى ما قَلَّ نَيْلٌ ... بِنَيْلِ أَقَلِّهِ غَنِيَ ٱلْفَقِيرُ
وَلا (٢) فَوْقَ ٱلْغِنَى جُودٌ فَحَسْبِي ... كَفَى بِٱلْمَحْلِ عارِضُكَ ٱلْمَطِيرُ
وَلا عِنْدِي مَكانٌ لِلْعَطايا ... فَقُلْ لِلسَّيْلِ قَدْ طَفَحَ ٱلْغَدِيرُ
فِداؤُكَ (٣) مَعْشَرٌ سُئِلُوا فَأَجْدَوْا ... فَإِنَّكَ غَيْرَ مَسْئُولٍ تَمِيرُ
فَكَيْفَ (٤) بِأُمَّةٍ لَؤُمُوا وَذَلُّوا ... فَلا خَلْقٌ يَجُودُ وَلا يُجِيرُ

(١) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .
(٢) ولو فوق ... (ع) .
(٣) هذا البيت والذي يليه مكانهما في (ك) بعد ثمانية أبيات .
(٤) فكيف لأمة ... (م ، ع) .

رَأَيْتُكَ حاضِراً فِي حالِ(١) غَيْبٍ ... وَبَعْضُ ٱلْقَوْمِ كَٱلْغَيْبِ ٱلْحُضُورُ
لَقَدْ سُدَّتْ مَوارِدُ كُلِّ خَيْرٍ ... وَساحَ بِكَفِّكَ ٱلْكَرَمُ ٱلْغَزِيرُ
عَلَى رُغْمِ ٱلزَّمانِ أَجَرْتَ مِنْهُ ... وَقَدْ قَلَّ ٱلْمُمانِعُ وَٱلْمُجِيرُ
تَخَطَّى ٱلنّائِباتِ إِلَيَّ جُودٌ ... كَما فاجاكَ فِي ٱلظَّلْماءِ نُورُ
تَخِذْتَ(٢) بِهِ يَداً عِنْدَ ٱلْقَوافِي ... يَقُومُ بِشُكْرِها ٱلْفِكْرُ ٱلْمُنِيرُ
وَأَيْنَ(٣) ٱلشُّكْرُ مِمّا خَوَّلْتَهُ ... جَهِلْتُ(٤) وَرُبَّما جَهِلَ ٱلْخَبِيرُ
سَماحٌ(٥) رَدَّ رُوحًا فِي ٱلْأَمانِي ... وَمَعْرُوفٌ(٦) بِهِ جُبِرَ ٱلْكَسِيرُ
وَشِعْرٌ(٧) لَوْ يَكُونُ ٱلشِّعْرُ غَيْثًا ... لَباتَ وَنَوْؤُهُ ٱلشِّعْرَى(٨) ٱلْعَبُورُ
مَعانٍ تَحْتَ أَلْفاظٍ حِسانٍ ... كَما ٱجْتَمَعَ ٱلْقَلائِدُ وَٱلنُّحُورُ
يُخَيِّلُ لِي لِعَجْزِي عَنْهُ أَنِّي ... بِما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ كَفُورُ
وَتَعْذِلُنِي ٱلْقَوافِي فِيكَ طَوْراً ... وَطَوْراً فِيكَ لِي مِنْها عَذِيرُ

---

(١) في كل عيث (ك) .
(٢) تحذت يداً به . . . (م) .
(٣) ولىس التسكر . . . (ت) .
(٤) حهدت وربما جهد الحبيرُ (ت) .
(٥) سماحاً (ك ، ي ، م ، ع ، ت) .
(٦) ومعروفاً (ي) .
(٧) وشعراً (ك) .
(٨) الشِّعرى العَبُور : كـوكب في الحوزاء .

وَأَعْلَمُ أَنَّ طَوْلَكَ لا يُجازَى ... وَهَلْ تُجْزَى عَلَى ٱلدُّرِّ ٱلْبُحُورُ

وَتَسْمُو هِمَّتِي فَإِخالُ أَنِّي ... عَلَى ما لَسْتُ واجِدَهُ قَدِيرُ

أُعَلِّلُها بِمَدْحِكَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَما تَعْلِيلُها إِلاّ غُرُورُ

أَمِثْلُكَ مُنْعِماً يُجْزَى بِشُكْرٍ ... لَقَدْ أَلْقَتْ مَقالِدَها ٱلْأُمُورُ

وَما ٱلْعَنْقاءُ بِالْمَكْذُوبِ عَنْها ... حَدِيثٌ بَعْدَ ما زَعَمَ ٱلضَّمِيرُ

وَلا ٱلْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بَعْدَ ذا فِي ... أَمانٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرُ

أَغَرُّ مُهَذَّبٌ حَسَباً وَفِعْلاً ... يَخِفُّ لِذِكْرِهِ ٱلْأَمَلُ ٱلْوَقُورُ

بَنَى لِبَنِي أَبِي ٱلْعَيْشِ ٱلْمَعالِي ... فَتًى يَحْلُو بِهِ ٱلْعَيْشُ ٱلْمَرِيرُ

أُناسٌ لا يَزالُ لِمُجْتَدِيهِمْ ... عَلَيْهِمْ مِنْ مَكارِمِهِمْ ظَهِيرُ

هُمُ ٱنْتَجِبُوا(١) مِنَ ٱلْحَسَبِ ٱلْمُزَكَّى(٢) ... كَما قُدَّتْ مِنَ ٱلْأَدَمِ ٱلسُّيُورُ

وَهُمْ فَكُّوا مِنَ ٱلْإِخْفاقِ ظَنِّي ... بِطَوْلِهِمُ كَما فُكَّ ٱلْأَسِيرُ

وَقامَ بِنَصْرِ(٣) آمالِي نَداهُمْ ... أَلا إِنَّ ٱلنَّدَى نِعْمَ ٱلنَّصِيرُ

فَإِنْ لَمْ أَحْبُهُمْ وُدِّي وَحَمْدِي ... فَلا طَرَدَ ٱلْهُمُومَ بِيَ ٱلسُّرُورُ

وَقُلْتُ شَبِيهُ جُودِهِمُ ٱلْغَوادِي ... إِذا هَطَلَتْ وَمِثْلُهُمُ ٱلْبُدُورُ

* * *

(١) انتخبوا (ك ، ت) .

(٢) المصفّى (ت) .

(٣) بيوم آمالي . . . (ك) .



٣٤

وقال يرثي الأمير مختار الدولة بن بزال [١] وقد توفي بطرابلس (سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة [٢]) :

لَقَدْ جاوَزَتْ فِيكَ مِقْدارَها ... خُطُوبٌ قَضَتْ مِنْكَ أَوْطارَها
وَكَيْفَ تَرَقَّتْ إِلىٰ مُهْجَةٍ ... يَوَدُّ ٱلرَّدىٰ لَوْ غَدا جارَها
سَمَتْ هِمَّةُ ٱلْخَطْبِ حَتّىٰ إِلَيْكَ ... لَقَدْ عَظَّمَ ٱلدَّهْرُ أَخْطارَها
وَمَنْ ذا ٱلَّذِي يَأْمَنُ ٱلنّائِباتِ ... وَقَدْ أَنْشَبَتْ فِيكَ أَظْفارَها [٣]
سَماحُكَ أَثْكَلَها صَرْفَها ... فَجاءَتْكَ طالِبَةً ثارَها
سَتَبْكِيكَ ما عُمِّرَتْ دَوْلَةٌ ... دَعَتْكَ ٱلْمَكارِمُ مُخْتارَها
فَمَنْ لِحِماها إِذا ما ٱلْعَدُوُّ ... أَمَّتْ كَتائِبُهُ دارَها
وَمَنْ يَشْهَدُ ٱلْحَرْبَ غَيْرُ ٱلْجَبانِ ... إِذا ٱلْخَوْفُ غَيَّبَ أَنْصارَها
وَمَنْ يَجْعَلُ ٱلسَّيْفَ مِنْ دُونِها ... حِجاباً يُميطُ بِهِ عارَها
وَمَنْ ذا يُكَثِّرُ حُسّادَها ... وَمَنْ ذا يُقَلِّلُ أَنْظارَها

---

(١) نزال (ك ، م ، ت) .
(٢) ما بين القوسين من (ت ، ي) .
(٣) هذا البيت ساقط من (س) .

وَمَنْ لِلْأُمُورِ إِذا أُورِدَتْ فَلَمْ يَمْلِكِ ٱلْقَوْمُ إِصْدارَها
وَمَنْ ذا يُطِيلُ قِراعَ ٱلْخُطُو بِ حَتَّىٰ يُقَصِّرَ أَعْمـــارَها
سَقَىٰ ٱللّٰهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَراكَ حَياءَ ٱلسَّماءِ وَأَمْطارَها
تَوَلَّىٰ كَما أَقْلَعَتْ دِيمَةٌ وَأَوْدَعَتِ ٱلْأَرْضَ آثارَها
مَضَتْ وَٱقْتَضَتْ شُكْرَ آلائِها نَسِيمَ ٱلرِّياضِ وَنُوّارَها
خَلائِقُ إِنْ بانَ مِنْها ٱلْعِيانُ رَوَتْنا (١) ٱلصَّنائِعُ أَخْبارَها
أَرىٰ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ (٢) ٱلْحادِثاتِ لَنا وَقْعَةً نَصْطَلِي نارَها
فَيالَيْتَ شِعْرِي — وَما نَفْعُ لَيْتَ — مَتَىٰ تَضَعُ ٱلْحَرْبُ أَوْزارَها (٣)
وَحَتّامَ ذِمَّةُ هٰذِي ٱلْجُسُو مِ لا يَرْهَبُ ٱلْمَوْتُ إِخْفارَها
تُفِيتُ ٱلْمَقادِيرُ أَرْواحَها وَتُبْلِي عَلَى ٱلدَّهْرِ أَبْشارَها (٤)
هَرَبْنا بِأَنْفُسِنـا وَٱلْقَضا ءُ يَسْبِقُ بِٱلْمَشْيِ إِحْضارَها
وَما ٱعْتَرَفَتْ أَنْفُسٌ بِٱلْحِما مِ لَوْ كانَ يَقْبَلُ إِنْكارَها

(١) روتها . . . (س ، م ، ع) ، ولعلها : أرتنا .
(٢) مع الحادثات (س ، ظ ، ي ، ت) ،
(٣) لم يرد هذا البيت في (س) ،
(٤) لم يرد هذا البيت في (س ، ظ) .

إِذا أَقبلَتْ بِالْفَتَى عِيشَةٌ ... تَوَقَّعَ بِالمَوْتِ إِدْبارَها
وَكَيْفَ يُحاوِلُ صَفْوَ ٱلحَيا ... ةِ مَنْ لَيْسَ يُمْنَحُ(١) أَكْدارَها
وَما عُمْرُ مَنْ أَدْرَكَتْهُ ٱلْوَفا ... ةُ إِلاَّ كَمَرْحَلَةٍ سارَها

* * *

٣٥

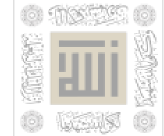
وقال يرثي الأمير أبا العطاء رسلان المنقذي بطرابلس :

لَعَمْرُ أَبِي ٱلْعَطاءِ لَئِنْ(٢) تَوَلَّى ... لَنِعْمَ مُعَرَّجُ ٱلرَّكْبِ ٱلطِّلاحِ
وَنِعْمَ أَبُو ٱلضُّيُوفِ إِذا أَطاحَتْ ... بُيُوتَ ٱلْحَيِّ عاصِفَةُ ٱلرِّياحِ
وَنِعْمَ ٱلْمُوضِحُ ٱلْعَمْياءِ رَأْياً ... وَقَدْ كَثُرَ ٱلتَّمادي وَٱلتَّلاحِي
وَنِعْمَ مُفَرِّجُ ٱلْغَمَراتِ عَزَّتْ ... عَلَى سَوْمِ ٱلْأَسِنَّةِ وَٱلصِّفاحِ(٣)
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أُهْدِي رِثائِي ... إِلَيْكَ بِغِبِّ شُكْرِي وَٱمْتِداحِي
وَكُنْتُ إِذا أَتَيْتُكَ مُسْتَمِيحاً ... لِمَكْرُمَةٍ نَزَلْتَ عَلَى ٱقْتِراحِي
سَأَبْكِي وَٱلْقَوافِي مُسْعِداتِي(٤) ... بِنَدْبٍ مِنْ ثَنائِكَ أَوْ مَناحِ

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (يمنع) .
(٢) وإن (س) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٤) مسعدات (م ، ت) .





إِذا ما خانَني دَمْعٌ بَليدٌ بَكَيْتُ بِأَدْمُعِ ٱلشِّعْرِ ٱلْفِصاحِ
جَزاءً عَنْ جَميلٍ مِنْكَ والَتْ يَداكَ بِهِ ٱدِّراعِي وَٱتِّشاحِي
فَلا بَرِحَتْ تَجُودُكَ كُلَّ يَوْمٍ مَدامِعُ مُزْنَةٍ ذاتُ ٱنْسِفاحِ
تَرُوحُ بِهافُرُوعُ ٱلرَّوْضِ سَكْرىٰ تَميدُ كَأَنَّما مُطِرَتْ بِراحِ
إِلىٰ أَنْ يَغْتَدي(١) وَكَأَنَّ فيهِ(٢) مَخايِلَ مِنْ خَلائِقِكَ ٱلسِّجاحِ

٣٦

وقال وهو في طرابلس :

إِذا ما ٱرْتاحَ لِلرّاحِ ٱلنَّدامىٰ وَهَيَّجَتِ ٱبْنَةُ ٱلْكَرْمِ ٱلْكِراما
وَقامَ يُديرُها صَهْباءَ صِرْفاً تُميتُ ٱلْهَمَّ(٣) أَوْ تُحْيي ٱلْغَراما
تُريكَ فَمَ ٱلنَّديمِ إِذا حَساها كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ لِثاما
وَطافَ(٤) بِها أَغَنُّ يَبيتُ صَبًّا مُحاوِلُهُ وَيُصْبِحُ مُسْتَهاما

---

(١) تغتدي (ك) .
(٢) فيها (ك ، م) .
(٣) الفم (ك) .
(٤) وطاب بها أغن تبيت صباً يحاوله وتصبح مستهاما (ك).



تَرىٰ في قُرْبهِ مِنكَ ٱزْوِراراً وَفي إِعْراضِهِ عَنْكَ ٱبْتِساما
فَلا تَكُ كَالَّذي إِنْ جِئْتُ أَشْكو إِلَيْهِ ٱلْوَجْدَ (١) أَوْسَعَني مَلاما
يَمُرُّ مَعَ ٱلْغَوايَةِ كَيْفَ (٢) شاءَتْ وَيَعْذُلُ في تَطَرُّفِها (٣) ٱلْأَناما

٣٧

وقال وقد حضر الماوردية مع صديق له ، وبها صبي بديع الجمال ، قد احمرت وجنتاه من النار ، فسأله صديقه أن يعمل في ذلك شيئاً ، فقال مرتجلاً :

يا مُوقِدَ ٱلنّارِ ٱلَّذي لَمْ يَأْلُ (٤) في ٱسْتِخْراجِ ماءِ ٱلْوَرْدِ غايَةَ جَهْدِهِ
أَوَما تَرىٰ ٱلْقَمَرَ ٱلْمُحَرِّقَ ظالِماً قَلْبي بِنارٍ مِنْ جَفاهُ وَبُعْدِهِ
ٱنْظُرْ إِلَيْهِ تَضَرَّجَتْ (٥) وَجَناتُهُ خَجَلاً وَقَدْ عاتَبْتُهُ في صَدِّهِ
إِنْ تَخْبُ نارُكَ فَٱقْتَبِسْ مِنْ مُهْجَتي أَوْ يَفْنَ وَرْدُكَ فَٱقْتَطِفْ مِنْ خَدِّهِ

* * *

(١) الدهر (ت) .
(٢) حيث شاءت (م) .
(٣) تطربها (ت) .
(٤) لم يألف استحراج ... (ظ) .
(٥) توردت (ن) .

٣٨

وكتب إلى صديق له ، يعاتبه في تأخر حاجة سأله إياها :

أَبا أَحْمَدٍ كَيفَ اسْتَجَزْتَ جَفائِي وَكَيفَ أُضِيعَتْ خُلَّتِي وَإِخائِي[1]
وَهَبْنِي حُرِمْتُ الْجُودَ عِنْدَ طِلابِهِ فَكَيْفَ حُرِمْتُ الْبِشْرَ عِنْدَ لِقائِي
نَأَيْتَ عَلَى قُرْبٍ مِنَ الدّارِ بَيْنَنا وَكُلُّ قَرِيبٍ لا يَوَدُّكَ نائِي
كَأَنَّكَ لَمْ تُصْمِ الْحَسُودَ بِمَنْطِقِي وَلَمْ تَلْبِسِ الأَيّامَ ثَوْبَ ثَنائِي
لَئِنْ كانَ عُزِّي قَبْلَها عَنْ مَوَدَّةٍ صَدِيقٌ لَقَدْ حُقَّ الْغَداةَ عَزائِي
وَفِي أَيِّ مَأْمُولٍ يَصِحُّ لِآمِلٍ رَجاءٌ إِذا ما اعْتَلَّ فِيكَ رَجائِي
أُعِيذُكَ بِالنَّفْسِ الْكَرِيمَةِ أَنْ تُرى مُخِلاً بِفَرْضِ الْجُودِ فِي الْكُرَماءِ
وَبِالْخُلُقِ السَّهْلِ الَّذِي لَوْ سَقَيْتَهُ غَلِيلَ الثَّرى لَمْ يَرْضَ بَعْدُ بِماءِ
فَلا تَزْهَدَنْ فِي صالِحِ الذِّكْرِ إِنَّما يَلِيقُ رِداءُ الْفَضْلِ بِالْفُضَلاءِ
فَلَيْسَ بِمَحْظُوظٍ مِنَ الْحَمْدِ مَنْ غَدا وَلَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنَ الشُّعَراءِ

* * *

(١) ووفائي (ت) .

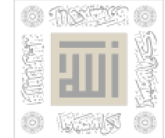
٣٩

وكنب إلى القاضي أبي الفضل بن أبي الدوح ، وكان قد أمر القاصي جلال الملك أن يفرق على أهل دار العلم ذهباً ، فلم يصله منه شيء ، وكان ابن أبي الدوح متولياً دار العلم ، فأعطاه من ماله لما كتب له هذه الأبيات :

أَبا ٱلْفَضْلِ كَيْفَ تَناسَيْتَنِي ... وَما كُنْتَ تَعْدِلُ نَهْجَ[١] ٱلرَّشادِ
فَأَوْرَدْتَ قَوْماً رِواءَ ٱلصُّدُورِ ... وَحَلَّأْتَ مِثْلِي وَإِنِّي لَصادِ
لَقَدْ أَيْأَسَتْنِيَ مِنْ وُدِّكَ ٱلْـ ... ـحَقِيقَةُ إِنْ كانَ ذا بِٱعْتِمادِ
مَنَحْتُكَ قَلْبِي وَعانَدْتُ فِيـ ... ـكَ مَنْ لا يَهُونُ عَلَيْهِ عِنادِي
أَظَلُّ نَهارِيَ وَٱلْحاسِدُوكَ[٢] ... كَأَنِّي وَإِيّاهُمُ فِي جِهادِ
وَيُجْدِبُ ظَنِّيَ فِيمَنْ أَوَدُّ ... وَظَنِّي فِيكَ خَصِيبُ ٱلْمَرادِ
إِلىٰ أَنْ رَأَيْتُ جَفاءً يَدُ ... لُّ أَنَّ ٱعْتِقادَكَ غَيْرُ ٱعْتِقادِي
فَيالَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ قَبْلَها ... شَغَفْتُ[٣] بِحُبِّكَ يَوْماً فُؤادِي
فَإِنَّ ٱلْقَطِيعَةَ أَشْهىٰ إِلَيَّ ... إِذا أَنا لَمْ أَنْتَفِعْ بِٱلْوِدادِ

---

(١) طرق (ت) .
(٢) والحاسدون (ك) .
(٣) شعفت (ك ، س ، ع) .

بَلَوْتُ ٱلْأَنامَ فَما إِنْ رَأَيْتُ   خَليلاً يَصِحُّ مَعَ[١] ٱلْاِنْتِقادِ
وَلَوْلا شَماتَةُ مَنْ لامَني   عَلَى بَثِّ شُكْرِكَ في كُلِّ نادِ
وَقَوْلُهُمُ وَدَّ غَيْرَ ٱلْوَدُودِ   فَجُوزِي عَلَى قُرْبِهِ بِٱلْبِعادِ
لَما كُنْتُ مِنْ بَعْدِ نَيْلِ ٱلصَّفاءِ   لِأَرْغَبَ في ٱلنّائِلِ ٱلْمُسْتَفادِ[٢]
وَما بِيَ أَنْ يَرْدَعَ ٱلشَّامِتِينَ   وِصالُكَ بِرِّي وَحُسْنَ ٱفْتِقادي
وَلٰكِنْ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّني   شَكَرْتُ حَقيقاً بِشُكْرِ ٱلْأَيادي
وَلَمْ أَمْنَحِ ٱلْحَمْدَ إِلّا ٱمْرَأً   أَحَقَّ بِهِ مِنْ جَميعِ ٱلْعِبادِ
وَما كُنْتُ لَوْ لَمْ أُعَمْ في نَداكَ   لِأُثْني عَلَى ٱلرَّوْضِ قَبْلَ ٱرْتِيادي
وَأَنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تَقْتَني   ثَنائِيَ قَبْلَ ٱقْتِناءِ ٱلْعَتادِ
فَلا يُحْفِظَنَّكَ أَنّي عَتَبْتُ   فَتَمْنَعَني[٣] مِنْ بُلُوغِ ٱلْمُرادِ
فَإِنَّ ٱلْبِلادَ إِذا أَجْدَبَتْ   فَما تَسْتَغيثُ بِغَيْرِ ٱلْعِهادِ[٤]
إِذا ما تَجافَى ٱلْكِرامُ ٱلشِّدا   دُ عَنّا[٥] فَمَنْ لِلْخُطُوبِ ٱلشِّدادِ

* * *

(١) على الانتقاد (هامش ك) .
(٢) المستراد (ي) .
(٣) فيمنعني (س ، ظ ، ي ، م ، ع) .
(٤) العهاد : جمع العَهْد وهو أول المطر .
(٥) عني (ت) .



٤٠

وقال وقد سئل أن يعمل شعراً يكتب على قائم سيف [١] :

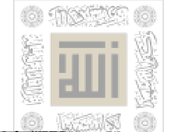
أَنا وَٱلنَّدىٰ سَيفانِ في يَدِ ماجِدٍ نَصَرَ [٢] ٱلْمَكارِمْ
هٰذا يَفُلُّ [٣] بِهِ ٱلْخُطُوبَ وَذا يَقُدُّ [٣] بِهِ ٱلْجَماجِمْ

٤١

وقال يعاتب صديقاً له، وهو أبو القاسم بن عبد الرزاق :

رَأَيتُكَ لَمّا شِمْتُ بَرْقَكَ خُلَّباً [٤] وَما أَرَبي في عارِضٍ لَيْسَ يُمْطِرُ [٥]
فَأَخْطَأَني مِنْكَ [٦] ٱلَّذي كُنْتُ أَرْتَجي وَأَدْرَكَني مِنْكَ ٱلَّذي كُنْتُ أَحْذَرُ
وَما ذاكَ عَنْ عُذْرٍ فَأَسْلُوهُ مَطْلَباً تَعَذَّرَ لٰكِنْ حَظِّيَ ٱلْمُتَعَذِّرُ

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) نضر المكارم (ت) .
(٣) تفلّ به .... تقدّ به .... (س ، ظ ، م ، ع) .
(٤) في جميع النسخ (مخلباً) إلا في (ت) وقد اخترنا روايتها .
(٥) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٦) فيك (ت) .



وَكَمْ مانِعٍ رِفداً وَما كانَ مانِعاً وَلٰـكِنْ أَبىٰ ذاكَ ٱلْقَضاءُ ٱلْمُقَدَّرُ
وَقَدْ كانَ فِيما بَيْنَنا مِنْ مَوَدَّةٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعْرُوفُها لَيْسَ يُنْكَرُ
مِنَ ٱلْحَقِّ ما يَقْضِي عَلَيْكَ بِأَنْ أُرىٰ لَدَيْكَ وَحَظِّي مِنْ نَوالِكَ أَوْفَرُ
وَما هِيَ إِلاّ حُرْمَةٌ لَوْ رَعَيْتَها رَعَيْتَ فَتىً عَنْ شُكْرِها لا يُقَصِّرُ
كَرِيماً مَتىٰ عاطَيْتَهُ كَأْسَ عِشْرَةٍ تَعَلَّمْتَ مِنْ أَخْلاقِهِ كَيْفَ يُشْكَرُ(١)

٤٢

وقال فيه أيضاً(٢) :

وَيَعْتادُنِي ذِكْراكَ فِي كُلِّ حالَةٍ فَتَشْتَفُّنِي حَتّىٰ تُهَيِّجَ وَسْواسِي
وَأَشْتاقُكُمْ وَٱلْيَأْسُ بَيْنَ جَوانِحِي وَأَبْرَحُ شَوْقٍ ما أَقامَ مَعَ(٣) ٱلْياسِ
وَلَوْلا ٱلرَّدىٰ ما كانَ بِٱلْعَيْشِ وَصْمَةٌ وَلَوْلا ٱلنَّوىٰ ما كانَ بِٱلْحُبِّ مِنْ باسِ

* * *

---

(١) كيف تشكر (ن) .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٣) على (ن) .



٤٣

وقال بديهاً، وقد سئل أن يصف غدير ماء قد شعشعته الشمس[1] :

أَوَ ما تَرىٰ قَلَقَ ٱلْغَدِيرِ كَأَنَّما ... يَبْدُو لِعَيْنِكَ مِنْهُ حَلْيُ مَناطِقِ[2]

مُتَرَقْرِقٌ لَعِبَ ٱلشُّعاعُ بِمائِهِ ... فَارْتَجَّ يَخْفُقُ مِثْلَ قَلْبِ ٱلْعاشِقِ

فَإِذا نَظَرْتَ إِلَيْهِ راعَكَ لَمْعُهُ ... وَعَلَلْتَ طَرْفَكَ مِنْ[3] سَرابٍ[4] صادِقِ

٤٤

وقال :

أَلا يا مُحْرِقِي بِٱلنّارِ مَهْلاً ... كَفانِي[5] نارُ حُبِّكَ وَٱشْتِياقِي

فَما تَرَكَتْ وَحَقِّكَ فِي فُؤادِي ... وَلا جَسَدِي مَكاناً لِٱحْتِراقِ

فَها أَنا ماثِلٌ كَرَمادِ[6] عُودٍ ... مَضىٰ مَحْصُولُهُ وَٱلشَّخْصُ[7] باقِ

(١) وقال يصف غديراً رمت الشمس عليه شعاعها (م، ع) .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٣) في (ن) .
(٤) شراب (ظ، م، ع، ت) .
(٥) كفى بي (س، ظ، ي، م، ع، ك، ن)
(٦) كدخان عود (ك) .
(٧) والشوق باق (م) .

فَلَوْ واصَلْتَني يَوْماً لَأَوْدى بِجِسْمي مَسُّ جِسْمِكَ بِالْعِناقِ(١)
تُحَرِّقُني بِنــارِكَ مُؤْذِناً لي بِما أَنا فيكَ يَوْمَ الْبَيْنِ لاقِ
وَنيرانُ الصَّبابَةِ بالِغاتٌ مُرادَكَ فِيَّ مِنْ قَبْلِ الْفِراقِ(٢)

٤٥

وقال أيضاً :

أَمُعَذِّبي بِالنّارِ سَلْ(٣) بِجَوانِحي عِنْدي مِنَ الزَّفَراتِ ما يَكْفِيني
لا تَبْغِ إِحْراقي فَإِنَّ مَدامِعي تُغْري بِنارِكَ ماءَها فَيَقِيني
لَوْلا بَوادِرُها الْغِزارُ لَأَوْشَكَتْ وَهَواكَ نارُ هَواكَ أَنْ تُرْدِيني
كَمْ وَقْعَةٍ لِلشَّوْقِ شُبَّ ضِرامُها فَلَقيتُ(٤) فِيها أَضْلُعي بِجُفُوني

* * *

(١) في العناق (ت) . وهذا البيت والذي بعده لم يردا في (م ، ع) .
(٢) التلاقي (ت) .
(٣) بل (ن) .
(٤) كذا في جميع النسخ ، ولكن في هامش .(ن): لعله (فَوَقَيْتُ) .

٤٦

وقال أيضاً :

يا مُؤْذِياً بِٱلنّارِ جِسْمَ (١) مُحِبِّهِ ... نارُ ٱلْجَوىٰ أَحْرىٰ بِأَنْ تُؤْذِيهِ
وَلِحَرِّها بَرْدٌ عَلَى كَبِدي إِذا ... أَيْقَنْتُ أَنَّ تَحَرُّقِي يُرْضِيهِ
عَذِّبْ بِها جَسَدِي (٢) فَداكَ مُعَذَّباً ... وَٱحْذَرْ (٣) عَلَى قَلْبِي فَإِنَّكَ فِيهِ

٤٧

وقال ، وقد تعذرت مطالبه في بعض السنين ، بطرابلس :

يا لَيْتَ أَنَّ يَدي شَلَّتْ وَلَمْ يَرَنِي ... خَلْقٌ أَمُدُّ إِلَيْهِ بِٱلسُّؤالِ يَدا (٤)
وَلَيْتَ سُقْمِي ٱلَّذِي فِي ٱلْحالِ مِنْ عَدَمِي ... أَحَلَّهُ ٱلدَّهْرُ مِنِّي ٱلرُّوحَ وَٱلْجَسَدا
بَلْ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ خَلْقاً وَإِذْ قَسَمَ ٱلْـ ... ـحَياةَ قاسِمُهـا لي قَصَّرَ ٱلْأَمَدا
فَٱلْمَوْتُ أَرْوَحُ (٥) مِنْ عَيْشٍ مُنِيتُ بِهِ ... وَلَمْ يَعِشْ مَنْ تَقَضّىٰ عَيْشُهُ نَكَدا

* * *

(١) وجه محبه (م) .
(٢) جسمي (ك) .
(٣) وتجافَ عن قلبي (ت ، ن) .
(٤) لم ترد هذه الأبيات الأربعة في (ك) .
(٥) أيسر (ن) .

٤٨

وقال أيضاً في مثله :

أَلا فَتىً مِنْ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ يَحْمِينِي ... أَلا كَرِيمٌ عَلَى ٱلْأَيّامِ يُعْدِينِي
مَضى ٱلْكِرامُ وَقَدْ (١) خُلِّفْتُ بَعْدَهُمُ ... أَشْكُو ٱلزَّمانَ إِلىٰ مَنْ لَيْسَ يُشْكِينِي
كَمْ أَسْتَفِيدُ أَخًا بَرًّا فَيُعْجِزُنِي ... وَأَبْتَغِي ماجِداً مَحْضاً فَيُعْيِينِي (٢)
أَرْجُو ٱلسَّماحَةَ مِمَّنْ لَيْسَ يُسْعِفُنِي ... وَأَبْتَغِي ٱلرِّفْدَ (٣) مِمَّنْ لا يُواسِينِي
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ وَٱلْأَقْدارُ غالِبَةٌ ... لَبِعْتُ فَضْلِي بِحَظِّي غَيْرَ مَغْبُونِ
لَوْ كانَ فِي ٱلْفَضْلِ مِنْ خَيْرٍ لِصاحِبِهِ ... لَكانَ فَضْلِيَ عَنْ ذِي ٱلنَّقْصِ يُغْنِينِي
يا هٰذِهِ قَدْ أَصابَ (٤) ٱلدَّهْرُ حاجَتَهُ ... مِنِّي فَحَتّامَ لا يَنْفَكُّ يَرْمِينِي
إِنْ كانَ يَجْهَدُ أَنْ أَصْلىٰ نَوائِبَهُ ... جَمْعاً فَواحِدَةٌ مِنْهُنَّ تَكْفِينِي
كَأَنَّهُ لَيْسَ يَغْدُو مُرْسِلاً يَدَهُ ... بِكُلِّ نافِذَةٍ إِلاّ لِيُصْمِينِي
سَلَوْتُ لا مَلَلاً عَمَّنْ كَلِفْتُ بِهِ ... وَمِثْلُ ما نالَ مِنِّي ٱلدَّهْرُ يُسْلِينِي
ما كُنْتُ أَرْضىٰ ٱلْهَوىٰ وَٱلْوَجْدُ يُنْحِلُنِي ... حَتّىٰ بُلِيتُ فَصارَ ٱلْهَمُّ يُنْضِينِي
مَنْ كانَ ذا أُسْوَةٍ فِيمَنْ بِهِ حَزَنٌ ... فَٱلْيَوْمَ بِي يَتَأَسّىٰ كُلُّ مَحْزُونِ

* * *

(١) فقد (س ، ك ، ظ ، ت) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٣) النيل (هامش ظ) .
(٤) أماتَ (ك) .

٤٩

وقال أيضاً :

نَفَضْتُ يَدِي مِنَ ٱلْآمالِ لَمَّا رَأَيْتُ زِمامَها بِيَدِ ٱلْقَضاءِ[١]
وَما تَنْفَكُّ مَعْرِفَتِي بِحَظِّي تُرِينِي ٱلْيَأْسَ فِي نَفْسِ ٱلرَّجاءِ

* * *

٥٠

وكتب إلى الشريف أبي[٢] المجد بن أبي الجن ، يستهديه مسكاً ، بطرابلس :

أَبا ٱلْمَجْدِ كَمْ لَكَ مِنْ طالِبٍ يَرَىٰ بِكَ أَفْضَلَ مَطْلُوبِهِ[٣]
سَأَلْتُكَ مِسْكاً وَوَجْدِي بِهِ كَوَجْدِ ٱلْمُحِبِّ بِمَحْبُوبِهِ
وَلَوْ قَدْ ذَكَرْتُكَ فِي مَحْفِلٍ غَنِيتُ بِذِكْرِكَ عَنْ طِيبِهِ
وَذِكْرِي لِمِثْلِكَ نِعْمَ ٱلْبَدِيلُ إِذا ضَنَّ غَيْرُكَ عَنِّي بِهِ[٤]

* * *

(١) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .
(٢) لعله القاضي اسماعيل بن إبراهيم ، انظر (ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي ، ص ١٦٥ .
(٣) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ي) .

٥١

وقال فيه أيضاً [(١)] :

تَحَرّانِي [(٢)] ٱلزمانُ بِكُلِّ خَطْبٍ ... وَعانَدَنِي ٱلْقَضاءُ بِغَيْرِ ذَنْبِ
كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ يُحْزِنُهُ سُرُورِي ... أَوِ ٱلأَيّامَ يُظْمِئُهُنَّ شُرْبِي
أَيا زَمَنَ ٱللِّئامِ إِلىٰ مَ حَمْلاً ... عَلَيَّ وَبَعْضُ ما حُمِّلْتُ حَسْبِي
أَما يَحْظىٰ ٱلْكِرامُ لَدَيْكَ يَوْماً ... فَأَرْكَبَ فِيكَ عَيْشاً غَيْرَ صَعْبِ
أَعُدْماً وَٱغْتِراباً وَٱكْتِئاباً ... لَقَدْ أَغْرَيْتَ بِي يا دَهْرُ نَحْبِي
لَعَلَّ فَتىً حَمَيْتُ بِهِ حَياتِي [(٣)] ... زَماناً وَٱلْخُطُوبُ يُرِدْنَ نَهْبِي
يُعِينُ كَما أَعانَ فَيَجْتَبِينِي ... بِنُعْمىٰ طالَما فَرَّجْنَ كَرْبِي
فَيُنْقِذَ مِنْ غِمارِ ٱلْمَوْتِ نَفْسِي ... وَيُطْلِقَ مِنْ إِسارِ ٱلْهَمِّ قَلْبِي
وَكُنْتُ إِذا عَتِبْتُ عَلَى زَمانٍ ... أَزالَ سَماحُ نَصْرِ ٱللهِ عَتْبِي
أُؤَمِّلُهُ لِحادِثَةِ ٱللَّيالِي ... فَأُخْصِبُ وَٱلزَّمانُ زَمانُ جَدْبِ
وَكَيْفَ يَخِيبُ مَنْ أَلْقىٰ عَصاهُ ... بِساحَةِ مُغْرَمٍ بِٱلْجُودِ صَبِّ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة كلها في (ك) .
(٢) تحدّاني ... (س، ي، ن) .
(٣) جنابي (س، ي، م، ن) ، جناني (ع) .

وَما يَنْفَكُّ يَنفَحُ كُلَّ يَوْمٍ نَسِيمُ ٱلْعَيْشِ مِنْ(١) ذاكَ ٱلْمَهَبِّ
يَرُدُّ هُبُوبُهُ كَرَماً وَجُوداً رِياحَ ٱلدَّهْرِ مِنْ سُودٍ وَنُكْبِ
خَلائِقُ مِنْ أَبِي ٱلْمَجْدِ ٱسْتَطالَتْ بِهِمَّةِ فاخِرٍ لِلْمَجْدِ تِرْبِ
حَلَتْ أَعْراقُهُ كَرَماً فَباتَتْ تُتَيِّمُ كُلَّ ذِي أَمَلٍ وَتُصْبِي
مَكارِمُ طالَما رَوَّيْتُ صَدْرِي بِها وَوَرَدْتُ مِنْها كُلَّ عَذْبِ
تَزِيدُ غَزارَةً وَصَفاءَ وِرْدٍ عَلَى ما طالَ مِنْ رَشْفِي وَعَبِّي
وَأَلْبَسَنِي صَنائِعَ لا أُبالِي إِذا سالَمْنَنِي مَنْ كانَ حَرْبِي
وَقَفْتُ بِها ٱلثَّناءَ عَلَى كَرِيمٍ يَرَى كَسْبَ ٱلْمَكارِمِ خَيْرَ كَسْبِ
فَتىً لَمْ يُدْعَ لِلْمَعْرُوفِ إِلاَّ وَنائِلُهُ لِداعِيهِ(٢) ٱلْمُلَبِّي(٣)
فِداؤُكَ كُلُّ مَمْنُوعٍ جَداهُ ضَنِينٍ بَلْ فِداؤُكَ كُلُّ نَدْبِ
فَكَمْ قَرَّبْتَ حَظِّي بَعْدَ نَأْيٍ وَباعَدْتَ ٱلنَّوائِبَ بَعْدَ قُرْبِ
إِذا ما كُنْتَ مِنْ عُشّاقِ حَمْدِي أَدَلَّ(٤) وَزارَ مَجْدَكَ غَيْرَ غِبِّ
وَمِثْلُكَ حَلَّ بَذْلُ ٱلْجُودِ مِنْهُ مَحَلَّ هَوىً ٱلْحَبِيبِ مِنَ ٱلْمُحِبِّ

* * *

(١) في ذاك (س) .
(٢) لسائله (ظ ، ت) .
(٣) يلبي (س ، ي) .
(٤) أذل (ظ ، م ، ع) ، أزل (ت) .



٥٢

وقال :

وَإِنِّي⁽¹⁾ لِلزَّمانِ لَذُو تِضالٍ فَبِي⁽²⁾ مِنْ حَدِّ أَسْهُمِهِ كُلُومُ
وَسَلاَّنِي عَنِ الأَحْبابِ دَهْرٌ يَضِيمُ الْحُرَّ حادِثُهُ الْغَشُومُ
فَقَدْ أَصْبَحْتُ لا تَجْرِي دُمُوعِي الطُّلُولُ وَلا تُهَيِّجُنِي الرُّسُومُ

٥٣

وقال مديحاً ، وقد حضر عند أبي الفضل بن يوسف ، وأحضر شراباً أصفر :

يا حُسْنَها صَفْراءَ ذاتَ تَلَهُّبٍ كَالنّارِ إِلاّ أَنَّها لا تَلْفَحُ
عاطَيْتَنِيها وَالْمِزاجُ يَرُوضُها وَكَأَنَّها فِي الْكَأْسِ طِرْفٌ يَجْمَحُ
وَتَضَوَّعَتْ مِسْكِيَّةً فَكَأَنَّها مِنْ نَشْرِ عِرْضِكَ أَوْ ثَنائِكَ تَنْفَحُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) بنا من ... (ت) .



٥٤

وقال يمدح منير الدولة (١) والي صور، ووفد إليه وأنشده إياها بصور، سنة أربع وثمانين وأربعمائة :

ذا عَزَّ نَفْسِي عَنْ هَواكَ (٢) قُصُورُها ... فَمِثْلُ ٱلنَّوىٰ يَقْضِي عَلَيَّ يَسِيرُها
هَلْ غادَرَ ٱلهِجْرانُ إِلاّ حُشاشَةً ... لِنَفْسٍ بِأَدْنىٰ لَوْعَةٍ (٣) يَسْتَطِيرُها (٤)
نَوىً وَنَوىً يُسْتَقْبَحُ ٱلصَّبْرُ فِيهِما ... وَحَسْبُكَ مِنْ حالٍ يُذَمُّ صَبُورُها
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَماسَكَ مُهْجَتِي ... وَأَنَّكَ مِنْ جَوْرِ ٱلْفِراقِ (٥) مُجِيرُها

---

(١) منير الدولة الجيوشي ولاه امير الجيوش وزير المستنصر الفاطمي على صور سنة ٤٨٢، فعصى بعد مدة على المستنصر وأمير الجيوش، وامتنع بصور، فسيرت العساكر من مصر إليه سنة ٤٨٦، وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه، فلما وصل العسكر المصري إلى صور وحصروها وقاتلوها، ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد، وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع، ونهب من البلد شيء كثير، وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا إلى مصر، وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحفت بهم. ولما وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم .

« ابن الأثير ج ١٠ ص ٦٠ وص ٧٧ »

(٢) هواها (ك) .

(٣) روعة (ك، ي، ت، ن) .

(٤) تستطيرها (س، ظ، ي، م، ع) .

(٥) الغرام (ك)، الزمان (ت) .

فَما كانَ إِلاّ غِرَّةً ما رَجَوْتُهُ ... أَلا شَرُّ(١) ما أَرْدىٰ ٱلنفُوسَ غُرُورُها
وَإِنّي لَرَهْنُ ٱلشَّوْقِ وَٱلشَّمْلُ جامِعٌ ... فَكَيْفَ إِذا حَثَّ ٱلْحُداةَ مَسِيرُها(٢)
وَما زِلْتُ مِنْ أَسْرِ ٱلْقَطِيعَةِ باكِياً ... فَمَنْ لِي غَداةَ ٱلْبَيْنِ أَنِّي أَسِيرُها
وَكُنْتُ أَرىٰ أَنَّ ٱلصُّدُودَ مَنِيَّةٌ ... يَكُونُ مَعَ ٱللَّيْلِ ٱلتَّمامِ حُضُورُها
فَلَمّا قَضىٰ ٱلتَّفْرِيقُ بِالْبُعْدِ بَيْنَنا ... وَجَدْتُ ٱللَّيالِي كانَ حُلْواً مَرِيرُها
أَعُدُّ سُرُورِي أَنْ أَراكَ بِغِبْطَةٍ ... وَأَنْفَسُ ما يُهْدىٰ لِنَفْسٍ سُرُورُها
كَفىٰ حَزَناً أَنِّي أَبِيتُ مُعَذَّباً ... بِنارِ هُمُومٍ لَيْسَ يَخْبُو سَعِيرُها
وَأَنَّ عَدُوِّي لا يُراعُ وَأَنَّنِي ... أَبِيتُ سَخِينَ ٱلْعَيْنِ وَهْوَ قَرِيرُها
تَعافُ ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُرَّ مِنْ وِرْدِ عَيْشِها ... وَتَكْرَهُ حَتّىٰ يَسْتَمِرَّ(٣) مَرِيرُها
وَلا وَٱلْقَوافِي ٱلسّائِراتِ إِذا غَلَتْ ... بِحُكْمِ ٱلنَّدىٰ عِنْدَ ٱلْكِرامِ مُهُورُها
لَئِنْ أَنا لَمْ يَمْنَعْ حِمايَ ٱنْتِصارُها ... وَيَثْنِي أَذىٰ ٱلْعادِينَ عَنِّي نَكِيرُها
فَلا ظَلَّ يَوْماً مُصْحِباً لِي أَبِيُّها ... وَلا باتَ لَيْلاً آنِساً بِي نَفُورُها
قَطَعْتُ صُدُورَ ٱلْعُمْرِ لَمْ أَدْرِ لَذَّةً ... وَغَفْلَةَ عَيْشٍ كَيْفَ كانَ مُرُورُها

---

(١) ألا شَدَّ ... (س، ك، ظ، ي، ن) .
(٢) أميرها (م) .
(٣) استمرَّ مريره : قوي بعد ضعف .

وَلَمّا رَماني ٱلدَّهْرُ عُذْتُ بِدَوْلَةٍ ... جَلا ٱلْحادِثاتِ ٱلْفادِحاتِ مُنيرُها
وَكَيْفَ يَخافُ ٱلدَّهْرَ رَبُّ مَحامِدٍ ... غَدا كَرَمُ ٱلْمَنْصُورِ وَهوَ نَصيرُها
إلى عَضُدِ ٱلْمُلْكِ ٱمْتَطَيْتُ غَرائِباً ... مُحَرَّمَةً إلاّ عَلَيَّ ظُهُورُها
إِلىٰ مَلِكٍ تَعْنُو ٱلْمُلُوكُ لِبَأْسِهِ ... وَيَقْصُرُ يَوْمَ ٱلْفَخْرِ عَنْهُ فَخُورُها
أَعَمُّهُمُ غَيْثاً (١) إِذا بَخِلَ ٱلْحَيا ... وَأَطْعَنُهُمْ وَٱلْخَيْلُ تَدْمىٰ نُحُورُها
إِلىٰ حَيْثُ تَلْقىٰ ٱلْجُودَ هَيناً مَرامُهُ ... لِباغِيهِ وَٱلْحاجاتِ سَهْلاً (٢) عَسيرُها
لَدىٰ مَلِكٍ ما ٱنْفَكَّ مِنْ (٣) مَكْرُماتِهِ ... مَوارِدُ (٤) يَصفُو عَذْبُها وَنَميرُها
يَزِيدُ عَلَى غَوْلِ ٱلطُّرُوقِ (٥) صَفاؤُها ... وَيَنْمِي (٦) عَلَى طُولِ ٱلْوُرُودِ غَزيرُها
أَغَرُّ لَوَ ٱنَّ ٱلشَّمْسَ يَحْظىٰ جَبينُها ... بِبَهْجَتِهِ ما كانَ يُكْسَفُ نُورُها
غَنِيُّ ٱلْعُلىٰ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ وَسُؤْدَدٍ ... وَلٰكِنَّهُ مِنْ كُلِّ مِثْلٍ فَقيرُها
يَعُدُّ ٱلْمَنايا مُسْتَساغًا كَريهُها ... وَبِيضَ ٱلْعَطايا مُسْتَقَلاً كَثيرُها
سَقىٰ ٱللّٰهُ أَيّامَ ٱلْمُؤَيَّدِ ما سَقَتْ ... حَوافِلُ مُزْنٍ لا يُغِبُّ مَطيرُها

---

(١) نيلاً (ت) .
(٢) سَهْلٌ (س ، م) .
(٣) عن (ظ ، م ، ع ، ت) .
(٤) على الناس يصفو . . . (ك) .
(٥) الطريق (ك) .
(٦) ينمو (م ، ع) .

فَما تَقْلَتْ جَرْداءُ سابِحَةٌ لَهُ شَبِيهاً وَلا وَجْناءُ يَقْلَقُ كُورُها
سَقى هٰذِهِ الدُّنْيا مِنَ الْعَدْلِ رَيُّها فَأَصْبَحَ لا يَخْشى اللَّواءَ نَضِيرُها
وَهَبَّ لَهُ فِيها نَسِيمُ غَضارَةٍ مِنَ الْعَيْشِ حَتّى عادَ بَرْداً هَجِيرُها
عَفُوٌّ[1] فَما جانَتْ زَلَّةُ مُجْرِمٍ لَدى عَفْوِهِ إِلّا صَغِيراً[2] كَبِيرُها
لَهُ الرَّأْيُ وَالْبَأْسُ اللَّذانِ تَكَفَّلا لِأَعْدائِهِ أَوْحى حِمامٍ يُبِيرُها
سُيُوفٌ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْفَتْكِ لَمْ يَزَلْ[3] وَمُغْمَدُها فِي كَفِّهِ وَشَهِيرُها
رَأى أَرْضَ صُورٍ بُغْيَةً[4] لِمُغالِبٍ يُنازِلُها[5] يَوْماً وَيَوْماً يُغِيرُها
تَدارَكَها وَالنَّصْرُ فِي صَدْرِ سَيْفِهِ أَخُو عَزَماتٍ لا يُخافُ فُتُورُها
هُمامٌ إِذا ما حَلَّ يَوْماً بِبَلْدَةٍ فَخَنْدَقُها حَدُّ الْحُسامِ وَسُورُها
وَسُمْرٌ مِنَ الْخَطِّيِّ لا تَرِدُ الْوَغى فَتَحْطِمَ إِلّا فِي الصُّدُورِ صُدُورُها
أَرى أُمَراءَ الْمُلْكِ لِلْفَخْرِ غايَةً وَأَنْتَ إِذا عُدَّ الْفَخارُ أَمِيرُها
وَما زِلْتَ تَسْمُو لِلْعَلاءِ بِهِمَّةٍ تَقِلُّ لَكَ الدُّنْيا بِها كَيْفَ صُورُها

---

(١) عفورٌ (ك) .
(٢) صغير (ك) .
(٣) لم تزل (ك ، ت) .
(٤) نهبة لثعالب (ك) ، بغيةٌ لمطالب (ن) .
(٥) تنازلها يوماً عساه يغيرها (ك) .

وَأُقْسِمُ لَوْ حاوَلْتَ قَدْرَكَ فِي ٱلْعُلىٰ ... لَما آثَرَتْ عَنْكَ ٱلسَّماءَ بُدُورُها
وَإِنَّ بِلاداً أَنْتَ حائِطُ[(١)] ثَغْرِهـا ... بِسَيْفِكَ قَدْ عَزَّتْ وَعَزَّ نَظِيرُها
فَسَعْداً لِأَمْلاكٍ[(٢)] عَلَيْكَ ٱعْتِمادُها ... وَفَخْراً لِأَيّامٍ إِلَيْكَ مَصِيرُها
لَتَمَدْ عَطَّرَ[(٣)] ٱلدُّنْيا ثَناؤُكَ فَٱنْثَنىٰ ... بِهِ ذا كَسادٍ مِسْكُهـا وَعَبِيرُها
فَتاهَتْ بِذِكْراهُ ٱلْبِلادُ وَأَهْلُهـا ... وَهَبَّتْ بِرَيّاهُ ٱلصَّبـا وَدَبُورُها
مَلَأْتَ بِهِ ٱلْآفاقَ طِيباً مَتىٰ دَعا ... إِلىٰ نَشْرِهِ ٱلْآمالَ خَفَّ وَقُورُها
فَجِئْتُكَ ذا نَفْسٍ يُقَيِّدُها ٱلْجَوىٰ[(٤)] ... وَقَدْ كـادَ[(٥)] حُسْنُ ٱلظَّنِّ فِيكَ يُطِيرُها
رَمِيمٍ أُزَجِّيهـا إِلَيْكَ لَعَلَّهُ ... يَكُونُ بِنُعْمىٰ راحَتَيْكَ نُشُورُها
وَلَسْتُ بِشاكٍ مُدَّةَ ٱلْخَطْبِ بَعْدَها ... وَأَوَّلُ إِفْضـائِي إِلَيْكَ أَخِيرُها[(٦)]

* * *

(١) حاوظ (ك ، ت) .
(٢) لآمال (ك ، ت) .
(٣) ضَوَّعَ (ت) .
(٤) الهوى (ك) .
(٥) وقد كان ... (ك ، ي ، ت) .
(٦) لم يرد هذا البيت فى (ك) .

٥٥

وقال(١) يشكر صديقاً له على جميل أولاه إياه ويستنجزه وعداً ، من الطرابلسيات :

أَبا حَسَنٍ لَئِنْ كانَتْ أَجابَتْ ... هِباتُكَ مَطْلَبِي قَبْلَ ٱلدُّعاءِ
لَما ضاعَ ٱصْطِناعُكَ فِي كَرِيمٍ ... مَلِيٍّ حِينَ تَقْرِضُ(٢) بِٱلْجَزاءِ
سَأُثْنِي بِٱلَّذِي أَوْلَيْتَ جَهْدِي ... وَيُثْنِي ٱلسّامِعُونَ عَلَى ثَنائِي
وَكَيْفَ جُحُودُ مَعْرُوفٍ تَوالَىٰ ... فَكانَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ(٣) دَواءَ دائِي
أَأَجْحَدُ مِنَّةً بَدَأَتْ وَعادَتْ ... إِذَنْ فَعَدَلْتُ عَنْ سَنَنِ(٤) ٱلْوَفاءِ(٥)
سَبَقْتَ إِلَىٰ جَمِيلِ ٱلصُّنْعِ ظَنِّي ... وَقَرْطَسَ جُودُ كَفِّكَ فِي رَجائِي
وَكانَ(٦) نَداكَ حِينَ يَسِيرُ(٧) نَحْوِي ... جَنِيباً(٨) لِلْمَوَدَّةِ وَٱلصَّفاءِ
فَما أَدْرِي أَأَشْكُرُ مِنْكَ قَصْدِي ... بِجُودِكَ وَٱصْطِناعِكَ أَمْ إِخائِي

---

(١) وله إلى صديق ... (ك) .
(٢) يقرض (ك ، ت ، ن) .
(٣) من الحواد ... (ك) .
(٤) سل (ن) .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٦) فكان ... (ت) .
(٧) يتسار (س ، ظ ، م ، ع ، ن) ، يسار (ي) ، أشار (ت) .
(٨) حنيباً (س ، ظ ، م ، ع) ، حيبا (ت) .

أَبَتْ أَخْلاقُكَ ٱلْغُرُّ ٱللَّواتِي أَحَبُّ إِلىٰ ٱلنفُوسِ مِنَ ٱلْبَقاءِ
وَكَوْنُكَ وَٱلسَّماحُ إِلَيْكَ أَشْهىٰ مِنَ ٱلْماءِ ٱلزُّلالِ إِلىٰ ٱلظِّماءِ[1]
سِوىٰ كَرَمٍ وَمَعْرُوفٍ وَحِلْمٍ وَضَرْبٍ فِي ٱلتَّكَرُّمِ وَٱلسَّخاءِ
وَقَدْ أَسَّسْتُ بِٱلْمِيعادِ شُكْرِي وَما بَعْدَ ٱلْأَساسِ سِوىٰ ٱلْبِناءِ
فَإِنْ تَسْمَحْ يَداكَ فَلا عَجِيبٌ وَمَنْ ذا مُنْكِرٌ قَطْرَ[2] ٱلسَّماءِ

٥٦

وقال في غرض له[3] :

كَمْ ذا ٱلتَّجَنُّبُ[4] وَٱلتَّجَنِّي كَمْ ذا ٱلتَّحامُلُ وَٱلتَّعَدِّي
أَتَظُنُّنِي لا أَسْتَطِيعُ أُحِيلُ عَنْكَ ٱلدَّهْرَ وُدِّي
مَنْ ظَنَّ أَنْ لا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ مِنْهُ أَلْفَ بُدِّ[5]

. . .

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) قدر السماء (ك) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) التجمل ؟ (س) .
(٥) المشهور أن (بدّ) لا تستعمل إلا منفية ، واستعمالها في الإثبات مولد .

٥٧

وقال بديهاً وقد قيل : إن الشعر يحتاج إلى طلاوة [١] :

يُحْتاجُ فِي ٱلشِّعْرِ إِلىٰ طَـــلاوَهْ　　وَٱلشِّعْرُ ما لَمْ يَكُ ذا حَلاوَهْ
فَإِنَّما سَماعُهُ شَقاوَهْ

٥٨

وقال أيضاً [٢] :

لَيْتَ ٱلَّذِي قَلْبِي بِهِ مُغْرَمُ　　يَعْلَمُ مِنْ وَجْدِي كَما أَعْلَمُ
لَعَلَّهُ إِنْ لَمْ يَصِلْ رَغْبَةً　　يَرِقُّ لِلْمَـكْرُوبِ أَوْ يَرْحَمُ
أَذَلَّنِي حُبُّـكُمُ فِي ٱلْهَوىٰ　　فَما حَمَتْنِي ذِلَّتِي [٣] مِنْـكُمُ
وَمَذْهَبٌ ما زالَ مُسْتَقْبَحاً　　فِي ٱلْحَرْبِ أَنْ يُقْتَلَ مُسْتَسْلِمُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك ، ت) .
(٢) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٣) عزني (ن) .



٥٩

وقال(١) وقد سأله صديق له أن يستهدي له خمراً، وقد حضر عندهما غلام أمرد جميل الوجه(٢) :

أَبْلِـغْ أَبا ٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي شَهِدَتْ ... بِٱلْفَضْلِ مِنْهُ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ(٣)
ٱلْعُذْرُ عِنْدَكَ لا يَسُوغُ وَلِي ... فِي أَنْ أُطِيلَ عِتابَكَ ٱلْعُذْرُ
أَيَجُوزُ فِي حُكْمِ ٱلْمُرُوَّةِ أَنْ ... أَظْما وَدُونَ سَماحِكَ ٱلْبَحْرُ
وَٱلسَّبْتُ مِنْ شَرْطِ ٱلْمُدامِ وَلا ... سِيَما وَثَوْبُ زَمانِهِ ٱلْقُرُّ(٤)
وَلَدَيَّ بَدْرٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ ... يَوْماً لَتاهَ بِحُسْنِهِ ٱلْبَدْرُ(٥)
لا ٱلْبَذْلُ شِيمَتُهُ وَلا لِفَتىً ... عَرَفَ ٱلْهَوىٰ عَنْ مِثْلِهِ(٦) صَبْرُ
فِي خُلْقِهِ سَرَسٌ(٧) وَلَيْسَ يُرىٰ ... إِلاّ ٱلتَّمَنُّعُ مِنْهُ وَٱلْهَجْرُ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة في (ك).
(٢) ورد في (ي) بعد كلمة الوجه (أبو الفضل الوزان) .
(٣) تسكين الضاد ضرورة .
(٤) الصبر (ت).
(٥) القدر (م ، ع) .
(٦) عن وجهه (م ، ع) .
(٧) سَرِسَ الرجلُ سَرَساً : ساء خلقه، أو عقل وحزم بعد جهل.
وفي (س ، ت ، ك) شَرَسٌ .

فَٱبْعَثْ لَنا خَمْراً يُراضُ بِهـا فَعَسَىٰ يُذَلِّلُ صَعْبَهُ ٱلْخَمْرُ
وَٱلسُّكْرُ[1] قَدْ ضَمِنَ ٱلْوِصالَ لَنا وَلَكَمْ وَفَىٰ بِضَمانِهِ ٱلسُّكْرُ
سارِعْ إِلىٰ كَرَمٍ يُحازُ بِهِ ٱلشُّكْرُ ٱلْجَميلُ وَيُعْدَمُ ٱلْأَجْرُ

٦٠

وقال يهجو ابن[2] المحلي، وكان يدعي الأدب والشعر، وفتح صيرفياً، وكان متهماً بالبغاء[3] :

صِرْتَ بَيْنَ ٱلصّادَيْنِ يا ٱبْنَ[2] ٱلْمُجَلِّي بَيْنَ صَفْعٍ يُوهِي قَفاكَ وَصَرْفِ
بَعْدَ باءَيْنِ مِنْ بُغاءٍ وَبَرْدٍ حِلْفَ[4] صادَيْنِ فِيكَ ضُرٌّ وَضُعْفِ
ثُمَّ شِينَيْنِ شُؤْمِ جَدٍّ وَشِعْرٍ لِمَغيضٍ[5] فِيهِ يَنابيعُ كُنْفِ
قِرْنَ عَيْنَيْنِ عُدْمِ عَقْلٍ وَمالٍ وَعَمىً عاجِلٍ بِوَقْعِ ٱلْأَكُفِّ
وَسَتَأْتِي ٱلْفاءانِ فَقْدُكَ بَلْ فَقْرُكَ إِثْرَ ٱلْحاءَيْنِ حُرْفٍ[6] وَحَتْفِ

---

(١) فالسكر (ي) .
(٢) ابن المصلي (ت) .
(٣) لم ترد هذه المقطوعة في (ك) .
(٤) خلف (ي ، ت ، ن) .
(٥) كمغيض (ن) .
(٦) الحُرف : الحرمان . وفي (م ، ع) حذف وفي (ن) حرق.



وَإِذا ما ٱلسِّيئاتُ حُزْنَكَ(١) يا حُزْ ... نَ ذَوِي ٱلصَّرْفِ قُمْتَ مِنْ غَيْرِ خُلْفِ(٢)
سَفَهٌ فِي سَفَالَةٍ فِي سُقُوطٍ ... دائِمٍ فِي سَوادِ وَجْهٍ وَسُخْفِ

٦١

وقال في جواب كتاب(٣) :

وافى كِتابُكَ أَسْنى(٤) ما يعودُ بِهِ ... وَفْدُ ٱلْمَسَرَّةِ مِنِّي إِذْ يُوافِينِي
فَظَلْتُ أَطْوِيهِ مِنْ شَوْقٍ(٥) وَأَنْشُرُهُ ... وَٱلشَّوْقُ يَنْشُرُنِي فِيهِ وَيَطْوِينِي

* * *

(١) جزنك (م) .
(٢) حلف (ي) .
(٣) لم يرد هذا البيتان في (ك) .
(٤) أوفى (ن) .
(٥) من وجدٍ (ي) .



٦٢

وقال (١) يمدح يمين الملك أبا النجم هبة الله (٢) بن محمد بن بديع الاصفهاني

---

(١) وعاد إلى دمشق فصحب يمين الملك أبا النجم هبة الله بن بديع الاصفهاني ، وهو مستوفي الأعمال للسلطان تاج الدولة ، فوصل معه إلى الري ، وخدمه بهذه القصيدة في سنة سبع وثمانين واربع مابة (ك) .

(٢) أبو النجم هبة الله بن محمد بن بديع الاصفهاني ، كان مستوفي الأعمال لتاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق ، وبعد مقتل تاج الدولة بالري سنة ٤٨٨ (ويظهر أنه كان معه) وزر لابنه فخر الملوك رضوان الذي استقل بمملكة حلب ، وبقي في الوزارة مدة . ثم عاد إلى دمشق وتقلبت الأحوال ، وملك دمشق بعد شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة الذي توفي سنة ٤٩٧ ظهير الدين طغتكين أتابكه وعتيق تاج الدولة ، وفي سنة ٥٠١ ذهب هبة الله الاصفهاني سفيراً إلى بغداد مع تاج الملوك بوري بن ظهير الدين وفخر الملك بن عمار مستنجدين بالخليفة والسلطان بركياروق بعد أن اشتد حصار الصليبيين لطرابلس الشام ، وكان هبة الله مدير أمور هذه الرحلة ، وقد اختاره لهذه المهمة ظهير الدين وجعله مشيراً للوفد ، وأصحبه كثيراً من الهدايا والتحف والخيول والثياب . وكان ظهير الدين حريصاً على أن يبقى السلطان راضياً عنه ، لكثرة حساده والساعين به . وعاد هبة الله إلى دمشق على غاية مراد ظهير الدين . وفي سنة ٥٠٢ استوزره ظهير الدين ، ولكن أمر بالقبض عليه في السنة نفسها واعتقاله في القلعة وحمل كل ما كان في داره وقبض أملاكه ، وأقام أياما في الاعتقال ، ثم أمر بخنقه فخنق ورمي في جب بالقلعة ثم أخرج ودفن في المقابر .

(ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي ، ص ١٦١ وص ١٦٣



وأنشده إياها بالري (١) سنة سبع وثمانين وأربع مائة :

أَيا بَيْنُ ما سُلِّطْتَ إِلاّ عَلَى ظُلْمِي ... وَيا حُبُّ ما أَبْقَيْتَ مِنِّي سِوى ٱلْوَهْمِ (٢)
فِراقٌ أَتىٰ فِي إِثْرِ (٣) هَجْرٍ وَما أَذى (٤) ... بِأَوْجَعَ مِنْ كَلْمٍ أَصابَ عَلَى كَلْمِ
لَقَدْ كانَ لِي فِي ٱلْوَجْدِ (٥) ما يُقْنِعُ ٱلضَّنىٰ ... وَفِي ٱلْهَجْرِ (٦) ما يُغْنِي بِهِ ٱلْبَيْنُ عَنْ غَشْمِي (٧)
وَلٰكِنَّ دَهْراً أَثْخَنَتْنِي جِراحُهُ ... إِذا حَزَّ فِي جِلْدِي أَلَحَّ عَلَى عَظْمِي
وَإِنْ (٨) كُنْتُ مِمَّنْ لا يَذُمُّ سِوى ٱلنَّوىٰ ... فَإِنَّ ٱلْقِلَىٰ وَٱلصَّدَّ أَجْدَرُ بِٱلذَّمِّ
وَما مَنْ رَمىٰ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَأَقْصَدَتْ ... نَوافِذُهُ كَمَنْ تَعَمَّدَ أَنْ يَرْمِي
فَيا قَلْبُ كَمْ تَشْقىٰ بِدانٍ وَنازِحٍ ... فَشاكٍ إِلىٰ خَصْمٍ وَباكٍ عَلَى رَسْمِ (٩)
وَحَتّامَ أَسْتَشْفِي مِنَ ٱلنّاسِ مَنْ بِهِ (١٠) ... سَقامِي وَأَسْتَرْوِي (١١) مِنَ ٱلدَّمْعِ ما يُظْمِي

---

(١) مدينة كانت من أشهر بلاد العجم .
(٢) سوي رسمي (ك)، سوى الرسم (ن) .
(٣) من بعد هجر (ن) .
(٤) وما أرى، (ك، ت) .
(٥) في الهجر (ك) .
(٦) وفي الوجد (ك)، وفي البين (ت، ن) .
(٧) عن غمي (ك) .
(٨) فان (ت) .
(٩) لم يرد هذا البت في (م) .
(١٠) مابه (ظ، م، ع) .
(١١) واستسقي (س) .

غَرِيمِي بِدَيْنِ ٱلْحُبِّ هَلْ أَنْتَ مُقْتَضِي[(١)] وَهَلْ لِفُؤَادٍ أَتْلَفَ ٱلْحُبُّ[(٢)] مِنْ غُرْمِ
أَحِنُّ إِلَىٰ سُقْمِي لَعَلَّكَ عَائِدِي وَمِنْ كَلَفٍ أَنِّي أَحِنُّ إِلَىٰ ٱلسُّقْمِ
وَبِي مِنْكَ مَا يُرْدِي ٱلْجَلِيدَ وَإِنَّمَا لِحُبِّكَ أَهْوَىٰ أَنْ يَزِيدَ وَأَنْ يَنْمِي
وَيَالَائِمِي[(٣)] أَنْ بَاتَ يُزْرِي بِيَ ٱلْهَوَىٰ عَلَيَّ سَفَاهِي لَا عَلَيْكَ وَلِي[(٤)] حِلْمِي
أَقَلْبُكَ أَمْ قَلْبِي يُصَدَّعُ بِٱلنَّوَىٰ وَجِسْمُكَ يَضْنَىٰ بِٱلْقَطِيعَةِ أَمْ جِسْمِي
وَلَا غَرْوَ أَنْ أَصْبَحْتَ غُفْلاً مِنَ ٱلْهَوَىٰ فَأَنْكَرْتَ مَا بِي لِلصَّبَابَةِ مِنْ وَسْمِ[(٥)]
نُدُوبٌ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ كَأَنَّهَا فُلُولٌ بِقَلْبِي مِنْ مُقَارَعَةِ ٱلْهَمِّ[(٦)]
وَعَائِبَتِي أَنَّ ٱلْخُطُوبَ بَرَيْنَنِي وَرُبَّ نَحِيفِ ٱلْجِسْمِ ذُو[(٧)] سُؤْدَدٍ ضَخْمِ

---

(١) منصفي (ت ، ن) .
(٢) البين (ك) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٤) ولاحلمي ؟ (ظ) .
(٥) من رسم (ت) .
(٦) ورد على هامش النسخة المصرية بحذاء هذا البيت ما يأتي: « قال فتى من أهل المدينة في القرن الثاني ، وهو في العقيق، وقد نظر إلى جارية من الاعراب :

رمتني سهم أقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فأجابته الجارية :

لنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجا يشفي السقام قريبا

والندب : الأثر . يعني حدد الدمع في حده خداء ، اهـ » .
(٧) ذي (س ، ك ، ظ ، ي ، ت ، ن) .

رَأَتْ أَثَراً لِلنّائِبـاتِ كَما بَدا مِنَ ٱلْعَضْبِ ما أَبْقى بِهِ ٱلضَّرْبُ مِنْ ثَلْمِ

فَلا تُنْكِرِي ما أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ إِنَّما نَوائِبُهُ أَقْرانُ كُلِّ فَتىً قَرْمِ

وَلا بُدَّ مِنْ وَصْلٍ تُسَهِّلُ وَعْرَهُ وَغىً تَنْتَمي فيها ٱلسُّيُوفُ إِلى عَزْمي

فَرُبَّ[1] مَرامٍ قَدْ تَعاطَيْتُ وِرْدَهُ فَما ساغَ لي حَتّى أَمَرَّ لَهُ طَعْمي

وَخَيْلٍ تَمَطَّتْ بي وَلَيْلٍ كَأَنَّهُ تَرادُفُ وَفْدِ ٱلْهَمِّ أَوْ زاخِرُ ٱلْيَمِّ

شَقَقْتُ دُجاهُ وَٱلنُّجُومُ كَأَنَّهـا قَلائِدُ نَظْمي أَوْ مَساعي أَبي ٱلنَّجْمِ

إِلَيْكَ يَمينَ ٱلْمُلْكِ واصَلْتُ شَدَّها مُقَلْقَلَةَ[2] ٱلْأَعْلاقِ[3] جائِلَةَ ٱلْحُزْمِ

غَوارِبُ أَحْياناً طَوالِعُ كُلَّما هَبَطْنَ فَضا سَهْلٍ عَلَوْنَ مَطا حَزْمِ

تَميلُ بِها ٱلْآمالُ عَنْ كُلِّ مَطْمَعٍ دَنِيءٍ وَتَسْمُو لِلطِّلابِ ٱلَّذي يُسْمي

تَزُورُ ٱمْرَأً لا يُجْتَنى ثَمَرُ ٱلْغِنى بِمِثْلِ نَداهُ ٱلْغَمْرِ وَٱلنّائِلِ ٱلْجَمِّ

مَتى جِئْتَهُ وَٱلْمُعْتَفُونَ بِبابِهِ شَهِدْتَ بِنُعْمى كَفِّهِ مَصْرَعَ ٱلْعُدْمِ

إِلى مُسْتَبِدٍّ بِٱلْفَضائِلِ قاسِمٍ لِهِمَّتِهِ مِنْ نَفْسِهِ أَوْفَرَ ٱلْقِسْمِ

---

(١) ورب ... (ك) .

(٢) مفلقة الأعناق (ت) .

(٣) جمع عِلق : وهو بمعنى الجراب . وفي (س ، م) الاعلاق ، وفي (ك) الأعناق .

تُعَدُّ (١) عُـلاهُ مِنْ مَناقِبِ دَهْرِه ... كَعدِّكَ فَضْلَ اللَّيلِ بِالْقَمَرِ التِّمِّ
وَكَرَّمَهُ عَنْ أَنْ يُسَبَّ (٢) بِمِثْلِهِ الزَّ ... مانُ كَمـالٌ زَيَّنَ الْجَدَّ بِالْفَهْمِ
وَجُودٌ عَلَى الْعافِي وَذَبٌّ عَنِ الْعُلىٰ ... وَصَدٌّ عَنِ الْواشِي وَصَفْحٌ عَنِ الْجُرْمِ
وَرُتْبَةُ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الْحَظَّ وَحْدَهُ ... طَرِيقاً إِلىٰ الْعالِي مِنَ الرُّتَبِ الشُّمِّ
تَناوَلَهـا اسْتِحْقاقُهُ قَبْلَ حَظِّهِ ... وَحامىٰ عَلَيْها وَالْمَقادِرُ (٣) لَمْ تَحْمِ (٤)
وَغَيْرُ بَدِيعٍ مِنْ بَدِيعٍ مُشَيَّدٌ ... لِما شادَهُ وَالْفَرْعُ يُنْمىٰ إِلىٰ الْجِذْمِ
سَقىٰ (٥) اللَّهُ عَصْراً حافَظَ ابْنَ مُحَمَّدٍ ... بِما في ثُغُورِ (٦) الْغانِياتِ مِنَ الظَّلْمِ (٧)
أَغَرُّ إِذا ما الْخَطْبُ أَغْشىٰ ظَلامُهُ ... تَبَلَّجَ طَلْقَ (٨) الرَّأْيِ فِي الْحادِثِ الْجَهْمِ
تَرِقُّ حَواشِي الدَّهْرِ فِي ظِلِّ مَجْدِهِ (٩) ... وَتَظْرُفُ (١٠) مِنْهُ شِيمَةُ الزَّمَنِ الْفَدْمِ

---

(١) نعد ... (ك) .
(٢) بسب .... (ك) .
(٣) والمقادير (ك ، ي ، ن) .
(٤) ما يحمي (ك) .
(٥) شفى (ك ، ت) .
(٦) صدور ؟ (ك) .
(٧) الظَّلْمُ : ماء الأسنان وبريقها .
(٨) تبلج مثل الصبح في الحادث الجهم (ك) .
(٩) حوده (ن) .
(١٠) وتطرف (ط ، ي ، ن)، وتطرق (ك) .

وَيَكْبُرُ قَدْراً أَنْ يُرَى مُتَكَبِّراً ... وَيَعْظُمُ مَجْداً أَنْ يَتِيهَ مَعَ الْعُظْمِ
وَيَكْرُمُ عَدْلاً أَنْ يَمِيلَ بِهِ الْهَوَى ... وَيَشْرُفُ نَفْساً أَنْ يَلَذَّ مَعَ الْإِثْمِ
وَيُورِدُ عَنْ فَضْلٍ وَيُصْدِرُ عَنْ نُهىً ... وَيَصْمُتُ عَنْ حِلْمٍ وَيَنْطِقُ عَنْ عِلْمِ (١)
بَدِيهَةُ رَأْيٍ فِي رَوِيَّةِ سُؤْدَدٍ ... وَإِقْدامُ عَزْمٍ فِي تَأَيُّدِ ذِي حَزْمِ
خَلائِقُ إِنْ تَحْوِ الثَّنَاءَ بِأَسْرِهِ ... فَمَا الْفَخْرُ إِلاَّ نُهْبَةُ (٢) الشَّرَفِ الْفَخْمِ
أَبَرُّ عَلَى الْأَقْوامِ مِنْ سَيْبَةِ الْحَيا ... وَأَشْهَرُ فِي الْأَيّامِ مِنْ شَيْبَةِ الدُّهْمِ
أَضاءَتْ بِكَ الْأَوْقاتُ وَالشَّمْسُ لَمْ تُنِرْ ... وَرُوِّضَتِ السّاحاتُ وَالْغَيْثُ لَمْ يَهْمِ
وَشُدَّتْ أَواخِي الْمُلْكِ مِنْكَ بِأَوْحَدٍ ... بَعِيدِ عُرَى الْعَقْدِ الْوَكِيدِ مِنَ الْفَصْمِ
فَتىً لا تُصافِي طَرْفَهُ لَذَّةُ الْكَرى ... وَلا تَطَّبِي أَجْفانَهُ خُدَعُ (٣) الْحُلْمِ
يُسَهِّدُهُ تَشْيِيدُهُ الْمَجْدَ (٤) وَالْعُلَى ... وَتَفْرِيجُ غَمّاءِ الْحَوادِثِ وَالْغَمِّ
وَغَيْرُ النُّجُومِ الزُّهْرِ يَأْلَفُها الْكَرى ... وَيَعْدَمُها الْإِشْراقُ فِي الظُّلَمِ الْعُتْمِ
لَقَدْ شَرَّفَ الْأَقْلامَ مَسُّ أَنامِلٍ ... بِكَفِّكَ لا تَخْلُو مِنَ الْجُودِ وَاللَّثْمِ

---

(١) عن حكم (ك ، ت ، ن) .
(٢) نحبة ... (ى) .
(٣) حدع (س ، ط ، م) .
(٤) الملك والعلى (ك ، ت) .



فَكُلُّ نُحُولٍ فِي ٱلظُّبىٰ حَسَدٌ لَهَا ... وَكُلُّ ذُبُولٍ غَيْرَةٌ بِٱلْقَنَا ٱلصُّمِّ
وَكُنْتَ إِذا طالَبْتَ أَمْراً مُمَنَّعاً ... أَفَدْتَ بِها ما يُعْجِزُ ٱلْحَرْبَ فِي ٱلسِّلْمِ
كَفَيْتَ ٱلْحُسامَ ٱلْعَضْبَ فَلَّ غِرارِهِ ... وَآمَنْتَ صَدْرَ ٱلسَّمْهَرِيِّ مِنَ ٱلْحَطْمِ
وَجارَاكَ مَنْ لا فَضْلَ يُنْجِدُ سَعْيَهُ ... وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ يَبْغِي ٱلنِّضالَ بِلا سَهْمِ
لَكَ ٱلذِّرْوَةُ ٱلْعَلْياءُ مِنْ كُلِّ مَفْخَرٍ ... سَنِيٍّ وَما لِلْحاسِدِينَ سِوىٰ ٱلرَّغْمِ
وَكَيْفَ يُرَجِّي نَيْلَ مَجْدِكَ طالِبٌ ... وَبَيْنَهُما ما بَيْنَ عِرْضِكَ وَٱلْوَصْمِ
لَئِنْ أَوْحَدَتْنِي ٱلنّائِباتُ فَإِنَّنِي ... لَمِنْ سَيْبِكَ ٱلْفَيّاضِ فِي عَسْكَرٍ دَهْمِ[(١)]
وَإِنْ لَمْ أُفِدْ[(٢)] غُنْماً فَقُرْبُكَ كافِلٌ ... بِأَضْعافِهِ حَسْبِي لِقاؤُكَ مِنْ غُنْمِ
هَجَرْتُ إِلَيْكَ ٱلْعالَمِينَ مَحَبَّةً ... وَمِثْلُكَ مَنْ يُبْتاعُ بِٱلْعُرْبِ وَٱلْعُجْمِ
وَما قَلَّ مَنْ تَرْتاحُ مَدْحِي صِفاتُهُ ... وَلٰكِنْ رَأَيْتُ ٱلدُّرَّ أَلْيَقَ بِٱلنَّظْمِ
أَرىٰ[(٣)] نَيْلَ أَقْوامٍ وَآبىٰ ٱمْتِنانَهُمْ ... وَلَيْسَ تَفِي لِي لَذَّةُ ٱلشَّهْدِ بِٱلسُّمِّ
َهلْ لَكَ أَنْ تَنْتاشَنِي بِصَنِيعَةٍ ... يَلِينُ بِها عُودُ ٱلزَّمانِ عَلَى عُجْمِي[(٤)]

---

(١) الدَّهْمُ : العدد الكثير .
(٢) وإن لم أجد ... (ك) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٤) على العجم (ت ، ن) ، على عجم (ك) .

تحُلُّ محلَّ ٱلْماءِ عِنْدِي مِنَ ٱلثَّرى ... وَأَشْكُرُها شُكْرَ ٱلرِّياضِ يَدَ ٱلْوَسْمِيِ

أقرَّ ذَوُو ٱلْآدابِ طُرًّا لِمَنْطِقِي ... وَغَيْرُهُمُ فِيما حَكى كاذِبُ ٱلزَّعْمِ

فلَسْتُ بِمُحْتاجٍ عَلَى ما ٱدَّعَيْتُهُ ... إِلى شاهِدٍ بَعْدَ ٱعْتِرافٍ[1] مِنَ ٱلْخَصْمِ

تُطيعُ ٱلْقَوافِي ٱلْآبِياتُ قَرائِحِي ... وَيَنْزِلُ فِيهِنَّ ٱلْكَلامُ عَلَى حُكْمِي[2]

وَسَيَّارَةٍ[3] بِكْرٍ قَصَرْتُ عِنانَها ... فَطالَتْ[4] بِهِ وَٱلْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي ٱللُّجْمِ

نَمى ذِكْرُها قَبْلَ ٱللِّقاءِ وَإِنَّما ... يَسُرُّكَ بَوْحِي[5] بِٱلْمَحامِدِ لا كَتْمِي

كَمَخْتُومَةِ ٱلدَّارِيِّ[6] نَمَّ بِفَضْلِها ... إِلَيْكَ شَذاها قَبْلَ فَضِّكَ لِلْخَتْمِ

حَدِيثَةُ[7] عَصْرٍ كُلَّما ٱمْتَدَّ دَهْرُها[8] ... سَما فَخْرُها حَتّى تَطُولَ عَلَى ٱلْقِدَمِ

وَما فَضْلُ بِنْتِ ٱلْكَرْمِ يَوْماً بِبَيِّنٍ ... إِذا لَمْ يَطُلْ عَهْداً ٱبْنَةِ ٱلْكَرْمِ بِٱلْكَرْمِ

* * *

---

(١) بعد اعتراف على حكمي (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٣) يريد بالسيارة هنا القصيدة .
(٤) فظلَّت به (ك) .
(٥) وحيي (م ، ع) .
(٦) الداري نسبة إلى دارين، وهي فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك .
(٧) حديثة عهد كلما امتد ذكره (ت) .
(٨) دكره (ن) .

٦٣

وكتب إليه، وقد بلغه أنه استجفاه[1] :

أَتانِيَ أَنَّ ٱلْمَجْدَ[2] عَنِّيَ سائِلٌ ... وَأَنَّ ٱلْعُلىٰ لَمْ يَعْدُنِي فِيكَ عَتْبُها
فَيا فَخْرَ شَخْصٍ حَلَّ سِرَّكَ[3] ذِكْرُهُ ... وَيا سَعْدَ نَفْسٍ سَرَّ مِثْلَكَ قُرْبُها
وَلا عُذْرَ إِلاَّ أَنَّ لُبًّا شَدَهْنَهُ ... نَوائِبُ مَغْفُورٌ بِجُودِكَ ذَنْبُها
وَما كانَ لِي لَوْلاكَ[4] بِٱلرَّيِّ مَنْزِلٌ ... وَإِنْ شَغَفَتْ[5] غَيْرِي وَتَيَّمَ حُبُّها
وَما هِيَ إِلاَّ كَٱلْبِلادِ وَإِنَّما ... بِوَطْئِكَ فَلْيَفْخَرْ عَلَى ٱلْمِسْكِ تُرْبُها

٦٤

وقال وقد شرفه بخلعة وصلة :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَرَّفْتَنِي بِصَنِيعَةٍ ... وَحَلَّيْتَ مِنِّي بِٱلنَّدىٰ راحَةً عُطْلا
فَلَمْ يَأْتِ[6] عِنْدِي غَيْرُ ما أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلا عَجَبٌ لِلْغَيْثِ أَنْ رَوَّضَ ٱلْمَحْلا

* * *

(١) لم نرد هذه القطعة في (ك) .
(٢) النجم (ن) .
(٣) دكرك (ي) .
(٤) وما كان لي بالري لولاك منزل (ي ، ن) .
(٥) شغفت (ي) .
(٦) فلم تأتِ ... (ك ، ي ، ن) .

٦٥

وقال وهو متوجه إلى دمشق من حراسان :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً يُرَوِّحُنِي بِالْغُوطَتَيْنِ نَسِيمُ (١)
وَهَلْ يَجْمَعَنَّ (٢) الْكَأْسُ شَمْلِي بِفِتْيَةٍ عَلَى الْعَيْشِ مِنْهُمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ

٦٦

وقال يهجو مستوفي الري واسمه فحراوَر (٣) :

قُولا لِفَخْراوَرَ قَوْلَ امْرِئٍ فِي عِرْضِهِ عاثَ وَفِي الرِّيشِ (٤) راثْ
يا جَبَلَ اللُّؤْمِ الثَّقِيلَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي الصّالِحاتِ انْبِعاثْ
ما كُنْتَ أَهْلاً لِرَجائِي وَلا مِثْلُكَ فِي الْكُرْبَةِ (٥) مَنْ (٦) يُسْتَغاثْ
لٰكِنَّنِي كُنْتُ كَذِي جَوْعَةٍ حَلَّتْ لَهُ الْمَيْتَةُ بَعْدَ الثَّلاثْ

* * *

(١) لم يرد هذان البيتان في (ك) .
(٢) كذا في جميع النسخ ولعله : (وهل تجمعنّ ....) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) ريش : بالفارسية اللحية .
(٥) القربة (ت) ، الشدة (ن) .
(٦) أن يستغاث (ي) .

٦٧

وكتب إلى أبي النجم (١) بعد عودهما إلى (٢) دمشق (٣) :

تَجافَ عَنِ ٱلْعُفاةِ وَلا تَرُعْهُمْ ... فَإِنِّي ناصِحٌ لَكَ يا زَمانُ
أَخافُ نَدى يَمينِ ٱلْمُلْكِ يَقْضي ... عَلَيْكَ إِذا هَمَتْ تِلْكَ ٱلْبَنانُ
وَقَدْ عايَنْتَ سَطْوَتَها غَداةَ ٱسْتَطَلْتَ وَلَيْسَ كَٱلْخَبَرِ ٱلْعِيانُ

٦٨

وقال يمدح (٤) الأمير أبا الندى حسان بن مسمار بن سنان :

هِيَ ٱلدِّيارُ فَعُجْ فِي رَسْمِها ٱلْعارِي ... إِنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْريجٌ عَلَى دارِ
إِنْ يَخْلُ طَرْفُكَ مِنْ سُكّانِها فَبِها ... ما يَمْلَأُ ٱلْقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَتَذْكارِ

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٤٤) .
(٢) من دمشق ؟ (م ، ت) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) وعاد إلى دمشق يمدح الأمير جمال الدولة أبا الندى حسان بن مسمار ابن سنان بعد اتصاله بالأمير محد الدين عضب الدولة ، ومدحه له تقدم ذكره (ك) . وقال يمدح الأمير جمال الدولة سيف الملك أبا الندى حسان بن مسمار ابن سنان (ي) . وحسان بن مسمار بن عليان أمير الكلبيين كان له قلعة في صرخد (ابن القلانسي ص ١٦٧) .

يا عَمْرُو ما وَقْفَةٌ فِي رَسْمِ [1] مَنْزِلَةٍ ... أَثارَ شَوْقَكَ فِيهــا مَحْوُ آثارِ
أَنْـكَرْتَ فِيهاالْهَـوى ثُمَّ اْعْتَرَفْتَ بِهِ ... وَما اْعْتِرافُكَ إِلاّ دَمْعُكَ الْجارِي
تَشْجُو الدِّيارُ وَما يَشْجُو أخا كَمَدٍ ... مِنَ الْهَـوى مِثْلُ دارٍ ذاتِ إِقْفارِ
يا حَبَّذا مَنْزِلٌ بِالسَّفْحِ مِنْ إِضَمٍ ... وَدِمْنَةٌ بِلِوى خَبْتٍ وَتِعْشارِ [2]
وَحَبَّذا أُصُلٌ عُشْيِي يَجُرُّ بِهــا ... ذَيْلُ النَّسِيمِ عَلَى مَيْثاءَ [3] مِعْطارِ
لَوْ كُنْتُ ناسِيَ [4] عَهْدٍ مِنْ تَقادُمِهِ ... نَسِيتُ فِيها لُباناتِي [5] وَأَوْطارِي
أَيّامَ يَفْتِكُ فِيهــا غَيْرَ مُرْتَقَبٍ ... ظَبْيُ الْكِناسِ بِلَيْثِ الْغابَةِ الضّارِي
يَصْبُو [6] إِلَيَّ وَيُصْبِي كُلَّ مُنْفَرِدٍ ... بِالدَّلِّ وَالْحُسْنِ مِنْ بادٍ وَمِنْ قارِ [7]
لا أُرْسِلُ اللَّحْظَ إِلاّ كانَ مَوْقِعُهُ [8] ... عَلَى شُمُوسٍ مُنِيراتٍ وَأَقْمــارِ
ما أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنِّي وَفَدْتُ بِهِ ... عَلَى شَبـابٍ [9] وَدَهْرٍ غَيْرِ غَدّارِ

---

(١) في ربع منزلة (ك) .
(٢) إضَم : وادٍ بجبال تهامة . وخَبْت : بين مكة والمدينة . وتِعشار : موضع بالدهناء .
(٣) الميثاء : الأرض السهلة اللينة الطيبة .
(٤) شاهد عهد ؟ (ن) .
(٥) لبيلاتى (ك) .
(٦) يصبى ... (س ، ظ ، م ، ع) .
(٧) البادي : من ينزل البادية ، والقارى من ينزل القرية .
(٨) مرتعه (ت ، ن) .
(٩) على زمان ودهر ... (س ، ظ ، م ، ع ، ن) .

أَلْآنَ قَدْ هَجَرَتْ نَفْسِي غَوايَتَها ... وَحانَ بَعْدَ حُلُولِ الشَّيْبِ إِقْصارِي

وَالْعَيْشُ ما صَحِبَ الْفِتْيانُ دَهْرَهُمُ ... مُقَسَّمٌ بَيْنَ إِحْلاءٍ وَإِمْرارِ

يا مَنْ بِمُجْتَمَعِ الشَّطَّيْنِ إِنْ عَصَفَتْ ... بِكُمْ(١) رِياحِي فَقَدْ قَدَّمْتُ إِعْذارِي

لا تُنْكِرُنَّ رَحِيلِي عَنْ دِيارِكُمُ ... لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى ضَيْمٍ(٢) بِصَبّارِ

يَأْبَى(٣) لِيَ الضَّيْمَ فُرْسانُ الْخِلاجِ(٤) وَما ... حَبَّرْتُ مِنْ غُرَرٍ تُهْدَى وَأَشْعارِ

وَقَدْ غَدَوْتُ بِعِزِّ الدِّينِ مُعْتَصِماً ... إِنَّ الْكِرامَ عَلَى الْأَيّامِ أَنْصارِي

مَلْكٌ إِذا ذُكِرَتْ يَوْماً مَواهِبُهُ ... أَثْرَى الرَّجاءُ بِها مِنْ بَعْدِ إِقْتارِ(٥)

يُعْطِيكَ جُوداً عَلَى الْإِقْلالِ تَحْسَبُهُ ... وافاكَ عَنْ نَشَبٍ جَمٍّ وَإِكْثارِ

رَيّانُ مِنْ كَرَمٍ مَلْآنُ مِنْ هِمَمٍ ... كَأَنَّهُ السَّيْفُ بَيْنَ الْماءِ وَالنّارِ

لَيْسَ الْجَوادُ جَواداً ما جَرَى(٦) مَثَلٌ ... حَتَّى يَكُونَ كَحَسّانَ بْنِ مِسْمارِ

أَلْواهِبُ الْخَيْلَ إِمّا جِئْتَ زائِرَهُ ... أَقَلُّ سَرْجَكَ مِنْها كُلُّ طَيّارِ

---

(١) لكم (ت ، ن) .

(٢) على عبش ؟ (م) .

(٣) لم يرد هذا البيت في (ن) .

(٤) خلجه بالسيف : ضربه .

(٥) لم يرد هذا البيت في (ع) .

(٦) ما بدا عَلَمٌ (ك) ، ما جرى علم (ي) .

اَلطّاعِنُ ٱلطَّعْنَةَ ٱلْفَوْهاءَ جائِشَةً ... تَرُدُّ طاعِنَهــــا عَنْها (١) بِتَيّارِ

يَكادُ يَنْفُذُ فِيهــا (٢) حِينَ يُنْفِذُها ... لَوْلا عُبابُ دَمٍ مِنْ فَوْرِها جارِ

تَلْقَى ٱلسِّنانَ بِها وَٱلسَّرْدَ تَحْسَبُهُ ... ما ضَلَّ مِنْ فَتْلٍ فِيهــا وَمِسْبارِ

فِي كَفِّهِ سَيْفُ مِسْمارَ (٣) ٱلَّذِي شَقِيَتْ ... هامُ ٱلْمُلُوكِ بِهِ أَيّامَ سِنْجــارِ

لا يَأْمُلُ ٱلرِّزْقَ إِلاّ مِنْ مَضارِبِهِ ... فَرْسُ ٱلْهُمامِ (٤) بِأَنْيابٍ وَأَظْفارِ

نِعْمَ ٱلْمُناخُ لِشُعْثٍ (٥) فَوْتِ مَهْلَكَةٍ ... أَرْماقِ مَسْغَبَةٍ أَنْضاءِ أَسْفــارِ

لا يَشْتَكُونَ لَدَيْهِ (٦) ٱلْمَحْلَ فِي سَنَةٍ ... يَشْكُو بِها ٱلسَّغَبَ ٱلْمَقْرِيُّ وَٱلْقارِي

سَحابُ جَوْدٍ (٧) عَلَى ٱلرّاجِينَ مُنْهَمِلٍ (٨) ... وَبَحْرُ جُودٍ عَلَى ٱلْعــافِينَ زَخّارِ

---

(١) منها (ك ، ت) .

(٢) منها (م ، ع ، ت ، ي) .

(٣) هو مسمار بن سنان بن عليان الكلبي ، أمير الكلبيين ووالد الممدوح بهذه القصيدة . ثار مسمار على الفاطميين ، واشترك مع من انتقضوا على امرائهم في دمشق ، ما بين سنة ٤٥٨ وسنة ٤٦٢ . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ و ٩٧ و ١١٠ .

(٤) الهمام : الأسد .

(٥) لشعب فوق مملكةٍ (ك ، ت) .

(٦) إليه (ك ، ت) .

(٧) الجَوْد : المطر الغزير .

(٨) منهمرٍ (ت ، ن) .

إِذا تَرَحَّلَ عَنْ دارٍ أَقامَ لَهُ ... مِنَ ٱلصَّنائِعِ فِيهـا خَيْرَ آثارِ
كَٱلْغَيْثِ أَقْلَعَ مَحْمُوداً وَخَلَّفَ ما ... يُرْضِيكَ مِنْ زَهَرٍ غَضٍّ وَنُوّارِ
تَبْقَى ٱلذَّخائِرُ مِنْ فَضَلاتِ نائِلِهِ ... كَأَنَّها غُدُرٌ مِنْ بَعْدِ أَمْطـارِ
مُظَفَّرُ ٱلعَزْمِ ما تَأْلُو مُوَفَّقَةً ... آراؤُهُ بَيْنَ إِيْرادٍ وَإِصْـدارِ
سـامٍ إِلىٰ ٱلشَّرَفِ ٱلْمَمْنُوعِ جانِبُهُ ... نامٍ إِلىٰ ٱلْحَسَبِ ٱلْعارِي مِنَ ٱلْعارِ
مُخَوَّلٌ فِي جَنابٍ(١) بَيْتَ مَمْلَكَةٍ ... عَزُّوا بِهِ وَأَذَلُّوا كُلَّ جَبّارِ
أَيّامَ كَلْبٌ(٢) لَهاما بَيْنَ جُوسِيَةٍ(٣) ... وَبَيْنَ غَزَّةَ(٤) مِنْ رِيفٍ وَأَمْصارِ
يَقُودُها مِنْ سِنانٍ(٥) عَزْمُ مُتَّقِدٍ ... أَمامَهـا كَسِنانِ ٱلصَّعْدَةِ ٱلْوارِي
تَرْمِي بِأَعْيُنِهـا فِي كُلِّ داجِيَةٍ(٦) ... مِنْهُ إِلىٰ كَوْكَبٍ بِٱلسَّعْدِ سَيّارِ
يَبِيتُ كُلُّ ثَقِيلِ ٱلرُّمْحِ حامِلُهُ ... فِي سَرْجِ كُلِّ خَفِيفِ ٱللِّبْدِ مِغْوارِ

---

(١) حناب : قبيلة عربية من قضاعة .
(٢) كلب : قبيلة عربية من قضاعة .
(٣) جوسية : كوره من كور حمص .
(٤) غزه : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر .
(٥) هو سنان بن عليان أمير بني كلب ، جد حسان بن مسمار بن سنان الممدوح بهذه القصيدة ، ثار على الفاطميين وحاصر مدينة دمشق سنة ٤١٦ ، ومات سنة ٤١٩ . انظر الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٧٩ .
(٦) راحية (س ، ظ ، م ، ع) .

مَجْــــدٌ تَأَثَّلَ فِي نَجْدٍ أَوائِلُهُ ... وَشِيدَ[1] بِالشَّامِ مِنْهُ الطَّارِفُ[2] الطَّارِي

يَابْنَ الْكِرامِ الأُلَى مازالَ مَجْدُهُمُ ... مُغْرىً بِقِلَّةِ أَشْباهٍ وَأَنْظــــارِ

اَلْمانِعِينَ غَــداةَ الْخَوْفِ جارَهُمُ ... وَالْحافِظِينَ بِغَيْبٍ حُرْمَةَ الْجــارِ

بِيضُ الْعَوارِفِ أَغْمارٌ[3] إِذا وَهَبُوا ... جُوداً وَلَيْسُوا إِذا عُدُّوا بِأَغْمارِ[4]

لا يَصْحَبُ الدَّهْرَ مِنْهُمْ طُولَ[5] ماذُكِرُوا ... إِلاّ الثَّناءُ وَإِلاّ طِيبُ أَخْبــارِ

إِنَّ الْعَشائِرَ مِنْ أَحْياءِ ذِي يَمَنٍ ... لَمّا بَغَوْكَ جَرَوْا فِي غَيْرِ مِضْمارِ

أَصْحَرْتَ إِذْ مَدَّ بِالْمِيدانِ[6] سَيْلُهُمُ ... وَاللَّيْثُ لا يُتَّقى مِنْ غَيْرِ إِصْحارِ

سالُوا فَأَغْرَقَهُمْ قَطْرٌ نَضَحْتَ بِهِ ... مــا كُلُّ سَيْلٍ عَلَى خَيْلٍ بِجَرّارِ

مالُوا فَقَوَّمَ مِنْهُمْ[7] كُلَّ مُنْأَطِرٍ ... طَعْنٌ يُعَدِّلُ مِنْهُمْ كُلَّ جَوّارِ

حَتّى[8] إِذا نَهَتِ الأُولَى فَما انْتَفَعُوا ... بِالنَّهْيِ، وَالْبَغْيُ فِيهِمْ شَرُّ أَمّارِ

---

(١) وشَيَّد التامُ . . . (ك) .
(٢) الطارق (ت) .
(٣) الأغمار : الكرام .
(٤) جمع غُمْر : وهو الذي لم يجرب الأمور .
(٥) كلما ذكروا (ت ، ن) .
(٦) المَيدان : الماء الملح . وفي (ك) بالميدان .
(٧) فيهم (ظ ، ي ، م) .
(٨) لم يرد هذا البيت في (ن) .

أَبَحْتَها وَحَمَيْتَ الشّامَ مُعْتَقِداً ... أَنْ لَيْسَ يَنفَعُ إلاّ كُلُّ ضَرّارِ
قَدْ نابَكَ الدَّهْرُ أَزْماناً بِغَيْرِهِمِ ... فَظَلَّ يَغْمِزُ(١) عُوداً غَيْرَ خَوّارِ
وَكَمْ(٢) أَبَتَّ عَلَى ثَأْرٍ ذَوِي ضِغَنٍ ... وَلَمْ تَبِتْ قَطُّ مِنْ قَوْمٍ عَلَى ثارِ
إِنْ زُرْتُ دارَكَ عَنْ شَوْقٍ فَمَجْدُكَ بِي ... أَوْلَى وَما كُلُّ مُشْتاقٍ بِزَوّارِ
لَيْسَ المُطِيقُونَ حِجَّ البَيْتِ ما تَرَكُوا ... فَرِيضَةَ الحَجِّ عَنْ زُهْدٍ بِأَبْرارِ
وَقَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَعْدِي عَلَى زَمَنٍ ... لا يَشْرَبُ الحُرُّ فِيهِ غَيْرَ أَكْدارِ
مُوَكَّلُ الجَوْرِ بِالأَحْرارِ يَقْصِدُهُمْ ... كَأَنَّهُ عِنْدَهُمْ طَلاّبُ أَوْتارِ
وَالحَمْدُ أَنْفَسُ مَذْخُورٍ(٣) تَفُوزُ بِهِ ... فَخُذْ بِحَظِّكَ مِنْ عُونِي وَأَبْكارِي
مِنَ القَوافِي الَّتِي ما زِلْتُ أُودِعُها ... عُلالَةَ الرَّكْبِ مِنْ غادٍ وَمِنْ سارِ
إِنَّ السَّماحَةَ أُولاها وَآخِرَها ... فِي كَفِّ كُلِّ يَمانٍ يا ابْنَ مِسْمارِ
لا تَسْقِنِي بِسِوَى جَدْوَى يَدَيْكَ فَما ... يَرْوِي مِنَ السُّحْبِ إلاّ كُلُّ مِدْرارِ
وَلَسْتُ أَوَّلَ راجٍ قادَهُ أَمَلٌ ... قَدْ راحَ مِنْكَ عَلَى شَقْراءَ مِحْضارِ

• • •

(١) يعجم (ت ، ن) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٣) مدحور (س) .



٦٩

وقال أيضاً يمدحه :

مَتىٰ أَنا طاعِنٌ قَلْبَ ٱلْفِجاجِ ... وَرامِي ٱلْخَرْقِ بِٱلْقُلُصِ ٱلنَّواجِي
وَقائِدُ كُلِّ سَلْهَبَةٍ عَبُوسٍ ... إِلىٰ يَوْمٍ يَطُولُ بِهِ ٱبْتِهاجِي
سَيَعْتَمُّ ٱلْهَواجِرَ كُلُّ مُجْرٍ ... إِلىٰ أَمَدِي وَيَلْتَحِفُ[(١)] ٱلدَّياجِي
فِراشِي مَتْنُ كُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ ... وَثَوْبِي ما يُثِيرُ مِنَ ٱلْعَجاجِ
إِذا ٱلْجَوْزاءُ أَمْسَتْ مِنْ مَرامِي ... فَأَيْنَ سُرايَ مِنْها وَٱدِّلاجِي
سِوىٰ ٱلصَّهْباءِ عاصِفَةً بِهَمِّي ... وَغَيْرُ ٱلْبِيضِ مِنْ أَرَبِي وَحاجِي
عَزَفْتُ[(٢)] فَما لِسارِي ٱلْبَرْقِ شَيْمِي ... وَلا لِلرَّسْمِ قَدْ أَقْوىٰ مَعاجِي
وَما عَنْ[(٣)] سَلْوَةٍ إِغْبابُ دَمْعِي ... وَإِقْصارُ ٱلْعَواذِلِ عَنْ لَجاجِي
وَلٰكِنْ جَلَّ عَنْ فَنَدٍ وَلَوْمٍ ... غَرامِي بِٱلْمَحامِدِ[(٤)] وَٱلْتِهاجِي
حَمانِي ٱلْعَزْمُ حَظِّي مِنْ ذَواتِ ٱلثُّـ ... ـغُورِ ٱلْغُرِّ وَٱلْمُقَلِ ٱلسَّواجِي

---

(١) ويلتف (ن) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٣) من (ك) .
(٤) بالتحاحد والتهاحي (؟) (ك) .

وَما عِنْدَ ٱلْحِسانِ جَوىٰ مَشُوقٍ صَدَعْنَ فُؤادَهُ صَدْعَ ٱلزُّجاجِ
عَرَضْنَ لَنا فَمِنْ لَحْظٍ مَرِيضٍ وَمِنْ بَرَدٍ غَرِيضٍ فِي مُجاجِ
وَمِسْنَ فَكَمْ قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ يَشُوقُكَ بِٱهْتِزازٍ فِي ٱرْتِجاجِ
كَأَنَّ نِعاجَ رَمْلٍ لاحَظَتْنا وَإِنْ كَرُمْنَ عَنْ حَمْشِ ٱلنِّعاجِ
إِلامَ أَرُوضُ جامِحَةَ ٱلْأَمانِي وَداءُ ٱلدَّهْرِ مَغْلُوبُ ٱلْعِلاجِ
إِذا(١) ٱلْعَذْبُ ٱلنَّمِيرُ حَماهُ ضَيْمٌ فَجاوِزْهُ إِلىٰ ٱلْمِلْحِ ٱلْأُجاجِ
أَحُلُّ بِحَيْثُ لا غَوْثٌ لِعافٍ وَأَطَّرِحُ ٱلْمَغاوِنَ وَٱلْمَلاجِي
كَمَنْ تَرَكَ ٱلْأَسِنَّةَ صادِياتٍ غَداةَ وَغىً وَطاعَنَ بِٱلزِّجاجِ
أَأَبْغِي فِي ذِئابِ ٱلْقاعِ مَنْعاً وَأَتْرُكُ جانِبَ ٱلْأَسَدِ ٱلْمُهاجِ
فَأُقْسِمُ(١) لا تَقَعْتُ صَدىً بِماءٍ إِلىٰ غَيْرِ ٱلْكِرامِ بِهِ ٱحْتِياجِي
عَسىٰ ٱلطَّعْنُ ٱلْخِلاجُ(٢) يَذُبُّ عَنِّي إِذا(٣) جاوَرْتُ(٤) فُرْسانَ ٱلْخِلاجِ(٥)

(١) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٢) يريد بالخلاج : كالمخلوحة : وهي الطعنة ذات اليمين وذات الشمال .
(٣) وإن (ن) .
(٤) في جميع النسخ « جاورت » إلا في نسخة كونها عن التي احترنا روايتها .
(٥) يريد بهم فرسان الطعان .

أُولٰئِكَ إِنْ دُعُوا لِدِفاعِ خَطْبٍ أَضاءُوا نَجْدَةً وَٱلْيَوْمُ داجِ
هُمُ ٱلْأَمْلاكُ حَلُّوا مِنْ عَدِيٍّ(١) مَحَلَّ ٱلطَّرْفِ حُصِّنَ(٢) بِٱلْحَجاجِ(٣)
بُدُورُ دُجُنَّةٍ وَبُحُورُ سَيْبٍ(٤) وَأُسْدُ كَرِيهَةٍ وَحُصُونُ لاجِي
كِرامٌ وَٱلظُّبَىٰ كَٱلنّارِ شُبَّتْ عَشِيَّةَ عاصِفٍ ذاتِ ٱهْتِياجِ
مَواسِمُهُمْ(٥) مَضارِبُ كُلِّ ماضٍ خَلُوطٍ لِلْجَماجِمِ بِٱلْحَآجِي
إِذا عَمَدُوا لِداءٍ أَنْضَجُوهُ وَلَيْسَ ٱلْكَيُّ إِلّا بِٱلنِّضاجِ
جَحاجِحُ لا يُعابُ(٦) مَنِ ٱسْتَباحَتْ صُدُورُ رِماحِهِمْ يَوْمَ ٱلْهِياجِ
لَهُمْ خَفْضُ ٱلنَّواظِرِ حَيْثُ حَلُّوا(٧) مِنَ ٱلدُّنْيا وَمُنْقَطَعُ ٱلضَّجاجِ
تَرَىٰ ٱلْهاماتِ ناكِسَةً لَدَيْهِمْ كَأَنَّ بِهِنَّ مُوضِحَةَ ٱلشِّجاجِ
بِحَسّانَ(٨) بْنِ مِسْمارٍ أُقِيمَتْ قَناةُ ٱلدِّينِ مِنْ بَعْدِ ٱعْوِجاجِ

---

(١) عدي : بطن من بني عامر بن صعصعة .
(٢) في أفق الحجاج (ك) .
(٣) الحَجاج : العظم الذى ينبت عليه الحاجب .
(٤) جود (ك) .
(٥) مياسمهم (ن) .
(٦) لا يغاث (ك) .
(٧) ظلوا (ك) .
(٨) لحسان . . . (ك) .

بِأَرْوَعَ لا يَهابُ[1] هُجُومَ خَطْبٍ وَلا يَرْتاعُ لِلْحَدَثِ ٱلْمُفاجِي
نَفُوذٌ حَيْثُ لا تَصِلُ ٱلْعَوالِي إِلىٰ قَصْدٍ يُجِيزُ وَلا ٱنْعِراجِ
إِذا شَوْكُ ٱلْقَنا ٱلْيَزَنِيُّ أَضْحىٰ أَمامَ ٱلْخَيْلِ مَضْرُوبَ ٱلسِّياجِ
وَما طَرَقَ ٱلرَّجاءُ ٱلْفِكْرُ إِلاّ وَعِزُّ ٱلدِّينِ غايَةُ كُلِّ راجِ
أَعَزُّ مَتىٰ أَخَذْتَ لَهُ بِحَبْلٍ فَما ٱلْغَمَراتُ إِلاّ لِٱنْفِراجِ
جَمِيلُ مَكارِمِ ٱلأَخْلاقِ يَجْلُو بِها ٱلشَّحْناءَ مِنْ صَدْرِ ٱلْمُداجِي
عَمَدْتَ ٱلْبَيْتَ مِنْ كَلْبٍ وَطَيٍّ عَلَى حَسَبٍ وَصِهْرٍ[2] ذِي ٱنْتِساجِ
يُناجِي مِنْهُ حَسّانٌ سِناناً لَقَدْ كَرُمَ ٱلْمُناجىٰ وَٱلْمُناجِي
ذُؤابَةُ كُلِّ مُعْتَمٍّ بِفَخْرٍ وَنُخْبَةُ كُلِّ مُعْتَصِبٍ بِتاجِ
وَرامَ ٱلْحاسِدُونَ لَدَيْكَ تَبْلاً[3] وَدُونَ مَرامِهِمْ حَزُّ ٱلْوِداجِ
وَإِنَّ طِلابَ مَجْدِكَ وَهْوَ بَسْلٌ كَخِيسِ ٱللَّيْثِ مَحْذُورِ ٱلْوِلاجِ
لَأَعْجَزُ مِنْ قُصُورِكَ عَنْ سَماحٍ وَأَعْوَزُ مِنْ عَدُوٍّ مِنْكَ ناجِ
وَما غَرّاءُ سارِيَةٌ هَطُولٌ تَبَجَّسُ بِٱنْسِفاحٍ وَٱرْتِجاجِ

---

(١) لا يخاف (ك ، م ، ت) .
(٢) وطهر (س) .
(٣) نيلاً (ك ، ن) .

كَأَنَّ بُرُوقَهَا بِسَناكَ لاحَتْ ... فَهَمَّ اللَّيْلُ مِنْها بِانْبِلاجِ (١)
يَشُوقُكَ (٢) ما تُغادِرُ مِنْ غَدِيرٍ ... وَرَوْضٍ بِالْأَناعِمِ (٣) وَالنِّباجِ
بِأَجْوَدَ مِنْ نَدىٰ كَفَّيْكَ جُوداً ... وَلا طامِي الْغَوارِبِ ذُو الثُّجاجِ (٤)
أَبَيْتَ أَبا النَّدىٰ إِلاّ اخْتِلاطِي ... بِنائِلِكَ الْمُؤَمَّلِ وَامْتِزاجِي
وَما الشِّيَمُ الْحِسانُ بِمُسْلِماتٍ ... فَتىً مِثْلِي إِلَىٰ النُّوَبِ السِّماجِ
مَتىٰ ما أَدَّعِي أَنَّ الْقَوافِي ... يَمانِيَةُ الْهَوىٰ فَبِكَ احْتِجاجِي
أَلَمْ تَرَها تَزُورُكَ (٥) مُحْكَماتٍ ... كَرائِمَ مِنْ وُحادٍ (٦) أَوْ زُواجِ (٧)
تَضِيقُ الْأَعْصُرِيُّ (٨) بِها ذِراعاً ... وَيَعْذُرُ عَجْزَهُ عَنْها الْخَفاجِي (٩)

(١) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .
(٢) سقط هذا البيت من (ي) .
(٣) الأناعم جمع أنعم، والأنعمان : واديان . والنِّباج : الآكام العالية .
(٤) يقال ثجَّ الماء ثجوجا وليس ثجاجاً : سال .
(٥) تزول محكَّمات (س ، ظ ، ت) .
(٦) وُحادُ وأُحادُ : معدول عن واحدٍ واحدٍ .
(٧) وازدواج (ن) .
(٨) الأعْصُري : هو ابو الفتيان محمد ابن حَيُّوس الشاعر المشهور (٣٩٤ — ٤٧٣) المنسوب الى قبله عي بن أعْصُر بن سعد . وهو القائل :
أيا أخت ما نال ذا الأعصري ... سلا حين بلّغته ما طلبْ
ديوان ابن حيوس ج ١ ص ٦٦
وقد طبع المجمع العلمي العربي ديوانه بدمشق في جزءين بتحقيقنا .
(٩) الخفاجي : ابو محمد عبد الله ابن سنان الخفاجي الشاعر المشهور توفي سنة ٤٦٦ .

كَسَرْدِ ٱلتُّبَّعِيِّ ثَنَىٰ ٱلْعَوالِي ... بِأَمْنَعَ مِنْ مُصَفَّحَةِ ٱلرِّتاجِ
تُكَلِّفُ مَعْشَراً فَتَهِيمُ وَجْداً ... بِمَدْحِكَ وَٱلشَّجىٰ غَيْرُ ٱلتَّشاجِي
إِذا ما هَجْمَةٌ وَرَدَتْ لِخِمْسٍ ... كَفاها ظِمْئُها زَجَلَ ٱلْمُجاجِي (١)
وَغَيْرُكَ مَنْ يُقَصِّرُ بِي فَيُمْسِي ... لِساني مادِحاً وَٱلْقَلْبُ هاجِ
وَظَنِّي (٢) فِيكَ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ ... كَهَمِّي (٣) عِنْدَ مَدْحِكَ وَٱعْتِلاجِي
كَما أَرْسَلْتَ فِي عِدٍّ جَمُومٍ ... مَرِيرَ ٱلْفَتْلِ مَشْدُودَ ٱلْعِناجِ (٤)
سَأَشْكُرُ (٥) حادِثاً أَلْقىٰ زِمامِي ... إِلَيْكَ وَرُبَّ أَمْنٍ فِي ٱنْزِعاجِ
وَيَجْزِي حُسْنَ صُنْعِكَ رَبُّ فِكْرٍ ... ذَكِيُّ ٱلزَّنْدِ وَهّاجُ ٱلسِّراجِ
وَتَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ ٱلْمالِ مالٌ ... سَقاكَ ٱلْحَمْدَ مَعْسُولَ ٱلْمِزاجِ
فَإِنَّ لَقائِحَ ٱلْمَعْرُوفِ كانَتْ ... لَدىٰ ٱلْكُرَماءِ مُنْجِبَةَ ٱلنِّتاجِ

* * *

(١) الهجمة : من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة . والخِمسُ : من أظماء الابل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع. والظِّمْءُ : ما بين السقيتين . والمجاجيء : من يدعو الإبل للشرب بقوله : جِيْ جِيْ .
(٢) وطني (ي ، ن) .
(٣) كطني (ك) .
(٤) العِدُّ : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع . والجَمُوم : الكثير الماء . والعناج : حبل تشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يسد إلى العراقي .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ن) .

٧٠

وقال يعاتب قوماً من العرب :

تَغَيَّرْتُمُ عَنْ عَهْدِكُمْ آلَ كامِلٍ (١) ... فَلِلْيَوْمِ مِنْكُمْ غَيْرُ ما أَسْلَفَ ٱلْأَمْسُ
نَبا ٱلسَّيْفُ مِنْكُمْ فِي يَدِي وَهْوَ قاطِعٌ ... كَما أَظْلَمَتْ فِي ناظِرِي مِنْكُمُ (٢) ٱلشَّمْسُ
وَأَوْحَشْتُمُ مِنِّي مَكانَ ٱصْطِفائِكُمْ ... كَأَنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ ٱلْمَوَدَّةُ وَٱلْأُنْسُ
غَرَسْتُمُ ثَناءً (٣) لَمْ تَجُدْهُ سَحابُكُمْ ... بِرَيٍّ وَهَلْ يَنْمِي مَعَ ٱلْعَطَشِ ٱلْغَرْسُ
مَواعِدُ (٤) مَرْضَى كُلَّما قُلْتُ قَدْ بَرا (٥) ... لَكُمْ مَوْعِدٌ بِٱلْبَذْلِ عاوَدَهُ ٱلنُّكْسُ
وَإِنِّي لَذُو شُحٍّ بِكُمْ عَنْ تَقَلُّبٍ ... إِلى (٦) خُلُقٍ فِيهِ لِأَعْراضِكُمْ وَكْسُ
وَأَنْتُمْ بَنُو ٱلْجُودِ ٱلَّذِي ٱبْتَسَمَتْ بِهِ (٧) ... مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْمُرْبَدِّ أَيّامُهُ ٱلْعُبْسُ

---

(١) آل ماجد (ي) .
(٢) بكم (ك) .
(٣) نباتاً (ت) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ت) .
(٥) بَرِئَ من المرض بُرءاً بالضم ، وأهل الحجاز يقولون بَرَأْت من المرض بَرْءاً بالفتح : نقهت وتعافيت وشُفيت .
(٦) إلى حلف فيه لأعراضكم وكس (ك) .
(٧) بكم (ن) .

سَماحًا فَإِنْ تَدْعُو كِفاحًا فَأَنْتُمُ ٱلْـفَوارِسُ لا مِيلٌ هُناكَ وَلا نُكْسُ

فَما بالُ سُوقِي لَيْسَ تَنْفُقُ عِنْدَكُمْ وَحَظُّ ثَنائِي مِنْكُمُ ٱلثَّمَنُ ٱلْبَخْسُ

أَيَرْتَجِعُ ٱلْمَعْرُوفَ مَنْ كانَ واهِبًا وَيَسْلُبُ ثَوْبَ ٱلْمَنِّ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَكْسُو

أُساهِلُ إِغْضاءً وَفِيكُمْ تَصَعُّبٌ(١) وَأَرْطَبُ إِجْمالاً وَفِي عُودِكُمْ يُبْسُ

وَلَبْسَ بِعَدْلٍ أَنْ أَلِينَ وَتَخْشُنُوا وَلَيْسَ بِحَقٍّ أَنْ أَرِقَّ وَأَنْ تَقْسُوا(٢)

عَلَيْكُمْ سَلامٌ لَمْ أَقُلْ ما يُرِيبُكُمْ وَلٰكِنَّهُ عَتْبٌ تَجِيشُ بِهِ(٣) ٱلنَّفْسُ

حَبَسْتُ ٱلْقَوافِي قَبْلَ إِغْضابِ رَبِّها وَما لِلْقَوافِي بَعْدَ إِغْضابِها(٤) حَبْسُ

إِذا ٱلْعَرَبُ ٱلْعَرْباءُ لَمْ تَرْعَ ذِمَّةً فَغَيْرُ مَلُومٍ بَعْدَها ٱلرُّومُ وَٱلْفُرْسُ

* * *

(١) تعصبٌ (س ، ظ ، م ع) ، تعضبٌ (ك ، ت) .
(٢) لم يرد هذا البيت فى (ت ، و ، ن) .
(٣) له النفس (ت ، و ، ن) .
(٤) اعصابه (ن) .

٧١

وقال يمدح عبد المنعم بن حماط بن أحمد[١] النقلي[٢] :

قَدْ[٣] تَوالَتْ عَلَيَّ مِنْكَ أَيادي   عائِداتٍ بِالْمَكْرُماتِ بَوادي[٤]
ما أُبالِي إِذا تَعَهَّدْنَ مَغْنا   يَ بِأَنْ لا يَصُوبَ صَوْبُ الْعِهادِ[٥]
وَالْجَمِيلُ[٦] الْمُعادُ أَحْلَى وَإِنْ أَزْ   رَى بِشُكْرِي[٧] مِنَ الشَّبابِ الْمُعادِ
ما ثَنائِي وَإِنْ تَطاوَلَ إِلاَّ   دُونَ آلائِكَ الْحِسانِ الْمُرادِ
كَيْفَ أَشْكُو حَظًّا عَليلاً وَحالاً   كانَ فِيها نَداكَ مِنْ عُوّادِي
سَوْفَ أُثْنِي عَلَى الْجِيادِ فَقَدْ أَهْـ   ـدَتْ إِلَيْنا الْجِيادُ خَيْرَ جَوادِ
حَمَلَتْ صَوْبَ مُزْنَةٍ مِنْ بِلادٍ   مِنْكَ أَحْيَتْ بِهِ رَبِيعَ بِلادِي
كُنْتُ أَرْتادُ جُودَ كُلِّ كَرِيمٍ   فَكَفَى جُودُ راحَتَيْكَ ارْتِيادِي

(١) .... بن البقلي (س ، ظ) .
(٢) النفيلى (ت) .
(٣) لم ترد هذه القصيده في (ك) .
(٤) عواد (ي) ، عواد (س ، ط ، م ، ع) .
(٥) صوب الغوادي (ت ، ن) .
(٦) فالجميل (ت) .
(٧) بسكر (ط) .

زُرْتَنا مُنعِماً وَما بَرِحَ ٱلزَّا ئِرُ يَرْجُو ٱلْإِنْعامَ فِي كُلِّ وادِ
وَكَذاكَ ٱلْحَيا يَرُوحُ مِنَ ٱلْغَوْ رِ وَتَغْدو لَهُ بِنَجْدٍ غَوادِ
لا أَرىٰ لِي حَقّاً عَلَيْكَ سِوىٰ بِرِّكَ عِنْدي وَمَنْطِقِي وَوِدادِي
وَإِذا ما ٱلْخُطُوبُ كانَتْ شِداداً دَفَعَتْنا(٢) إِلىٰ ٱلْكِرامِ ٱلشِّدادِ

٧٢

وقال يمدح (٣) الأمير مجد الدين عضب الدولة أتق (٤) بن عبد الرزاق :

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَماناً لِقَلْبِهِ فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطِيرُ بِلُبِّهِ
وَإِيّاكُما ذاكَ ٱلنَّسِيمَ فَإِنَّهُ إِذا هَبَّ كانَ ٱلْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
خَلِيلَيَّ لَوْ أَحْبَبْتُما لَعَلِمْتُما مَحَلَّ ٱلْهَوىٰ مِنْ مُغْرَمِ ٱلْقَلْبِ صَبِّهِ
تَذَكَّرَ وَٱلذِّكْرىٰ تَشُوقُ وَذُو ٱلْهَوىٰ يَتُوقُ وَمَنْ يَعْلَقْ بِهِ ٱلْحُبُّ يُصْبِهِ

(١) وما برح المنعم برحي ... (ن) .
(٢) بعثتنا (ب ، ن) .
(٣) ... يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة جمال الملك رعيم الجيوش أبا منصور أتق (؟) بن عبد الرزاق عند وروده إلى دمشق سنة سبع وثمانين وأربع مائة . (ك) .
(٤) الأمير أتق بن عبد الرزاق أحد مقدمي أمراء دمشق، توفي ليلة عيد النحر من سنة (٥٠٢). « ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٦٤ » .

غَرامٌ عَلَى يَأْسِ ٱلْهَوى وَرَجائِهِ ... وَشَوْقٌ عَلَى بُعْدِ ٱلْمَزارِ وَقُرْبِهِ
وَفِي ٱلرَّكْبِ مَطْوِيُّ ٱلضُّلُوعِ عَلَى جَوىً ... مَتَى يَدْعُهُ داعِي ٱلْغَرامِ (١) يُلَبِّهِ
إِذا خَطَرَتْ مِنْ جانِبِ ٱلرَّمْلِ (٢) نَفْحَةٌ ... تَضَمَّنَ مِنْهـا داءَهُ دُونَ صَحْبِهِ
وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ ٱلأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ ... وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْ إِعْراضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
أَغارُ إِذا آنَسْتُ فِي ٱلْحَيِّ أَنَّةً ... حِذاراً وَخَوْفاً أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ
وَيَوْمَ ٱلرِّضى وَٱلصَّبُّ يَحْمِلُ سُخْطَهُ ... بِقَلْبٍ ضَعِيفٍ عَنْ تَحَمُّلِ عَتْبِهِ
جَلالِيَ بَرّاقَ ٱلثَّنايا شَتِيتَهـا ... وَحَلَّأَنِي عَنْ بارِدِ ٱلْوِرْدِ (٣) عَذْبِهِ
كَأَنِّيَ لَمْ أَقْصُرْ بِهِ ٱللَّيْلَ زائِراً ... تَحُولُ (٤) يَدِي بَيْنَ ٱلْمِهادِ (٥) وَجَنْبِهِ
وَلا ذُقْتُ أَمْناً مِنْ سَرارِ حُجُولِهِ ... وَلا ٱرْتَعْتُ خَوْفاً مِنْ نَمِيمَةِ حَقْبِهِ (٦)
فَيا لَسَقامِي مِنْ هَوى مُتَجَنِّبٍ ... بَكى عاذِلاهُ رَحْمَـةً لِمُحِبِّهِ
وَمِنْ ساعَةٍ لِلْبَيْنِ غَيْرِ حَمِيدَةٍ ... سَمَحْتُ بِطَلِّ ٱلدَّمْعِ فِيها وَسَكْبِهِ

(١) داعي السقام (س ، م ، ظ ، ي ، ع ، ت ، ن) .
(٢) الحي (ن) .
(٣) الماء (ن) .
(٤) تجول (ك ، ي ، ن ،) .
(٥) الفراش (هامش لـ) .
(٦) الحَقَبُ : شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلي ، تشـده على وسطها . وتسكين القاف للضروره .

أَلا لَيْتَ أَنِّي لَمْ تَحُلْ بَيْنَ حاجِرٍ (١) وَبَيْني ذُرى أَعْلامِ رَضْوى (١) وَهَضْبِهِ
وَلَيْتَ ٱلرِّياحَ ٱلرّائِحاتِ خَوالِصٌ إِلَيَّ وَلَوْ لاقَيْنَ قَلْبِي بِكَرْبِهِ
أَهِيمُ إِلىٰ ماءٍ بِبُرْقَةِ عاقِلٍ ظَمِئْتُ عَلَى طُولِ ٱلْوُرُودِ بِشُرْبِهِ
وَأَسْتافُ حُرَّ ٱلرَّمْلِ شَوْقاً إِلىٰ ٱللِّوىٰ وَقَدْ أَوْدَعَتْنِي ٱلسُّقْمَ قُضْبانُ كُثْبِهِ
وَلَسْتُ عَلَى وَجْدِي بِأَوَّلِ عاشِقٍ أَصابَتْ سِهامُ ٱلْحُبِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ
صَبَرْتُ عَلَى وَعْكِ (٢) ٱلزَّمانِ وَقَدْ أُرىٰ خَبِيراً بِداءِ ٱلْحادِثاتِ وَطِبِّهِ
وَأَعْرَضْتُ عَنْ غُرِّ ٱلْقَوافِي وَمَنْطِقِي مَلِيءٌ لِمُرْتادِ ٱلْكَلامِ بِخِصْبِهِ (٣)
وَما عَزَّنِي لَوْ شِئْتُ مَلْكٌ مُهَذَّبٌ يَرىٰ أَنَّ صَوْنَ ٱلْحَمْدِ عَنْهُ كَسْبِهِ
لَقَدْ طالَما هَوَّمْتُ فِي سِنَةِ ٱلْكَرىٰ وَلا بُدَّ (٤) لِي مِنْ يَقْظَةِ ٱلْمُتَنَبِّهِ
سَأَلْقىٰ بِعَضْبِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلدَّهْرَ واثِقاً بِأَمْضىٰ شَبا مِنْ باتِرِ ٱلْحَدِّ عَضْبِهِ
وَأَسْمُو عَنِ ٱلْآمالِ هَمّاً وَهِمَّةً سُمُوَّ جَمالِ ٱلْمُلْكِ عَنْ كُلِّ مُشْبِهِ
هُوَ ٱلْمَلْكُ يَدْعُو ٱلْمُرْمِلِينَ سَماحُهُ (٥) إِلىٰ واسِعِ باعَ ٱلْمَكارِمِ رَحْبِهِ

---

(١) حاجر : منزل للحاج بالبادية . ورضوى : جبل بالمدينة .
(٢) وعد الزمان ... (ك) .
(٣) بخضبه (ع ، ت)، بحسبه (ك) .
(٤) فلا بد ... (ي) .
(٥) سماحةً (ك ، ن) .

يُعَنِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ يَوْمَ جُودِهِ   وَيُعْذِرُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ يَوْمَ حَرْبِهِ
كَأَنِّي إِذا حَيَّيْتُهُ بِصِفَاتِهِ   أَمُتُّ إِلىٰ بَدْرِ ٱلسَّماءِ بِشُهْبِهِ
هُوَ ٱلسَّيْفُ يُغْشِي[1] ناظِراً عِنْدَ سَلِّهِ   بَهاءً وَيُرْضِي فاتِكاً يَوْمَ ضَرْبِهِ
يَرُوقُ[2] جَمالاً أَوْ يَرُوعُ مَهابَةً   كَصَفْحِ ٱلْحُسامِ ٱلْمَشْرَفِيِّ وَغَرْبِهِ
هُمامٌ إِذا أَجْرىٰ لِغايَةِ سُؤْدُدٍ   أَضَلَّكَ عَنْ شَدِّ ٱلْجَوادِ وَخَبِّهِ
تَخَطّىٰ إِلَيْها وادِعًا وَكَأَنَّهُ   تَمَطّىٰ عَلَى[3] جُرْدِ ٱلرِّهانِ وَقُبِّهِ
وَما أَبَقٌ[4] إِلا حَياً مُتَهَلِّلٌ   إِذا جادَ لَمْ تُقْلِعْ مَواطِرُ سُحْبِهِ
أَغَرُّ غِياثٌ لِلْأَنامِ وَعِصْمَةٌ   يُعاشُ بِنُعْماهُ وَيُحْمىٰ[5] بِذَبِّهِ
يَقُولُونَ تِرْبٌ لِلْغَمامِ وَإِنَّما   رَجاءُ ٱلْغَمامِ أَنْ يُعَدَّ[6] كَتِرْبِهِ
فَتىً لَمْ يَبِتْ وَٱلْمَجْدُ مِنْ غَيْرِ هَمِّهِ   وَلَمْ يَحْتَرِفْ وَٱلْحَمْدُ مِنْ غَيْرِ كَسْبِهِ
وَلَمْ يُرَ يَوْمًا راجِياً غَيْرَ سَيْفِهِ   وَلَمْ يُرَ يَوْمًا خائِفاً غَيْرَ رَبِّهِ

---

(١) كذا في جميع النسخ، إلا في (ن) : يُعشي .
(٢) يروع (م، ع ت) .
(٣) فكأنه تخطى إلى ... (ك) .
(٤) أبق : اسم الممدوح .
(٥) ويحيى (ك) .
(٦) أن يكون (ن) .

تَنَزَّهَ عَنْ نَيْلِ ٱلْغِنىٰ بِضَراعَـةٍ وَلَيْسَ طَعامُ ٱللَّيْثِ إِلاّ بِغَصْبِهِ

أَلا رُبَّ باغٍ كانَ حاسِمَ فَقْرِهِ وَباغٍ عَلَيْهِ كانَ قاصِمَ صُلْبِهِ

وَيَوْمِ فَخارٍ قَدْ حَوىٰ خَصَلَ(١) مَجْدِهِ وَأَعْـداؤُهُ فِيما أَدَّعاهُ كَحِزْبِهِ

هُوَ ٱلسَّيْفُ لا تَلْقاهُ إِلاّ مُؤَهَّلاً لإِيجابِ عِزٍّ قاهِرٍ أَوْ لِسَلْبِهِ

مِنَ ٱلْقَوْمِ راضُوا(٢) ٱلدَّهْرَ وَٱلدَّهْرُ جامِحٌ فَراضُوهُ حَتّىٰ سَكَّنُوا(٣) حَدَّ شَغْبِهِ(٤)

بِحارٌ إِذا أَنْحَتْ لَوازِبُ مَحْلِهِ جِبالٌ إِذا هَبَّتْ زَعازِعُ نُكْبِهِ

إِذا(٥) وَهَبُوا جادَ ٱلْغَمامُ بِصَوْبِهِ وَإِنْ غَضِبُوا جاءَ ٱلْعَرِينُ بِغُلْبِهِ

إِذا ما وَرَدْتَ ٱلْعِزَّ يَوْمًا بِنَصْرِهِمْ أَمَلَّكَ مِنْ رَشْفِ ٱلنَّمِيرِ وَعَبِّهِ(٦)

أَجابَكَ خَطِّيُّ ٱلْوَشِيجِ بِلُدْنِهِ وَلَبّاكَ هِنْدِيُّ ٱلْحَدِيدِ بِقُضْبِهِ

أُعِيدَ لَهُمْ مَجْدٌ عَلَى ٱلدَّهْرِ بَعْدَما مَضىٰ بِقَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مِنْهُمْ وَشَعْبِهِ

بِأَرْوَعَ لا تَعْيا لَدَيْهِ بِمَطْلَبٍ سِوىٰ شَكْلِهِ فِي ٱلعالَمِينَ وَضَرْبِهِ

---

(١) المراد بالخَصْل : الرهان .
(٢) قادوا (ك ، ن) .
(٣) مكّنوا (ك) .
(٤) شعبه (ظ ، ي) .
(٥) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .
(٦) وغبه (ك ، ظ ، م ، ع ، ت) .

تُرَوِّضُ قَبْلَ ٱلرَّوْضِ أَخْلاقُهُ ٱلثَّرىٰ⁽¹⁾ ... وَتَبعَثُ قَبْلَ ٱلسُّكْرِ سُكْراً لِشَرْبِهِ
وَتَفْخَرُ دارٌ حَلَّها بِعُقـــامِهِ ... وَتَشْرُفُ أَرْضٌ مَرَّ فِيها بِرَكْبِهِ
وَلَمّا دَعَتْهُ عَنْ دِمَشْقَ عَزِيمَةٌ ... أَبىٰ أَنْ يُخِلَّ⁽²⁾ ٱلْبَدْرُ فِيها بِقُطْبِهِ
تَرَحَّلَ عَنْهـــا فَهْيَ كاسِفَةٌ لَهُ ... وَعادَ إِلَيْهـــا فَهْيَ مُشْرِقَةٌ بِهِ
وَإِنَّ مَحَلاًّ أُوطِئَتْهُ جِيادُهُ ... لَحَقٌّ⁽³⁾ عَلَى ٱلأَفْواهِ تَقْبِيلُ تُرْبِهِ
رَأَيْتُكَ بَيْنَ ٱلْحَزْمِ وَٱلْجُودِ قائِماً ... مَقامَ فَتىً ٱلْمَجْدِ ٱلصَّمِيمِ وَنَدْبِهِ
فَمِنْ غِبِّ رَأْيٍ لا تُساءُ بِوِرْدِهِ ... وَمِنْ وِرْدِ جُودٍ لا تُسَرُّ بِغِبِّهِ
وَلَمّا ٱسْتَطالَ ٱلْخَطْبُ قَصَّرْتَ باعَهُ ... فَعـــادَ وَجِدُّ ٱلدَّهْرِ فِيهِ كَلِعْبِهِ
وَما كانَ إِلاّ ٱلعَرَّ دَبَّ دَبِيبُهُ ... فَأَمَّنْتَ أَنْ تُعْدىٰ ٱلصِّحاحُ بِجُرْبِهِ
وَصَدْعاً مِنَ ٱلْمُلْكِ ٱسْتَغاثَ بِكَ ٱلْوَرىٰ ... إِلَيْهِ فَما أَرْجَأْتَ فِي لَمِّ شَعْبِهِ⁽⁴⁾
فَغاضَ أَتِيٌّ⁽⁵⁾ كُنْتَ خائِضَ غَمْرِهِ ... وَأَصْحَبَ خَطْبٌ كُنْتَ رائِضَ صَعْبِهِ
حُبِيتَ حَياءً فِي سَمـــاحٍ كَأَنَّهُ ... رَبِيعٌ يَزِينُ ٱلنَّوْرُ ناضِرَ عُشْبِهِ

---

(١) الندى (ن) .
(٢) يحل (ك ، ع ، م ، ت) .
(٣) بحق (ك) .
(٤) شعثه (س) .
(٥) أبي (س ، ظ ، ع ، م ت) .

وَأَكْثَرْتَ حُسَّادَ ٱلْعُفَاةِ بِنائِلٍ ... مَتى ما يُغِرْ(١) يَوْمًا عَلَى ٱلْحَمْدِ(٢) يَسْبِهِ
مَناقِبُ يُنْسِيكَ ٱلْقَدِيمَ حَدِيثُهـا ... وَيَخْجَلُ صَدْرُ ٱلدَّهْرِ فِيها بِعُقْبِهِ
لَئِنْ خَصَّ مِنْكَ ٱلْفَخْرُ ساداتِ فُرْسِهِ ... لَقَدْ عَمَّ مِنْكَ ٱلْجُودُ سائِرَ عُرْبِهِ
إِذا ما هَزَزْتُ ٱلدَّهْرَ بِٱسْمِكَ مادِحًا ... تَثَنَّى تَثَنِّي ناضِرِ ٱلْعُودِ رَطْبِهِ
وَإِنَّ(٣) زَمانًا أَنْتَ مِنْ حَسَناتِهِ ... حَقِيقٌ بِأَنْ يَخْتالَ مِنْ فَرْطِ عُجْبِهِ
مَضى(٤) زَمَنٌ قَدْ كانَ بِٱلْبُعْدِ مُذْنِبًا ... وَحَسْبِي بِهٰذا ٱلْقُرْبِ عُذْراً لِذَنْبِهِ
وَما كُنْتُ(٥) بَعْدَ ٱلْبَيْنِ إِلَّا كَمُصْرِمٍ(٦) ... تَذَكَّرَ عَهْدَ ٱلرَّوْضِ أَيّامَ جَدْبِهِ
وَعِنْدِي عَلَى ٱلْعِلّاتِ دَرٌّ قَرائِحٍ ... حَوى زُبَدَ ٱلْأَشْعارِ ماخِضُ وَطْبِهِ
وَمَيْدانُ فِكْرٍ لا يُحازُ لَهُ مَدىً ... وَلا يَبْلُغُ ٱلْإِسْهابُ غايَةَ سَهْبِهِ
يُصَرِّفُ فِيهِ ٱلْقَوْلَ فارِسُ مَنْطِقٍ ... بَصِيرٌ بِإِرْخاءِ ٱلْعِنانِ وَجَذْبِهِ

---

(١) متى ما يعر ... (م ، ت) .
(٢) على الدهر (ي) .
(٣) ورد في هامش (ك) إلى يمين هذا البيت ما نصه : ينظر إلى معنى بيت المتنبي :
لقد حسنت بك الأيام حتى ... كأنك في فم الدنيا ابتسام
(٤) خلا زمناً ... وحسبي بعد القرب ... (ك) .
(٥) وما كان ... (ك) .
(٦) أصرم الرجل فهو مصرم : افتقر وفيه تماسك .



وَغَرّاءُ مَيَّزْتُ ٱلطَّوِيلَ بِخَفْضِها فَطالَ عَلَى رَفْعِ ٱلْكَلامِ وَنَصْبِهِ
مِنَ ٱلزُّهْرِ لا يُلْفَيْنَ (١) إِلاّ كَواكِباً طَوالِعَ فِي شَرْقِ ٱلزَّمانِ وَغَرْبِهِ
حَوالِيَ مِنْ حُرِّ ٱلثَّناءِ وَدُرِّهِ كَواسِيَ مِنْ وَشْيِ ٱلْقَرِيضِ وَعَصْبِهِ
خَطَبْتَ فَلَمْ يَحْجُبْكَ عَنْها وَلِيُّها إِذا رُدَّ عَنْها خاطِبٌ غَيْرَ خِطْبِهِ (٢)
ذَخَرْتُ لَكَ ٱلْمَدْحَ ٱلشَّرِيفَ وَإِنَّما عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلزَّنْدِ قِيمَةُ قُلْبِهِ (٣)
فَجُدْهُ (٤) بِصَوْنٍ عَنْ سِواكَ (٥) وَحَسْبُهُ مِنَ ٱلصَّوْنِ أَنْ تُغْرِيَ ٱلسَّماحَ بِنَهْبِهِ

٧٣

وقال (٦) عقيب هذه القصيدة، وقد خلع عليه وشرَّفه :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نُعْماكَ عِنْدِي مُشِيدَةً بِذِكْرِكَ فِي سُوقٍ مِنَ ٱلْحَمْدِ قائِمِ
وَقَدْ يُعْجِبُ ٱلرَّوْضُ ٱلْأَنِيقُ وَإِنَّما يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ ٱلْحَيا ٱلْمُتَراكِمِ

---

(١) لايلقين . . . (ك ، ت ، ن) .
(٢) الخِطب : المرأة المخطوبة .
(٣) القُلب : السوار .
(٤) نخذه (ك) .
(٥) عن سؤال (ي) .
(٦) وقال أيضاً ، وقد شرفه الأمير بخلعة ، وأدنى مكانه (ك) .

غَمَرْتَ نَوالاً وَٱصْطِفاءً وَإِنَّمـــا يُحَلَّى وَيُمْنى (١) كُلُّ أَبْيَضَ صارِمِ
وَلَسْتُ عَلَى عَلْياكَ (٢) أَوَّلَ وافِدٍ وَلا أَنا مِنْ جَدْواكَ أَوَّلُ غانِمِ
وَما شِئْتُ إِلاّ أَنْ أُشَرِّفَ مَنْطِقِي بِمَدْحِكَ (٣) أَوْ أَقْضِي ذِمامَ ٱلْمَكارِمِ

٧٤

وقال (٤) يمدحه ويعاتبه :

مَتىٰ ٱرْتَجَعَتْ مَواهِبَها ٱلْكِرامُ وَهَلْ يَسْتَرْجِعُ ٱلْغَيْثَ ٱلْغَمامُ
أَيَصْعَدُ عائِداً فِي ٱلسُّحْبِ قَطْرٌ تَنَزَّلَ فِي ٱلْوِهادِ بِهِ ٱلرِّهامُ (٥)
أَرى (٦) ٱلْعَلْياءَ مِنْ تَقْصِيرِ أَمْرِي بِها خَجَلٌ وَبِٱلْمَجْدِ ٱحْتِشامُ
جَمالَ ٱلْمُلْكِ غَيْرِي مِنْكَ يُدْهىٰ وَغَيْرُكَ مَنْ تُغَيِّرُهُ ٱللِّئـــامُ

(١) ويقضى (؟) (ظ) ، ويبضى (ن) .
(٢) نعماك (ك) .
(٣) بوصفك (ك) .
(٤) وتوهم أن قوماً حسدوه، وأحالوا حسن رأي الأمير فيه، فقال معرضاً بالحال ومستعطفاً (ك) .
(٥) الرِّهام : المطر الضعيف الدائم .
(٦) هذا البيت وواحد وعشرون بيتاً بعده من هذه القصيدة لم ترد فى (ك) ، وهي من اضعف شعر ابن الخياط .

أُعِيذُكَ مِنْ رِضىً يَتْلُوهُ سُخْطٌ ... وَمِنْ نُعْمىٰ يُكَدِّرُها ٱنْتِقامُ
أَيَرْجِعُ جَفْوَةً ذاكَ ٱلتَّصافِي(١) ... وَيُخْفَرُ ذِمَّـــــةً ذاكَ ٱلذِّمامُ
أَتَبْرِينِي يَدٌ راشَتْ جَنــــاحِي ... وَيَحْسِمُنِي نَدىً هُوَ لِي حُسامُ
وَيُغْرِي بِي ٱلْحِمامَ أَخُو سَماحٍ ... بِهِ عَنْ مُهْجَتِي دُفِعَ ٱلْحِمـــامُ
أَعِرْنِي طَرْفَ عَدْلِكَ تَلْقَ عِرْضاً ... نَقِيّاً لا يُلِمُّ بِهِ ٱلْمَــلامُ
وَحَقِّقْ بِٱلتَّأَمُّلِ كَشْفَ حالِي ... فَغَيْرِي عاشِقٌ وَبِيَ ٱلسَّقــامُ
إِذا ما ٱفْتَرَّ بَرْقُكَ فِي سَمائِي ... تَجَلّىٰ ٱلظُّلْمُ عَنِّي وَٱلظَّلامُ
أَتُغْرِقُنِي وَلَيْسَ ٱلْماءُ مِنِّي ... وَتُحْرِقُنِي وَمِنْ غَيْرِي ٱلضِّرامُ
وَأُوخَذُ فِي حِماكَ بِذَنْبِ غَيْرِي ... فَأَيْنَ ٱلْعَدْلُ عَنِّي(٢) وَٱلْكِرامُ
وَأَيْنَ خَلائِقٌ سَتَحُولُ عَنْهــا ... إِذا حالَتْ عَنِ ٱلسُّكْرِ ٱلْمُدامُ
فَلا تَعْدِلْ إِلىٰ ٱلْواشِينَ سَمْعاً ... فَإِنَّ كَلامَ أَكْثَرِهِمْ كِلامُ
وَإِنَّ(٣) ٱلْوُدَّ عِنْدَهُمُ نِفاقٌ ... إِذا طاوَعْتَهُمْ وَٱلْحَمْدَ(٤) ذامُ

(١) التجافي (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ن) .
(٢) مني (ت) .
(٣) فانَّ (س) .
(٤) والمدح (س) .

وَلِلأَقْوالِ إِنْ سُمِعَتْ سِهـامٌ تُقَصِّرُ عَنْ مَواقِعِها ٱلسِّهامُ
فَيا نُصْحاً لِمَجْدِكَ بَلْ مُراداً لِما قَدْ ساءَنِي قَعَدُوا وَقامُوا
وَلَوْ إِذْ أَقْدَمُوا لاقَوْكَ دُونِي كَعَهْدِكَ أَحْجَمُوا عَنِّي وَخامُوا
فَلَيْتَكَ تَسْمَعُ ٱلْقَوْلَيْنِ حَتّىٰ يُبَيِّنَ فِي مَنِ ٱلْحَقُّ ٱلْخِصامُ
أَبَعْدَ تَمَسُّكِي بِنَداكَ دَهْراً (١) وَحَبْلُ نَداكَ لَيْسَ لَهُ ٱنْصِرامُ
وَكَوْنِي مِنْ دِفاعِكَ فِي حُصُونٍ مَنِيعــاتِ ٱلذَّوائِبِ لا تُرامُ
وَأَخْذِي مِنْكَ مِيثاقاً كَرِيماً وَعَهْداً ما لِعُرْوَتِهِ ٱنْفِصامُ
يَنالُ مُرادَهُ مِنِّي حَسُودٌ وَيُمْكِنُ عادِياً فِيَّ ٱهْتِضامُ
أَتَرْضىٰ لِلْمَحامِدِ أَنْ تَراها بِأَرْضِكَ تُسْتَباحُ وَتُسْتَضامُ
وَتَصْبِرُ عَنْ غَرائِبِها وَصَبْرُ ٱلْـفَتىٰ فِي دِينِها أَبَداً حَرامُ
وَهَلْ يَسْلُو عَنِ ٱلأَحْبابِ يَوْماً مُحِبٌّ لَيْسَ يَسْلُوهُ ٱلْغَرامُ
فَلا تَدَعِ ٱلْعِراقَ وَأَرْضَ مِصْرٍ تَفُوزُ بِها وَيُحْرَمُهــا ٱلشَّآمُ
فَمِنْ حَقِّ ٱلْقَوافِي مِنْكَ دَفْعٌ يَجِيشُ بِمِثْلِهِ ٱلْجَيْشُ ٱللُّهامُ
لَقَدْ مَلَّ ٱلرُّقادُ جُفُونَ عَيْنِي وَما مَلَّ ٱلدُّمُوعَ لَهـا ٱنْسِجامُ

(١) حيناً (ن) .

فَمَا يَسْرِي إِلَىٰ قَلْبِي سُرُورٌ وَلٰكِنْ لِلْهُمُومِ بِيَ ٱهْتِمَامُ
سَيَرْضَىٰ ٱلْحَاسِدُونَ إِذَا تَمَطَّتْ بِيَ ٱلْوَجْنَاءُ وَٱضْطَرَبَ ٱلزِّمَامُ
إِذَا جَاوَزْتُ غُرَّبَ[(١)] أَوْ غُرَابًا وَحَالَ ٱلْقَاعُ دُونِي وَٱلْإِكَامُ
فَمَنْ يَجْلُو عَلَيْكَ بَنَاتِ فِكْرِي وَأَنْتَ بِهِنَّ صَبٌّ مُسْتَهَامُ
يُقَيِّدُنِي بِنَجْدِ[(٢)] ٱلشَّامِ وَجْدٌ وَيَدْعُونِي إِلَىٰ ٱلْغَوْرِ[(٣)] ٱعْتِزَامُ
فَعَنْ أَمْرِ ٱلنَّوَائِبِ لِي رَحِيلٌ وَفِي حُكْمِ ٱلصَّبَابَةِ لِي مُقَامُ
وَمَنْ يَرْضَىٰ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِعَيْشٍ عَلَيْهِ[(٤)] لِجَائِرٍ فِيهِ ٱحْتِكَامُ
تَأَمَّلْ مَا أَبُثُّ تَجِدْ حَقِيقًا بِشَمْلٍ فِي ذَرَاكَ لَهُ ٱلْتِئَامُ
أَيَعْظُمُ أَنْ تَذُودَ ٱلْخَطْبَ عَنِّي وَعِنْدَكَ تَصْغُرُ ٱلنُّوَبُ ٱلْعِظَامُ
إِذَا لَمْ أَعْتَصِمْ بِكَ مِنْ عَدُوٍّ فَهَلْ فِي ٱلْعَالَمِينَ لِيَ ٱعْتِصَامُ
لَعَلَّ دُجَىٰ ٱلْحَوَادِثِ أَنْ تُجَلَّىٰ بِبَدْرٍ لَا يُفَارِقُهُ ٱلتَّمَامُ
أَتِيهُ عَلَى ٱلزَّمَانِ بِهِ ٱبْتِهَاجًا وَتَحْسُدُنِي ٱلْكَوَاكِبُ لَا ٱلْأَنَامُ

---

(١) غُرّب : اسم جبل دون الشام ، وغُراب : موضع بدمشق . (معجم البلدان لياقوت) .
(٢) بأرض السام (ك) .
(٣) إلى محد (لـ) .
(٤) يكون لجائر . . . (ك) .



وَحَسْبِي ٱللهُ فِيمَا أَرْتَجِيهِ ... وَعَضْبُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَلِكُ ٱلْهُمَامُ

لَقَدْ شَغَلَ ٱلْمَحامِدَ عَنْ سِواهُ ... أَغَرُّ بِمَدْحِهِ شَرُفَ ٱلْكَلامُ

جَمَعْتُ صِفاتِهِ جَمْعَ ٱللَّآلِي ... فَلِي مِنْها ٱلْفَرائِدُ وَٱلتُّؤامُ

تَدُلُّ عَلَيْهِ فِي ٱلْجُلَّى عُلاهُ ... وَهَلْ لِلْبَدْرِ فِي ٱلظُّلَمِ ٱكْتِتامُ

أَنافَ عَلَى ٱلْقِيامِ فَطالَ عَنْهُمْ ... كَأَنَّ قُعُودَهُ فِيهِمْ قِيامُ

تَصَوَّبَ جُودُهُ فِي كُلِّ وادٍ ... كَما يَتَصَوَّبُ ٱلسَّيْلُ ٱلرُّكامُ

دَقِيقُ مَحاسِنِ ٱلْأَخْلاقِ يَبْدُو ... أَمامَ نَداهُ بِشْرٌ وَٱبْتِسامُ

وَمُقْتَرِحٌ[(١)] عَلَيَّ ٱلْحَمْدَ أَرْضَىٰ ... سَلامَتَهُ ٱقْتِراحِي وَٱلسَّلامُ

٧٥

وقال يمدحه أيضاً ويحضه[(٢)] على الجهاد، وذكر أنه عمل هذه القصيدة في ليلة واحدة[(٣)] :

فَدَتْكَ ٱلصَّواهِلُ قُبًّا وَجُرْدا ... وَشُمُّ ٱلْقَبائِلِ شِيباً وَمُرْدا

وَذَلَّتْ لِأَسْيافِكَ ٱلْبِيضُ قُضْباً ... وَدانَتْ لِأَرْماحِكَ ٱلسُّمْرُ مُلْدا

---

(١) ومقترحي عليَّ الحمد ... (ك) .

(٢) ويحثه (ك) .

(٣) لعلها أول قصيده قيلت في الحروب الصليبية .

وَقلَّ لِمَنْ قَامَ فِي ذا ٱلزَّمانِ مَقامَكَ أَنْ باتَ بِٱلْخَلْقِ يُفْدا
أَلَسْتَ أَبَرَّ ٱلْبَرايا يَداً وَأَنْدىٰ مِنَ ٱلْمُزْنِ كَفّاً وَأَجْدا
وَأَمْضىٰ حُساماً وَأَوْفىٰ ذِماماً وَأَهْمىٰ غَماماً إِذا ٱلْغَيْثُ أَكْدا
وَأَكْلا إِذا ضُيِّعَ ٱلْأَمْرُ طَرْفاً وَأَوْرىٰ إِذا أَظْلَمَ ٱلْيَوْمُ(١) زَنْدا
إِذا ٱلْتَبَسَ ٱلرَّأْيُ(٢) كُنْتَ ٱلْأَسَدَّ وَإِنْ غالَبَ ٱلْخَطْبُ كُنْتَ ٱلْأَشَدّا
وَإِنْ قَصَّرَ ٱلنّاسُ عَنْ غايَةٍ سَبَقْتَ إِلَيْها مِنَ ٱلنّاسِ فَرْدا
وَمَنْ ذا يُجارِيكَ فَضْلاً وَنُبْلاً وَمَنْ ذا يُساوِيكَ حَلاًّ وَعَقْدا
سَجِيَّةُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِٱلثَّنا ءِ وَٱلْحَمْدِ مُنْفَرِداً مُسْتَبِدّا
تَجِلُّ مَعالِيهِ أَنْ تُسْتَطاعَ وَتَأْبىٰ مَنافِبُهُ أَنْ تُعَدّا
حَقِيقٌ إِذا ما ٱنْتَضىٰ سَيْفَهُ بِأَنْ يَجْعَلَ ٱلْهامَ لِلسَّيْفِ غِمْدا
زَعِيمَ ٱلْجُيُوشِ لَقَدْ أَعْجَزَتْ أَيادِيكَ واصِفَها أَنْ تُحَدّا
وَأَمْعَنَ ذِكْرُكَ فِي ٱلْخافِقَيْـــنِ شَرْقاً وَغَرْباً وَغَوْراً وَنَجْدا
فَسارَ مَسِيرَ هِلالِ ٱلسَّما ءِ يَزْدادُ نُوراً إِذا ازْدادَ بُعْدا
فَلَوْ طُبِعَ ٱلْفَخْرُ سَيْفاً لَكُنْـــتَ دُونَ ٱلْوَرىٰ حَدَّهُ وَٱلْفِرِنْدا

---

(١) الرأي (ت) .
(٢) الأمر (ب) .

وَكَمْ لَكَ مِنْ نائِلٍ نائِلٍ رِقابَ ٱلْمَآثِرِ شُكْراً وَحَمْدا
نَدىً يَعتِقُ ٱلعَبْدَ مِنْ رِقِّهِ وَلٰكِنَّهُ يَتْرُكُ ٱلْحُرَّ عَبْدا
وَإِنِّي لَمُهْدٍ إِلَيْكَ ٱلْقَرِيـضَ يُطْوى عَلَى ٱلنُّصْحِ وَٱلنُّصْحُ يُهْدا
إِلىٰ كَمْ وَقَدْ زَخَرَ ٱلْمُشْرِكُونَ بِسَيْلٍ[1] يُهالُ لَهُ ٱلسَّيْلُ[2] مَدّا
وَقَدْ جاشَ مِنْ أَرْضِ إِفْرَنْجَةٍ جُيُوشٌ كَمِثْلِ جِبالٍ تَرَدّا
تُراخُونَ[3] مَنْ يَجْتَرِي شِدَّةً وَتَنْسُونَ[4] مَنْ يَجْعَلُ ٱلْحَرْبَ نَقْدا
أَنَوْمًا عَلَى مِثْلِ هَدِّ ٱلصَّفاةِ وَهَزْلاً وَقَدْ أَصْبَحَ ٱلْأَمْرُ جِدّا
وَكَيْفَ تَنامُونَ عَنْ أَعْيُنٍ وَتَرْتُمْ فَأَسْهَرْتُمُوهُنَّ حِقْدا
وَشَرُّ ٱلضَّغائِنِ ما أَقْبَلَتْ لَدَيْهِ[5] ٱلضَّغائِنُ[6] بِٱلْكُفْرِ[7] تُحْدا
بَنُو ٱلشِّرْكِ لا يُنْكِرُونَ ٱلْفَسادَ وَلا يَعْرِفُونَ مَعَ ٱلْجَوْرِ قَصْدا
وَلا يَرْدَعُونَ عَنِ ٱلْقَتْلِ نَفْساً وَلا يَتْرُكُونَ مِنَ ٱلْفَتْكِ جُهْدا

---

(١) بخيلٍ (ت) .
(٢) البحر (ت) .
(٣) براخون . . . وينسون (ك) .
(٤) نسأ وأنسأ : أخَّر .
(٥) إليه (ك) .
(٦) الظعائن (ت) .
(٧) بالكف (ك) .

فَكَمْ مِنْ فَتاةٍ بِهِمْ أَصْبَحَتْ ... تَدُقُّ مِنَ الْخَوْفِ نَحْراً وَخَدّا
وَأُمِّ عَواتِقَ ما إِنْ عَرَفْـ ... ـنَ حَرّاً وَلا ذُقْنَ فِي اللَّيْلِ بَرْدا
تَكادُ عَلَيْهِنَّ مِنْ خِيفَةٍ ... تَذُوبُ وَتَتْلَفُ حُزْناً وَوَجْدا
فَحامُوا عَلَى دِينِكُمْ وَالْحَرِيمِ ... مُحاماةَ مَنْ لا يَرَى الْمَوْتَ فَقْدا
وَسُدُّوا الثُّغُورَ بِطَعْنِ النُّحُورِ ... فَمِنْ حَقِّ ثَغْرٍ (١) بِكُمْ أَنْ يُسَدّا
فَإِنْ تَعْدَمُوا فِي انْتِشارِ الْأُمُورِ ... أَخا تُدْرَإٍ (٢) حازِمَ الرَّأْيِ جَلْدا
يُظاهِرُ تَدْبِيرُهُ بَأْسَـــهُ ... مُظاهَرَةَ السَّيْفِ كَفّاً وَزَنْدا
كَمِثْلِ زَعِيمِ الْجُيُوشِ الْمَلِيِّ ... بِعَزْمٍ يَبِيتُ لَهُ الْحَزْمُ رِدّا (٣)
وَعاداتُ بَأْسِكُمُ فِي اللِّقاءِ ... لَيْسَتْ تَحُولُ عَنِ النَّصْرِ (٤) عَهْدا
فَدُونَكُمُ ظَفَراً عاجِلاً ... لَكُمْ (٥) جاعِلاً سائِرَ الْأَرْضِ مَهْدا
فَقَدْ أَيْنَعَتْ أَرْؤُسُ الْمُشْرِكِينَ ... فَلا تُغْفِلُوها قِطافاً وَحَصْدا
فَلا بُدَّ مِنْ حَدِّهِمْ أَنْ يُفَلَّ ... وَلا بُدَّ مِنْ رُكْنِهِمْ أَنْ يُهَدّا

---

(١) ثغركمُ أن يسدا (ك ، ت ، ن) .
(٢) أي ذو عده وقوة على دفع الأعداء (لسان العرب) .
(٣) ردّاً ، يريد بها ردءاً ، والرِّدْءُ : العون والناصر .
(٤) عن السير (ك) .
(٥) يكون له سائر الأرض مهدا (ن) .

فَإِنَّ أَلْبَ رَسْلانَ (١) في مِثْلِها مَضى وَهْوَ أَمْضى مِنَ السَّيْفِ حَدّا
فَأَصْبَحَ أَبْقى مِنَ الفَرْقَدَيْـنِ ذِكْراً وَأَسْنى مِنَ الشَّمْسِ مَجْدا
لَعَلَّكُمُ أَنْ تُعيدُوا مِنَ الْـمَآثِرِ وَالْمَجْدِ ما كانَ أَبْدا
وَهٰذا ابْنُهُ (٢) قائِماً فيكُمُ مَقامَ الْمُفاخِرِ جَدّاً وَجِـدّا
بِخَيْلٍ تُخالُ غَداةَ الْمَكَرِّ طَيْراً تَحَمَّلْنَ غاباً وَأُسْـدا
وَطَعْنٍ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ طَعْماً وَضَرْبٍ أَحَرَّ مِنَ النّارِ وَقْدا
إِذا (٣) ما السُّيُوفُ غَداةَ الْحُتُوفِ نَوَّعَتِ الضَّرْبَ قَطْعاً (٤) وَقَدّا

(١) ألب أرسلان : هو محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، ثاني ملوك السلجوقية. ولد سنة ٤٢٤ ، واستولى على المملكة بعد وفاه عمه طغرلبك سنة ٤٥٥ ، وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك ، مع سعة ملك عمه ، وقصد بلاد الشام وانصرف عنها وقد قدمت له الطاعة . وقتل في بليده يقال لها فربر على شاطىء جيحون سنة ٤٦٥ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى أن أرمانوس ملك الروم خرج في جيش عدده مائتا ألف ، وقصد بلاد الاسلام ، فسار إليه ألب أرسلان ، والتقى الجمعان قرب خلاط ، وكان جيش الب ارسلان قليل العدد ، فانجلت المعركة عن هزيمة الروم هزيمة منكرة ، وأخذ أرمانوس أسيراً . وكان ذلك سنة ٤٦٣ . وتفصيل ذلك في (الكامل) لابن الاثير ج ١٠ ص ٢٢ .

(٢) هو تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، استولى على دمشق سنة ٤٧١ ، ثم ملك حلب سنة ٤٧٨ ، واستولى على البلاد الشامية ، وقتل بالقرب من مدينة الري سنة ٤٨٨ .

(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٤) قـطّاً وقدّا (ي ، ن) .

تَرَى[١] لُمَّعاً وُقَّعاً لا يَزَلْـنَ يَخْطَفْنَ بَرْقاً وَيَقْصُفْنَ رَعْدا
فَذُو ٱلْبَأْسِ مَنْ جابَ[٢] مِنْ تَرْكَةٍ لَهُ عِمَّةً وَمِنَ ٱلدِّرْعِ بُرْدا
وَلَمْ يَضَعِ[٣] ٱلسَّرْدَ عَنْ مَنْكِبَيْـهِ حَتَّى يَصِيرَ مَعَ ٱلْجِلْدِ جِلْدا
فَما يَنْزِعُ ٱلْيَوْمَ عَنْـهُ ٱلْحَدِيـدَ مَنْ رامَ أَنْ يَلْبَسَ ٱلْعِزَّ[٤] رَغْدا
وَأَيْسَرُ ما كابَدَتْهُ ٱلنُّفُوسُ مِنَ ٱلْأَمْرِ مالَمْ تَجِدْ مِنْهُ[٥] بُدّا
بَقِيتُمْ وَلا زِلْتُمُ فِي ٱللِّقاءِ[٦] بُدُوراً تُوافِقُ فِي ٱلْأُفْقِ[٧] سَعْدا
وَلا بَرِحَ ٱلْعِزُّ لِلْمُسْلِمِيـنَ مِنْ[٨] بَحْرِكُمْ أَبَداً مُسْتَمَدّا
فَلَسْنا نَرَى بَعْدَ طُولِ ٱلْبَقا ءِ أَكْرَمَ مِنْكُمْ عَلَى ٱللهِ[٩] وَفْدا
وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلتُّرْكِ إِنَّ ٱلَّذِي يُتارِكُهُمْ أَسْعَدُ ٱلنّاسِ جَـدّا

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٢) جاب : قطع ، والتركة : بيضة الحديد ، وفي جميع النسخ (تركه) بالهاء لا بالتاء المربوطة ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) ولم يدع (م ، ع) .
(٤) العيش (ك ، ي ، ت ، ن) .
(٥) عنه (س) .
(٦) في البقاء (ت) .
(٧) في الأرض (ت) .
(٨) ومن بحوركم (ك) .
(٩) على الأرض (ك) .

٧٦

وقال[١] يمدحه رحمه الله، ويهنيه بتشريف[٢] الخليفة :

جَرى لَكَ بِالتَّوْفيقِ أَيْمَنُ طائِرٍ ... وَمُلِّيتَ[٣] مَأْثُورَ العُلى وَالمآثِرِ
وَأَيَّدَكَ اللهُ العَلِيُّ ثَناؤُهُ ... بِعاجِلِ نَصْرٍ خالِدِ العِزِّ قاهِرِ
وَلا زِلْتَ وَرّاداً إِلى كُلِّ مَفْخَرٍ ... مَوارِدَ مَحْمُودٍ سَعيدِ المَصادِرِ
لَقَدْ دَلَّ تَشْريفُ الخَليفَةِ أَنَّهُ ... بِخَيْرٍ بَنِي أَيّامِهِ خَيْرُ خابِرِ
وَأَنَّ لَهُ في حَوْطَةِ الدِّينِ هِمَّةً ... بِها يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِنْ كُلِّ ناصِرِ
تَسَرْبَلْتَ عَضْبَ الدَّوْلَةِ المُلْكَ فَخْرَهُ ... وَما الفَخْرُ إِلاّ لِلسُّيُوفِ البَواتِرِ
وَما جَهِلَتْ نُعْماهُ عِنْدَكَ قَدْرَها ... وَقَدْ كَشَفَتْ عَمّا طَوى في الضَّمائِرِ
وَما نَبَّهَتْ إِلاّ عَلى ذي نَباهَةٍ ... كَما سُقِيَ الرَّوْضُ الخَصيبُ بِماطِرِ

(١) ولما وصل القاضي زين الاسلام الهروي من بغداد إلى دمشق حضر بين يديه، وأوصل خلع أمير المؤمنين المستظهر بالله إليه، وعرض مكاتباته الشريفة عليه، قال يهنيه بذلك . (ك) .

(٢) التشريف : خلعة وألطاف يتحف بها الخليفة من يشاء من الملوك والأمراء وغيرهم لمناسبات خاصة . انظر (صبح الأعشى) للقلقشندي ج ٣ ص ٧٦ و ج ٤ ص ٥٢ .

(٣) مُلّيتُ : مُتّعتُ .



وَما كانَ إِلاّ ٱلعَنْبَرَ ٱلوَرْدَ فِتْلُهُ ... أُضيفَ إِلىٰ نَشْرٍ مِنَ ٱلمِسْكِ عاطِرِ
وَما شاءَ إِلاّ أَنْ تُحَقِّقَ (١) عِنْدَهُ ... مَحَلَّكَ مِنْ طاوٍ هَواهُ وَناشِرِ
وَأَنَّكَ (٢) مَعْقُودٌ بِأَكْبَرِ (٣) هِمَّةٍ ... وَأَنَّكَ مَعْدُودٌ لَهُ فِي ٱلذَّخائِرِ
وَلَيْسَ يَبِينُ ٱلدَّهْرَ إِخْلاصُ باطِنٍ ... إِذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهِ بِظاهِرِ
رَآكَ بِعَيْنِ ٱللُّبِّ أَبْعَدَ فِي ٱلعُلىٰ ... وَأَسْعَدَ مِنْ زُهْرِ ٱلنُّجُومِ ٱلبَواهِرِ (٤)
وَأَبْهىٰ مَحَلاًّ فِي ٱلقُلُوبِ وَمَوْقِعاً ... وَأَشْهىٰ إِلىٰ لَحْظِ ٱلعُيُونِ ٱلنَّواظِرِ
وَأَطْعَمَ فِي ٱللَّأْواءِ وَٱلدَّهْرُ ساغِبٌ ... وَأَطْعَنَ فِي صَدْرِ ٱلكَمِيِّ ٱلمُغامِرِ
فَناهَزَ فَخْراً بِٱصْطِفائِكَ عاجِلاً ... عَلَى كُلِّ باقٍ فِي ٱلزَّمانِ وَغابِرِ
وَماذاكَ مِنْ فِعْلِ ٱلخَلِيفَةِ مُنْكَرٌ (٥) ... وَلا عَجَبٌ فَيْضُ ٱلبُحُورِ ٱلزَّواخِرِ
وَما عُدَّ إِلاّ مِنْ مَناقِبِهِ ٱلَّتي ... مَكَنَّ (٦) بِهِ فِي ٱلفِعْلِ طِيبَ ٱلعَناصِرِ
وَما كانَ تَأْثِيلٌ (٧) شَرِيفٌ وَسُؤْدُدٌ ... لِيُنْكَرَ مِنْ أَهْلِ ٱلنُّهىٰ وَٱلبَصائِرِ

---

(١) تحقق (ي ، ن) .
(٢) فانك (ت) .
(٣) بأول همة (ي) ، بأكثر همة (ت) .
(٤) البواتر (م ، ع) ، الزواهر (ت) .
(٥) منكراً (ك) .
(٦) حكين (ك) .
(٧) تأثير (ك) .

وَأَنتَ ٱلَّذِي مِنْ بَأْسِهِ فِي جَحافِلٍ ... وَمِنْ مَجْدِهِ فِي أُسْرَةٍ وَعَشائِرِ (١)

بِعَزْماتِ (٢) مَجْدٍ ثاقِباتٌ هُمُومُها ... وَآراءِ مَلْكٍ مُحْصَداتِ ٱلْمَرائِرِ

يَراها ذَوُو ٱلْأَضْغانِ بَثَّ حَبائِلٍ ... وَما هِيَ (٣) إِلاّ أَسْهُمٌ فِي ٱلْمَناحِرِ

وَآياتُ مَجْدٍ باهِراتٌ كَأَنَّها ... بَدائِعُ تَأْتِي بِٱلْمَعانِي ٱلنَّوادِرِ

وَأَخْلاقُ مَعْشُوقِ ٱلسَّجايا كَأَنَّما (٤) ... سَقاكَ بِها كَأْسَ ٱلنَّدِيمِ ٱلْمُعاقِرِ

يَبِيتُ (٥) بَعِيداً أَنْ تُوَجَّهَ (٦) وَصْمَةٌ ... عَلَى عِرْضِهِ وَٱلدَّهْرُ باقِي ٱلْمَعايِرِ

إِذا دَفَعَ ٱلطُّلّابَ إِلْحاحُ لَزْبَةٍ ... فَأَنتَ ٱلَّذِي لا يَتَّقِي (٧) بِٱلْمَعاذِرِ

وَما لِلْبُدُورِ (٨) أَنْ تَكُفَّ ضِياءَها ... وَلا ٱلْبُخْلُ فِي (٩) طَبْعِ ٱلْغَمامِ ٱلْبَواكِرِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَتْعَبْتَ بِٱلْحَمْدِ مَنْطِقِي ... وَأَكْثَرْتَ مِنْ شُغْلِ ٱلْقَوافِي ٱلسَّوائِرِ

وَما نَوَّهَتْ مِنْكَ ٱلْقَوافِي بِخامِلٍ ... وَلٰكِنْ رَأَيْتُ ٱلشِّعْرَ قَيْدَ ٱلْمَفاخِرِ

---

(١) وعساكر (ك) .
(٢) بعزمات فتك باقيات هومها (ك) ، باقيات . . . (ن) .
(٣) وما هن (ك) .
(٤) كأنها (ك ، ي) .
(٥) تبيت (س ، ظ ، م ، ع) .
(٦) يوجه (س ، ظ ، م ، ع) .
(٧) لا تتقي (ك) .
(٨) وما لبدورٍ (م) ، وهل للبدور (ت) .
(٩) من (ن) .



إذا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنكَ جانِباً … فَمَنْ يقتَني الْحَمْدَ اقْتِناءَ الْجَواهِرِ

وَما زِلتَ مَشْغُوفاً لَدَيَّ مُتَيَّماً … بِكُلِّ رَداحٍ مِنْ بَناتِ الْخَواطِرِ

لَهُنَّ إذا وافَيْنَ مَجْدَكَ قُرْبَةُ الْـ … ـحِسانِ وَدَلُّ الآنِساتِ الْغَرائِرِ

يَرِدْنَ رَبيعاً مِنْ جَنابِكَ مُمْرِعاً … وَيَرْتَعْنَ في إِثْرِ الْغُيُومِ الْمَواطِرِ

وَإِنِّي لَقَوّالٌ(١) لِكُلِّ قَصِيدَةٍ … إذا قِيلَ شِعْرٌ أَفْحَمَتْ كُلَّ شاعِرِ

فَمِنْ كَلِمٍ يَكْلُمْنَ أَكْبادَ حُسَّدي … وَمِنْ فِقَرٍ تَرْمِيهِمُ بِالْفَواقِرِ

أَلا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَفُوزُ بِدَوْلَةٍ … تُصَرِّفُ كَفِّي في عِنانِ الْمَقادِرِ

وَهَلْ تَنْهَضُ الأَيّامُ بِي في مَقاوِمٍ(٢) … تَطُولُ بِناهِ لِلزَّمانِ(٣) وَآمِرِ

فَإِنَّ مِنَ الْعَجْزِ الْمُبِينِ وَأَنْتَ لِي … نُزُولِي عَلَى حُكْمِ اللَّيالِي الْجَوائِرِ

* * *

(١) نظَّام (ك) .
(٢) لعله أراد بها جمع مقام .
(٣) في الزمان (س، ك، ت) .



٧٧

وقال، وقد حضر في غداة مطيرة توالى فيها الغيث بعد محل، وهناك تمثال ديك في وسط بركة دار الأمير عضب الدولة رحمه الله يجري الماء من اجنحته وذنبه، وقد حضر الشراب، بديهاً يصف ذلك :

نَشَدْتُكَ[1] لا تُعْدِمِ ٱلرّاحَ راحا ... وَلا تَمْنَعَنَّ ٱلصَّبُوحَ ٱلصَّباحا[2]

فَقَدْ أَصْبَحَ ٱلْغَيْثُ يَكْسُو ٱلْجَمالَ ... وُجُوهاً مِنَ ٱلْأَرْضِ كانَتْ قِباحا

يُعِيدُ إِلَى ٱلْعُودِ إِيراقَهُ[3] ... وَيَهْتَزُّهُ بِٱلنَّسِيمِ ٱرْتِياحا

بَكَى رَحْمَةً لِجُدُوبِ ٱلْبِلادِ ... وَحَنَّ ٱشْتِياقاً إِلَيْها فَساحا

وَسَحَّ كَما غَلَبَ ٱلْمُسْتَهامَ ... وَجْدٌ فَأَجْرَى دُمُوعاً وَباحا

كَأَنَّ ٱلْغُيُومَ جُيُوشٌ تَسُومُ ... مِنَ ٱلْعَدْلِ فِي كُلِّ أَرْضٍ صَلاحا

إِذا قاتَلَ ٱلْمَحْلَ فِيها ٱلْغَمامُ ... بِصَوْبِ ٱلرِّهامِ أَجادَ ٱلْكِفاحا

فَوافاهُ يَحْمِلُ مِنْ طَلِّهِ ... وَمِنْ وَبْلِهِ لِلِّقاءِ ٱلسِّلاحا

يُقَرْطِسُ بِٱلطَّلِّ فِيهِ ٱلسِّهامَ ... وَيُشْرِعُ بِٱلْوَبْلِ فِيهِ ٱلرِّماحا

---

(١) حسدتك (؟) (ك) .

(٢) صباحا (ي) .

(٣) إشراقه (ك) .

وَسَلَّ عَلَيْهِ سُيُوفَ ٱلْبُرُوقِ فَأَثْخَنَ بِٱلضَّرْبِ فِيهِ ٱلْجِراحا

تَرىٰ أَلْسُنَ ٱلنَّوْرِ تُثْنِي عَلَيْهِ فَتَعْجَبُ مِنْهُنَّ خُرْساً فِصاحا

كَأَنَّ ٱلرِّياضَ عَذارىٰ جَلَوْنَ عَلَيْكَ مَلابِسَهُنَّ ٱلْمِلاحا

وَقَدْ غادَرَ ٱلْقَطْرُ مِنْ فَيْضِهِ غَدِيراً هُوَ ٱلسَّيْلُ حَلَّ ٱلْبِطاحا

إِذا صافَحَتْهُ هَوافِي(١) ٱلرِّياحِ تَمَوَّجَ كَٱلطِّرْفِ رامَ ٱلْجِماحا

وَدِيكاً تَرىٰ ٱلصُّفْرَ جِسْماً لَهُ وَمِنْ فِضَّةٍ رِيشَهُ وَٱلْجَناحا

إِذا ٱلْماءُ راسَلَهُ بِٱلْخَرِيـــرِ أَحْسَنَ تَغْرِيدَهُ وَٱلصِّياحا

لَهُ شِيمَتانِ مِنَ ٱلْمَكْرُماتِ يُرِيكَ ٱلْوَقارَ بِها وَٱلْمِراحا(٢)

إِذا هَمَّ مِنْ طَرَبٍ أَنْ يَطِيـــرَ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ حَياءٍ بَراحا

إِذا ما تَغَنّىٰ أَغارَ ٱلْحَمامَ فَرَجَّعَ أَلْحانَهُ ثُمَّ ناحا

غَداةً غَدا ٱلْيَوْمُ فِيها صَرِيحاً وَأَضْحىٰ ٱلْغَمامُ لَدَيْها صُراحا

كَأَنَّ حَياها يُجارِي ٱلْأَمِيرَ لِيُشْبِهَ مَعْرُوفَهُ وَٱلسَّماحا

وَكَيْفَ يُشاكِلُ(٣) مَنْ لا يُغِبُّ مَجْداً مَصُوناً وَمالاً مُباحا

---

(١) هوى في ... (ك) .
(٢) والمزاحا (س ، ك ، م ، ت ، ن) .
(٣) يساجل (ت) .

أَعَمَّ نَوالاً مِنَ ٱلْبَحْرِ فاضَ وَأَطْيَبَ نَشْراً مِنَ ٱلْمِسْكِ فاحا
فَدُونَكَ فَٱشْرَبْ كُؤُوساً تُصِيبُ مِزاجاً لَهُنَّ ٱلسُّرُورَ ٱلْقَراحا[1]
إِذا ما جَلَوْنا عَرُوسَ ٱلْمُدامِ أَجالَ ٱلْحَبابُ عَلَيْها وِشاحا
وَقَدْ فَسَحَ ٱلْوَصْلَ لِلْعاشِقِينَ فَصادَفَ مِنْهُمْ صُدُوراً فِساحا
إِذا كَرُمَ ٱلدَّهْرُ فِي عَصْرِنا فَكَيْفَ نَكُونُ عَلَيْهِ شِحاحا

* * *

٧٨

وقال، وقد ناوله الأمير عضب الدولة، رحمه الله، تفاحة حمراء وطاقتين من نرجس وبنفسج، وأمره أن يقول في ذلك[2] :

أَهْدَىٰ ٱلْأَمِيرُ إِلَيْكَ خَيْرَ تَحِيَّةٍ مِنْ خَيْرِ بَسّامٍ أَغَرَّ بَشُوشِ
عَضْبٌ لِأَكْرَمِ دَوْلَةٍ وَبَهاءُ أَشْرَفِ مِلَّةٍ وَزَعِيمُ أَيِّ جُيُوشِ
مِنْ نَرْجِسٍ وَبَنَفْسَجٍ غَضٍّ وَتُفّاحٍ كَوَشْيِ ٱلْحُلَّةِ ٱلْمَرْشُوشِ[3]
جُمَلٌ كَما قُضِيَتْ مَواعِدُ عاشِقٍ مِنْ ناصِحٍ فِي ٱلْحُبِّ غَيْرِ غَشُوشِ
فَكَأَنَّها وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ إِذا رَنا وَبِخَدِّهِ أَثَرٌ مِنَ ٱلتَّجْمِيشِ

* * *

(١) القراح : الخالص .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٣) المنقوش (ن) .

٧٩

وقال(١)، وقد حضر عند الأمير عضب الدولة رحمه الله في مجلس، فيه سماع. وقد نضد بطرائف من الأزهار، وقد أوقدت نار ذكية الجمر، وفيه شراب رائق ونارنج شديد الاحمرار، بديهاً بعد أن ثمل :

لَنا مَجْلِسٌ ما فِيهِ لِلْهَمِّ مَدْخَلٌ ... وَلا مِنْهُ يَوْماً لِلْمَسَرَّةِ مَخْرَجُ

تَضَمَّنَ أَصْنافَ(٢) ٱلْمَحاسِنِ كُلَّها ... فَلَيْسَ لِباغِي ٱلْعَيْشِ(٣) عَنْهُ مُعَرَّجُ

غِناءٌ إِلَى ٱلْفِتْيانِ أَشْهَى مِنَ ٱلْغِنَى ... بِهِ ٱلْعَيْشُ يَصْفُو وَٱلْهُمُومُ تُفَرَّجُ

يَخِفُّ لَهُ(٤) حِلْمُ ٱلْحَلِيمِ صَبابَةً ... وَيَصْبُو إِلَيْهِ ٱلنّاسِكُ ٱلْمُتَحَرِّجُ

وَرَوْضاً(٥) كَأَنَّ ٱلْقَطْرَ غاداهُ فَٱغْتَدَى ... يَضُوعُ بِمِسْكِيِّ ٱلنَّسِيمِ وَيَأْرَجُ

تَرَى نُكَتَ ٱلْأَزْهارِ فِيهِ كَأَنَّها ... كَواكِبُ(٦) فِي أُفْقٍ تُنِيرُ وَتُسْرَجُ

وَيُذْكِرُكَ(٧) ٱلْأَحْبابَ فِيهِ(٨) بَدائِعٌ ... مِنَ ٱلنَّوْرِ مِنْها نَرْجِسٌ وَبَنَفْسَجُ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة أيضاً في (ك) .
(٢) أوصاف (ظ) .
(٣) لباغي الخير (ت) .
(٤) يخف به . . . (ت) .
(٥) وروض . . . (ت) .
(٦) الكواكب (ت) .
(٧) وتذكرك (ت) .
(٨) فيك (م ، ع ، ت) .

فَهٰذا كَمَا يَرْنُو إِلَيْكَ بِطَرْفِهِ ... أَغَنُّ غَرِيرٌ فَاتِنٌ (١) ٱلطَّرْفِ أَدْعَجُ

وَهٰذا كَما حَيَّا بِخَطِّ عِذارِهِ ... مِنَ ٱلْهِيفِ مَمْشُوقُ ٱلْعِذارِ مُعَرَّجُ

غَرِيبُ ٱفْتِتانِ ٱلدَّلِّ فِي ٱلْحُسْنِ لَمْ يَزَلْ ... تُعَقْرَبُ أَصْداغٌ لَهُ وَتُصَوْلَجُ

وَمَعْشُوقُ نارَنْجٍ يُرِيكَ(٢) ٱحْمِرارُهُ ... خُدُودَ عَذارَى بِٱلْعِتابِ تُضَرَّجُ

وَنارٌ تُضاهِيها ٱلْمُدامُ بِنُورِها ... فَتَخْمُدُ لٰكِنَّ ٱلْمُدامَ تَأَجَّجُ

كُؤُوسٌ كَما تَهْوَى ٱلنُّفُوسُ كَأَنَّها ... بِنَيْلِ ٱلْأَمانِي وَٱلْمَآرِبِ تُمْزَجُ

كَأَنَّ ٱلْقَنانِي(٣) وَٱلصَّوانِي لِناظِرٍ ... نُجُومُ سَماءٍ سائِراتٌ وَأَبْرُجُ

مَعانٍ كَأَخْلاقِ ٱلْأَمِيرِ مَحاسِناً ... وَلٰكِنَّهُ مِنْهُنَّ أَبْهَى وَأَبْهَجُ

كَأَنَّا جَمِيعاً دُونَهُ وَهْوَ واحِدٌ ... بِساحِلِ بَحْرٍ رِيعَ مِنْهُ ٱلْمُلَجِّجُ(٤)

أَغَرُّ غَرِيبُ ٱلْمَكْرُماتِ بِمِثْلِهِ ... تَقَرُّ عُيُونُ ٱلْمَكْرُماتِ وَتَثْلَجُ

هُوَ ٱلْبَحْرُ لٰكِنْ عِنْدَهُ ٱلْبَحْرُ باخِلٌ ... هُوَ ٱلْبَدْرُ لٰكِنْ عِنْدَهُ ٱلْبَدْرُ يَسْمُجُ

* * *

---

(١) فاتر (س ، ي ، ن) .

(٢) يكون احمراره (ت) .

(٣) كأن الصواني والقناني ... (س) .

(٤) لَجَّجَ فهو ملجِّج : ركب اللجة، واللجة: معظم الماء ، وخصه بعضهم بمعظم البحر .



٨٠

وقال (١)، يمدحه ويهنيه بقدومه من سفر :

شَرَفاً لِمَجْدِكَ بانِياً وَمُقَوِّضاً ... وَلِسَعْدِ جَدِّكَ ناهِضاً أَوْ مُنْهِضا
إِمّا أَقَمْتَ أَوِ ٱرْتَحَلْتَ فَلِلْعُلى ... وَٱلسَّيْفُ يَشْرُفُ مُغْمَداً أَوْ مُنْتَضا
لَقَضى (٢) لَكَ ٱللّهُ ٱلسَّعادَةَ آيِباً ... أَوْ غائِباً وَٱللّهُ (٣) أَعْدَلُ مَنْ (٤) قَضا
تَقِصُ ٱلْأَعادي ظاعِناً أَوْ قاطِناً ... وَٱللَّيْثُ أَغْلَبُ مُصْحِراً وَمُغَيِّضا (٥)
مُسْتَعْلِياً إِنْ جَدَّ سَعيُكَ (٦) أَوْ وَنى (٧) ... وَمُظَفَّراً إِنْ كَفَّ عَزْمُكَ أَوْ مَضا
حَزْماً وَإِقْداماً وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ ... بَأْسُ ٱلضَّراغِمِ وُثَّباً أَوْ رُبَّضا
وَإِلَيْكَ عَضْبَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْماضي ٱلشَّبا ... أَلْقى مَقالِدَهُ ٱلزَّمانُ وَفَوَّضا

(١) وقال أيضاً يهنيه بالعيد، وقد عوّل على المسير إلى بعض الأطراف (ك) .
(٢) يقضي . . . (ت) .
(٣) فالله . . . (ك) .
(٤) أعدل ما قضا (ظ) .
(٥) وَقَصَ : كسر . وأَصْحَرَ : برز إلى الصحـــراء . وغَيَّضَ الأسدُ : ألف الغيضة .
(٦) سعدك (س)، سيفك (ت) .
(٧) أو دنا (م، ع) .

فَإِلى(١) ٱرْتِياحِكَ يَنْتَمِي صَوْبُ ٱلْحَيا(٢) وَعَلَى ٱقْتِراحِكَ يَنْتَهِي صَرْفُ ٱلْقَضا
يا مَنْ إِذا نَزَعَ ٱلْمُناضِلُ سَهْمَهُ يَوْمًا كَفاهُ مُناضِلاً أَنْ يُنْبِضا
وَإِذا ٱلنَّدىٰ عَزَّ ٱلطِّلابَ مُصَرَّحًا بَلَغَ ٱلْمُنىٰ(٣) راجِي نَداهُ مُعَرِّضا
أَرَعَيْتَ هٰذا ٱلْمُلْكَ أَشْرَفَ هِمَّةٍ تَأْبىٰ لِطَرْفِكَ طَرْفَةً أَنْ يُغْمِضا
حَصَّنْتَ(٤) هَضْبَةَ عِزِّهِ أَنْ تُرْتَقىٰ وَمَنَعْتَ عالِيَ جَدِّهِ أَنْ يُخْفَضا
وَحَمَيْتَ بِٱلْجُنْدَيْنِ طَوْلِكَ وَٱلنُّهىٰ مَبْسُوطَ ظِلِّ ٱلْعَدْلِ مِنْ أَنْ يُقْبَضا
أَشْرَعْتَ حَدَّ صَوارِمٍ لَنْ تختطا(٥) وَشَرَعْتَ دِينَ مَكارِمٍ لَنْ يُرْفَضا
ما إِنْ تُؤَيِّدُهُ بِبَأْسٍ يُتَّقىٰ(٦) حَتّىٰ تُشَيِّدَهُ بِسَعْيٍ(٧) مُرْتَضا
وَلَقَدْ نَعَشْتَ ٱلدِّينَ أَمْسِ مِنَ ٱلَّتِي ما كادَ(٨) واصِمُ عارِها أَنْ يُرْحَضا

---

(١) وإلى . . . (ت) .
(٢) العلى (ي) .
(٣) الندى (س) .
(٤) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ي) .
(٥) كذا في جميع النسخ إلا في (ن) فانها (لن تحتطا) .
(٦) متقى (ك) .
(٧) بسعد (ك) .
(٨) ما كان (س ، ت) .

حِينَ[1] اُسْتَحالَ بِها الْعُقُوقُ نَدامَةً ... وَأَخَلَّ[2] راعِيها الْمُضِلُّ فَأَحْمَضا

وَغدا الْمَرِيضَ بِها الَّذِي لا يُهْتَدىٰ ... لِشِفائِهِ مَنْ كانَ فِيها الْمُمْرِضا

لَمّا دَجا ذاكَ الظَّلامُ فَلَمْ يَكُنْ ... مَعَهُ لِيُغْنِيَنا الصَّباحُ وَإِنْ أَضا

إِذْ باطِلُ الْأَقْوامِ أَكْثَرُ ناصِراً ... وَالْحَقُّ مَدْفُوعُ الدَّلِيلِ لِيَدْحَضا

وَالنُّصْحُ مُطَّرَحٌ مُذالٌ مَحْضُهُ ... إِنْ كانَ يُمْكِنُ ناصِحاً أَنْ يَمْحَضا

حَتّىٰ أَقَمْتَ الْحَزْمَ أَبْلَغَ خاطِبٍ ... فِيها فَحَثَّ عَلَى الصَّلاحِ[3] وَحَضَّضا

يَشْنِي[4] بِوَجْهِ الرَّأْيِ[5] وَهْوَ كَأَنَّهُ ... ماءُ الْغَدِيرِ حَسَرْتَ عَنْهُ الْعَرْمَضا[6]

حَتّىٰ[7] اُسْتَضاءَ كَأَنَّما كَشَفَتْ بِهِ ... كَفّاكَ فِي الظَّلْماءِ فَجْراً[8] أَبْيَضا

لَمْ تُبْدِ إِلّا لَحْظَةً أَوْ لَفْظَةً ... حَتّىٰ فَضَضْتَ الْجَيْشَ قَدْ مَلَأَ الْفَضا

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٢) أَخَلَّ القومُ : رعت إبلهم الخُلَّة وهي ما حلا من النبات . وأحمضَ الإبل : أطعمها الحمض وهو ما ملح وأَمَرَّ من النبات .

(٣) على السلاح (ت ، ي) .

(٤) لم يرد هذا البيت في (س ، ظ ، م ، ع). تبني (ن)، ولعله الصواب .

(٥) بعين الرأي (ك) .

(٦) العَرْمَضُ : الطحلب .

(٧) ثم استضاءَ (ي ، ت) .

(٨) وجهاً أبيضا (ت) .

دانَيْتَ بَيْنَ قُلوبِ قَوْمِكَ بَعْدَما شَجَبَت ٱلْوَرى مُتَبايِنات رُفَّضا
وَرَفَعْتَ ثَمَّ بِناءَ مَجْدٍ شامِخٍ لَوْ لَمْ تَشِدْهُ لَكادَ أَنْ يَتَقَوَّضا
مِنْ بَعْدِ ما أَحْصَدْتَ[1] عَقْدَ مَواثِقٍ يَأْبى كَريمُ مُمَرِّها أَنْ يُنْقَضا
لِلّهِ أَيَّةُ نِعْمَةٍ مَحْقوقَةٍ[2] بِالشُّكْرِ فيكَ وَأَيُّ سَعْدٍ قُيِّضا
أَخَذَ ٱلزَّمانُ فَما ٱلْمُنى أَخْذَهُ إِذْ كانَ خَيْراً مِنْهُ ما قَدْ عَوَّضا
وَمَكينَةٍ[3] لَوْ أَمْكَنَتْ زُحَلاً إِذاً لَغَدا لَها مُتَرَشِّحاً مُتَعَرِّضا
عَزَّتْ سِواكَ وَأَسْمَحَتْ لَكَ صَعْبَةً فَعَلَوْتَ صَهْوَتَها ذَلولاً رَيِّضا
أُعْطيتَ في ذاكَ ٱلْمَقامِ نُبُوَّةً حُقَّتْ لِمَجْدِكَ أَنْ تُسَنَّ وَتُفْرَضا
وَبِأَيِّما خَطْبٍ مُنيتَ فَلَمْ تَكُنْ سَكَّنْتَ مِنْهُ ما طَغى وَتَغَيَّضا
ما مَرَّ يَوْمٌ مِنْ زَمانِكَ واحِدٌ إِلاّ أَطالَ شَجى ٱلْحَسودِ وَأَجْرَضا
لَكَ كُلَّ يَوْمٍ عيدُ مَجْدٍ عائِدٌ لِلْحَمْدِ فيهِ أَنْ يَطولَ وَيَعْرُضا
فَالدَّهْرُ[4] يَغْنَمُ مِنْ عَلائِكَ مَفْخَراً طَوْراً وَيَلْبَسُ مِنْ ثَنائِكَ[5] مِعْرَضا[6]

(١) أحْصَدَ الحبلَ: فتله. والمُمَرّ: المفتول فتلاً شديداً.
(٢) محقوقة: حليقة. وفي (ك، ت، ن) محفوفة.
(٣) المكينة: التؤده والهيبة. وزُحَل: كوكب من الخُنَّس، ويقولون له شيخ النجوم.
(٤) لم يرد هذا البيت في (ي).
(٥) سانك (ن).
(٦) المِعْرَض: الثوب تحلى فيه الجارية ليلة العرس.

فَتَهَنَّهُ وَتَمَلَّ عُمْرَ سَعادَةٍ تَقْضِي ٱلنُّجُومُ ٱلْخالِداتُ وَما ٱنْقَضا
لَوْ حُلِّيَ ٱلْمَدْحُ ٱلسَّنِيُّ بِحِلْيَةٍ (١) يَوْماً لَذُهِّبَ ما أَقُولُ وَفُضِّضا
أَوْ (٢) عُطِّرَتْ يَوْماً مَقالَهُ (٣) مادِحٍ لَغَدا مَقالِي لِلْغَوالِي مِحْوَضا (٤)
وَكَفاهُ عِطْرٌ (٥) مِنْ ثَناكَ كَناسِمٍ بِالرَّوْضِ مَرَّ تَحَرُّشاً وَتَعَرُّضا
أَلْبَسْتُهُ شَرَفاً بِمَدْحِكَ لا سَرى (٦) عَنْ مَتْنِهِ ذاكَ ٱللِّباسَ وَلا نَضا
وَلَقَدْ (٧) مَطَلْتُكَ بِالْمَحامِدِ بُرْهَةً وَلَرُبَّما مَطَلَ ٱلْغَرِيمَ ٱلْمُقْتَضا
لَوْلا ٱلْهَوى وَدَلالُ مَعْشُوقِ ٱلْهَوى ماسَوَّفَ ٱلْوَعْدَ ٱلْحَبِيبُ وَمَرَّضا (٨)
وَلَدَيَّ مِنْها ما يَهُزُّ سَماعُهُ لَوْ كُنْتُ أَرْضى مِنْ مَدِيحِكَ بِالرِّضا
فَإِلَيْكَ (٩) مَجْدَ ٱلدِّينِ غُرَّ قَصائِدٍ أَسْلَفْتَهُنَّ جَمِيلَ صُنْعِكَ مُقْرِضا
وَبَلَوْتَهُنَّ وَإِنَّما يُنْبِيكَ عَنْ فَضْلِ ٱلْجِيادِ وَسَبْقِها أَنْ تُرْكَضا

---

(١) بحلة (ظ) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٣) مقاول مادح (ط ، ي ، م ، ع ، ت) .
(٤) المِحْوَضُ : من أواني الشراب .
(٥) عطراً (ك) .
(٦) سَرَى : ألقى .
(٧) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٨) مَرَّض في الأمر : ضجّع فيه أي قصّر فيه .
(٩) وإليك (ل) .

مِمّـا تَنَخَّلَه وَحَصَّلَ ماهِرٌ فَضْلَ ٱلْبَرِيَّةِ ناثِراً وَمُقَرِّضا
رَقَّتْ كَما رَقَّ ٱلنَّسِيمُ بِعَرْفِهِ مَرِضاً وَلَيْسَ يَصِحُّ حَتّىٰ يَمْرَضا
يُخْجِلْنَ ما حاكَ ٱلرَّبِيعُ مُفَوَّفاً وَيَزِدْنَهُ خَجَلاً إِذا ما رَوَّضا
وَكَأَنَّ نُوّارَ ٱلثُّغُورِ مُقَبَّلاً فِيها وَتُفّاحَ ٱلْخُدُودِ مُعَضَّضا
تُهْدىٰ إِلىٰ مَلِكٍ نَداهُ مَعْقِلٌ حَرَمٌ إِذا خَطْبٌ أَمَضَّ وَأَرْمَضا
عارِي[(١)] ٱلشَّمائِلِ مِنْ حَبائِلِ غَدْرَةٍ يُمْسِي بِها ٱلعِرْضُ ٱلْمَصُونُ مُعَرَّضا
لا يُمْطِرُ ٱلْأَعْداءَ عارِضُ بَأْسِهِ إِلاّ إِذا بَرْقُ ٱلصَّوارِمِ أَوْمَضا
أَثْرىٰ مِنَ ٱلْحَمْدِ ٱلزَّمانُ بِجُودِهِ وَلَقَدْ عَهِدْناهُ ٱلْمُقِلَّ ٱلْمُنْفِضا
كُلٌّ عَلَى ذَمِّ ٱللَّيالِي مُقْبِلٌ ما دامَ عَنْهُ ٱلْحَظُّ فِيها مُعْرِضا
فَلَأَمْنَحَنَّكَ ذا ٱلثَّناءِ مُحَبَّبا ما دامَ مَدْحُ ٱلْباخِلِينَ مُبَغَّضا
أُثْنِي عَلَى مَنْ لَمْ أَجِدْ مُتَحَوَّلاً عَنْهُ وَلا مِنْ جُودِهِ مُتَعَوَّضا
ما سَوَّدَ ٱلدَّهْرُ ٱلْخَؤُونُ مَطالِبِي إِلاّ مَحا ذاكَ ٱلسَّوادَ وَبَيَّضا
مَنْ لَمْ يَرِدْ جَدْوىٰ أَنامِلِكَ ٱلَّتِي كَرَمْنَ لَمْ يَرِدِ ٱلْبُحُورَ[(٢)] ٱلْفُيَّضا

* * *

(١) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .
(٢) البحار (ن) .

٨١

وقال مديهاً، وقد أمره الأمير عصب الدولة بمدح أناس [1] :

أَلا أَيُّها ٱلْعَضْبُ ٱلَّذِي لَيْسَ نابِياً وَلا مُغْمَداً بَلْ مُصْلَتاً فِي ٱلْحَوادِثِ
رَأَيْتُكَ تَدْعُونِي إِلىٰ مَدْحِ مَعْشَرٍ تَفُوقُهُمُ عِنْدَ ٱلْخُطُوبِ ٱلْكَوارِثِ
وَإِنِّي وَمَدْحِيهِمْ وَتَرْكَكَ كَالَّذِي رَأَى ٱلْجِدَّ أَوْلىٰ أَنْ يُناطَ بِعابِثِ
وَكُنْتُ عَلَى عَهْدِ ٱصْطِناعِكَ ثابِتاً فَلَسْتُ لَهُ ما عِشْتُ يَوْماً بِناكِثِ

. . .

٨٢

وقال يرثي أبا عبد الله محمد بن الأمير عضب الدولة، ويعزيه عنه، وقد توفي بدمشق :

سِوىٰ باكِيكَ مَنْ يَنْهىٰ ٱلْعَذُولُ وَغَيْرُ نَواكَ يَحْمِلُها ٱلْحَمُولُ
أَيُنْكَرُ يا مُحَمَّدُ لِي نَحِيبٌ وَقَدْ غالَتْكَ لِلأَيّامِ غُولُ
أَذا ٱلْوَجْهِ ٱلْجَمِيلِ وَقَدْ تَوَلَّىٰ قَبِيحٌ بَعْدَكَ ٱلصَّبْرُ ٱلْجَمِيلُ [2]

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت إلا في (ك ، ي ، ت).

رَحَلْتَ مُفارِقاً فَمتىٰ ٱلتَّلاقِي وَبِنْتَ مُوَدِّعاً فَمتىٰ ٱلْقُفُولُ
وَكُنْتَ يَقِينَ مَنْ يَرْجُوكَ يَوْماً فَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ ظَنٌّ مُسْتَحِيلُ
نَضَتْ بِكَ ثَوْبَ بَهْجَتِها ٱللَّيالِي وَغالَ بَهاءَهُ ٱلدَّهْرُ ٱلْجَهُولُ
وَلَوْ تَدْرِي ٱلْحَوادِثُ ما جَنَتْهُ بَكَتْكَ غَداهُ دَهْرِكَ وَٱلْأَصِيلُ
أَيا قَمَرَ ٱلْعُلىٰ بِمَنِ ٱلتَّسَلِّي إِذا لَمْ تَسْتَنِرْ وَمَنِ ٱلْبَدِيلُ
مَتىٰ حالَتْ مَحاسِنُكَ ٱللَّواتِي لَها فِي ٱلْقَلْبِ عَهْدٌ لا يَحُولُ
مَتىٰ صالَ ٱلْحِمامُ عَلَى ٱبْنِ بَأْسٍ بِهِ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ يَصُولُ(١)
مَتىٰ وَصَلَ ٱلزَّمانُ إِلىٰ مَحَلٍّ إِلىٰ دَفْعِ ٱلزَّمانِ بِهِ ٱلْوُصُولُ
سَأُعْوِلُ بِٱلْبُكاءِ وَأَيُّ خَطْبٍ يَقُومُ بِهِ بُكاءٌ أَوْ عَوِيلُ
فَإِمّا خانَنِي جَلَدٌ عَزِيزٌ فَعِنْدِي لِلْأَسىٰ دَمْعٌ ذَلِيلُ
وَما أَنْصَفْتَ إِنْ(٢) وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنَ ٱلْإِشْفاقِ أَوْ ذَهِلَتْ عُقُولُ
وَهَلْ قَدْرُ ٱلرَّزِيَّةِ فَرْطُ حُزْنٍ فَيُرْضِيَ فِيكَ دَمْعٌ أَوْ غَلِيلُ
لَقَدْ أَخَذَ ٱلْأَسىٰ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ كَما أَخَذَتْ مِنَ ٱلسَّيْفِ ٱلْفُلُولُ
وَما كَبِدٌ تَذُوبُ عَلَيْكَ وَجْداً بِشافِيَةٍ وَلا نَفْسٌ تَسِيلُ

---

(١) نصول (ك، ت) .

(٢) إذ . . . (ب) .

فَيا قَبْراً حَوى ٱلشَّرَفَ ٱلْمُعَلّى وَضُمِّنَ لَحْدَهُ ٱلْمَجْدُ ٱلْأَثِيلُ
أُحِلَّ ثَراكَ مِنْ كَرَمٍ غَمامٌ وَأُودِعَ فِيكَ مِنْ بَأْسٍ قَبِيلُ
حُسامٌ أَغْمَدَتْهُ بِكَ ٱللَّيالي سَيَنْحَلُ فِيكَ مَضْرِبُهُ ٱلنَّحِيلُ
وَكانَ ٱلسَّيْفُ يُخْلِقُ كُلَّ جَفْنٍ فَأَخْلَقَ عِنْدَكَ ٱلسَّيْفُ ٱلصَّقِيلُ
تَخَرَّمَهُ ٱلْحِمامُ وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى حُكْمِ ٱلْحِمامِ لَهُ نُزُولُ
فَيا لِلّهِ أَيُّ جَلِيلِ خَطْبٍ دَقِيقٌ عِنْدَهُ ٱلْخَطْبُ ٱلْجَلِيلُ
أَما هَوْلٌ بِأَنْ يُخْشى وَيُلْقى عَلَى ذاكَ ٱلْجَمالِ ثَرىً مَهِيلُ
أَما ٱنْدَقَّتْ رِماحُ ٱلْخَطِّ حُزْناً عَلَيْكَ أَما تَقَطَّعَتِ ٱلنُّصُولُ
أَما وَسَمَ ٱلْجِيادَ أَسىً فَتُحْمى بِهِ غُرَرُ ٱلسَّوابِقِ وَٱلْحُجُولُ
أَما ساءَ ٱلْبُدُورَ وَأَنْتَ مِنْها طُلُوعٌ مِنْكَ أَعْقَبَهُ ٱلْأُفُولُ
أَما أَبْكى ٱلْغُصُونَ ٱلْخُضْرَ غُصْنٌ نَضِيرُ ٱلْعُودِ عاجَلَهُ ٱلذُّبُولُ
أَما رَقَّ ٱلزَّمانُ عَلَى عَلِيلٍ يَصِحُّ بِبُرْئِهِ ٱلْأَمَلُ ٱلْعَلِيلُ
تَقَطَّعَ بَيْنَ حَبْلِكَ وَٱللَّيالي كَذاكَ ٱلدَّهْرُ لَيْسَ لَهُ خَلِيلُ
وَأَسْرَعْتَ ٱلتَّرَحُّلَ عَنْ(١) دِيارٍ سَواءٌ هُنَّ بَعْدَكَ وَٱلطُّلُولُ

---

(١) من ديار (س) .

وَمِثْلُكَ لا تَجُودُ بِهِ ٱللَّيالِي ... وَلٰكِنْ رُبَّما سَمَحَ ٱلْبَخِيلُ
أَنِفْتَ مِنَ ٱلْمُقامِ بِشَرِّ دارٍ ... تَرىٰ أَنَّ ٱلْمُقامَ بِها رَحِيلُ
وَما خَيْرُ ٱلسَّلامَةِ فِي حَياةٍ ... إِذا كانَتْ إِلىٰ عَطَبٍ تَؤُولُ
هِيَ ٱلْأَيّامُ مُعْطِيها أَخُوذٌ ... لِما يُعْطِي وَمُطْعِمُها أَكُولُ
تَمُرُّ بِنا وَقائِعُ كُلَّ يَوْمٍ ... يُسَمّىٰ مَيِّتاً فِيها ٱلْقَتِيلُ
سَقاكَ — وَمَنْ سَقىٰ قَبْلِي سَحاباً ... تُرَوَّضُ (١) قَبْلَ مَوْقِعِهِ ٱلْمَحُولُ —
غَمامٌ يُلْبِسُ ٱلْأَهْضامَ (٢) وَشْياً ... تَتِيهُ بِهِ ٱلْحُزُونَةُ وَٱلسُّهُولُ
كَأَنَّ نَسِيمَ عَرْفِكَ فِيهِ يُهْدىٰ ... إِذا خَطَرَتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ٱلْقَبُولُ
كَجُودِكَ أَوْ كَجُودِ أَبِيكَ هامٍ ... عَمِيمُ ٱلْوَدْقِ مُنْبَجِسٌ هَطُولُ
وَلَوْلا سُنَّةٌ لِلْبِرِّ عِنْدِي ... لَقُلْتُ سَقَتْكَ صافِيَةٌ شَمُولُ
أَعَضْبَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَأْمُولَ صَبْراً ... وَكَيْفَ وَهَلْ إِلىٰ صَبْرٍ سَبِيلُ (٣)
وَما فارَقْتَ مَنْ يُسْلىٰ وَلٰكِنْ ... سِوىٰ ٱلْآسادِ تُحْزِنُها ٱلشُّبُولُ
وَما فَقْدُ ٱلْفُرُوعِ كَبِيرُ رُزْءٍ ... إِذا سَلِمَتْ عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلْأُصُولُ

---

(١) تُرَوَّض : تصير كالروض . والأرض المحول : المجدبة .
(٢) الأهضام : جمع هِضْم وهو المطمئن من الأرض .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .

وَما عَزّاكَ مِثْلُكَ عَنْ مُصابٍ   إِذا ما راضَكَ ٱللُّبُّ(١) ٱلْأَصيلُ
سَدادُكَ مُقْنِعٌ وَحِجاكَ مُغْنٍ   وَدُونَكَ ما أَقُولُ فَما أَقُولُ
فَلا قَصُرَتْ عَوالِيكَ ٱلْأَعالِي   وَلا زالَ ٱلزَّمانُ بِها يَطُولُ

* * *

٨٣

وقال(٢) بديهاً في المأمونية(٣)، يصف الوقت والبركة والأنابيب والفوّارة والشاذروان(٤) والساقي وزهر الخشخاش، وكان الأمير عضب الدولة قد جعل الأتراك من جانبه، والعرب إلى جانب سيف الدولة بن الصقيل:

وَيَوْمٍ أَخَذْنا بِهِ فُرْصَةً   مِنَ ٱلْعَيْشِ وَٱلْعَيْشُ مُسْتَفْرَصُ

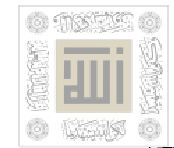
---

(١) الأدب الأصيل (ي) .

(٢) ولما حضر الأمير بالمأمونية، اقترح عليه وصف البركة والشادروان وأحوال جرت في ذلك اليوم، وكان قد انقسم عضب الدولة والأتراك إلى موضع، وسيف الدولة والعرب إلى موضع، فقال . . . .

(٣) المأمونية : بستان قرب قرية جوبر (من أرياض دمشق) من جهة الغرب. ومن المحلات التابعة لحي القصاع بدمشق محلة تعرف اليوم بمحلة المأمونية .

(٤) الشاذروان : يراد به مسيل في جدار أو مصب، ينحدر عليه الماء إلى حوض . قال ابن جبير يصف سقاية في الربوة بدمشق: « . . . وفيها سقاية لم ير أحسن منها، قد سيق إليها الماء من علو، وماؤها ينصب على شاذروان في الجدار، متصل بحوض من رخام يقع الماء فيه.» رحلة ابن جبير طبعة ليدن الثانية ص ٢٧٦ ، وانظر أيضاً ص ٢٨٤ ، وانظر (قاطول) في معجم البلدان، فقد ورد ذكر الشاذروان .



رَكَضْنا مَعَ ٱللَّهْوِ فِيهِ ٱلصِّبَىٰ ... وَأَفْراسُهُ مَرَحًا تَقْمِصُ

إِلَىٰ(١) جَنَّةٍ لا مَدىٰ عَرْضِها ... يَضِيقُ وَلا ظِلُّها يَقْلِصُ

أَعَزُّ ٱلْمَآرِبِ فِيها يَهُونُ ... وَأَغْلَىٰ ٱلسُّرُورِ بِها يَرْخُصُ

وَشَرْبٍ تَعاطَوْا كُؤُوسَ ٱلْحَياةِ ... فَما كَدَّرُوها وَلا نَغَّصُوا

سَدَدْنا بِها طُرُقاتِ ٱلْهُمُومِ ... فَعادَتْ عَلى عَقْبِها تَنْكُصُ

فَلَوْ هَمَّ هَمٌّ بِنا لَمْ يَجِدْ ... طَرِيقًا إِلَيْنا بِها يَخْلُصُ

ظَلِلْنا كَجَيْشَيْ كِفاحٍ تَكُرُّ(٢) ... عَلَى ٱلْعُرْبِ أَتْراكُهُ ٱلْخُلَّصُ

لَدىٰ بِرْكَةٍ حُرِّكَتْ راؤُها ... فَلَيْسَتْ تُفَلُّ وَلا تُنْقَصُ

تَغَنَّىٰ لَنا طَرَبًا ماؤُها ... وَقامَتْ أَنابِيبُها تَرْقُصُ

يُرِيكَ ٱلْجَواهِرَ تَقْبِيبُها ... وَهُنَّ طَوافٍ بِها غُوَّصُ

وَمُسْتَضْحِكٍ ذَهَبِيِّ ٱلشِّفاهِ ... بِما جَزَّعُوا مِنْهُ أَوْ فَصَّصُوا

مُنِيفٍ يَخِرُّ(٣) بِذَوْبِ ٱللُّجَيْنِ ... عَلَى ذَهَبٍ سَبْكُهُ ٱلْمُخْلَصُ

تَرىٰ ٱلطَّيْرَ وَٱلْوَحْشَ مِنْ جانِبَيْـهِ ... يَشْكُو ٱلْبِطَيْنَ بِها ٱلْأَخْمَصُ

---

(١) لم يرد هذا البيت فى (ن) .
(٢) يكو (ك ، ت) .
(٣) يجر ديول اللجين (ت) .

دَوانٍ رَوانٍ فَلا هٰـــــذِهِ تُراعُ وَلا هٰــذِهِ تُقْنَصُ
تَرىٰ آمِناً فِيهِ سِرْبَ ٱلظِّبا ءِ وَٱلذِّئْبُ ما بَيْنَها يَرْعَصُ(١)
وَفَوّارَةٍ ما بَغىٰ وَصْفَهــــا جَرِيرٌ(٢) وَلا رامَهُ(٣) ٱلْأَحْوَصُ(٤)
كَأَنَّ لَها مَطْلَباً في ٱلسَّما ءِ فَهْيَ عَلَى نَيْلِهِ تَحْرِصُ
إِذا ما وَفىٰ قَدُّها بِٱلسُّمُوِّ أَخْلَفَهــــا عُنُقٌ يُوْقَصُ(٥)
وَتَوَّجَهــا ٱلشَّرْبُ نارَنْجَةً فَخِلْتُ ٱلْمُذَبَّةَ تَسْتَخْوِصُ
مُشَجَّرَةَ ٱلْمــــاءِ نَخْلِيَّةً كَجُمَّةِ شَمْطــــاءَ لا تُعْقَصُ
وَدَوْحٍ أَغانِيُّ قُمْرِيِّـــهِ يَهُزُّ(٦) ٱللَّبِيبَ وَيَسْتَرْقِصُ
يَشُوقُ وَبَيِّنُهُ مُشْكِلٌ وَيَشْجُو وَمُسْهِلُهُ أَعْوَصُ
وَرَوْضٍ جَلا ٱلنَّوْرَ خَشْخاشُهُ تَحارُ لَهُ ٱلْعَيْنُ أَوْ تَشْخَصُ
كَأَنَّ بِهِ مَعْشَراً وُقَّفاً بِزِينَةِ عِيـــدٍ لَهُ أَخْلَصُوا

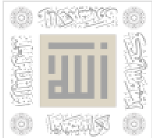
---

(١) يَرْعَصُ : يختلج .
(٢) جرير بن عطية الشاعر المشهور (٢٨ — ١١٠) .
(٣) ولا سامه (ك) .
(٤) الأحوص : عبد الله بن محمد الأنصاري، شاعر من أهل المدينة، حسن الديباجة حلو الغزل، توفي سنة ١٠٥ .
(٥) وَقِصَ يَوْقَص : قصر عنقه حلقةً .
(٦) تهز اللبيب وتسترقص (ك ، ن) .

تَخالَفُ فِي ٱلشَّكْلِ تِيجانُهُمْ وَتَحْكِي غَلائِلَها ٱلْأَقْمُصُ
فَمِنْ أَبْيَضٍ يَقَقٍ لَوْنُهُ يَرُوقُكَ كافُورُهُ ٱلْأَخْلَصُ
وَمِنْ أَحْمَرٍ شابَهُ زُرْقَةٌ حَكَىٰ ٱلْوَجَناتِ إِذا تُقْرَصُ
وَحِلْفَيْنِ (١) مِثْلُهُما يُصْطَفَىٰ لِيَوْمِ ٱلْمُدامِ وَيُسْتَخْلَصُ
رَسِيلَيْنِ مَعْناهُما فِي ٱلْغِناءِ أَدَقُّ وَلَفْظُهُما أَخْلَصُ
يَظَلُّ ٱلْحَلِيمُ إِذا غَنَّيا كَأَنَّ فَرائِصَهُ تُفْرَصُ (٢)
وَبَيْنَ ٱلسُّقاةِ مَرِيضُ ٱلْجُفُونِ يَسُومُ ٱلْقُلُوبَ فَيَسْتَرْخِصُ
غَنِيٌّ بِأَلْحاظِهِ لَوْ يَشاءُ عَنِ ٱلْكَأْسِ لٰكِنَّهُ أَحْرَصُ
فَدُونَكُمُ فَاسْأَلُوا (٣) طَرْفَهُ وَعَنْ خَبَرِي فِيهِ لا تَفْحَصُوا
إِذا ما غَدَوْنا (٤) عَلَى (٥) لَذَّةٍ فَحَظٌّ مُفارِقَنا ٱلْأَنْقَصُ
مَحاسِنُ فِي (٦) حَسَناتِ ٱلْأَمِيرِ تَصْغُرُ قَدْراً وَتُسْتَنْقَصُ

---

(١) يريد بالحلفين المغنيين .
(٢) فرَصَ فلاناً : أصاب فريصته . والفريصة: لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع. وفي (ظ) تُقْرَصُ .
(٣) فسلوا (ن) .
(٤) عدونا (ظ) .
(٥) إلى لذة (ن) .
(٦) من (ك) .

سَقَى ٱللّٰهُ مَنْ لَمْ يَزَلْ جُودُهُ ... يَعُمُّ إِذا مَعْشَرٌ خَصَّصُوا
فَكائِنْ مَحا بِنَداهُ ٱلْعُفاهُ ... ذُنُوبَ ٱلزَّمانِ وَكَمْ مَحَّصُوا
وَكُنْتُ إِذا عَنَّ بَحْرُ[1] ٱلْقَرِيضِ ... فَـإِنِّي عَلَى دُرِّهِ أَغْوَصُ

* * *

٨٤

وقال أيضاً، في مجلس سرابه، وقد أحضر سبع من ورد، وفي فمه وردة حمراء دون حسده جميعاً، فأنشأ[2]:

لَنا أَسَدٌ وَرْدٌ سَبانا بِهِ[3] ٱلْهَوَى ... وَما كانَ يُهْوَى قَبْلَهُ ٱلأَسَدُ ٱلْوَرْدُ
يُحَبِّبُ[4] لِي مِنْ أَجْلِهِ كُلُّ ضَيْغَمٍ ... هَصُورٍ وَتُصْبِينِي[5] إِلَى قُرْبِها ٱلأُسْدُ
لَهُ وَرْدَةٌ حَمْراءُ فِي فِيهِ غَضَّةٌ ... يُرَى عادِيًا مِنْها وَإِنْ كانَ لا يَعْدُو
كَلَيْثٍ قَرِيبٍ بِٱلْفَرِيسَةِ عَهْدُهُ ... فَباقِي[6] دَمِ ٱلْمَفْرُوسِ فِي فَمِهِ يَبْدُو

* * *

(١) سحر القريص (ي)، حر القريض (ك).
(٢) لم ترد هده القطعة إلا فى (ك)، وورد ثلاثة أبيات منها في بدائع البدائه للاردي ص ١٠١ على هامش الجزء الثاني من معاهد التنصص للعباسي.
(٣) في الأصل سبانا له الهوى، والتصحيح من بدائع البدائه.
(٤) لم يرد هدا البيت في بدائع البدائه.
(٥) في الأصل (وتسبيي).
(٦) في الأصل (فتلقى)، والتصحيح من بدائع البدائه.

٨٥

وقال أيضاً بديهاً (١) :

لِلّٰهِ نَيْلُ مَسَرَّةٍ ضَمِنَ ٱلْهَوىٰ فَوَفَىٰ عَلَى رَغْمِ ٱلنَّوىٰ بِضَمانِهِ
سَمَحَ الزَّمانُ بِصَفْوِهِ وَجَرَىٰ بِنا فِيهِ السُّرُورُ يَمُدُّ (٢) فِي مَيْدانِهِ
بِمُقَرْطَقٍ يَمْحُو إِساءَةَ صَدِّهِ فَالْحُبُّ إِنَّ ٱلْحُسْنَ مِنْ إِحْسانِهِ
اَلْوَرْدُ فِي وَجَناتِهِ وَالْخَمْرُ فِي رَشَفاتِهِ وَالسِّحْرُ فِي أَجْفانِهِ
فَكَأَنَّما الرَّوْضُ ٱسْتَعارَ مَحاسِناً مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهِ وَمَفْخَرِ شَانِهِ
فَلِثَغْرِهِ ٱلْمَرْشُوفِ رِقَّةُ نَوْرِهِ وَلِقَدِّهِ ٱلْمَهْزُوزِ نَشْوَةُ بانِهِ

* * *

٨٦

وقال بديهاً ، وقد أمره الأمير بوصف منثور ، حضر ، أحمر وأصفر (٣) :

تَأَمَّلْ بَدائِعَ ما يَصْطَفِيكَ بِهِ الرَّوْضُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ عَجِيبِ
فَفِي نَظْمِ مَنْثُورِهِ قُرَّةُ ٱلْـعُيُونِ وَفِيهِ حَياةُ ٱلْقُلُوبِ

---

(١) لم ترد هذه القطعة إلا في (ك) .
(٢) في الأصل يمد .
(٣) لم ترد هذه الأبيات إلا في (ك) .

تَبَدَّتْ غَرائِبُ أَنوارِهِ (تُلاقِي بِها)[١] كُلَّ حُسْنٍ وَطِيبِ
فَمِنْ أَحْمَرٍ ضَمَّهُ أَصْفَرٌ كَلَوْنِ ٱلْمُحِبِّ وَلَوْنِ ٱلْحَبِيبِ
تَلاصَقَ خَدَّاهُما لِلعِناقِ وَقَدْ وَجَدا غَفْلَةً مِنْ رَقِيبِ

* * *

٨٧

وقال[٢] يرثي السلارقول[٣] بن الأمير عثمان، وكان قتل في البقاع سنة ٥٠١،[٤] ويعزي به الأمير عضب الدولة :

لَيْسَ ٱلْبُكاءُ وَإِنْ أُطِيلَ بِمُقْنِعِي اَلْخَطْبُ أَعْظَمُ قِيمَةً مِنْ أَدْمُعِي
أَوَ كُلَّما أَوْدَى ٱلزَّمانُ بِمُنْفِسٍ[٥] مِنِّي جَعَلْتُ إِلَى ٱلْمَدامِعِ مَفْزَعِي
هَلاَّ شَجانِي أَنَّ نَفْسِيَ لَمْ تَفِظْ[٦] أَسَفاً وَأَنَّ حَشايَ لَمْ تَتَقَطَّعِ

(١) ما بين الهلالين غير واضح في المخطوطة .
(٢) وقال أيضاً يعزيه بالسلارقول بن الأمير عثمان ، وكان عزيزاً عنده ، مكيناً منه ، فخرج معه إلى البقاع ، فقتله الأفرنج ، ووجد عليه وجداً شديداً (ك) .
(٣) سالار : كلمة فارسية معناها : الرئيس والقائد .
(٤) سنة احدى عشر وخمس ماية (ت)، سنة واحد وخمسين وخمسماية (م ، ع)، والصواب ما اثبتناه لأن عضب الدولة توفي سنة ٥٠٢ .
(٥) المُنْفِسُ : مايتنافس به .
(٦) لم تفض (ك ، ن ، ت) .

ما كانَ هٰذا ٱلْقَلْبُ أَوَّلَ صَخْرَةٍ مَلْمُومَةٍ قُرِعَتْ فَلَمْ تَتَصَدَّعِ
أَلْقىٰ ٱلسِّلامَ (١) عَلَى أَبَرَّ مُؤَمَّلٍ وَحَثا ٱلتُّرابَ عَلَى أَغَرَّ سَمَيْدَعِ (٢)
يا لَلرِّجالِ لِنازِلٍ لَمْ يُحْتَسَبْ وَلِحادِثٍ ما كانَ بِٱلْمُتَوَقَّعِ
ما خِلْتُنِي أَلْجا إِلىٰ صَبْرٍ عَلَى زَمَنٍ بِتَفْرِيقِ ٱلْأَحِبَّةِ مُولَعِ
تَٱللّٰهِ (٣) ما جارَ ٱلزَّمانُ وَلا ٱعْتَدىٰ بِأَشَدَّ مِنْ هٰذا ٱلْمُصابِ وَأَوْجَعِ
خَطْبٌ يُبَرِّحُ بِٱلْخُطُوبِ وَفادِحٌ مَنْ لَمْ يَمُتْ جَزَعاً لَهُ لَمْ يَجْزَعِ
لا أَسْمَعَ ٱلنّاعِي فَأَيْسَرُ ما جَنىٰ صَدْعُ ٱلْفُؤادِ بِهِ وَوَقْرُ ٱلْمَسْمَعِ
ياقُولُ (٤) قَوْلَةَ مُكْمَدٍ مُسْتَنْزِرٍ ماءَ ٱلشُّؤُونِ لَهُ وَنارَ ٱلْأَضْلُعِ
شاكِي ٱلنَّهارِ إِذا تَأَوَّبَ لَيْلُهُ هَجَعَ ٱلسَّلِيمُ وَطَرْفُهُ لَمْ يَهْجَعِ
مَلْآنَ مِنْ حُزْنٍ فَلَيْسَ لِتَرْحَةٍ أَوْ فَرْحَةٍ بِفُؤادِهِ مِنْ مَوْضِعِ
يَبْكِي (٥) لَهُ مَنْ لَيْسَ يَبْكِي مِنْ أَسىً وَجْداً وَيَصْدَعُ قَلْبُ مَنْ لَمْ يَصْدَعِ

---

(١) السِّلام : جمع سَلِمة وهي الحجارة .
(٢) كذا ، بالدال المهملة ، في جمع النسخ ، والسميذع : السيد الكريم الشريف السخي ، ولا يقال بالدال المهملة .
(٣) بالله . . . (ن) .
(٤) يريد به المرثي السلارقول .
(٥) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .

أَشْكُو إِلىٰ ٱلْأَيّامِ فِيكَ رَزِيَّتِي ... لَوْ تَسْمَعُ ٱلْأَيّامُ شَكْوىٰ مُوجَعِ
وَأَبِيتُ مَمْنُوعَ ٱلْقَرارِ كَأَنَّنِي ... ما راعَنِي ٱلْحَدَثانُ قَطُّ بِأَرْوَعِ
وَرَنِينِ مَفْجُوعٍ لَدَيْكَ وَصَلْتُهُ ... بِحَنِينِ باكِيَةٍ عَلَيْكَ مُرَجِّعِ
غَلَبَ ٱلْأَسىٰ فِيكَ ٱلْأُساةَ فَلا أَرىٰ ... مَنْ لا يُكاثِرُ عَبْرَتِي [1] وَتَفَجُّعِي
فَإِذا صَبِرْتُ فَقَدْتُ [2] مِثْلِيَ صابِراً ... وَإِذا بَكَيْتُ وَجَدْتُ مَنْ يَبْكِي مَعِي
قَدْ غَضَّ يَوْمُكَ ناظِرِي بَلْ فَضَّ فَقْـ ... ـدُكَ أَضْلُعِي وَأَقَضَّ بَعْدُكَ مَضْجَعِي
أَخْضَعْتَنِي لِلنّائِباتِ وَمَنْ يُصَبْ ... يَوْماً بِمِثْلِكَ يَسْتَذِلَّ وَيَخْضَعِ
وَأَهانَ خَطْبُكَ ما بِقَلْبِي [3] مِنْ جَوىً ... كَالسَّيْلِ طَمَّ عَلَى ٱلْغَدِيرِ ٱلْمُتْرَعِ
يا قَوْلُ ما خانَ ٱلْبَقاءُ وَإِنَّما ... صُرِعَ ٱلزَّمانُ غَداةَ ذاكَ ٱلْمَصْرَعِ
ما كُنْتُ خائِفَها عَلَيْكَ جِنايَةً ... لَوْ كانَ هٰذا ٱلدَّهْرُ يَعْقِلُ [4] أَوْ يَعِي
صُلْ بَعْدَها يا دَهْرُ أَوْفَا كْفُفْ وَخُذْ ... مَنْ شِئْتَ يا صَرْفَ [5] ٱلْمَنِيَّةِ أَوْ دَعِ
قَدْ بانَ بِٱلْمَعْرُوفِ أَشْجىٰ بائِنٍ ... وَنَعىٰ إِلَيْنا ٱلْجُودُ أَعْلىٰ [6] مَنْ نُعِي

---

(١) دمعتي (ن) .
(٢) عدمت (ك)، وجدت (ي، ت) .
(٣) ما تقدم من أسى (ك) .
(٤) يسمع أو يعي (ك) .
(٥) يا طرف ... (م) .
(٦) أغلى (ع) .



غاضَ ٱلْحِمامُ بِزاخِرٍ مُتَدَفِّقٍ وَهَوىٰ(١) ٱلْحُسامُ بِباذِخٍ(٢) مُتَمَنِّعِ

مِنْ دَوْحَةِ ٱلْحَسَبِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْمُنْتَمىٰ وَسُلالَةِ ٱلْكَرَمِ ٱلْغَزِيرِ ٱلْمَنْبَعِ

إِنْ أَظْلَمَتْ تِلْكَ ٱلسَّماءُ فَقَدْ خَلا مِنْ بَدْرِها ٱلْأَبْهىٰ مَكانُ ٱلْمَطْلَعِ

أَوْ أَجْدَبَتْ تِلْكَ ٱلرِّباعُ فَبَعْدَما وَدَّعْتَ تَوْدِيعَ ٱلْغَمامِ ٱلْمُقْلِعِ

أَعْزِزْ عَلَيَّ بِمِثْلِ(٣) فَقْدِكَ هالِكاً خَلَعَ ٱلشَّبابَ وَبُرْدُهُ لَمْ يَخْلَعِ

لَوْ أُمْهِلَتْ تِلْكَ ٱلشَّمائِلُ لَمْ تَفُزْ يَوْماً بِأَغْرَبَ مِنْ عُلاكَ وَأَبْدَعِ

قُلْ لِي لِأَيِّ فَضِيلَةٍ لَمْ تُبْكِنِي إِنْ كانَ قَلْبِي ما بَكاكَ وَمَدْمَعِي(٤)

لِجَمالِكَ ٱلْمَشْهُورِ أَمْ لِكَمالِكَ ٱلْــمَذْكُورِ(٥) أَمْ لِنَوالِكَ ٱلْمُتَبَرِّعِ

ما خالَفَ ٱلْإِجْماعَ فِيكَ مَقالَتِي فَأُقِيمَ بَيِّنَةً عَلَى ما أَدَّعِي

أَيُضَيِّعُ ٱلْفِتْيانُ عَهْدَكَ إِنَّهُ ما كانَ عِنْدَكَ عَهْدُهُمْ بِمُضَيَّعِ

قَدْ كُنْتَ أَمْرَعَهُمْ لِمُرْتادِ ٱلنَّدىٰ كَفّاً وَأَسْرَعَهُمْ إِلىٰ ٱلْمُسْتَفْزِعِ(٦)

---

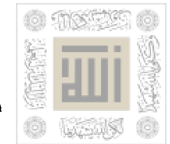
(١) وهو الحسام (م، ت) .
(٢) بشاهق (ت) .
(٣) بررء مثلك هالكا (لـ) .
(٤) وأدمعي (ت) .
(٥) الموفور (ت) .
(٦) محل هذا البيت في (لـ) بعد الذي يليه هنا .

حَلِيَتْ مَجالِسُهُمْ بِذِكْرِكَ وَحْدَهُ ... وَعَطِلْنَ مِنْ ذاكَ الْأَبِيِّ الْأَرْوَعِ
وَالدَّهْرُ(١) يَقْطَعُ بَعْدَ طُولِ تَواصُلٍ ... وَيُشِتُّ بَعْدَ تَلاؤُمٍ وَتَجَمُّعِ
قُبْحاً لِعادِيَةٍ رَمَتْكَ فَإِنَّها ... عَدَتِ الذَّلِيلَ إِلَى الْأَعَزِّ الْأَمْنَعِ
ما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ ضَيْماً واصِلٌ ... بِيَدِ الدَّنِيِّ إِلَى الشَّرِيفِ الْأَرْفَعِ(٢)
قَدَرٌ تَرَفَّعَ يَوْمَ رُزْئِكَ هَمُّهُ ... فَرَمَى إِلَى الْغَرَضِ الْبَعِيدِ الْمَنْزِعِ
كَيْفَ الْغِلابُ وَكَيْفَ بَطْشُكَ واحِداً ... فَرْداً وَأَنْتَ مِنَ الْعِدَى فِي مَجْمَعِ
عَزَّ الدِّفاعُ وَما عَدِمْتَ مُدافِعاً ... لَوْلا مَقادِرُ ما لَها مِنْ مَدْفَعِ
وَلَقَدْ لَقِيتَ الْمَوْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ ... كَرَماً بِأَنْجَدَ مِنْهُ ثَمَّ وَأَشْجَعِ
عِفْتَ الدَّنِيَّةَ وَالْمَنِيَّةُ دُونَها ... فَشَرَعْتَ فِي حَدِّ الرِّماحِ الشُّرَّعِ
وَلَوَ انَّكَ(٣) اخْتَرْتَ الْأَمانَ وَجَدْتَهُ ... أَنَّى(٤) وَخَدُّ اللَّيْثِ لَيْسَ بِأَضْرَعِ
مَنْ كانَ مِثْلَكَ لَمْ يَمُتْ إِلَّا لَقًى(٥) ... بَيْنَ الصَّوارِمِ وَالْقَنا الْمُتَقَطِّعِ

---

(١) فالدهر (ك) .
(٢) الأروع (ح) .
(٣) لو أنك ... (ي) .
(٤) إني وحدت الليث ... (ك) .
(٥) اللقى : الملقى المطروح .





جادَتْكَ وَاكِفَةُ الدُّمُوعِ وَلَمْ تَكُنْ(١) لَوْلاكَ مُخْجِلَةَ الْغُيُومِ(٢) الْهُمَّعِ

وَبُكاكَ مَنْهَلُّ الْغَمامِ فَإِنَّهُ ما كانَ مِنْكَ إِلى السَّماحِ بِأَسْرَعِ

وَتَعَهَّدَتْ مَغْناكَ سارِيَةٌ مَتى تَذْهَبْ تَعُدْ وَمَتى تُفارِقْ تَرْجِعِ

تَغْشاكَ تائِقَةً تَزُورُ وَتَنْثَنِي بِمُسَلِّمٍ مِنْ مُزْنِها(٣) وَمُوَدِّعِ

تَحْبُوكَ مَوْشِيَّ الرِّياضِ وَإِنَّما تُهْدِي الرَّبِيعَ إِلى الرَّبِيعِ الْمُمْرِعِ

لا يُطْمِعِ الْأَعْداءَ يَوْمٌ سَرَّهُمْ إِنَّ الرَّدى فِي طَيِّ ذاكَ الْمَطْمَعِ

اَلثَّأْرُ مَضْمُونٌ وَفِي أَيْمانِنا بِيضٌ كَخاطِفَةِ الْبُرُوقِ اللُّمَّعِ

وَذَوابِلٌ تَهْوِي إِلى ثُغَرِ الْعِدى تَوْقَ الْعِطاشِ إِلى صَفاءِ الْمَشْرَعِ

قَدْ آنَ لِلدَّهْرِ(٤) الْمُضِلِّ سَبِيلَهُ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمَهْيَعِ

مُسْتَدْرِكاً غَلَطَ اللَّيالِي فِيكُمُ مُتَنَصِّلاً مِنْ جُرْمِها الْمُسْتَفْظَعِ

أَفَغَرَّكُمْ أَنَّ الزَّمانَ أَجَرَّكُمْ طِوَلاً بِغَيِّكُمُ الْوَخِيمِ الْمَرْتَعِ

هَلاَّ(٥) وَمَجْدُ الدِّينِ(٦) قَدْ عَصَفَتْ بِكُمْ عَزَماتُهُ بِالْغَوْرِ(٧) عَصْفَ الزَّعْزَعِ

---

(١) فلم تكن (ك) .
(٢) العيوث (ت)، الغمام (ك)، العيون (ي)، الدموع (س، ظ، م، ع).
(٣) من صوبها (ك) .
(٤) هذه رواية (ك)، وفي بقية النسخ : قد آن للحظ ...
(٥) هذا ... (ك) .
(٦) مجد الدين : من ألقاب عصب الدولة .
(٧) الغور : هنا هو غور الاردن .

وَغداةَ عَلْعالَ(١) ٱلَّتي رَوَّتْكُمُ ... بِٱلْبيضِ مِنْ سُمِّ ٱلضِّرابِ ٱلْمُنْقَعِ

لا تَأْمَنُنَّ صَريعَةً عَضْبيَّةً ... مِنْ أَنْ تُقيمَ ٱلْحَقَّ عِنْدَ ٱلْمَقْطَعِ

بِقَنًا لِغَيْرِ رِداكُمُ لَمْ تُعْتَقَلْ ... وَظُبىً لِغَيْرِ بَوارِكُمْ(٢) لَمْ تُطْبَعِ

يا خَيْرَ مَنْ سُمِّي وَأَكْرَمَ(٣) مُرْتَجِي(٤) ... وَأَبَرَّ مَنْ نُودِي وَأَشْرَفَ مَنْ دُعِي

إِنّا وَإِنْ عَظُمَ ٱلْمُصابُ فَلا ٱلْأَسى ... فيهِ ٱلْعَصِيُّ وَلا ٱلسُّلُوُّ بِطَيِّعِ

لَنَرى بَقاءَكَ نِعْمَةً مَحْقوقَةً ... بِٱلشُّكْرِ ما سُقِيَ ٱلْأَنامُ وَما رُعِي

وَلَقَدْ عَلِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ بِمُعَلَّمٍ ... أَنَّ ٱلْأَسى وَٱلْوَجْدَ(٥) لَيْسَ بِمُنْجِعِ

هَيْهاتَ غَيْرُكَ مَنْ يَضيقُ بِحادِثٍ ... وَسِواكَ مَنْ يَعْيى بِحَمْلِ ٱلْمُضْلِعِ(٦)

دانَتْ لَكَ ٱلدُّنْيا كَأَحْسَنِ(٧) رَوْضَةٍ ... شُعِفَ(٨) ٱلنَّسيمُ بِنَشْرِها ٱلْمُتَضَوِّعِ

---

(١) علعال : جبل بالشام، مشرف على البثنية، بين الغور وجبال الشراة .
(٢) رقابكم (ب) .
(٣) وأكرم (ك) .
(٤) من يحيي (ح)
(٥) والحزن (ن) .
(٦) المطلع (س ، ظ ، م ، ع)، المطلع (ي ، ت) .
(٧) بأحسن (ك ، ت) .
(٨) شغف (ي ، ح) .

لا زالَ رَبْعُ عُلاكَ غَيْرَ مُعطَّلٍ أَبداً وَسِرْبُ حِماكَ غَيْرَ مُرَوَّعِ
ما تاقَ ذُو شَجَنٍ إِلىٰ سَكَنٍ وَما وَجَدَ ٱلْمُقِيمُ عَلاقَةً بِٱلْمُزْمِعِ(١)

* * *

٨٨

وقال بديهاً على السكر، في غلام كان يسقي في مجلس الأمير عضب الدولة رحمه الله، وعليه قباء أخضر :

سَقـــانِي بِعينَيْهِ شِبْهَ ٱلَّتي بِكَفَّيْهِ هٰذا ٱلأَغَنُّ ٱلرَّشِيقُ
فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُما ٱلْمُسْكِرِي(٢) وَأَيُّ ٱلشَّرابَيْنِ مِنْهُ ٱلرَّحِيقُ
بَدا فِي قَبـــاءٍ لَهُ أَخْضَرٍ كَما ضَمِنَ ٱلنَّوْرَ رَوْضٌ أَنِيقُ
وَقَدْ أَسِيَ(٣) ٱلدُّرُّ مِنْ ثَغْرِهِ وَأُخْجِلَ مِنْ وَجْنَتَيْهِ ٱلشَّقِيقُ
فَما كِدْتُ مِنْ سَكْرَتِي أَنْ أُفِيقَ وَكَيْفَ يُفِيقُ ٱلْمُحِبُّ ٱلْمَشُوقُ
عَلَى كَبِدِي مِنْهُ بَرْدُ ٱلرِّضىٰ وَإِنْ كانَ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْهُ ٱلْحَرِيقُ(٤)
وَلَسْتُ بِــأَوَّلِ ذِي صَبْوَةٍ تَحَمَّلَ فِي ٱلْحُبِّ ما لا يُطِيقُ

* * *

---

(١) للمزمع (ن) .
(٢) مسكري (ج) .
(٣) أسبأ (ك)، ومعنى أسبأ : خضع .
(٤) حريق (ن) .

٨٩

وقال يمدح عضب الدولة :

سَلُوا سَيْفَ أَلْحاظِهِ ٱلْمُمْتَشَقْ أَعِنْدَ ٱلْقُلُوبِ دَمٌ لِلْحَدَقْ
أَما مِنْ مُعِينٍ وَلا عاذِرٍ إِذا عَنُفَ(١) ٱلشَّوْقُ يَوْماً رَفَقْ
تَجَلَّى(٢) لَنا صارِمُ ٱلْمُقْلَتَيْـــنِ ماضِي ٱلْمُوَشَّحِ وَٱلْمُنْتَطَقْ
مِنَ ٱلتُّرْكِ ما سَهْمُهُ لَوْ رَمى(٣) بِأَقْتَلَ(٤) مِنْ لَحْظِهِ(٥) إِذْ رَمَقْ(٦)
تَعَلَّقْتُهُ وَكَأَنَّ ٱلْجَمالَ يُضاهِي غَرامِي بِهِ وَٱلْعَلَقْ
وَلَيْلَةَ راقَبْتُـــهُ زائِراً سَمِيرَ ٱلسُّهادِ ضَجِيعَ ٱلْقَلَقْ
كَأَنِّي لِرِقْبَتِـــهِ حابِلٌ دَنَتْ أُمُّ خَشْفٍ لَهُ مِنْ وَهَقْ
دَعَتْنِي ٱلْمَخافَةُ مِنْ فَتْكِهِ إِلَيْهِ وَكَمْ مُقْدِمٍ مِنْ فَرَقْ
وَقَدْ راضَتِ ٱلْكَأْسُ أَخْلاقَــهُ وَوُقِّرَ بِٱلسُّكْرِ مِنْهُ ٱلنَّزَقْ

---

(١) إذا خفى . . . (ن) .
(٢) تحلى (ت) .
(٣) إد رمى (ك) .
(٤) بأفتك (ت) .
(٥) من طرفه (ي ، ن ، ت) .
(٦) رَمَقَ : لحظ لحظاً حفيفاً .



وَحُقَّ (١) ٱلعِنَـــاقُ فَقَبَّلْتُهُ شَهِيَّ ٱلْمُقَبَّلِ وَٱلْمُعْتَنَقْ
وَباتَتْ ثَنايَـاهُ عانِيَّةَ (٢) ٱلْـمَرَشَّفِ (٣) دارِيَّةَ (٤) ٱلْمُنْتَشَقْ
وَبِتُّ أُخالِجُ شَكِّي بِهِ أَزْوَرٌ طَرا أَمْ خَيـالٌ طَرَقْ
أُفَكِّرُ فِي ٱلْهَجْرِ كَيْفَ ٱنْقَضَىٰ وَأَعْجَبُ لِلْوَصْلِ كَيْفَ ٱتَّفَقْ
فَلِلْحُبِّ ما عَزَّ مِنِّي وَهانَ وَلِلْحُسْنِ ما جَلَّ مِنْـهُ وَدَقّْ
لَقَدْ أَبِقَ (٥) ٱلْعُدْمُ مِنْ راحَتَيَّ لَمَّـا أَحَسَّ بِنُعْمىٰ أَبَقْ (٦)
تَطاوَحَ (٧) يَهْرُبُ مِنْ جُودِهِ وَمَنْ أَمَّهُ ٱلسَّيْلُ خافَ ٱلْغَرَقْ

* * *

(١) وحان (ك) .
(٢) عانة : قرية على الفرات، ينسب إليها الخمر العانيَّة .
(٣) المراشف (ك ، ت) .
(٤) نسبة إلى دارين، وهي فرضة في البحرين يحمل اليها المسك من الهند .
(٥) أَبِقَ : هرب من سيده .
(٦) أَبَقْ : اسم عضب الدولة .
(٧) تطاوحت به النوى : ترامت ، وتطوَّح في البلاد : رمى نفسه فيها وذهب فيها ههنا ههنا .



٩٠

وقال نديماً، وعضب الدولة يرمي في مجلس الشراب :

لَقَدْ غالَ نَبْلُكَ(١) يا نابِلُ ... وَقَصَّرَ عَنْ فِعْلِكَ ٱلْقائِلُ
أَسَهْمُكَ حِينَ يُصِيبُ ٱلْقَضا ... ءُ أَمْ يَدُكَ ٱلْقَدَرُ ٱلنّازِلُ
يَدٌ لِلنَّدىٰ وَٱلرَّدىٰ صَوْبُها ... فَعَزْمُكَ مُحْيٍ بِها قاتِلُ
فَلَيْسَ يَطِيشُ لَهَا مُرْسَلٌ ... كَما لا يَخِيبُ لَهَا آمِلُ

* * *

٩١

وقال يرثي الأمير عضب الدولة (توفي ليلة عيد النحر سنة اثنتين وخمس مائة(٢) :

أَبَعْدَكَ أَتَّقِي نُوَبَ ٱلزَّمانِ ... أَبَعْدَكَ أَرْتَجِي دَرَكَ ٱلْأَماني
أَيَجْمُلُ بِيَ ٱلْعَزاءُ وَأَنْتَ ثاوٍ(٣) ... أَيَحْسُنُ بِي ٱلْبَقاءُ وَأَنْتَ فانِ
لِكُلِّ رَزِيَّةٍ أَلَمٌ وَمَسٌّ ... وَلا كَرَزِيَّةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْهِجانِ

---

(١) سهمك (س ، ظ ، م ، ع) .
(٢) الزيادة بين الهلالين من (ك) .
(٣) ثوي الميت : قبر . وفي (ي) بالتاء . والتاوي : الهالك .



وَما أَنا بِٱلرَّبِيطِ ٱلْجَأْشِ فِيها ... فَأَسْلُوَهُ وَلا ٱلثَّبْتِ ٱلْجَنانِ

أَلامُ عَلَى ٱمْتِناعِ ٱلشِّعْرِ مِنِّي ... وَما عِنْدَ ٱللَّوائِمِ ما دَهانِي

أَلِي(١) قَلْبٌ أَلِي(١) لُبٌّ فَأَمْضِي ... مَضاءَ(٢) ٱلسَّيْفِ فِيهِ وَٱلسِّنانِ

كَفَى بِدَلِيلِ حُزْنِي أَنَّ دَمْعِي ... أَطاعَ وَأَنَّ فِكْرِيَ قَدْ عَصانِي

إِذا خَطَرَتْ لِمَجْدِ ٱلدِّينِ(٣) ذِكْرَى ... وَجَدْتُ ٱلشِّعْرَ حَيْثُ ٱلشِّعْرَيانِ(٤)

وَما إِنْ ذاكَ تَقْصِيرٌ بِحَقٍّ ... وَلٰكِنَّ ٱلْأَسَى قَيْدُ ٱللِّسانِ

وَمَنْ كَمُصِيبَتِي وَعَظِيمِ رُزْئِي ... أُصِيبَ وَمَنْ عَراهُ كَما عَرانِي

أَعَضْبَ ٱلدَّوْلَةِ ٱخْتَرَمَتْكَ(٥) مِنّا ... يَدٌ ما لِلْأَنامِ بِها يَدانِ

وَكُنْتَ(٦) ٱلسَّيْفَ تُشْحَذُ شَفْرَتاهُ ... لِفَلِّ كَتِيبَةٍ وَلِفَكِّ عانِ

فَقُطِّعَ بِٱلنَّوائِبِ صَفْحَتاهُ(٧) ... وَفُلِّلَ بِٱلْخُطُوبِ ٱلْمَضْرِبانِ

---

(١) ألا (ك ، ح) .

(٢) مُصيبٌ . . . (ي) .

(٣) مجد الدين : من ألقاب عضب الدولة .

(٤) الشِّعريان : كوكبان هما الشِّعرى العَبور والشِّعرى الغُمَيْصاء .

(٥) اختلستك (هامش ظ) .

(٦) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .

(٧) شفرتاه (ن) .

سَحابٌ لِلْأَباعِـدِ مُسْتَهِلٌّ (١) وَبَحْرٌ مُسْتَفِيضٌ لِلْأَداني
وَبَدْرٌ لَوْ أَضاءَ لَما أَسِبْنا عَلَى أَنْ لا يُضِيءَ النَّيِّرانِ
سَأُنْفِقُ ما بَقِيتُ (٢) عَلَيْكَ عُمْرِي بُكاءً شَأْنُهُ أَبَداً وَشانِي
وَلَوْ أَنِّي قَتَلْتُ عَلَيْكَ نَفْسِي مُكافاةً لِحَقِّكَ ما كَفانِي

* * *

٩٢

وقال (٣) يمدح تاج الملوك (٤) :

هُوَ الرَّسْمُ لَوْ أَغْنَى الْوُقُوفُ عَلَى الرَّسْمِ هُوَ الْحَزْمُ لَوْلا بُعْدُ عَهْدِكَ بِالْحَزْمِ

---

(١) مستمد (ك) .
(٢) ما حييت (ك) .
(٣) وكان كثيراً ما ينشد قصيدته، التي مدح بها يمين الملك أبا النجم الاصفهاني:
أيا بين ما سلطت إلا على ظلمي (ويا حب ما أبقيت مني سوى الوهم)
فيستبدعها ويستحسن مقاصده فيها، فقال تمدحه بوزنها :
هو الرسم لو أعنى الوقوف على رسم هو الحزم لولا بعد عهدك بالحزم
(ك)، وقال يمدح الأمير الاجل فخر الدين تاج الملوك أبا سعيد بوري بن الأمير ظهير الدين أتابك (ن ، ي) ، وقال يمدح تاج الملوك أبا سعيد بوري (ت).
(٤) تاج الملوك أبو سعيد بوري بن طغتكين، ولد في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وولي إمرة دمشق بعد موت أبيه طغتكين في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسماية، وكانت سيرته غريبة وكان فيه حلم وسماحة، وفي سنة خمس وعشرين وخمسماية، هجم عليه أعجميان من الباطنية فجرحاه بجراحات أثخنته، وبقي مجروحا إلى أن مات في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين وخمسماية (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ — ٢٩٦) .



تَجاهَلْتُ عِرْفاني بِهِ غَيْرَ جاهِلٍ وَلِلشَّوْقِ آياتٌ تَدُلُّ عَلى عِلْمي
وَوَاللّٰهِ ما أَدْري أَبَوْحِيَ نافِعِي عَشِيَّةَ هاجَتْني ٱلْمَنازِلُ أَمْ كَتْمِي
عَشِيَّةَ جُنَّ ٱلْقَلْبُ فِيها جُنُونَهُ وَنازَعَنِي شَوْقِي مُنازَعَةَ ٱلْخَصْمِ
وَقَفْتُ أُداري ٱلْوَجْدَ خَوْفَ مَدامِعٍ تُبِيحُ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلْمُمَنَّعِ ما أَحْمِي
أُغالِبُ بِٱلشَّكِّ ٱلْيَقِينَ صَبابَةً وَأَدْفَعُ في[1] صَدْرِ ٱلْحَقِيقَةِ بِٱلْوَهْمِ
فَلَمَّا أَبىٰ إِلاّ ٱلْبُكاءَ لِيَ ٱلْأَسىٰ بَكَيْتُ فَما أَبْقَيْتُ لِلرَّسْمِ مِنْ رَسْمِ
وَما مُسْتَفِيضٌ مِنْ غُرُوبٍ تَنازَعَتْ عُراها ٱلسَّوانِي فَهْيَ سُجْمٌ عَلَى سُجْمِ[2]
بِأَغْزَرَ مِنْ عَيْنَيَّ يَوْمَ تَمَثَّلَتْ عَلَى ٱلظَّنِّ أَعْلامَ ٱلْحِمىٰ وَعَلَى ٱلرَّجْمِ
كَأَنِّي بِأَجْزاعِ[3] ٱلنَّقِيبَةِ[4] مُسْلَمٌ إِلىٰ ثائِرٍ لا يَعْرِفُ ٱلصَّفْحَ عَنْ جُرْمِي
لَقَدْ وَجَدَتْ وَجْدِي ٱلدِّيارُ بِأَهْلِها وَلَوْ لَمْ تَجِدْ وَجْدِي[5] لَما سَقِمَتْ سُقْمِي
عَلَيْهِنَّ وَسْمٌ لِلْفِراقِ وَإِنَّما عَلَيَّ لَهُ ما لَيْسَ لِلنّارِ مِنْ وَسْمِ

---

(١) عن (ظ).

(٢) الغُروب : جمع غَرْب، وهي الدلو العظيمة . والسواني جمع سانية، وهي الناقة يستقى عليها من البئر . والسُّجُم : جمع سَجُوم، تقول ناقة سَجوم أي دَرور .

(٣) بأجراع (س، ي، ن، ت) .

(٤) كذا في جميع النسخ، وليس لها ذكر في معجم البلدان، ولعلها (النقيّة)، وهي من قرى البحرين كما في معجم البلدان .

(٥) مثلي (ي) .

وَكَمْ قَسَمَ ٱلْبَيْنُ ٱلضَّنَى بَيْنَ مَنْزِلٍ ... وَجِسْمٍ (١) وَلٰكِنَّ ٱلْهَوى جائِرُ ٱلْقَسْمِ
مَنازِلُ أَدْراسٌ شَجاني نُحُولُها ... فَهَلاَّ شَجاها ناحِلُ ٱلْقَلْبِ وَٱلْجِسْمِ
سَقاها ٱلْحَيا قَبْلِي فَلَمَّا سَقَيْتُها ... بِدَمْعِي رَأَتْ فَضْلَ ٱلْوَلِيِّ عَلَى ٱلْوَسْمِي
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُها ما عَدَلْتُها (٢) ... عَنِ (٣) ٱلْكَرَمِ ٱلْفَيّاضِ وَٱلنّائِلِ ٱلْجَمِّ
إِذا ما نَدىً تاجِ ٱلْمُلُوكِ ٱنْبَرى لَها ... فَما عارِضٌ يَنْهَلُّ أَوْ دِيمَةٌ تَهْمِي
هُوَ ٱلْمَلْكُ أَمّا حاتِمٌ (٤) ٱلْجُودِ عِنْدَهُ ... فَيُلْغى، وَيُنْسى عِنْدَهُ أَحْنَفُ (٥) ٱلْحِلْمِ
يَجِلُّ عَنِ ٱلتَّمْثِيلِ بِٱلْماطِرِ ٱلرِّوى (٦) ... وَيَعْلُو عَنِ ٱلتَّشْبِيهِ بِٱلْقَمَرِ ٱلتِّمِّ
وَيَكْرُمُ أَنْ نَرْجُوهُ لِلأَمْرِ هَيِّناً ... وَيَشْرُفُ أَنْ نَدْعُوهُ بِٱلْماجِدِ ٱلْقَرْمِ
إِذا نَحْنُ قُلْنا ٱلْبَدْرُ وَٱلْبَحْرُ وَٱلْحَيا ... فَقَدْ ظُلِمَتْ أَوْصافُهُ غايَةَ ٱلظُّلْمِ
وَأَيْسَرُ حَقٍّ لِلْمَكارِمِ عِنْدَهُ ... إِذا هُوَ عَدَّ ٱلْغُرْمَ فِيها مِنَ ٱلْغُنْمِ
يَرُوحُ سَلُوباً لِلنُّفُوسِ مَعَ ٱلْوَغى ... وَيَغْدُو سَلِيباً لِلثَّناءِ مَعَ ٱلسِّلْمِ
وَلا يَعْرِفُ ٱلإِحْجامَ إِلاّ عَنِ ٱلْخَنا ... وَلا يُنْكِرُ ٱلإِقْدامَ إِلاّ عَلَى ٱلذَّمِّ
خَفِيفٌ إِلى ٱلْعَلْياءِ وَٱلْحَمْدِ وَٱلنَّدى ... ثَقِيلٌ عَنِ ٱلْفَحْشاءِ وَٱلْبَغْيِ وَٱلإِثْمِ

---

(١) وبيني . . . (في جميع النسخ ما عدا ت) .
(٢) ما عذلها (م ، ن ، ع)، لعدلتها (ك)، وفي هامشها : لعرضتها .
(٣) على . . . (ك) .
(٤) حاتم الطائي المشهور بالجود .
(٥) الاحنف بن قيس التميمي المشهور بالحلم .
(٦) الرِّوَى مثل إلى : الماء الكثير المروي .

سَرِيعٌ إِلَى ٱلدّاعِي بَطِيءٌ عَنِ ٱلْأَذَى ... قَرِيبٌ مِنَ ٱلْعافِي بَعِيدٌ مِنَ ٱلْوَصْمِ (١)
هُمامٌ إِذا ما ضاقَهُ ٱلْهَمُّ (٢) لَمْ يَجِدْ ... سِوَى ٱلْمَجْدِ شَيْئاً باتَ مِنْهُ عَلَى هَمِّ
إِذا ذُكِرَ ٱلْأَحْبابُ كانَ ٱدِّكارُهُ ... شِفارَ ٱلْمَواضِي أَوْ صُدُورَ ٱلْقَنا ٱلصُّمِّ
يَرَى ٱلْمالَ بَسْلاً ما عَداها وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَطْعَمَ لَيْثٌ دُونَ فَرْسٍ وَلا ضَغْمِ
وَكَمْ فِي ظُباها مِنْ ظِباءٍ غَرِيرَةٍ ... وَفِي قَصَبِ ٱلْمُرّانِ مِنْ قَصَبٍ فَعْمِ
إِذا قارَعَ (٣) ٱلْأَعْداءَ وَٱلْخَصْمَ (٤) لَمْ يَقِفْ ... عَلَى غايَةٍ بَيْنَ ٱلشَّجاعَةِ وَٱلْحَزْمِ
يُعَوِّلُ مِنْهُ ٱلْعَسْكَرُ ٱلدَّهْمُ (٥) فِي ٱلْوَغَى ... عَلَى واحِدٍ كَمْ فِيهِ مِنْ عَسْكَرٍ دَهْمِ
إِذا حَلَّ فَٱلْأَمْوالُ لِلْبَذْلِ وَٱلنَّدَى ... وَإِنْ سارَ فَٱلْأَعْداءُ لِلذُّلِّ وَٱلْوَقْمِ (٦)
حُسامُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱبْنُ سَيْفِهِ ... فَيا لَكَ مِنْ فَرْعٍ وَيا لَكَ مِنْ جِذْمِ
مُكابِدُ أَيّامِ ٱلْجِهادِ وَمَوْئِلُ ٱلْـ ... ـعِبادِ وَحامِيهِمْ وَقَدْ (٧) قَلَّ مَنْ يَحْمِي
وَمُقْتَحِمُ ٱلْأَجْبالِ يَوْمَ تَمَنَّعَتْ ... ذِئابُ ٱلْأَعادِي فِي ذَوائِبِها ٱلشُّمِّ

---

(١) هذا البيت وسبعة أبيات بعده لم ترد في (ي) .
(٢) الأمر (ت) .
(٣) قارن (س) .
(٤) والخطب (س ، ظ ، م ، ن ، ع ، ت) .
(٥) الدَّهْمُ : العدد الكثير .
(٦) الوَقْمُ : القهر والذل وأشد الحزن .
(٧) إذا قلَّ . . . (ت) .

غَداةَ يَغُورُ (١) السَّهْمُ فِي السَّهْمِ وَالقَنا ... بِحَيْثُ القَنا وَالكَلْمُ فِي مَوْضِعِ الكَلْمِ
وَلا فَرْقَ فِيها بَيْنَ عَزْمٍ وَصارِمٍ ... كَأَنَّ الظُّبىٰ فِيها طُبِعْنَ مِنَ العَزْمِ
وَما يَوْمُهُ فِي المُشْرِكِينَ بِواحِدٍ ... فَنَجْهَلَهُ وَالعالَمُونَ ذَوُو عِلْمِ
وَقَدْ عَجَمَ الأَعْداءَ مِنْ قَبْلُ عُودَهُ ... فَأَدْرَدَهُمْ (٢) وَالنَّبْعُ (٣) مُمْتَنِعُ العَجْمِ
سَمَوْتُ إِلىٰ الفَخْرِ الشَّرِيفِ مَقامُهُ ... وَمِثْلِيَ مَنْ يَسْمُو إِلَيْهِ وَمَنْ يُسْمِي
وَكُنْتُ عَلَى حُكْمِ النَّوائِبِ نازِلاً ... فَأَنْزَلَها تاجُ المُلُوكِ عَلَى حُكْمِي
وَما العُذْرُ عِنْدِي بَعْدَ أَخْذِي بِحَبْلِهِ ... إِذا قَدَمِي لَمْ أُوطِها هامَةَ النَّجْمِ
إِذا ما نَظَمْتُ الحَمْدَ عِقْداً لِمَجْدِهِ ... تَمَنَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ لَوْ كُنَّ مِنْ نَظْمِي
وَكَمْ لِلْمَعالِي مِنْ مَعالٍ بِمَدْحِهِ (٤) ... وَلِلشَّرَفِ المَذْكُورِ مِنْ شَرَفٍ فَخْمِ
أَلا لَيْتَ لِي ما حاكَهُ كُلُّ قائِلٍ ... وَما سارَ فِي عُرْبٍ مِنَ المَدْحِ أَوْ عُجْمِ
فَأُثْنِي عَلَى العِيسِ العِتاقِ لِقَصْدِهِ ... بِعاجِلِ مِنْ فِكْرِي وَما دَقَّ مِنْ فَهْمِي
فَلَمْ أَقْضِ إِبْلاً أَوْصَلَتْنِيهِ حَقَّها ... وَلَوْ عُفِّيَتْ (٥) مِنْها المَناسِمُ بِاللَّثْمِ

---

(١) يعود (ك ، ت) .
(٢) أدْرَدَ أسنانه: أذهبها . وفي (س ، ى) فأكبدهم ، وفي (ك) فأكدهم .
(٣) النبع : شجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام .
(٤) بحمده (ك ، ت) .
(٥) عنّت (ظ) ، عقبت (ت) ، ولعل الصواب : ولو حفيتْ ...

إِلَيْكَ ٱبْنَ خَيْرِ ٱلنّاسِ ظَلَّتْ رِكابُنا كَأَنَّ عَلَيها ٱلسَّيْرَ حَتْمٌ مِنَ ٱلْحَتْمِ
إِلىٰ مَلِكٍ ما حَلَّ مِثْلُ وَفارِهِ عَلَى مَلِكٍ صَتْمٍ (١) وَلا سَيِّدٍ ضَخْمِ
جَوادٌ وَما جادَتْ سَماءٌ بِقَطْرِها كَرِيمٌ وَما دارَتْ عَلَيْهِ ٱبْنَةُ ٱلْكَرْمِ
تَخَوَّنَتِ ٱلْأَيّامُ حالي وَأَقْسَمَتْ عَلَيَّ ٱللَّيالي أَنْ أَعِيشَ بِلا قِسْمِ
وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي ٱلدَّهْرُ إِلاّ حُشاشَةً وَإِلاّ كَما أَبْقىٰ نَداكَ مِنَ ٱلْعُدْمِ
رَمىٰ غَرَضَ ٱلدُّنْيا هَوايَ فَلَمْ يُصِبْ وَكَمْ غَرَضٍ مِنْها أُصِيبَ (٢) وَلَمْ أَرْمِ
وَما بَعْدَ إِفْضائي إِلَيْكَ وَمَوْقِفِي بِرَبْعِك مِنْ شَكْوىً لِدَهْرٍ (٣) وَلا ذَمِّ
وَها أَنا ذا قَدْ قُدْتُ وُدِّي وَمُهْجَتِي إِلىٰ ذا (٤) ٱلنَّدىٰ قَوْدَ ٱلذَّلُول بِلا خَزْمِ
لِتَبْسُطَ بِٱلْمَعْرُوفِ ما كَفَّ مِنْ يَدِي وَتَجْبُرَ بِٱلْإِحْسانِ ماهاضَ مِنْ عَظْمِي (٥)

* * *

(١) الصَّتْمُ : المحكم التام .
(٢) أصبتُ (ك ي) .
(٣) لديك (س) .
(٤) إلى ذي الندى (ي ، ن ، ت) .
(٥) ورد بعد هذا البيت في نسخة كوبنهاغن ، المرموز اليها بـ (ك) ، والتي يختلف ترتيبها عن بقية النسخ ، ما نصه : « هذا ما علقته من إملائه رضي الله عنه ، ولم أجد عشره في ديوانه عند جامعي شعره ومدوّني شكره ، ثم أعود إلى ما نظمه في عنفوان شبابه ورمان أطرابه ، وأبتدىء بالسابق من مدائحه ، والمستغرب من قرائحه ، فاجعل مدح كل ممدوح يتبع بعضه بعضاً على الوضع المقدَّم ، في كل رئيس ومقدَّم ، ثم لما صدر في صدره من أعراضه باباً –

٩٣

وقال أيضاً يمدحه :

أَمّا ٱلْعُفاةُ فَأَنْتَ خَيْرُ رَجائِها ... وَٱلْمَكْرُماتُ فَأَنْتَ بَدْرُ سَمائِها
ما أَحْسَنَتْ بِكَ ظَنَّها في رَغْبَةٍ ... أَوْ رَهْبَةٍ فَعَداكَ حُسْنُ ثَنائِها
لَوْلاكَ يا تاجَ ٱلْمُلُوكِ لَعَزَّها ... مَلِكٌ يُجيبُ نَداهُ قَبْلَ نِدائِها
أَحْيَيْتَها[1] قَبْلَ ٱلسُّؤالِ بِأَنْعُمٍ ... رَدَّتْ وُجُوهَ ٱلسّائِلينَ بِمائِها
حَمْداً[2] لِأَيّامٍ سَما بِكَ فَخْرُها ... أَنّى تُذَمُّ وَأَنْتَ مِنْ أَبْنائِها
مَنْ ذا يَقُومُ بِشُكْرِها وَعُلاكَ مِنْ ... حَسَناتِها وَنَداكَ مِنْ آلائِها
مَعَ أَنَّني أَبْغي دُيُوناً عِنْدَها ... مَمْطُولَةً هٰذا أَوانُ قَضائِها
وَكَفىٰ بِزَفِّي كُلَّ[3] بِكْرٍ حُرَّةٍ ... لَوْلاكَ ما زُفَّتْ إِلىٰ أَكْفائِها

ـ مفرداً ، وما رأيت أن أقدم على مدائح المواليين المذكورين نوّر الله ضريحهما ممن يمدحهم أحداً » ، ويريد بهذين الممدوحين عضد الدولة وتاج الملك بوري . ثم أورد بعد ذلك القصيدة التي عدح بها الأمير سديد الملك أبا الحسن علي بن المقلد بن منقد ومطلعها :

يقيني يقيني حادثات النوائب ... وحزمي حزمي في ظهور النجائب

انظر (ص ١٢) من هذا الديوان .

(١) حييتها . . . (ك) .
(٢) حمداً لأيام الزمان وإن طغت (ك) .
(٣) . . . كل يوم حرة (ك) .

سَعِدَتْ بِكَ ٱلْأَقمارُ جاراً فَلْتَفُزْ(١) بِجاوِرِ ٱلْأَقْمارِ فِي عَلْيائِها
أَشْبَهْتَها فِي سَعْدِها وَعُلُوِّها وَبَهائِها فَبَقِيتَ مِثْلَ بَقائِها

• • •

٩٤

وقال بديهاً في مجلس شرابه(٢) :

بَنِي ٱلْعُلَى وَٱلنَّدَى مالِي صَفَتْ وَصَفَتْ عِنْدِي لَكُمْ طُرَفُ ٱلْأَشْعارِ وَٱلْمُلَحُ
إِنِّي لَرَبُّ ٱلْقَوافِي فِي زَمانِكُمُ وَقَدْ سَأَلْتُ ٱقْتِراحَ ٱلْقَوْمِ فَٱقْتَرِحُوا
مَعْنىً بَلِيغاً وَأَلْفاظاً يَرُقْنَ وَأَغْـراضاً(٣) يَفُقْنَ وَبَحْراً لَيْسَ يُنْتَزَحُ
وَما يَكادُ يُدِيرُ ٱلْفِكْرُ أَكْؤُسَهُ إِلَّا بِحَيْثُ يَدُورُ ٱللَّهْوُ وَٱلْقَدَحُ
أَلا تَرَوْنَ وُجُوهَ ٱلْعَيْشِ مُقْبِلَةً تُزْهَى وَصَدْرَ ٱلْأَمانِي وَهْوَ مُنْشَرِحُ
وَٱلْيَوْمَ(٤) يَوْمٌ يُرِينا ٱلشَّمْسَ ضاحِكَةً طَوْراً وَدَمْعَ ٱلْغَوادِي وَهْوَ مُنْسَفِحُ(٥)

---

(١) فلتقم (ت) .
(٢) لم ترد هذه القصيدة في (ك) .
(٣) وأعراضاً (ظ ، م ، ن ، ع) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ع) .
(٥) وهو ينسفح (س) .

وَالنّايُ كَالنّأْيِ فِي قَلْبِ الْمُحِبِّ وَلِلْـ ـأَوْتارِ فِي كُلِّ سَمْعٍ أَلْسُنٌ فُصُحُ

وَمُسْمِعِينَ إِذا مَرَّتْ لَهُمْ نَغَمٌ كادَتْ لَهُنَّ قُلُوبُ الْقَوْمِ تَنْجَرِحُ

لا تَعْذِرَنَّ بَنِي اللَّذّاتِ إِنْ نَزَعُوا عَنْها فَأَفْسَدُ ما كانُوا إِذا صَلَحُوا

وَفِي ذُرَى الْمَجْدِ مِنْ تاجِ الْمُلُوكِ فَتىً بِالْعِزِّ (١) مُغْتَبِقٌ بِالسَّعْدِ مُصْطَبِحُ

الْيَوْمَ حَصَّنَ مَدْحِي (٢) بَعْدَ بِذْلَتِهِ مَلْكٌ بِهِ تَفْخَرُ الْأَيّامُ وَالْمِدَحُ

مَلْكٌ إِذا أُنْهِلَّ فِي بَأْسٍ (٣) وَفَيْضِ نَدىً فَاللَّيْثُ مُهْتَصِرٌ وَالْغَيْثُ مُفْتَضِحُ

بَدْرٌ لَوَ انَّ لِبَدْرِ الْأُفْقِ بَهْجَتَهُ أَضْحَى بِهِ اللَّيْلُ مِثْلَ الصُّبْحِ يَتَّضِحُ

حارَ (٤) الثَّناءُ فَما يَدْرِي أَغايَتُهُ أَعْراقُهُ الْبِيضُ أَمْ أَخْلاقُهُ السُّجُحُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ أَوْحَدَ الْأَقْوامِ كُلِّهِمِ لَقُلْتُ إِنَّ الْمَعالِي (٥) وَالنَّدَى مِنَحُ

أَمّا الزَّمانُ فَقَدْ أَضْحَى بِدَوْلَتِهِ نَضْراً حَكَى الرَّوْضَ، وَالطُّلّابُ قَدْ نَجَحُوا

وَالْعَيْشُ مُتَّسِعٌ وَالْأَمْنُ (٦) مُقْتَبَلٌ وَاللَّهْوُ مُسْتَخْلَصٌ وَالْهَمُّ مُطَّرَحُ

* * *

---

(١) في جميع النسخ (فالعز) إلا في (ع)، وقد اخترنا روايتها .

(٢) دمعي بعد ذاته (ت) .

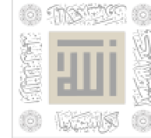
(٣) ياس (م) .

(٤) حاز (س ، ي ، ن ، ت) .

(٥) المعاني (م) .

(٦) كذا في جميع النسخ، ولعله (والأمر) .





٩٥

وقال بديهاً في مجلس شرابه بالميدان[١] :

أَلا هٰكَذا فَلْيُحْرِزِ ٱلْحَمْدَ وَٱلأَجْرا ... وَيَحْوِ[٢] جَمِيلَ ٱلذِّكْرِ مَنْ طَابَ ٱلذِّكْرا

لَقَدْ كَرَّمَ ٱللهُ ٱبْنَ دَهْرٍ تَسُودُهُ ... وَشَرَّفَ يا تاجَ ٱلْمُلُوكِ بِكَ ٱلدَّهْرا

وَمَنَّ عَلَى هٰذا ٱلزَّمانِ وَأَهْلِهِ ... بِأَرْوَعَ لا يَعْصِي ٱلزَّمانُ لَهُ أَمْرا

حُسامُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ تَكُنْ[٣] ... حُساماً لَهُ فَلْيَقْتُلِ ٱلْخَوْفَ وَٱلْفَقْرا

هَزَزْناكَ لَدْنًا وَٱنْتَضَيْناكَ صارِمًا ... فَطُلْتَ ٱلْقَنا صُمّاً وَغُلْتَ ٱلظُّبى بُتْرا

حُساماً[٤] نَرى فِي صَفْحِهِ ٱلصَّفْحَ[٥] وَٱلنَّدى ... وَفِي حَدِّهِ ٱلْجَدَّ ٱلْمُظَفَّرَ وَٱلنَّصْرا

وَفِي قُرْبِهِ ٱلزُّلْفى وَفِي نَيْلِهِ ٱلْعُلى[٦] ... وَفِي حُكْمِهِ[٧] ٱلْبُقْيا وَفِي ظِلِّهِ ٱلْيُسْرا[٨]

---

(١) الميدان الأخضر بدمشق، ويعرف اليوم بمرحة الحشيش، وفي زاويته الشرقية الشمالية المتحف، ويلي المتحف إلى الغرب مدينة المعرض . وفي (س ، ظ ، ي ، م ، ن) بالمدان .

(٢) ويحي (ب) .

(٣) ومن يكن (ك ، ت) .

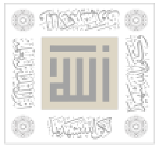
(٤) حسام (ن) .

(٥) البأس والندى (ل) .

(٦) الغنى (ن) .

(٧) حلمه (ن) .

(٨) البشرا (ت) .



فَتىً لا يَرىٰ إلاّ ٱلْمَحامِدَ مَغْنَماً ... وَلا يَقْتَني إلاّ ٱلثَّناءَ لَهُ ذُخْرا

وَمُقْرَبَةً جُرْداً وَزُغْفاً سَوابِغاً ... وَهِنْدِيَّةً بِيضاً وَخَطِّيَّةً سُمْرا

إذا صالَ بَأْساً قَطَّعَ ٱلْبِيضَ وَٱلْقَنا ... وَإنْ(١) فاضَ جُوداً بَخَّلَ(٢) ٱلدِّيَمَ ٱلْغُزْرا

لَعَمْري لَئِنْ أَعْدَتْ أَنامِلُكَ ٱلْحَيا ... سَماحًا لَقَدْ أَعْدَتْ شَمائِلُكَ ٱلْخَمْرا

وَكائِنْ مَنَحْتَ ٱلرّاحَ(٣) مِنْ خُلْقِكَ ٱلصَّفا ... وَأَكْسَبْتَها مِنْ نَشْرِكَ ٱلطَّيِّبِ ٱلنَّشْرا

وَأَوْدَعْتَها مِنْ حَدِّ بَأْسِكَ سَوْرَةً ... وَعَلَّمْتَها مِنْ أَرْيَحِيَّتِكَ ٱلسُّكْرا

كَأَنَّ ٱلثُّرَيّا تَلْثِمُ ٱلْبَدْرَ كُلَّما ... تَعَطَّقْتَها فِي ٱلْكَأْسِ عانِسَةً بِكْرا

أَبا ٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ ٱلْأُولىٰ لَوْ تَحَلَّتِ ٱلسَّـماءُ بِهِمْ لَمْ تَحْفِلِ ٱلْأَنْجُمَ ٱلزُّهْرا

إذا واحِدٌ مِنْهُمْ جَلَتْهُ مَخِيلَةٌ ... تَبَيَّنْتَ فِي أَعْطافِهِ ٱلْعَسْكَرَ ٱلْمَجْرا

وَكَمْ لَيْثِ غابٍ كانَ شِبْلاً مُرَيَّناً(٤) ... وَعادِيٍّ نَبْعٍ قَدْ غَدا غُصُناً نَضْرا

رَجَوْتُكَ بَحْراً يُخْجِلُ ٱلْبَحْرَ نائِلاً ... وَزُرْتُكَ بَدْراً جَلَّ أَنْ يُشْبِهَ ٱلْبَدْرا

وَقَدْ خَطَبَ ٱلْأَمْلاكُ مَدْحِي فَصُنْتُهُ ... لِأَكْرَمِهِمْ نَجْراً وَأَشْرَفِهِمْ قَدْرا

---

(١) فان (لـ) .
(٢) أبخل (ك) .
(٣) الكأس (ت) .
(٤) كذا فى جميع النسخ، ولعله (مُرَبَّباً) من ربَّبَ أي ربَّى .



وَما كانَ لِي أَنْ لا أَزُفَّ عَرائسِي[1] إِلَيْكَ وَقَدْ أَغْلَيْتَها دُونَهُمْ مَهْرا

جَعَلْتُ لَهَا مِنْ مَدْحِكَ الفاخِرِ الحُلَى وَمِنْ جُودِكَ النُّعْمَى وَمِنْ ظِلِّكَ الخِدْرا

وَإِنْ طالَ عُمْرٌ لَمْ تُقَصِّرْ غَرائبٌ يَعِزُّ اللَّيالِي أَنْ نُطاوِلَهَا عُمْرا

بَدائِعُ إِنْ بَغْدادُ هامَتْ بِحُبِّها فَقَدْ تَيَّمَتْ مِنْ قَبْلِها وشَجَتْ مِصْرا

وَوَاللهِ لا أَغْبَبْتُ شُكْراً وَسِمْتُهُ بِمَدْحِكَ ذاما اسْتَوْجَبَ المُحْسِنُ الشُّكْرا

لِيَلْبَسَ جِيدُ المَجْدِ مِنْ حَلْيِ مَنْطِقِي قَلائِدَ دُرٍّ تَزْدَرِي عِنْدَهُ الدُّرّا

إذا قُلْتُ في تاجِ المُلُوكِ قَصِيدَةً مِنَ الشِّعْرِ قالُوا قَدْ مَدَحْتَ بِهِ الشِّعْرا

* * *

٩٦

وقال أيضاً يمدحه، وأنشده إياها في عيد النحر سنة أربع عشرة وخمس مائة :

أَلَمْ تَكُ لِلْمُلُوكِ الغُرِّ تاجا وَلِلدُّنْيا وَعالَمِها سِراجا

أَلَمْ تَحْلُلْ ذُرَى المَجْدِ ٱلْتِهامًا بِغاياتِ المَكارِمِ وٱلْتِهاجا

لَقَدْ شَرُفَ الزَّمانُ بِكَ ٱفْتِخاراً كَما سَعِدَ الأَنامُ بِكَ ٱبْتِهاجا

رَأَوْا مَلِكاً أَنامِلُهُ بِحارٌ مِنَ المَعْرُوفِ تَلْتَجُّ ٱلْتِجاجا

(١) قصائدي (ل) .

حَقِيقًا أَنْ يُجابَ(١) عَلَى اللَّيالِي ... بِهِ ثَوْبُ الثَّناءِ وَأَنْ يُساجا(٢)
يَكادُ الغَيْثُ يُشْبِهُهُ سَماحًا ... إِذا انْهَلَّ انْسِفاحًا وَانْثِجاجا
أَغَرُّ يَهِيجُ طِيبُ الذِّكْرِ مِنْهُ ... هَوىً بِرَجائِهِ ما كانَ هاجا
تَبِيتُ رِكابُنا ما يَمَّمَتْهُ ... تُخالِجُنا أَزِمَّتَها خِلاجا
كَأَنَّ العِيسَ خابِرَةً إِلى مَنْ ... بِنا تَطْوِي المَخارِمَ وَالفِجاجا
كَأَنَّ الفَوْزَ بِالآمالِ تُمْسِي ... إِلَيْهِ النّاجِياتُ بِهِ تُناجا
مَلِيٌّ حِينَ يُنْذَرُ بِالأَعادِي ... وَأَمْضى العالَمِينَ إِذا يُفاجا
يَرُوحُ وَخَيْلُهُ تَخْتالُ(٣) تِيهًا ... بِأَشْجَعِ مَنْ بِها شَهِدَ الهِياجا
وَما المِسْكُ السَّحِيقُ إِذا امْتَطاها ... بِأَهْلٍ أَنْ يَكُونَ لَها عَجاجا
يَطُولُ بِها الثَّرى إِنْ صافَحَتْهُ ... وَإِنْ سَلَكَتْ بِهِ سُبُلاً فِجاجا(٤)
كَأَنَّ بِسَهْلِهِ وَالحَزْنِ مِنْها ... عِضاهًا لِلسَّنابِكِ أَوْ شِجاجا
مَدَدْتَ إِلى اقْتِناءِ الحَمْدِ(٥) كَفًّا ... طَمى بَحْرُ السَّماحِ بِها وَماجا

---

(١) جاب الثوب : قطعه .
(٢) ساج الحائك نسيجه بالمسوحة : جاء بها وذهب عليه والمسوحة : المرشة .
(٣) ترتاح (لـ ، ن) .
(٤) نهاجا (س ، ط ، هـ ، ت) ، تهاجا (ع) ، أجاجا (ك) .
(٥) المجد (ن) .

وَغادَرْتَ ٱلْعَوالِيَ بِٱلْمَعالِي كَخِيسِ ٱللَّيْثِ عَزَّ بِهِ وِلاجا (١)
وَأَنتَ جَعَلْتَ بَيْنَهُما ٱنْتِساباً بِما آلىٰ إباؤُكَ وَٱنْتِساجا
ضَرَبْتَ مِنَ ٱلظُّبىٰ سُوراً عَلَيْها وَمِنْ شَوْكِ ٱلرِّماحِ لَها سِياجا
وَلَمْ تَقْنِ ٱلْقَنا يَوْماً لِتَقْضِي بِغَيْرِ صُدُورِها لِلْمَجْدِ حاجا
وَلَوْلا ٱلطَّعْنُ فِي ٱلْهَيْجاءِ شَزْراً لَما فَضَلَتْ أَسِنَّتُها ٱلزِّجاجا
إِذا داءٌ مِنَ ٱلْأَيّامِ أَعْيا عَلَى ٱلْأَيّامِ طِبّاً أَوْ عِلاجا
أَعَدْتَ لَهُ بِبِيضِ ٱلْهِنْدِ كَيّاً وَأَشْفىٰ ٱلْكَيِّ أَبْلَغُهُ نِضاجا
وَكَمْ سَيْلٍ (٢) ثَنَيْتَ بِها وَمَيْلٍ أَقَمْتَ فَلَمْ تَدَعْ فِيهِ ٱعْوِجاجا
وَقَيْلٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهُ بِخَيْلٍ كَشُهْبِ ٱلْقَذْفِ تَرْتَهِجُ ٱرْتِهاجا
كَأَنَّ دَبىً (٣) وَرِجْلاً مِنْ جَرادٍ بِها وَٱلْغابَ يُرْقِلُ وَٱلْحِراجا
عَصَفْنَ بِعِزِّهِ وَضَرَبْنَ مِنْهُ مَعَ ٱلْهامِ ٱلْمَعاقِدَ وَٱلْوِداجا
وَكُنْتَ إِذا عَلَوْتَ مَطا جَوادٍ مَلَأْتَ ٱلْأَرْضَ أَمْناً (٤) وَٱنْزِعاجا

---

(١) الوِلاج : الباب والغامض من الأرض والوادي .
(٢) وكم خيل . . . (ك) .
(٣) الدَّبى : أصغر الجراد . والرِّجْلُ : القطعة العظيمة من الجراد خاصة ، وهو جمع على غير لفظ واحده ، كالصوار لجماعة البقر ، والعانة لجماعة الحمر ، والرعيل لجماعة الخيل ، وهو كثير في كلامهم .
(٤) رعباً وانزعاجا (ج) .

وَكَمْ أَحْصَدْتَ مِنْ عَقْدٍ لِجارٍ ... وَلا كَرَباً(١) شَدَدْتَ(٢) وَلا عِناجا
إِذا باتَتْ(٣) لِأَبْناءِ(٤) عِظامٍ(٥) ... بَناتُ الصَّدْرِ تَعْتَلِجُ اعْتِلاجا
جَزاكَ اللهُ نَصْراً عَنْ مَساعٍ ... حَمَيْنَ الدِّينَ عِزّاً أَنْ يُهاجا
فَلَمْ تَكُ إِذْ تَمُورُ الأَرْضُ مَوْراً ... وَتَرْتَجُّ الجِبالُ بِها ارْتِجاجا
لِثَغْرٍ مَخُوفَةٍ إِلاّ سِداداً ... وَبابِ مُلِمَّةٍ إِلاّ رِتاجا
وَلَمْ تَضِقِ الخُطُوبُ السُّودُ إِلاّ ... جَعَلْنا مِنْ نَداكَ لَها انْفِراجا
كَفى ظُلَمَ النَّوائِبِ(٦) واللَّيالي ... بِبَهْجَتِكَ(٧) انْحِساراً وَانْبِلاجا
وَحَسْبُ العِيدِ عِيدٌ مِنْكَ يَحْظى(٨) ... بِهِ ما عادَ مُرْتَقِباً وَعاجا
قَدِمْتَ لَهُ وَلِلنِّعَمِ اللَّواتي ... غَدَوْتَ بِها لِرَبِّ التّاجِ تاجا

---

(١) الكَرَب: حبل يشد في وسط العراقي ايلي الماءَ فلا يعفن الحبل الكبير. والعِناج: حبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراقي.
(٢) يشد (ك)، عقدت (ن).
(٣) بانت (ك).
(٤) لأنباء (ج).
(٥) كرام (ت).
(٦) الحوادث (ت).
(٧) بسيمتك انحيازاً وانبلاجا (ك).
(٨) أضحى (ك).

تَجلُّ⁽¹⁾ حِلىً إذا ما ٱلْقطْرُ حَلىٰ ... بِرَيِّقِهِ ٱلْأَناعِمَ⁽²⁾ وَٱلنِّباجا
إذا ما كُنْتَ تاجَ عُلىً فَمَنْ ذا ... يَكُونُ لَكَ ٱلْجَبِينَ أَوِ ٱلْحَجاجا⁽³⁾
إِلَيْكَ زَفَفْتُ أَبْكارَ ٱلْقَوافِي ... وُحاداً⁽⁴⁾ كَٱلْفَرائِدِ أَوْ زَواجا⁽⁵⁾
سَوامِي ٱلْهَمِّ لا تَعْدُوكَ مَدْحاً ... إذا ٱخْتَلَجَ ٱلضَّمِيرُ بِها ٱخْتِلاجا
تَزُورُ عُلاكَ مَرّاً⁽⁶⁾ وٱنْثِناءً ... وَقَصْداً بِٱلْمَحامِدِ وَٱنْعِراجا
فَكَمْ شادٍ لَها طَرِبٍ⁽⁷⁾ وَحادٍ ... بِها غَرِدٍ بُكُوراً وَٱدِّلاجا
وَكَمْ راوٍ كَأَنَّ بِفِيهِ مِنْها ... مُجاجَ ٱلنَّحْلِ حُبَّ⁽⁸⁾ بِهِ مُجاجا
يَزِيدُ بِها ٱلشَّجِيُّ شَجىً وَبَثّاً ... وَيَهْتاجُ ٱلْخَلِيُّ بِها ٱهْتِياجا
أَقُولُ بِحَقٍّ ما تُسْدِي⁽⁹⁾ وَتُولِي ... وَلَيْسَ بِحَقِّ مَنْ⁽¹⁰⁾ حابَى وَداجا

(١) تحل (س ، ظ ، ي ، م ، ع) .
(٢) الأناعم : جمع أنعم والأنعمان واديان كما في القاموس المحيط ، ويريد بالأناعم الأودية . والنِّباج : الآكام العالية .
(٣) الحَجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب .
(٤) أحادا (ك) .
(٥) وازدواجا (ت) .
(٦) مسرى ، (ك) مرأى ، (ت) .
(٧) طرباً (س) .
(٨) حُبَّ به : أي ما أحَبَّهُ .
(٩) ما تولي وتسدي (ك) .
(١٠) ما (س ، ظ ، ت ، ج) .



وَأَنْتَ أَعَدْتَ لِي بِيضاً حِسَاناً ... لَيَالِيَ دَهْرِيَ ٱلسُّودَ ٱلسِّمَاجَا

أَتَيْتُكَ لَمْ أَدَعْ لِلْحَظِّ عُذْراً ... إِلَيَّ وَلا عَلَيَّ لَهُ ٱحْتِجَاجَا

وَلَمْ أَجْعَلْكَ دُونَ ٱلْخَلْقِ قَصْدِي ... لِتَجْعَلَ لِي إِلَى ٱلْخَلْقِ ٱحْتِيَاجَا

أُقِيمُ عَلَى ٱلصَّدَى ما لَمْ يُهَبْ[1] بِي ... إِلَى ٱلْوِرْدِ ٱلْكَرِيمِ وَلَمْ يُجَاجَا[2]

فَكَمْ[3] جَاوَزْتُ مِنْ عَذْبٍ زُلالٍ ... إِلَيْكَ أَعُدُّهُ مِلْحاً أُجَاجَا

إِلَى مَلِكٍ سَقَى ٱلْإِحْسَانَ صِرْفاً ... فَلَمْ يَدْرِ ٱلْمِطَالَ لَهُ مِزَاجَا

سَنِيٍّ بِٱلْبَذْلِ ما حَمَلَتْ تَمَاماً ... مَوَاعِدُهُ[4] وَلا وَضَعَتْ خِدَاجَا

وَخَيْرُ لَقَائِحِ ٱلْمَعْرُوفِ عِنْدَ ٱلنَّدَى ما كَانَ أَسْرَعَهَا نِتَاجَا

إِذَا ما عَاتَبَ ٱلْأَيَّامَ حُرٌّ ... بِغَيْرِكَ لَمْ تَزِدْ إِلَّا لَجَاجَا

* * *

(١) أهاب بالخيل إهابة : دعاها .
(٢) جأجأ بالإبل ونحوها جأجأةً : دعاها للشرب بقوله جيء جيء .
(٣) وكم (ك)
(٤) مراضعه (ن) .

٩٧

وقال يمدح الرئيس أبا الذوّاد المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفي[١] بدمشق :

أَفَيْضُ دُمُوعٍ أَمْ سُيُولٌ تَمَوَّجُ وَحَرُّ ضُلُوعٍ أَمْ لَظىً تَتَأَجَّجُ
كَفَى مِنْ[٢] شَجايَ عَبْرَةٌ بعدَ زَفْرَةٍ وَلُبٌّ مُطارٌ أَمْ سَقامٌ مُهَيَّجُ
شَرِبْتُ مِنَ الأَيّامِ كَأْساً رَوِيَّةً وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الصَّفْوَ بِالرَّنْقِ يُمْزَجُ
وَلَمْ يُبْكِنِي رَسْمٌ بِنَعْمانَ[٣] دارِسٌ وَلا شَفَّنِي ظَبْيٌ بِرامَةَ[٤] أَدْعَجُ
وَلٰكِنْ جُنُونٌ مِنْ زَمانٍ مُسَفَّهٍ وَدَهْرٌ جَهُولٌ[٥] أَوْلَقُ الرَّأْيِ أَهْوَجُ

---

(١) هو وجيه الدولة أبو الذوّاد المفرّج بن الحسن بن الحسين الصوفي ، رئيس دمشق ووزير تاج الملوك صاحب دمشق . تولى رئاسة دمشق مع أخيه سيف بعد وفاة والدهما الذي كان رئيساً لها سنة ٤٩٧ . وتقلد الوزارة سنة ٥٢٤ ، وفي سنة ٥٢٥ عزل عن الوزارة والرئاسة واعتقل مدة قصيرة، ثم أعيد في السنة نفسها إلى رئاسة دمشق دون الوزارة ، وقتل سنة ٥٣٠ . ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق . وانظر فهرس ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي.

(٢) مَن شجاني (ي ، ك ، ن)، شجى بي (ت) .

(٣) نَعمان : واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة .

(٤) رامة : من قرى بيت المقدس .

(٥) مهول (س) .

سَلَوْتُ وَما كادَ(١) ٱلسُّلُوُّ يُطِيعُنِي ... لَوَانَّ زَماناً جائِراً يَتَحَرَّجُ

إذا(٢) دَخَلَ ٱلْهَمُّ ٱلْغَرِيبُ عَلَى فَتىً ... رَأَيْتَ ٱلْهَوى مِنْ قَلْبِهِ(٣) كَيْفَ يَخْرُجُ

تَعَفَّتْ رُسُومُ ٱلْمَكْرُماتِ كَما عَفا ... عَلَى ٱلدَّهْرِ مَلْحُوبٌ(٤) وَأَقْفَرَ مَنْعِجُ

فَلَوْلا بَنُو ٱلصُّوفِيِّ أَعْوَزَ مُفْضِلٌ(٥) ... إلىٰ بابِهِ لِلْوَفْدِ(٦) مَسْرىً وَمَدْلَجُ

وَلِلسَّيِّدِ ٱلْمَأْمُولِ فِيهِمْ(٧) مَكارِمٌ ... تُساحُ(٨) بِأَرْزاقِ ٱلْعُفاةِ(٩) وَتُمْزَجُ

لَعَمْرِي لَقَدْ سادَ ٱلْكِرامَ وَبَذَّهُمْ ... أَغَرُّ صَقِيلُ ٱلْعِرْضِ أَزْهَرُ أَبْلَجُ

حَطَطْنا رِحالَ ٱلْعِيسِ فِي ظِلِّ جُودِهِ ... إلىٰ خَيْرِ مَنْ تُحْدىٰ إلَيْهِ وَتُحْدَجُ(١٠)

خَصِيبُ مُرادِ ٱلْخَيْرِ وَٱلْخَيْرُ مُجْدِبٌ ... جَدِيدُ رِداءِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْفَضْلُ مُنْهَجُ

أَبَرُّ وَأَنْدىٰ مِنْ نَدىٰ ٱلْمُزْنِ راحَةً ... وَأَبْهىٰ مِنَ ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنِيرِ وَأَبْهَجُ

---

(١) وما كان . . . (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (س) .
(٣) من قبله (م ، ن ، ع) .
(٤) ملحوب : قرية باليمامة . ومَنْعِجُ : واد لبني أسد .
(٥) ماجد (ك) .
(٦) للوجد (ك) .
(٧) فيكم (س)، فيه (م ، ع)، منهم فضائل (ت) .
(٨) تساج (ي ، ك ، ت) .
(٩) العباد (ك) .
(١٠) وتسرج (س ، ظ ، م ، ع ، ت) .

قَضىٰ حاجَتِي بِالْجُودِ حَتّىٰ كَأَنَّهُ ... إِلىٰ بَذْلِ ما يُسْدِي مِنَ الْجُودِ أَحْوَجُ

وَكُنّا إِذا ما رابَنا الدَّهْرُ مَرَّةً ... وَلِلدَّهْرِ أَحْوالٌ تَسُوءُ وَتُبْهِجُ

دَعَوْنا لَهُ جُودَ (الْوَجِيهِ)(١) وَإِنَّما ... دَعَونا حَياً أَوْ وابِلاً يَتَثَجَّجُ

وَكَمْ قَطَعَتْ فِينا اللَّيالِي وَغالَنا ... لَها مُقْلِقٌ مِنْ فادِحِ الْخَطْبِ مُزْعِجُ

فَذادَ (أَبُو الذَّوّادِ)(١) عَنّا صُرُوفَها ... وَفَرَّجَ غَمّاءَ الْخُطُوبِ (الْمُفَرِّجُ(١))

فَتىً يَسَعُ(٢) الآمالَ أَدْنىٰ ارْتِياحِهِ ... وَيَغْرَقُ فِي نُعْماهُ مَنْ لا يُلَجِّجُ

فَتىً لَمْ يَزَلْ لِلْمَجْدِ تاجاً وَمَفْخَراً ... إِذا ماجِدٌ بِالْفَخْرِ أَمْسىٰ يُتَوَّجُ

كَفانِي نَدىٰ كَفَّيْهِ خُلْفَ مَواعِدٍ ... بِها يَسْتَقِيمُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ أَعْوَجُ

وَأَغْنىٰ عَنِ الْبُخّالِ راجَعْتُ جُودَهُمْ ... فَلَمْ أَرَ جُلْمُوداً عَلَى الطَّبْخِ يَنْضَجُ

حَلَفْتُ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ نِعْمَةً ... بِها الشُّكْرُ يُغْرىٰ وَالْمَحامِدُ تَلْهَجُ

وَأَحْسَنَ بِي مِنْ قَبْلِكَ (الْحَسَنُ)(٣) الَّذِي ... تَوَلّىٰ وَما لِلْمَجْدِ عَنْهُ مُعَرَّجُ

---

(١) وحيه الدولة : لقب الممدوح، وأبو الذوّاد : كنيته ، والمفرج : اسمه .

(٢) تسع (ك) .

(٣) هو أمين الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق ، كان حليلاً نبيلاً ، مات بدمشق سنة ٤٩٧، ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، في حوادث سنة ٤٩٥ ، وذكره ابن القلانسي في تاريخه .



أَبُوكَ ٱلَّذِي ما زالَ يَرْحَبُ هِمَّةً ... يَضِيقُ بِها صَدْرُ ٱلزَّمانِ وَيَحْرَجُ
بَنَىٰ لَكُمُ بَيْتاً رَفِيعاً عِمادُهُ ... تَرَقَّى إِلَيْهِ ٱلنَّيِّراتُ وَتَعْرُجُ
فَلا ظِلُّهُ عَنْ مُسْتَظِلٍّ بِقاصِرٍ ... وَلا بابُهُ عَنْ مُرْتَجِي ٱلْخَيْرِ مُرْتَجُ
بِرُغْمِ ٱلْعِدَىٰ أَنْ بِتَّ وارِثَ مَجْدِهِ ... وَذٰلِكَ حَقٌّ لَمْ تَكُنْ عَنْهُ تَفْرَجُ
وَما هِيَ إِلاَّ صَعْبَةٌ عَزَّ[1] ظَهْرُها ... وَأَنْتَ عَلَى أَمْثالِها تَتَفَحَّجُ[2]
وَمازِلْتَ تَعْلُو مَنْكِبَ[3] ٱلْعَزْمِ ظافِراً ... وَتُلْجِمُ بِٱلْحَزْمِ[4] ٱلْحَمِيدِ وَتُسْرِجُ
تَزِيدُ عَلَى وَعْكِ[5] ٱلزَّمانِ نَباهَةً ... كَأَنَّكَ صُبْحٌ فِي دُجىً يَتَبَلَّجُ[6]
تُشَرَّفُ وَٱلْأَيَّامُ فِيها دَناءَةٌ ... وَتَخْلُصُ وَٱلْأَقْوامُ زَيْفٌ وَبَهْرَجُ
عَزائِمُ مَحْسُودِ ٱلْمَعالِي كَأَنَّها ... سَوابِقُ تَرْدِي[7] بِٱلْكُماةِ وَتَمْعَجُ[8]
خَلائِقُ تَجْتاحُ ٱلْخُطُوبَ كَأَنَّها ... ظُبىً بِدَمِ ٱلْفَقْرِ ٱلْمُضِرِّ تُضَرَّجُ

---

(١) عَنَّ ظهرها (م) .
(٢) تفحَّج الرحل : فرَّج بين رحليه . وفي (ط) تتفجَّج .
(٣) مركب العز (ك) .
(٤) بالحمد الجميل (س)، بالحمد الحميد (ي ، ك)، بالعزم الحميد (ت) .
(٥) وعد الزمان (ك) .
(٦) تتبلَّجُ (ظ) .
(٧) رَدَتِ الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .
(٨) مَعَجَ : سار في كل وجه، وذلك من النشاط .

أَتَتْكَ بِمِسْكِيِّ ٱلثَّناءِ كَأَنَّما أَطابَ شَذاها عِرْضُكَ ٱلْمُتَأَرِّجُ
لَهَا مِنْ نِظامِ ٱلدُّرِّ ما جَلَّ قَدْرُهُ وَقيمَتُهُ لا ما يُحاكُ وَيُنْسَجُ
مُحَجَّبَةٌ لَوْلاكَ لَمْ يَحْوِ ناظِرٌ بِها ٱلْفَوْزَ وَٱلْحَسْناءُ لا تَتَبَرَّجُ
وَكُلُّ ثَناءٍ دُونَ قَدْرِكَ قَدْرُهُ وَإِنْ زانَ قَوْماً وَشْيُهُ وَٱلْمُدَبَّجُ
أَرىٰ فيكَ لِلْآمالِ وَعْدَ مَخيلَةٍ وَما هِيَ إِلاّ مُقْرِبٌ سَوْفَ تُنْتَجُ
سَقىٰ ٱللهُ حُسْنَ ٱلظَّنِّ فيكَ فَإِنَّهُ طَريقٌ إِلىٰ ٱلْغُنْمِ ٱلْكَريمِ وَمَنْهَجُ
فَأَسْمَحُ خَلْقٍ عِنْدَ جُودِكَ باخِلٌ وَأَحْسَنُ فِعْلٍ عِنْدَ فِعْلِكَ يَسْمُجُ

* * *

٩٨

وقال يعزيه بولده أبي الغنائم :

أَظُنُّ ٱلدَّهْرَ جاءَكَ مُسْتَثيرا فَقَدْ أَحْقَدْتَهُ كَرَماً وَخَيْرا
تَبيتُ عَلَى نَوائِبِهِ مُعِينًا وَتُضْحِي مِنْ حَوادِثِهِ مُجِيرا
وَتَصْرِفُ صَرْفَهُ عَنْ كُلِّ حُرٍّ وَتَمْنَعُ خَطْبَهُ مِنْ أَنْ يَجُورا
فَكَمْ أَنْقَذْتَ مِنْ تَلَفٍ أَخيذاً وَكَمْ أَطْلَقْتَ مِنْ عُدْمٍ أَسيرا
فَلا عَجَبٌ وَإِنْ وافىٰ بِأَوْفىٰ ٱلْـفَوادِحِ أَنْ يَسُوءَ وَأَنْ يَسُورا

وَهَلْ قَصَدَ ٱلزَّمانُ سِوىٰ كَرِيمٍ حَماهُ أَنْ يَضِيمَ وَأَنْ يَضِيرا
وَما زالَتْ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَحْدُو إِلىٰ ٱلْأَخيارِ شَرّاً مُسْتَطِيرا
تُسِيءُ إِلىٰ ذَوِي ٱلْحُسْنىٰ وَتَحْبُو مُقِيلَ عِثارِها ٱلجَدَّ ٱلْعَثُورا
وَلَوْ راعىٰ ذَوِي ٱلْأَخْطارِ دَهْرٌ رَعىٰ ذا ٱلْمَجْدَ وَٱلشَّرَفَ ٱلْخَطِيرا
وَلَوْ دُفِعَ ٱلْحِمـامُ بِعِزِّ قَوْمٍ لَكُنْتَ أَعَزَّ ذِي(١) عِزٍّ نَصِيرا
هُوَ ٱلْقَدَرُ ٱلَّذِي لَمْ تَلْقَ(٢) خَلْقاً عَلَى دَفْعٍ لَهُ أَبَداً قَدِيرا
سَواءٌ مَنْ يَقُودُ إِلَيْهِ جَيْشاً وَمَنْ يَحْدُو مِنَ ٱلْأَقْوامِ عِيرا
وَما يَنْفَكُّ هٰـذا ٱلدَّهْرُ حَتّىٰ يَصِيرَ إِلىٰ ٱلْفَناءِ بِنا ٱلْمَصِيرا
فَيالِيَ مِنْهُ صَوّالاً فَتُوكـاً وَيالِيَ مِنْهُ خَـلّاباً سَحُورا
كَذٰلِكَ شِيمَةُ ٱلْأَيّامِ فِينـا تَسُوءُ حَقِيقَةً وَتَسُرُّ زُورا
وَكَمْ سُكّانِ دُنْياً لَوْ أَفاقُوا(٣) لَما سَكَنَتْ قُلُوبُهُمُ ٱلصُّدُورا
أَهَبَّ عَلَيْهِمُ(٤) ٱلْحَدَثانُ رِيحاً بِكُلِّ عَجاجَةٍ تُغْرِيـ مُثِيرا
تَحَدّاهُمْ كَأَنَّ عَلَيْهِ فِيهِمْ يَمِيناً أَوْ قَضىٰ بِهِمُ ٱلنُّذُورا

---

(١) .. ذي نصر نصيرا (ن) .
(٢) لم تلق (ط، م، ن، ع)، لم يلق (لـ) .
(٣) أقاموا (ي، ت) .
(٤) إليهم (م، ع) .

فَيا عَيْشاً مُنِحْناهُ خِداعاً ... وَيا دُنْيا صَحِبْناها غُرُورا
وَيا دَهْراً أَهابَ بِنا رَداهُ ... لِيُتْبِعَ أَوَّلاً مِنّا أَخِيرا
أَما تَنصَدُّ(١) وَيْحَكَ عَنْ فَعالٍ ... ذَمِيمٍ لا تَرى فِيهِ عَذِيرا
سَمَوْتَ إِلى سَماءِ ٱلْفَخْرِ حَتّى ... تَناوَلْتَ ٱلْهِلالَ ٱلْمُسْتَنِيرا
وَطُفْتَ بِدَوْحَةِ ٱلْعَلْياءِ حَتّى ... خَلَسْتَ بِكَيْدِكَ ٱلْغُصْنَ ٱلنَّضِيرا(٢)
كَأَنَّ أَبا ٱلْغَنائِمِ كانَ مِمَّنْ ... تَعُدُّ وَفاتَهُ غُنْماً كَبِيرا
كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُهُ بِثَأْرٍ ... غَشُومٍ لا تَرى عَنْهُ قُصُورا(٣)
خَطَوْتَ ٱلْعالَمِينَ إِلَيْهِ قَصْداً ... كَأَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ بِهِ خَبِيرا
إِلى أَنْ أَغْمَدَتْ كَفّاكَ مِنْهُ ... حُساماً زانَ حامِلَهُ شَهِيرا
مُصابٌ لَوْ تَحَمَّلَهُ ثَبِيرٌ(٤) ... دَعا وَيْلاً وَأَتْبَعَها ثُبُورا
يُذَكِّرُنِي سَدِيدَ ٱلْمُلْكِ وَجْداً ... وَكُنْتُ لِمِثْلِهِ أَبَداً ذَكُورا
فَما أَطْفَأْتَ مِنْ نارٍ لَهِيباً ... إِلى أَنْ عُدْتَ(٥) تُذْكِيها سَعِيرا

(١) وما تنصد (س ، م ، ع)، وما ينصد (ظ) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ت) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٤) ثبير : جبل بظاهر مكة .
(٥) كدت (ك) .

وَما طالَ ٱلْمَدى فَيَسُوغَ عُذْرٌ بِأَنْ يَكْبُوا ٱلْجَوادُ وَأَنْ يَخُورا[1]
قَصَرْتَ مَداهُ حَتّىٰ كادَ يَوْماً بِهِ أَنْ يَسْبُقَ ٱلنّاعِي ٱلْبَشِيرا
وَلَمْ يَكْسُ ٱلْفَتىٰ كَمَداً طَوِيلاً كَمَفْقُودٍ نَضىٰ عُمْراً قَصِيرا
وَلَمْ أَجِدِ ٱلْكَبِيرَ ٱلرُّزْءِ إِلاّ سَلِيلَ عُلاً فُجِعْتَ بِهِ صَغِيرا
عَلَى أَنَّ ٱلْكِرامَ تَعُدُّ لَيْثاً هَصُوراً مِنْهُمُ ٱلرَّشأَ ٱلْغَرِيرا
تَرىٰ أَيّامَهُمْ أَعْوامَ[2] قَوْمٍ وَساعاتِ ٱلْفَتىٰ مِنْهُمْ شُهُورا
فَلا يَبْعُدْ حَبِيبٌ بانَ عَنّا وَإِنْ كانَ ٱلْبِعادُ بِهِ جَدِيرا.
وَكَيْفَ دُنُوُّ مَنْ طَوَتِ ٱللَّيالِي كَما تَطْوِي عَلَى ٱلظَّنِّ ٱلضَّمِيرا
فَيا رامِيهِ عَنْ قَوْسِ ٱلْمَنايا أَصَبْتَ بِواحِدٍ عَدَداً كَثِيرا
وَيا راجِيهِ يَجْعَلُهُ ظَهِيراً نَبا[3] بِكَ حادِثٌ قَطَعَ ٱلظُّهُورا
وَيا حاثِي ٱلتُّرابِ عَلَيْهِ مَهْلاً كَسَفْتَ بَهاءَهُ ذاكَ ٱلْبَهِيرا
فَلَوْ أَنِّي ٱسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْهُ ثَقِيلَ ٱلتُّرْبِ وَٱلْخَطْبَ ٱلْكَبِيرا
أَصُونُ جَمالَهُ وَأُجِلُّ مِنْهُ جَبِينَ ٱلْبَدْرِ أَنْ يُمْسِي عَفِيرا

(١) وأن يحورا (ك ، ت) .
(٢) أعمار (ك) .
(٣) بيابك (ظ)، نبالك (ي) .

بِنَفْسِي نــازِحٌ بِالْغَيْبِ دانٍ   يُجاوِرُ مَعْشَراً غَيباً حُضُورا (١)
أَقــامَ بِحَيْثُ لا يَهْوىٰ مُقاماً   وَلا يَبْغِي إِلىٰ جِهَةٍ مَسِيرا
وَلا هَجْراً يَوَدُّ وَلا وِصالاً   وَلا بَرْداً (٢) يُحِسُّ وَلا هَجِيرا
أَقُولُ سَقىٰ مَحَلَّتَهُ غَمــامٌ   يَمُرُّ بِهــا مِراراً لا مُرُورا
وَرَوَّضَ ساحَتَيْهِ كَأَنَّ وَشْيا   يَحُلُّ بِهــــا وَدِيباجاً نَشِيرا
إِذا خَطَرَ النَّسِيمُ عَلَيْهِ أَهْدىٰ   إِلىٰ زُوّارِهِ أَرَجاً عَطِيرا
وَما أَرَبِي لَهُ فِي ماءِ مُزْنٍ   وَقَدْ وَدَّعْتُ مِنْهُ حَياً مَطِيرا
وَلَوْلا عادَةُ السُّقْيــا بِغَيْثٍ   إِذاً لَسَقَيْتُهُ الدُّرَّ النَّثِيرا
وَقَلَّ لِقَدْرِهِ مِنِّي وَقَلَّتْ   لَهُ زُهْرُ الْكَواكِبِ أَنْ تَغُورا
أَحِنُّ إِلىٰ الصَّعِيدِ كَأَنَّ فِيهِ   شِفايَ (٣) إِذا مَرَرْتُ بِهِ حَسِيرا
وَأَسْتافُ (٤) الثَّرىٰ مُذْ حَلَّ فِيهِ   وَأَلْصِقُــهُ التَّرائِبَ وَالنُّحُورا
وَلَوْلا قَبْرُهُ ما كُنْتُ يَوْماً   لِأَلْثِمَهُ وأَعْتَنِقَ الْقُبُورا

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ى) .
(٢) ولا ردا يحس ولا صحيرا (؟) (ت) .
(٣) شفائي إن . . . (ت)، شقائي إذ . . . (ك) .
(٤) وأشتاق (ي، ك، ن)، وأشتاف (ت) .

عَلَيْكَ بِأَدْمُعٍ آلَيْنَ أَلاَّ يَغِضْنَ وَلَوْ أَفَضْنَ دَمًا غَزِيرا
يَزُرْنَكَ مُسْعِداتٍ مُنْجِداتٍ رَواحًا بِالتَّفَجُّعِ أَوْ بُكُورا
فَأَوْلىٰ[(١)] مَنْ يُقاسِمُكَ الْأَسىٰ في خُطُوبِكَ مَنْ تُقاسِمُهُ[(٢)] السُّرُورا
وَلا تَعْلَقْ بِصَبْرٍ بَعْدَ بَدْرٍ ذَمَمْنا الصَّبْرَ عَنْهُ وَالصَّبُورا
وَإِنْ قالُوا اسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مِنْهُ مُعاراً كَيْفَ تَمْنَعُهُ[(٣)] الْمُعِيرا
فَلِمْ أَعْطاكَهُ نَجْماً خَفِيًّا وَعادَ لِأَخْذِهِ قَمَراً مُنِيرا
أَبا الذَّوّادِ ما كَبِدٌ أُذِيبَتْ بِشافِيَةٍ وَلا قَلْبٌ أُطِيرا
فَهَلْ لَكَ أَنْ تُراقِبَ فِيهِ يَوْمًا يُوَفّىٰ الصّابِرُونَ بِهِ الْأُجُورا
وَلَوْلا أَنْ أَخافَ اللهَ مِنْ أَنْ يَراني بَعْدَ إِيمانٍ كَفُورا
لَما عَزَّيْتُ قَلْبَكَ عَنْ حَبِيبٍ وَكُنْتُ بِأَنْ أُحَرِّقَهُ بَصِيرا
وَلَمْ نَعْهَدْكَ في سَرّاءِ حالٍ وَلا ضَرّائِها إِلاّ شَكُورا
فَصَبْراً لِلْمُلِمِّ وَإِنْ أَصَبْنا جَناحَ الصَّبْرِ مُنْهاضاً كَسِيرا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَكانَ أَبُوكَ مِمَّنْ إِذا خَطَبَ الْعُلىٰ أَغْلىٰ الْمُهُورا

---

(١) فأول مَن . . (م) .
(٢) يقاسمه (س، ظ، م، ع) .
(٣) يمنعه (س، ط، ك، م، ن، ع) .

بِأَنَّكُمُ أَطَبُّ بِكُلِّ أَمْرٍ إِذا ما ضَيَّعَ النَّاسُ الأُمُورا
وَأَيُّ الخَطْبِ يَنقُصُ مِنْ عُلاكُمْ وَأَيُّ النَّزْفِ يَنْتَزِحُ البُحُورا
وَأَيُّ عواصِفِ الأَرْواحِ (١) يَوْماً تَهُبُّ فَتَقْلَقُ الطَّوْدَ الوَقُورا
وَإِنَّكَ شائِدٌ وَأَخُوكَ (٢) مَجْداً سَيُخْلِدُ ذِكْرُهُ حَسَناً أَثِيرا
إِذا وُقِيتُما مِنْ كُلِّ خَطْبٍ فَما نَبْغِي عَلَى زَمَنٍ ظَهِيرا
وَما القَمَرانِ إِذْ سَعِدا وَتَمَّا بِأَبْهَرَ مِنْكُما فِي الفَضْلِ نُورا
أَرانِي لا أَسُومُ الصَّبْرَ قَلْبِي فَأُدْرِكَهُ يَسِيراً أَوْ عَسِيرا
كَأَنِّي مُبْتَغٍ (٣) لَكُما شَبِيهاً بِهِ أَوْ مُدَّعٍ لَكُما نَظِيرا
فَلا أَخْلى الزَّمانُ لَكُمْ مَحَلاً وَلا عَدِمَتْ سَماؤُكُمُ البُدُورا

* * *

٩٩

وقال فيه وفي أخيه سيف (٤) :

مَهْلاً بَنِي الصُّوفِيِّ إِنَّكُمُ لَيُعَدُّ دُونَ حِساتِكُمْ جَبَلِي

---

(١) الأرياح (ت) .
(٢) انظر التعريف بأخي الممدوح في الحاشية رقم (٤) من هذه الصفحة .
(٣) مُدَّعٍ (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٤) هو أبو المجالي سيف بن الحسن الصوفي تولى هو وأخوه أبو الذّوّاد المفرج رياسة دمشق سنة ٤٩٧ . (ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٤٤) .



لَوْ تُنْصِفُونَ صَفاءَ نِعْمَتِكُمْ ما احْتاجَ بَحْرُكُمُ إِلىٰ وَشَلِي
لا يَشْهَرَنَّ عَلَيَّ سَيْفُكُمُ سَيْفاً بِهِ فِي الْحَقِّ لَمْ يَصُلِ
إِنَّ الْكَرِيمَ الْمَحْضَ سُؤْدَدُهُ مَنْ لَمْ تَضِقْ بِوَفائِهِ حِيَلِي
وَالْماجِدَ الْمَرْجُوَّ نائِلُهُ مَنْ لَمْ يَخِبْ فِي وُدِّهِ أَمَلِي
بِئْسَ الْجَزاءُ جَزَيْتُمُ رَجُلاً لَمْ يَخْفَ مَوْضِعُهُ عَلَى رَجُلِ
دَبَّتْ عَقارِبُكُمْ إِلَيَّ وَقَدْ تَهْوِي إِلىٰ أَقْدامِكُمْ قُبَلِي

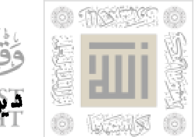
* * *

١٠٠

وقال في وجيه الدولة أبي الذوّاد المفرج[(١)]، وكتب بها إليه :

كَمْ سَما لِي بِحُسْنِ رَأْيِكَ جَدٌّ وَصَفا لِي بِفَيْضِ كَفِّكَ وِرْدُ
وَتَوالَتْ عَلَيَّ مِنْكَ أَيادٍ كَتَوالِي الْحَيا يَرُوحُ وَيَغْدُو
فَاجِئاتٌ فَلَيْسَ يَعْدَمُ بَذْلٌ مِنْ نَداها وَلَيْسَ يُوجَدُ وَعْدُ
ثِقَةَ الْمُلْكِ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ جَوْرٌ مِنْكَ يَوْماً وَلَيْسَ فِي الْجُودِ قَصْدُ
رُبَّ بِرٍّ فِي إِثْرِهِ مِنْكَ بِرٌّ بَعْدَ رِفْدٍ فِي طَيِّهِ مِنْكَ رِفْدُ

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٤٢)



كُلَّ يَوْمٍ جُودٌ أَتِيٌّ(١) وَمَعْرُو ... فٌ فَتِيٌّ وَنائِلٌ مُسْتَجِدُّ

كُلُّ أَيّامِ حُبِّكَ ٱلْجُودَ وَصْلٌ ... مُسْتَمِرٌّ وَٱلْحُبُّ وَصْلٌ وَصَدُّ

كَرَمٌ لا أَبِيتُ إِلاّ وَلِي مِنْـ ... ـهُ عَلَى ما ٱقْتَرَحْتُ زادٌ مُعَدُّ

أَعْجَزَ ٱلْحَمْدَ وَٱلثَّناءَ فَلَمْ يَنْـ ... ـهَضْ ثَناءٌ بِهِ وَلا قامَ حَمْدُ

وَمِنَ ٱلْعَجْزِ(٢) أَنَّ شُكْرِي نَسِيءٌ ... كُلَّ وَقْتٍ وَأَنَّ بِرَّكَ نَقْدُ

أَيْنَ عُذْرِي إِذا ٱسْتَزَدْتُكَ جُوداً ... لَمْ يَدَعْ(٣) خَلَّةً لَدَيَّ تُسَدُّ

غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو نَداكَ إِلىٰ يَوْ ... مٍ بِهِ زادَ فِي عَبِيدِكَ عَبْدُ

وَلَعَمْرِي ما كانَ يَخْرُجُ نَجْلٌ ... عَنْ قَبِيلٍ أَبُوهُ فِيهِمْ(٤) يُعَدُّ

وَلَأَنتَ ٱلْأَوْلىٰ بِعَبْدِكَ مِنِّي ... كُلُّ مَوْلىً بِعَبْدِهِ مُسْتَبِدُّ

* * *

١٠١

وقال أيضاً يمدحه :

لَوْ كُنْتَ شاهِدَ عَبْرَتِي يَوْمَ ٱلنَّقا ... لَمَنَعْتَ قَلْبَكَ بَعْدَها أَنْ يَعْشَقا

---

(١) إليَّ (س ، ك ، ت) .
(٢) ومن الحمد ... (ي)، ومن المعجزات شكري نسيءٌ (ك) .
(٣) لم تدع (ك ، ت) .
(٤) فيكم (س) .

وَلَكُنْتَ أَوَّلَ نازِعٍ مِنْ خُطَّتِي ... يَدَهُ وَلَوْ كُنْتَ ٱلْمُحِبَّ ٱلْمُشْفِقا

وَعَذَرْتَ فِي أَنْ لا أُطِيقَ تَجَلُّداً ... وَعَجِبْتَ مِنْ أَنْ لا أَذُوبَ تَحَرُّقا

ناشَدْتُ حادِيَ نُوقِهِمْ فِي مُدْنَفٍ ... أَبْكَى ٱلْحُداةَ بُكاؤُهُ وَٱلْأَيْنُقا

وَمَنَحْتُهُمْ جَفْناً إِذا نَهْنَهْتُهُ ... رَقَأَتْ جُفُونُ ٱلثّاكِلاتِ وَما رَقا

يا عَمْرُو أَيُّ عَظِيمِ خَطْبٍ لَمْ يَكُنْ ... خَطْبُ ٱلْفِراقِ أَشَدَّ مِنْهُ وَأَوْبَقا

كِلْنِي إِلَىٰ عُنْفِ ٱلصُّدُودِ فَرُبَّما ... كانَ ٱلصُّدُودُ مِنَ ٱلنَّوىٰ بِي أَرْفَقا

قَدْ سالَ حَتّىٰ قَدْ أَسالَ سَوادَهُ ... طَرْفِي فَخالَطَ دَمْعَهُ ٱلْمُتَرَقْرِقا

وَٱسْتَبْقِ لِلْأَطْلالِ فَضْلَةَ أَدْمُعٍ ... أَفْنَيْتَهُنَّ قَطِيعَةً وَتَفَرُّقا

أَوْ فَٱسْتَمِحْ لِي مِنْ خَلِيٍّ سَلْوَةً ... إِنْ كانَ ذُو ٱلْإِثْراءِ يُسْعِفُ مُمْلِقا

إِنَّ ٱلظِّباءَ غَداةَ رامَةَ (١) لَمْ تَدَعْ ... إِلاّ حَشىً فَلِقاً وَقَلْباً شَيِّقا

سَنَحَتْ فَما (٢) مَنَحَتْ وَكَمْ مِنْ عارِضٍ ... قَدْ مَرَّ مُجْتازاً عَلَيْكَ وَما سَقا

غِيدٌ نَصَبْتُ لِصَيْدِهِنَّ حَبائِلاً ... يَعْلَقْنَهُنَّ فَكُنْتُ فِيها أَعْلَقا

وَلَكَمْ نَهَيْتُ ٱللَّيْثَ أَغْلَبَ باسِلاً ... عَنْ أَنْ يَرُودَ ٱلظَّبْيَ أَتْلَعَ أَرْشَقا

فَإِذا ٱلْقَضاءُ عَلَى ٱلْمَضاءِ مُرَكَّبٌ ... وَإِذا ٱلشَّقاءُ مُوَكَّلٌ بِأَخِي ٱلشَّقا

---

(١) رامة : من قرى بيت المقدس .

(٢) وما (ك ، ت) .

وَلَقَدْ سَرَيْتُ إِذَا⁽¹⁾ ٱلسَّمَاءُ تَخَالُهَا ... بُرْداً بِرَاكِدَةِ ٱلنُّجُومِ مُشَبْرَقَا⁽²⁾
وَٱللَّيْلُ مِثْلُ ٱلسَّيْلِ لَوْلا لُجَّةٌ ... تَغْشَى ٱلرُّبَى بِأَعَمَّ مِنْهُ وَأَعْمَقَا
وَمُشَمِّرِينَ تَدَرَّعُوا ثَوْبَ ٱلدُّجَى ... فَأَجَدَّ لُبْسَهُمُ ٱلزَّمَاعُ⁽³⁾ وَأَخْلَقَا
عَاطَيْتُهُمْ كَأْسَ ٱلسُّرَى فِي لَيْلَةٍ ... أَمِنَ ٱلظَّلَامُ بِفَجْرِهَا أَنْ يُشْرِقَا
حَتَّى إِذَا حَسَرَ ٱلصَّبَاحُ⁽⁴⁾ كَأَنَّهُ ... وَجْهُ ٱلْوَجِيهِ⁽⁵⁾ تَبَلُّجاً وَتَأَلُّقَا
حَطُّوا رِحَالَ ٱلْعِيسِ مِنْهُ بِخَيْرِ مَنْ ... هَزُّوا إِلَيْهِ رِقَابَهَا وَٱلأَسْؤُقَا
بِأَغَرَّ يَجْلُو لِلْوُفُودِ جَبِينُهُ ... شَمْساً تَكُونُ لَهَا ٱلْمَعَالِي مَشْرِقَا
نَزَلُوا فَمَا وَصَلُوهُ مَهْجُوراً وَلا ... فَتَحُوا إِلَى نُعْمَاهُ بَاباً مُغْلَقَا
إِنْ زُرْتَهُ فَتَوَقَّ فَيْضَ بَنَانِهِ ... إِنَّ ٱلْبِحَارَ مَلِيَّةٌ أَنْ تُغْرِقَا
وَإِذَا أَبُو ٱلذَّوَّادِ⁽⁶⁾ حَاطَكَ ذَائِداً ... فَلَقَدْ أَخَذْتَ مِنَ ٱللَّيَالِي مَوْثِقَا
يَشْتَدُّ مَمْنُوعاً وَيُكْرِمُ قَادِراً ... وَيَطُولُ مَحْقُوقاً⁽⁷⁾ وَيَصْفَحُ مُحْنَقَا

(١) إذ (ك ، ج) .
(٢) المُشَبْرَق : المقطّع المزّق .
(٣) الزمان (ك ، ن) .
(٤) الظلام (ت) .
(٥) من ألقاب الممدوح : وجيه الدولة .
(٦) أبو الذوّاد : كنية الممدوح .
(٧) المحقوق : الخليق .

لَوْ أَنَّ مَنْ يَرْوِي حَدِيثَ سَماحِهِ يَرْوِيهِ عَنْ صَوْبِ ٱلْحَيا ما صُدِّقا
صَحِبَ ٱلزَّمانَ وَكانَ يَبْساً ذاوِياً فَسَقاهُ بِٱلْمَعْرُوفِ حَتّىٰ أَوْرَقا
لا تَذْكُرَنَّ[1] لَهُ ٱلْمَكارِمَ وَٱلْعُلىٰ فَتَهِيجَ صَباً أَوْ تَشُوقَ مُشَوَّقا
عَشِقَ ٱلْمَحامِدَ وَهْيَ عاشِقَةٌ لَهُ وَكَذاكَ ما بَرِحَ ٱلْجَمالُ مُعَشَّقا
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ ٱلْمَكارِمِ فِعْلُهُ خُلُقاً إِذا كانَ ٱلْفَعالُ تَخَلُّقا
لا يَمْنَحُ ٱلْإِحْسانَ إِلاّ شامِلاً خَيْرُ ٱلْحَيا ما عَمَّ مِنْهُ وَطَبَّقا[2]
كَتَمَ ٱلصَّنائِعَ فَٱسْتَشاعَ ثَناؤُها مَنْ ذا يَصُدُّ ٱلصُّبْحَ[3] عَنْ[4] أَنْ يُشْرِقا
قَدْ حالَفَ ٱلْعَزْمَ[5] ٱلْحَمِيدَ فَلَمْ يَخَفْ خَطْباً يُحاوِلُ فَتْقَهُ أَنْ يُرْتَقا
وَرَمىٰ إِلىٰ ٱلْغَرَضِ ٱلْبَعِيدِ فَلَمْ يَبِتْ أَبَداً بِغَيْرِ ٱلْمَكْرُماتِ مُؤَرَّقا
سامِي ٱلْمَرامِ شَرِيفُهُ إِنْ تَدْعُهُ لا تَدْعُهُ لِلْخَطْبِ إِلاّ مُقْلِقا
إِنْ جادَ[6] فِي بِشْرٍ تَوَهَّمَ عارِضاً أَوْ حَلَّ فِي نَفَرٍ تَراءَوْا[7] فَيْلَقا

(١) لم يرد هذا البيت مع بيتين بعده في (ك).
(٢) فطبّقا (ك).
(٣) الفجر (ت).
(٤) من أن (ن).
(٥) الحزم (ي ن).
(٦) حاد (ظ ، م ، ع).
(٧) تراأى (ك ، ن ، ت).

تَلْقاهُ فِي هَيْجاءِ كُلِّ مُلِمَّةٍ بَطَلاً إذا شَهِدَ ٱلْكَرِيهَةَ حَقَّقا
كَٱلْمَشْرَفِيِّ ٱلْعَضْبِ إِلاَّ أَنَّهُ أَمْضىٰ شَباً مِنْهُ وَأَبْهرُ[1] رَوْنَقا
جارىٰ عِنانَ ٱلْفَضْلِ فِي أَمَدِ ٱلْعُلىٰ أَدْنىٰ وَأَقْرَبُ شَأْوِهِ أَنْ يَسْبِقا
لا يُدْرِكُ ٱلْجارُونَ غايَةَ مَجْدِهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِلىٰ ٱلسَّماءِ تَسَلُّقا
هَيْهاتَ يَمْنَعُ ذاكَ حَقٌّ أَخْلَقٌ لا يُحْسِنُ ٱلْعَيُّوقُ فِيهِ تَحَلُّقا[2]
وَمِنَ ٱلتَّأَخُّرِ أَنْ يُقَدِّمَ واطِئٌ قَدَماً عَلَى دَحْضٍ أَزَلَّ وَأَزْلَقا
ما كُلُّ مَنْقَبَةٍ يُحاوَلُ نَيْلُها تُحْوىٰ وَلا كُلُّ ٱلْمَنازِلِ تُرْتَقا
يا سَيِّدَ ٱلرُّؤَساءِ أَسيءُ مُطاوِلٍ أَنْ[3] يَسْتَطِيعَ بِكَ ٱللَّحاقَ فَيَلْحَقا
ماذا يُحاوِلُهُ ٱلْمُغامِرُ بَعْدَما وَجَدَ ٱلْمَجالَ إِلىٰ قِراعِكَ ضَيِّقا
إِنَّ ٱلرِّياسَةَ لا تَلِيقُ بِغَيْرِ مَنْ مُذْ كانَ كانَ بِثَدْيِها[4] مُتَمَطِّقا
بِغَنائِها مُتَكَفِّلاً وَبِفَضْلِها مُتَوَحِّداً وَبِمُلْكِها مُتَحَقِّقا
كَمْ فِيكَ مُجْتَمِعاً مِنَ ٱلْحَسَناتِ ما يُعْيِي وَيُعْجِزُ فِي ٱلْوَرىٰ مُتَفَرِّقا

---

(١) وأبهى (ت) .
(٢) تخلقا (ي ، س ، ت) .
(٣) لن (ك) .
(٤) لثديها (ي ، ك ، ن ، ت) .

وَلبيتِكَ الفخرُ الذي لَوْ أَنَّهُ ... سامى السِّماكَ (١) لَكانَ مِنْهُ أَسْمَقا (٢)
مَنْ كانَ يَفْخَرُ أَنَّهُ مِنْ أُسْرَةٍ ... كَرُمَتْ وَيَضْرِبُ في الكِرامِ مُعْرِقا
فَلْيَأْتِنا بِأَبٍ كَمِثْلِ أَبيكَ (٣) في الـ ... ـعَلْياءِ أَوْ جَدٍّ كَجَدِّكَ (٤) في التُّقا
أَمّا دِمَشْقُ فَقَدْ حَوَتْ بِكَ عِزَّةً ... كَرُمَتْ بِها عَنْ أَنْ تَكُونَ الأَبْلَقا (٥)
حَصَّنْتَهـا بِسَدادِ رَأْيِكَ ضارِباً ... سُوراً عَلَيْها مِنْ عُلاكَ وَخَنْدَقا
وَحَمَيْتَ حَوْزَتَها بِهِمَّةِ أَوْحَـدٍ ... ما زالَ مَيْمُونَ الفَعالِ مُوَفَّقا
أَمْطَرْتَها مِنْ فَيْضِ عَدْلِكَ (٦) أَنْعُماً ... لا تُعْدِمُ الرُّوّادَ رَوْضـاً مُونِقا
إِنْ أَظْلَمَتْ كُنْتَ الضُّحاءَ المُجْتَلى (٧) ... أَوْ أَجْدَبَتْ كُنْتَ الرَّبيعَ المُغْدِقا
وَأَنا الَّذي أَضْحى أَسيرَ عَوارِفٍ ... لَكَ لا يَوَدُّ أَسيرُها أَنْ يُطْلَقا
أَوْفى وَأَشْرَفُ ما يُؤَمِّلُ آمِلٌ ... أَنْ لا يُرى مِنْ رِقِّ جُودِكَ مُعْتَقا

(١) السماك : كوكب .
(٢) أشهقا (ك) .
(٣) كان أبوه الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ١٧١) .
(٤) كان جده الحسين بن محمد الكلابي يقصر ثيابه فلقب بالصوفي (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ١٧١) .
(٥) الأبلق : حصن السموأل، وفي المثل : (تمرد مارد وعزّ الأبلق) .
(٦) كفك (ن) .
(٧) المنجلى (ت) .

أَجَمْتُ جُودَكَ فَٱسْتَفاضَ سَماحَةً ... وَإِذا حَبَسْتَ ٱلسَّيْلَ زادَ تَدَفُّقا
وَحَمَيْتُ آمـالي سِواكَ وَعاطِلٌ ... مَنْ كانَ مِنْ مَنِّ ٱللِّئـامِ مُطَوَّقا
لَمْ يُبْقِ سَيْبُ[1] نَداكَ مَوْضِعَ نائِلٍ ... فَهَقَ ٱلْغَـدِيرُ وَحَقُّهُ أَنْ يَفْهَقا
وَلَئِنْ مَنَنْتَ فَواجِبٌ لَكَ فِي ٱلنَّدىٰ ... إِمّا نَزَعْتَ بِسَهْمِهِ أَنْ يُغْرِقا
أُثْنِي عَلَيْكَ بِحَقٍّ حَمْـدِكَ صادِقاً ... حَسْبُ ٱلْمَعالِي أَنْ تَقُولَ[2] فَتَصْدُقا
وَلَكَمْ يَدٍ لَكَ لا يُؤَدّى حَقُّها ... ما خَبَّ رَكْبٌ بِٱلْفِجاجِ[3] وَأَعْنَقا
أَعْيَتْ ثَنايَ وَأَوْجَبَتْ شُكْرِي لِسا ... نِفِهـا فَأَفْحَمَنِي نَداكَ وَأَنْطَقا
خُذْها كَما حَيّاكَ نَوْرُ[4] خَمِيلَةٍ ... خَطَرَ ٱلنَّسِيمُ بِهِ ضُحىً فَتَفَتَّقا
تَأْبىٰ عَلَى ٱلْكِتْمانِ غَـيْرَ تَضَوُّعٍ ... مَنْ ذا يَصُدُّ ٱلْمِسْكَ عَنْ أَنْ يَعْبَقا
عَذْراءُ لا تَجْلُو ٱلثَّناءَ عَلَيْكَ إِطْـراءً وَلا تَصِفُ ٱلْوَلاءَ[5] تَمَلُّقا
تُحْيِي حَبِيباً[6] وَٱلْوَلِيدَ وَتَجْتَبِي ... لِخُلُودِ[7] فَخْرِكَ أَخْطَلاً وَفَرَزْدَقا

(١) سيل (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٢) يقول (ن ، ت) .
(٣) في الفجاج (ت) .
(٤) روض خميلة (ت) .
(٥) الوداد (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٦) حبيب : هو أبو تمام الطائي ، والوليد : هو البحتري ، وهما مع الأخطل والفرزدق من أئمة الشعراء .
(٧) بخلود (ي ، ك ، ن ، ت) .

وَكَأَنَّ تَغْرِيدَ ٱلْغَرِيضِ(١) مُرَجِّعاً فِيها وَعانِيَّ(٢) ٱلرَّحِيقِ مُعَتَّقا
وَكَأَنَّ أَيّامَ ٱلصَّبابَةِ رِقَّةً فِيها وَمُفْتَرَقَ ٱلنَّوى وَٱلْمُلْتَقا
وَقَدِ(٣) ٱسْتَشادَ لَكَ ٱلثَّناءَ فَما تَرى إِلاَّ بَلِيغاً بِٱمْتِداحِكَ مُفْلِقا
فَمَتى تَغَنَّى ٱلرَّكْبُ يَوْماً أَوْ حَدا لَمْ يَعْدُ مَدْحَكَ مُشْئِماً أَوْ مُعْرِقا
وَٱلدُّرُّ يَشْرُفُ قِيمَةً وَيَزِيدُهُ(٤) شَرَفاً إِذا ما كانَ دُرّاً مُنْتَقا
مَنْ باتَ يَسْأَلُ رَبَّهُ أُمْنِيَّةً فَٱللّهَ أَسْأَلُ أَنْ يُطِيلَ لَكَ ٱلْبَقا

* * *

١٠٢

وقال يمدحه وقد توجه إلى بعلبك :

أَطاعَكَ فِيما تَرُومُ(٥) ٱلْقَدَرْ وَأَسْفَرَ عَمّا تُحِبُّ ٱلسَّفَرْ
وَأَسْعَدَكَ ٱللّهُ بِٱلْوِرْدِ مِنْهُ وَأَحْمَدَ بِٱلْيُمْنِ مِنْكَ ٱلصَّدَرْ
يَزِيدُ مَسِيرُكَ ذا عِزَّةٍ كَما ٱزْدادَ بِٱلسَّيْرِ نُورُ ٱلْقَمَرْ

---

(١) الغريض : من أشهر المغنين في العصر الأموي .
(٢) نسبة إلى عانة المشهورة بجودة الخمر .
(٣) وإذا بثثنا ذا الثناء فما ترى (ك) .
(٤) فيزيده (ن) .
(٥) يروم (ن) .

دَعاكَ ٱلْهُمامُ لِنَيْلِ ٱلْمَرامِ فَكُنْتَ ٱلْحُسامَ ٱلْحَميدَ ٱلْأَثَرْ
رَأَىٰ ثِقَةَ ٱلْمُلْكِ عَوْنًا لَهُ فَباتَ عَلَى ثِقَةٍ بِٱلظَّفَرْ
وَلَمْ يَدْعُ ذُو خَطَرٍ لِلْمُلِمِّ مِنَ ٱلْأَمْرِ إِلاّ ٱلْعَظيمَ[(١)] ٱلْخَطَرْ
بَقاؤُكَ أَشْرَفُ ما يُرْتَجىٰ وَأَوْبُكَ أَبْهَجُ ما يُنْتَظَرْ

• • •

١٠٣

وقال يمدحه ويهنيه شهر رمضان [(٢)] :

بَقاؤُكَ أَوْفىٰ ٱقْتِراحِ ٱلْأَماني وَعِزُّكَ أَشْرَفُ حَظِّ ٱلتَّهاني
وَحَمْدُكَ أَفْضَلُ نُطْقِ ٱللَّبيبِ وَمَدْحُكَ أَصْدَقُ سِحْرِ ٱلْبيانِ
وَما ٱلشَّهْرُ وَٱلدَّهْرُ إِلاّ بِأَنْ تَفُوزَ بِسَعْدِهِما يَسْعَدانِ
بِمَجْدِكَ يا ثالِثَ ٱلنَّيِّرَيْنِ وَثانِي ٱلْحَيا يَفْخَرُ ٱلنَّيِّرانِ
فَلا تَجْهَلَنَّكَ زُهْرُ ٱلنُّجومِ فَإِنَّكَ مِنْها عَلى ٱلْبُعْدِ دانِ
فَيا سَيِّدَ ٱلرُّؤَساءِ ٱلَّذيـــنَ سادُوا وَسَيِّدَ أَهْلِ ٱلزَّمانِ

(١) عظيم الحطر (ن) .
(٢) سقطت هذه القصيدة كلها من (ك) .

وَيا خَيرَ مَنْ وَلَدَ ٱلْمُنْجِبُونَ وَأَكْرَمَهُمْ شائِداً بَعْدَ بانِ
دَعانِي نَداكَ فَكَمْ نِعْمَةٍ تَقَلَّبْتُ فِي ظِلِّها مُذْ دَعانِي
إِذا ما سَأَلتُ أَفادَ ٱلْغِنىٰ وَإِنْ لَمْ أَسلْ جادَنِي وَٱبْتَدانِي
وَإِنْ أَنا أَغْبَبْتُهُ زائِراً تَعَهَّدَنِي تائِقاً وَٱقْتَضانِي
مَواهِبُ تُنْتَجُ قَبْلَ ٱلْمَخا ضِ جُوداً وَتُثْمِرُ قَبلَ ٱلْأَوانِ
فَمالِي تُطاوِلُنِي حاجَةٌ عَنانِيَ مِنْ شَأْنِها ما عَنانِي
وَكَيْفَ يُحَلِّئُنِي مَنْ شَفى(١) أُوامِي وَيُهْمِلُنِي مَنْ رَعانِي
وَكَمْ باتَ يَخْذُلُنِي مَنْ أَعا نَ فَضْلِي وَيُسْلِمُنِي مَنْ حَمانِي
وَما كُنْتُ آمُلُ أَنِّي لَدَيْـ ـكَ أُلْجا إِلىٰ غَفْلَةٍ أَوْ تَوانِ
وَلَوْ شِئْتُ إِذْ رابَنِي ما يَرِيبُ هَزَزْتُكَ هَزَّ ٱلْحُسامِ ٱلْيَمانِي
أُدِلُّ عَلَيْكَ وَأَشْكُو إِلَيْـ ـكَ نَبْوَةَ حَظٍّ شَدِيدِ ٱلْحِرانِ
وَيُطْمِعُنِي فِيكَ أَنَّ ٱلثَّنا ءَ ما زالَ مِنْكَ مَكِينَ ٱلْمَكانِ
بَقِيتَ لِإِحْسانِكَ ٱلْمُرْتَجىٰ بَقاءَ ٱلْمَدائِحِ فِيكَ ٱلْحِسانِ
وَعِشْتَ لِراجِيكَ فِي ٱلنّائِبا تِ فَلاَّ لِعادٍ وَفَكّاً لِعانِ

(١) سقى (ت).

فَكَمْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ ضَخْمَةٍ لَدَيَّ وَمَنٌّ بِغَيْرِ آمْتِنانِ
أَراكَ أَمانًا مِنَ ٱلْحادِثاتِ فَلا زِلْتَ مِنْ صَرْفِها فِي أَمانِ
وَشَدَّ لَكَ ٱلْأَزْرَ رَبٌّ حَباكَ بِنَجْلَيْنِ نَسْلِ ٱلْأَغَرِّ ٱلْهِجانِ
إِلَىٰ أَنْ تَرَىٰ قَمَرًا طالِعًا عَلَى ٱلْخَلْقِ يَحْجُبُهُ ٱلْفَرْقَدانِ

* * *

١٠٤

وقال يمدحه ويهنيه بقدومه من الحجِّ (١) :

أَلَمْ أَكُ لِلْقَوافِي ٱلْغُرِّ خِدْنًا وَقِرْنًا لَنْ يُرامَ وَلَنْ يُرازا
أَبِيتُ أَرُوضُها طَوْرًا وَطَوْرًا أُذَلِّلُها صِعابًا أَوْ عِزازا
تَكادُ تَئِنُّ مِنْ أَلَمٍ إِذا ما ثِقافُ ٱلْفِكْرِ عاصَرَها لِزازا
أَلَسْتُ إِلَىٰ ٱلنَّدَىٰ أُنْمَىٰ ٱعْتِزاءً أَلَمْ أَكُ بِٱلنَّدَىٰ أَحْمِيٰ ٱعْتِزازا
أَلَمْ تُثْمِرْ يَدُ ٱلْمَعْرُوفِ عِنْدِي وَقَدْ طابَتْ غِراسًا أَوْ غِرازا
فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ أَغْدُو ضَنِينًا عَدا حَدَّ ٱلسَّماحِ بِهِ وَجازا
وَكَمْ مِنْ جاهِدٍ قَدْ رامَ عَفْوِي فَما بَلَغَتْ حَقِيقَتُهُ ٱلْمَجازا

(١) سقطت هذه القصيدة كلها من (ك) .

يَرُومُ بِعَجْزِهِ ٱلإِنجازَ جَهْلاً وَكَيْفَ يَصِيدُ بِٱلْكَرَوانِ بازا
سَأَبْسُطُ فِي ٱلثَّناءِ لِسانَ صِدْقٍ يَطُولُ بِهِ ٱرْتِجالاً وَٱرْتِجازا
يَعُبُّ عُبابُهُ بَحْراً خِضَمّاً وَيَبْتُكُ حَدُّهُ عَضْباً جُرازا
لَعَلِّي أَنْ يَفُوزَ بِسَعْدِ مَدْحِي فَتىً سَعِدَ ٱلزَّمانُ بِهِ وَفازا
فَأَجْزِيَ سَيِّدَ ٱلرُّؤَساءِ نُعْمىٰ لَهُ عِنْدِي وَجَلَّتْ أَنْ تُجازا
وَمَنْ لِي أَنْ أَقُومَ لَهَا بِشُكْرٍ وَأَنْ أُغْرِي بِما أُعِدُّ ٱلنَّجازا
عَنَتْنِي(١) لا ٱلثَّناءُ لَهَا مُطِيقاً وَلا كُفْرانُها(٢) لِي مُسْتَجازا
رَأَى بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلدَّهْرِ حَرْباً أُكابِدُها نِزالاً أَوْ بِرازا
تَتُوقُ إِلىٰ ٱلْغُمُودِ ٱلْبِيضُ فِيها وَتَشْتاقُ ٱلرِّماحُ بِها ٱلرِّكازا
فَأَصْلَتَ مِنْ مَكارِمِهِ حُساماً يَجُبُّ غَوارِبَ ٱلنُّوَبِ ٱحْتِزازا
حَمىٰ وَهَمىٰ فَعُذْتُ وَلُذْتُ مِنْهُ بِأَكْرَمِ مَنْ أَجارَ وَمَنْ أَجازا
وَإِنِّي مُذْ تَحَدَّتْنِي ٱللَّيالِي لَمُنْحازٌ إِلىٰ ٱلْكَرَمِ ٱنْحِيازا
إِلىٰ مُتَوَحِّدٍ بِٱلْحَمْدِ فاتَ ٱلْـــكِرامَ بِهِ ٱخْتِصاصاً وَٱمْتِيازا

---

(١) يمني ... (ت) .
(٢) ولا كفراً بها ... (س ، ظ ، م ، ع) .

أَعَمُّهُمُ إِذا كَرُمُوا سماحًا ... وَأَثْقَلُهُمْ إِذا حَلُمُوا(١) مَرازا(٢)

عَلِيٌّ أَنْ يُطاوَلَ أَوْ يُسامى ... أَبِيٌّ أَنْ يُماثَلَ أَوْ يُوازا

أَقَلُّ النّاسِ بِالْمالِ احْتِفالاً ... وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى الْمَجْدِ احْتِرازا

تَهُونُ طَرِيقُ سائِلِهِ إِلَيْهِ ... وَإِنْ عَزَّ احْتِجابا وَاحْتِجازا

فَتىً لَمْ يَسْتَكِنْ لِلدَّهْرِ يَوْمًا ... وَلَمْ تَضِقِ الْخُطُوبُ بِهِ الْتِزازا

وَلَمْ يَكُ جُودُهُ فَلَتاتِ غِرٍّ ... أُبادِرُ فُرْصَةً مِنْها انْتِهازا

صَلِيبٌ حِينَ تَعْجُمُهُ اللَّيالِي ... وَغَيْرُ النَّبْعِ يَنْغَمِزُ انْغِمازا

يُغالِبُها اقْتِداراً وَاقْتِساراً ... وَيَسْلُبُها ابْتِذالاً وَابْتِزازا

عُلىً تُقْذِي الْعُيُونَ مِنَ الأَعادِي ... وَتُنْبِتُ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَزازا

أَبا الذَّوّادِ كَمْ لِي مِنْ مَقامٍ ... لَدَيْكَ وَكَمْ أَفادَ وَكَمْ أَفازا

أُغِيرُ عَلَى نَداكَ وَكانَ حَقًّا ... لِجُودِكَ أَنْ يُغاوِرَ أَوْ يُغازا

وَما لِسَوامِ وَفْرِكَ مِنْكَ حامٍ ... فَيَأْمَنَ سَرْحُهُ مِنِّي اخْتِزازا(٣)

عَمَمْتَ الشّامَ صَوْبَ حَياً فَلَمّا ... تَرَوّى الشّامُ ناهَضْتَ الْحِجازا

---

(١) حكموا (ن)، حرموا (ت).

(٢) المراز: المقدار والوزن.

(٣) في جميع النسخ (احترازا) إلا في (ت) التي اخترنا روايتها. واختزه بسهمه ورمحه: انتظمه وطعنه.

أُتِيحَ لَهُ وَقُيِّضَ مِنْكَ غَيْثٌ حَوَىٰ خِصْبَ الزَّمانِ بِهِ وَحازا
فَأَمْطَرَهُ النَّدىٰ لا ماءُ مُزْنٍ وَأَنْبَتَهُ الغِنىٰ لا الخازَبازا (١)
سَقىٰ بَطْحاءَ مَكَّةَ فَالمُصَلّىٰ وَرَوْضَ سَهْلَ طَيْبَةَ وَالعَزازا (٢)
وَكُنْتَ إِذا وَطِئْتَ تُرابَ أَرْضٍ رَبا بِنَداكَ وَاهْتَزَّ اهْتِزازا
إِذا لَمْ تَرْوِها الأَنْواءُ قَصْداً كَفاها أَنْ تَمُرَّ بِها اجْتِيازا
رَأَى الحُجّاجُ يَوْمَ حَجَجْتَ بَدْراً وَبَحْراً لَنْ يُغامَ (٣) وَلَنْ يُجازا
سُقُوا وَدُعُوا بِجُودِكَ لا اسْتِقاءً أَيا جَمَّ السَّماحِ وَلا اخْتِيازا
أَجَزْتَهُمُ المَخافَةَ لَمْ يُرابُوا بِها رَيْباً وَمِثْلُكَ مَنْ أَجازا
وَأَرْهَبُ ما يَكُونُ السَّيْفُ حَدّاً إِذا ما فارَقَ السَّيْفُ الجَهازا (٤)
وَكَمْ لَكَ حِجَّةً لَمْ تَدْعُ فِيها إِلَىٰ الوَخْدِ المُضَبَّرَةَ الكِنازا
صَنائِعُ كَمْ رَفَعْتَ بِها مَناراً لِفَخْرٍ وَاتَّخَذْتَ بِها مَفازا

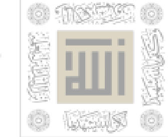
---

(١) الخازباز : ذباب يكون في الروض، أو يطير على الشجر، وقيل حكاية أصواته ، وضربان من النبات .

(٢) العَزاز : الأرض الصلبة .

(٣) في جميع النسخ (لن يعام) والصواب ما ذهبنا اليه . ويريد بقوله (لن يغام) أي لايحجبه الغيم .

(٤) كأنه يريد بالجهاز الغمد، ولم أره بهذا المعنى .



وَما جاراكَ فِي فَضْلٍ فَخارٌ ... فَلَمْ(١) تَجْتَزْ مَدى ٱلْفَضْلِ ٱجْتِيازا
وَلا ساماكَ فِي عَلْياءِ إلاّ ... وَفُزْتَ بِها ٱنْفِراداً وَٱنْفِرازا
لَبِسْتَ مِنَ ٱلْفَضائِلِ ثَوْبَ فَخْرٍ ... وَلٰكِنْ كُنْتَ أَنْتَ لَهُ ٱلطِّرازا(٢)

* * *

١٠٥

وقال أيضاً يمدحه(٣) :

أَنْتَ لِلْمُسْلِمِينَ حِصْنٌ وَحِرْزُ ... وَلِراجِي نَداكَ ذُخْرٌ وَكَنْزُ
أَبَداً ما تَزالُ عَطْفاً عَلَيْهِمْ ... وَدِفاعاً عَنْهُمْ تَحُجُّ وَتَغْزُو
أَصْبَحَتْ هٰذِهِ ٱلرَّعِيَّةُ مِنْ عَدْ ... لِكَ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ لا تُبَزُّ
سَكَنَتْ مَعْقِلاً مِنَ ٱلْأَمْنِ لا تُزْ ... عَجُ يَوْماً بِهِ ولا تُسْتَفَزُّ
ما لَهَا مِنْ مُزِيلِ خَطْبٍ وَلا كا ... شِفِ كَرْبٍ سِواكَ حِينَ تُلَزُّ(٤)
فَهْيَ مِنْ بَعْدِ حَمْدِها ٱللّٰهَ لا يُسْـ ... ـمَعُ مِنْها بِغَيْرِ حَمْدِكَ رِزُّ(٥)

---

(١) فلم تجبر (ظ ، ت) .
(٢) طرارا (ن) .
(١) سقط ثلاثة عشر بيتاً من أول هذه القصيدة من نسخة ...
(٢) يلز (ن) .
(٣) الرِّزُّ : الصوت تسمعه من بعيد . وفي (م ، ع ، ن) رِكْزُ ، وهو الصوت الخفي والحس .

لا ترىٰ إنْ دعَتْ إلىٰ ٱللهِ أوْلىٰ ... مِنْ دُعاهِ تبْقىٰ بِهِ وَتَعِزْ
وَمعَ ٱلرَّأْفةِ ٱلَّتِي ألِفَتْ مِنْــكَ فَفِي ٱللِّينِ شِــدَّةٌ وَمهَزْ
رُضْتَها لَمْ تَجُزْ⁽¹⁾ مُقِيماً⁽²⁾ لِمَيْلٍ ... رُبَّما صَدَّعَ ٱلْمُثقَّفَ غَمْزُ
كَيْفَ يُبْطِي عَنْكَ ٱلثَّناءُ وَقَدْ أَسْــرَعَ جُودٌ يَحْدُوهُ حَثٌّ وَحفْزُ
غَرِّقَ⁽³⁾ ٱلسّائِلِينَ وَٱلنَّجْدَ غَوْرٌ ... وَحَمىٰ ٱلعائِذِينَ وَٱلْوَهْدَ نَشْزُ
لا كَجُودٍ يُعْيِي وَيُعْنِفُ إِلّا ... إلىٰ جَفْرِهِ ٱلْعَمِيقِ وَنَهْزُ
ما رَأَيْناكَ نابِياً عَنْ مَرامٍ ... مُذْ هَزَزْناكَ وَٱلْحُسامُ يُهَزْ
لا وَلا غَيَّرَتْكَ عَنْ طِيبِ أَعْرا ... قِكَ⁽⁴⁾ هٰذِي ٱلْخُطُوبُ وَٱلْبَزُّ بَزُّ
فَمَنِ ٱلْمُرْتَجىٰ لِلَهْفَةِ حُرٍّ ... باتَ فِي صَدْرِهِ مِنَ ٱلْهَمِّ وَخْزُ
يَتَحامىٰ ٱلشَّكْوىٰ إِذا أَعْلَنَ ٱلنَّجْــوىٰ وَحَسْبُ ٱلْكَرِيمِ لَمْحٌ وَرَمْزُ
قَدْ نَحَتْ عَظْمِيَ ٱلْخُطُوبُ فَفِيهِ ... بَيْنَ جِلْدِي وَٱلنَّحْضِ حَزٌّ وَجَزُّ
كَيْفَ يُغْضِي عَلَى ٱلنَّوائِبِ مُغْضٍ ... وَلِأَنْيابِهِنَّ نَهْشٌ وَنَكْزُ

---

(١) في جميع النسخ (لم تحز) إلا في (ت) التي اخترنا روايتها .

(٢) مقيلا (س) .

(٣) من هذا البيت الى آخر هذه القصيدة ساقط من (ظ) .

(٤) أخلاقك (ك) .

فِي زَمانٍ بِهِ ٱلرَّئِيسُ وَجِيهُ ٱلـدَّوْلَةِ[1] ٱلْأَوْحَدُ ٱلْأَجَلُّ[2] ٱلْأَعَزُّ

ٱلَّذِي بَيْنَنا وَبَيْنَ ٱللَّيالِي أَبَداً مِنْ نَداهُ حَسْمٌ وَحَجْزُ

يا هُماماً ما شانَهُ قَطُّ لُؤْمٌ يا غَماماً[3] ما شابَهُ قَطُّ رِجْزُ

أَنْتَ أَحْمَيْتَ[4] مَشْرَبِي وَهْوَ مَطْرُوقٌ وَأَغْزَرْتَ مَطْلَبِي وَهْوَ نَزُّ

أَنْتَ أَنْهَضْتَنِي وَقَدْ خَرِقَ ٱلْخَطْبُ فَلَمْ يُغْنِ فِيهِ رَكْلٌ وَهَمْزُ

أَنْتَ أَلْبَسْتَنِي مَلابِسَ نُعْمَى خَشِنٌ عِنْدَهُنَّ خَزٌّ وَقَزُّ[5]

قَدْ هَجَرْتُ ٱلْوَرَى إِلَيْكَ وَلَمْ أَظْلِمْ وَمَدْحِي سِواكَ لِلْمَدْحِ وَهْزُ[6]

لا تُقِلُّ ٱلرِّكابُ رَحْلِي وَلا يَحْمِلُ رِجْلِي إِلاّ لِقَصْدِكَ[7] غَرْزُ[8]

مَشْيُها ٱلْقَهْقَرَى إِلَيْهِمْ وَإِنْ أَمَّتْكَ يَوْماً فَٱلْمَشْيُ وَثْبٌ وَجَمْزُ

وَإِذا ٱلْبَحْرُ عَنَّ لِي وَهْوَ طامٍ فَقُعُودِي مَعَ ٱلصَّدَى عَنْهُ عَجْزُ

---

(١) وجيه الدولة من ألقاب الممدوح .
(٢) الكريم (ن) .
(٣) وغماما (س) .
(٤) في جميع النسخ (أجمت) إلا في (ت) .
(٥) وَبَزٌّ (ت)
(٦) الوَهْزُ : الدفع . وفي (ي ، ك ، ن ، ت) هَزُّ .
(٧) في جميع النسخ (بقصدك) إلا في (ت) .
(٨) الغَرْزُ : الركاب من جلد .



لَيسَ أَيّامُكَ ٱلْمُنيرَةُ(١) لِلأَيّـــامِ إِلاّ حُلَى تَزِينُ وَطَرْزُ
أَنْتَ أَعْلَى مِنْ كُلِّ ما يَنْتَسِبُ ٱلنّا سِبُ مِنْ سُؤْدُدٍ إِلَيْكَ وَيَعْزُو

* * *

١٠٦

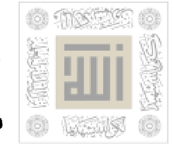
وقال يمـــدح الوزير كمال الدين أمين الملك أبا علي طاهر بن سعد بن علي المزدقاني(٢) :

أَمِينَ ٱلْمُلْكِ حَسْبُكَ مِنْ أَمِينِ وُقِيتَ نَوائِبَ ٱلزَّمَنِ ٱلْخَؤُونِ
لِيَهْنِ ٱلْمُلْكَ أَنَّكَ بِتَّ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْخَدِينِ(٣) مِنَ ٱلْخَدِينِ
وَلَوْ تُحْبا بِقَدْرِكَ كُنْتَ مِنْهُ مَكانَ ٱلتّاجِ مِنْ أَعْلَى ٱلْجَبِينِ
سَمَوْتَ بِهِمَّتَيْ عَزْمٍ(٤) وَحَزْمٍ وَطُلْتَ بِشِيمَتَيْ كَرَمٍ وَدِينِ
فَمــا تَنْفَكُّ مِنْ فَضْلٍ عَمِيمٍ عَلَى ٱلْعــافِي وَمِنْ فَضْلٍ مُبِينِ

---

(١) الكريمة (ت) .
(٢) المزدقاني : وزير تاج الملوك بوري بن طغتكين صـــاحب دمشق . كان يراعي البـــاطنية ولم يكن منهم، ولكنه اتفق مع زعيمهم بهرام على بني الصوفي رؤساء دمشق . قتله تاج الملوك في قلعة دمشق سنة ٥٢٢ . وأخباره في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ص ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣) .
(٣) الخديم (؟) (س) .
(٤) رأي (ن ، ت) .





كَأَنَّكَ مُطْلَقُ ٱلْحَدَّيْنِ ماضٍ ... أَفاضَتْ ماءَهُ أَيْدِي ٱلْقُيُونِ
صَفاءُ خَلائِقٍ وَبَهاءُ خَلْقٍ ... فَسعْداً لِلْقُلُوبِ وَلِلْعُيُونِ
كَأَيّامِ ٱلصِّبا حَسُنَتْ وَرَقَّتْ ... وَأَيّامِ ٱلصَّبابَةِ وَٱلشُّجُونِ
ظَنَنْتُ بِكَ ٱلْجَمِيلَ فَكُنْتَ أَهْلاً ... لِتَصْدِيقِي وَتَصْدِيقِ ٱلظُّنُونِ
وَما شِيمَتْ سَحابُ[(١)] نَداكَ إِلاّ ... سَحَبْتُ ذَلاذِلَ ٱلْحَمْدِ ٱلْمَصُونِ
فَما بالِي[(٢)] جُفِيتُ وَكُنْتُ مِمَّنْ ... إِلَيْهِ ٱلشَّوْقُ مَجْلُوبُ ٱلْحَنِينِ
أَبَعْدَ تَعَلُّقِي بِكَ مُسْتَعِيذاً ... وَأَخْذِي مِنْكَ بِٱلْحَبْلِ ٱلْمَتِينِ
يُرَشَّحُ لِلْعُلَى[(٣)] مَنْ لَيْسَ مِثْلِي ... وَيُدْعَى لِلْغِنَى[(٤)] مَنْ كانَ دُونِي
أَرَى عِيدانَ قَوْمٍ غَيْرَ عُودِي ... مِنَ ٱلْأَثْمارِ مُثْقَلَةَ ٱلْغُصُونِ
وَمالِي لا أَذُمُّ إِلَيْكَ دَهْرِي ... إِذا ٱلْمُتَأَخِّرُونَ تَقَدَّمُونِي
وَما إِنْ قُلْتُ ذا حَسَداً لِحُرٍّ ... أَفاقَ ٱلدَّهْرُ فِيهِ مِنَ ٱلْجُنُونِ
وَلٰكِنَّ ٱلْغُمُومَ[(٥)] مِنَ ٱلْغَوادِي ... أَحَقُّ بِشِيمَةِ ٱلْغَيْثِ ٱلْهَتُونِ

---

(١) سماء نداك (ن ، ت) .
(٢) وما بالي (س ، ظ ، م ، ع) .
(٣) للندى (ظ) .
(٤) للعلى (ظ) .
(٥) الغيوم (ت) .



لَقَدْ قَبَضَ ٱلزَّمانُ يَدِي وَأَعْيَتْ عَلَيَّ رِياضَةُ ٱلحَظِّ ٱلْحَرُونِ
وَما ٱسْتَصْرَخْتُ فَيْضَ نَداكَ حَتَّىٰ عَنانِي مِنْهُ بِٱلْحَرْبِ ٱلزَّبُونِ
بَقِيتَ لِرَوْحِ مَكْرُوبٍ لَهِيفٍ دَعاكَ وَفَكِّ مَأْسُورٍ رَهِينِ
وَعِشْتَ مُحَسَّدَ ٱلْأَيّامِ تَسْمُو إِلَىٰ ٱلْعَلْياءِ مُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ

* * *

١٠٧

وقال في مجلسه بديهاً، وقد عزم على السفر إلى العراق :

أَسْعَدَ ٱللهُ بِٱلْمَسِيرِ وَأَعْطَىٰ فِيهِ عَزْمَ ٱلْوَزِيرِ نُجْحاً وَنَصْرا
وَحَباهُ ٱلْمُرادَ فِيهِ وَأَسْنَىٰ مِنْهُ ذِكْراً يَبْقَىٰ وَأَعْلاهُ قَدْرا
غَيْرُ نُكْرٍ أَنْ تُدْرِكَ(١) الحَظَّ فِيهِ كَمْ هِلالٍ قَدْ عادَ بِٱلسَّيْرِ بَدْرا

* * *

١٠٨

وقال يمدحه أيضاً :

أَما وَعِتاقِ ٱلْعِيسِ لَوْ وَجَدَتْ وَجْدِي لَقَيَّدَ أَيْدِي ٱلْواخِداتِ عَنِ ٱلْوَخْدِ
إِذاً عَلِمَتْ أَنَّ ٱلْوَجَىٰ لَيْسَ كَٱلْجَوَىٰ وَحَبَّبَ ما يُنْضِي إِلَيْها ٱلَّذِي يُرْدِي

(١) يدرك (س، ظ، م، ع، ت).

دَعاها[١] نَسيمُ ٱلْبانِ وَالرَّنْدِ بِالْحِمى[٢] ... وَهَيْهاتَ مِنْها مَنْبِتُ ٱلْبانِ وَالرَّنْدِ
يَطيرُ بِها لُبًّا عَلَى ٱلْقُرْبِ وَالنَّوى ... وَيَحْمِلُها شَوْقًا عَلَى ٱلْجَوْرِ وَٱلْقَصْدِ
وَلَوْلا ٱلْهَوى[٣] لَمْ تَرْضَ[٤] بِالْجِزْعِ[٥] حاجِراً ... وَلَمْ تَهْجُرِ ٱلْغَمْرَ ٱلنَّميرَ إِلى ٱلثَّمْدِ
أَجَدَّكَ ما تَنفَكُّ بِٱلْغَوْرِ ناشِداً ... فُؤاداً بِنَجْدٍ يالقَلْبِكَ مِنْ نَجْدِ
وَإِنّي لَتُصْمِيني سِهامُ ٱدِّكارِكُمْ ... وَإِنْ كانَ رامِي ٱلشَّوْقِ مِنّي عَلى بُعْدِ
تَمادِي غَرامٍ[٦] لَيْسَ يَجْرِي إِلى مَدىً ... وَفَرْطُ سَقامٍ[٧] لا يُقيمُ على حَدِّ
وَما أَنْسَ لا أَنْسَ ٱلْحِمى وَأَهِلَّةً ... تُضِلُّ وَمِنْ حَقِّ ٱلْأَهِلَّةِ أَنْ تَهْدي
زَمانٌ إِخالُ ٱلْجَهْلَ فيهِ مِنَ ٱلنُّهى ... وَحُبٌّ أَعُدُّ ٱلْغَيَّ فيهِ مِنَ ٱلرُّشْدِ
غَنِينَ وَما نَوَّلْنَ نَيْلاً سِوى ٱلْجَوى ... وَبِنَّ وَما زَوَّدْنَ زاداً سِوى ٱلْوَجْدِ
عَواطِفُ يُعْيِي عَطْفُها كُلَّ رائِضٍ ... ضَعائِفُ يُوهِي ضَعْفُها قُوَّةَ ٱلْجَلْدِ

---

(١) دهاها (ك) .
(٢) والحمى (ك) .
(٣) الجوى (س) .
(٤) لم يرض (ك) .
(٥) الجزع : منعطف الوادي . وحاجر : منزل في طريق مكة . والثمد : الماء القليل .
(٦) غرامي (س) .
(٧) سقامي (س) .

إذا نَظَرَتْ بَزَّتْ قُلُوباً أَعِزَّةً وَإِنْ خَطَرَتْ هَزَّتْ قُدُودَ قَناً مُلْدِ
غَوالِبُ فَتْكٍ لَمْ يَصُلْنَ بِقُوَّةٍ طَوالِبُ ثَأْرٍ لَمْ يَبِتْنَ عَلَى حِقْدِ
مِنَ ٱلْمُصْبِياتِ ٱلْمُحْيِياتِ[1] بِدَلِّها عَلَى خَطَإٍ وَٱلْقاتِلاتِ عَلَى عَمْدِ
فَوَدَّعْنَ بَلْ أَوْدَعْنَ قَلْبِي حَزازَةً[2] وَخَلَّفْنَ فَرْدَ ٱلشَّوْقِ بِٱلْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ
خَلِيلَيَّ ما أَحْلَى ٱلْحَياةَ لَوَ ٱنَّها لِطاعِمِها[3] لَمْ تَخْلِطِ ٱلصّابَ بِٱلشُّهْدِ
لَقَدْ حالَتِ ٱلْأَيّامُ عَنْ حالِ عَهْدِها وَمَنْ لِي بِأَيّامٍ تَدُومُ عَلَى ٱلْعَهْدِ
سَلَبْنَ جَمالِي[4] مِنْ شَبابٍ وَثَرْوَةٍ وَوَفَّرْنَ حَظِّي مِنْ فِراقٍ وَمِنْ صَدِّ
وَأَنْحَيْنَ حَتّى ما تَرَكْنَ بَوارِياً عَلَى ٱلْعَظْمِ مِنْ نَحْضٍ لِبارٍ وَلا جِلْدِ
وَما شاقَنِي أَنْ لَسْتُ مُسْتَعْدِياً عَلَى نَوائِبِها إِلّا لِقِلَّةِ مَنْ يُعْدِي
وَلا بُدَّ أَنْ أَدْعُو لِدَفْعِ خُطُوبِها كَرِيماً فَإِنْ كانَ ٱبْنَ سَعْدٍ فَيا سَعْدِي
فَما عَنْ كَمالِ ٱلدِّينِ فِي[5] ٱلْأَرْضِ مَذْهَبٌ لِحُرٍّ أَجاحَتْهُ[6] ٱلْخُطُوبُ وَلا عَبْدِ

---

(١) المحسنات (ي) .
(٢) حرارة (ي ، ك ، ت) .
(٣) لطاعنها (م ، ع) .
(٤) كمالي (ك) .
(٥) من وجه مذهب (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٦) أحاجته الليالي (ي ، ك ، ن ، ت) .

وَإِنَّ اعْتِصامِي بِالْوَزِيرِ وَظِلِّهِ ... يَدٌ لِلنَّدى ما مِثْلُها مِنْ يَدٍ عِنْدِي
وَأَيُّ مَرامٍ أَبْتَغِي بَعْدَ جُودِهِ ... كَفَى الْغَيْثُ مَنْ يُجْدى عَلَيْهِ وَمَنْ يُجْدِي
وَها أَنا قَدْ أَلْقَيْتُ رَحْلِي بِرَبْعِهِ ... إِلَى السُّؤْدُدِ الْعادِيِّ وَالْكَرَمِ الْعِدِّ
إِلَى هَضْبَةٍ شَمّاءَ عَزَّتْ عَلَى الذُّرى ... وَفِي جُنَّةٍ حَصْداءَ جَلَّتْ عَنِ السَّرْدِ
إِلَى أَوْحَدٍ أُهْدِي لَهُ الْحَمْدَ وَحْدَهُ ... بِحَقٍّ وَلا يُهْدِي إِلَيَّ الْغِنَى وَحْدِي
أَقَلُّ عَطاياهُ التَّوَقُّلُ فِي الْعُلَى ... وَأَدْنَى سَجاياهُ التَّفَرُّدُ(١) بِالْمَجْدِ
مُبِيدُ الْعِدى قَهْراً وَلَيْسَ بِمُعْتَدٍ ... وَمُحْيِي الْوَرى بَذْلاً وَلَيْسَ بِمُعْتَدِّ
أَعَزُّ حِمىً مَنْ فازَ مِنْهُ بِذِمَّةٍ ... وَأَوْفَى غِنىً مَنْ باتَ مِنْهُ عَلَى وَعْدِ
فَتىً هَمُّهُ ما كانَ(٢) لِلْبِرِّ وَالتُّقَى ... ومَغْنَمُهُ ما كانَ(٢) لِلأَجْرِ والْحَمْدِ
مِنَ النَّاقِدِينَ الْعاقِدِينَ عَنِ الْخَنا ... مَآزِرَهُمْ والسّالِمِينَ على النَّقْدِ
مُجاوِرُهُمْ فِي الْخَوْفِ لِلْجارِ مَعْقِلٌ ... ووفدُهُمُ فِي الْمَحْلِ مُنْتَجَعُ الْوَفْدِ
إِذا الْغَيْثُ أَكْدَى أَنْشَأَتْ مَكْرُماتُهُمْ ... مَواطِرَ غَيْثٍ لا يُغِبُّ(٣) وَلا يُكْدِي
وَإِنْ زَمَنُ الْوَرْدِ انْقَضَى كانَ عِنْدَهُمْ ... مَواهِبُ يُلْغَى عِنْدَها زَمَنُ الْوَرْدِ

(١) التوحد (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٢) ما هنا ليست للنفي ، ولكنها مصدرية ظرفية ، أي ما دام كون همه .
(٣) لا تعب ولا تكدي (ن ، ت) .

لَهُمْ مِنْ ذَوِي ٱلتِّيجانِ كُلُّ مُخَلَّدٍ عَلَى فَقْدِهِ ، إِنَّ ٱلثَّناءَ مِنَ ٱلْخُلْدِ
وَمَجْدٌ حَماهُمْ طاهِرٌ أَنْ يُقَصِّرُوا بِهِ عَنْ أَبٍ حازَ ٱلْمَكارِمَ أَوْ جَدِّ
أَغَرُّ إِذا أَعْطَى أَفادَ وَإِنْ سَطا أَبادَ وَإِنْ أَبْدَى أَعادَ ٱلَّذِي يُبْدِي
مُنِيفٌ عَلَى هامِ ٱلْمُسامِي كَأَنَّما أَطَلَّ مِنَ ٱلنَّشْزِ (١) ٱلْعَلِيِّ عَلَى وَهْدِ
يُرِيكَ ٱهْتِزازاً فِي ٱلْأَسِرَّةِ (٢) فَخْرُها بِهِ وَٱخْتِيالاً فِي ٱلْمُطَهَّمَةِ ٱلْجُرْدِ
وَتُعْزَى إِلَيْهِ ٱلْمَكْرُماتُ وَلَيْسَ لِلْـ كَواكِبِ أَنْ تُنْفَى (٣) عَنِ ٱلْقَمَرِ ٱلسَّعْدِ
جَدِيرٌ بِأَنْ يُبْدِي لَهُ عَفْوُ رَأْيِهِ خَفِيَّةَ (٤) ما يُعْيِي ٱلرِّجالَ مَعَ ٱلْجَهْدِ
وَأَنْ يَسَعَ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي حَرِجَتْ بِهِ مَذاهِبُ خَطِّيِّ ٱلْقَنا وَظُبَى ٱلْهِنْدِ
جَلَوْتَ ٱلْقَذَى عَنْ ناظِرِ ٱلدِّينِ بَعْدَ ما أَتاكَ بِعَيْنِ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْأَعْيُنِ ٱلرُّمْدِ
وَكُنْتَ ثِقافاً لِلزَّمانِ فَلَمْ تَزَلْ تُقَوِّمُ مِنْهُ كُلَّ أَعْوَجَ مُنْأَدِّ
فَلَمْ تُخْلِ (٥) سَرْحاً ذَلَّ راعِيهِ مِنْ حِمىً وَلَمْ تُخْلِ ثَغْراً فَلَّ حامِيهِ مِنْ سَدِّ
أَخائِذُ دَيْنٍ باتَ عَنْكَ كافِلاً لَهُ يَوْمَ أَمْضَيْتَ ٱعْتِزامَكَ بِٱلرَّدِّ

---

(١) من السر المعلّى (ب) .
(٢) في الأسنة (ب) .
(٣) أن تنأى (ٹ)، أن تنقى على (ت) .
(٤) حقيقة (لـ) .
(٥) مد تخل (ح) .

وَلَيسَ بِبِدْعٍ مِنْكَ حَدُّ صَرِيمَةٍ ... ثَنَتْ نُوَبَ ٱلْأَيَّامِ مَفْلُولَةَ ٱلْحَدِّ

وَفِي أَيِّ خَطْبٍ لَمْ تَكُنْ قاضِبَ ٱلشَّبا ... وَفِي أَيِّ فَضْلٍ لَمْ تَكُنْ ثاقِبَ ٱلزَّنْدِ

كَأَنَّكَ مَجْبُورٌ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَحْدَهُ ... فَمالَكَ مِنْ أَنْ تُدْرِكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ بُدِّ

إِلَيْكَ زَفَفْنا كُلَّ حَسْناءَ لَوْ عَدَتْ ... عُلاكَ لَعادَتْ غَيْرَ مَلْثُومَةِ ٱلْخَدِّ

مِنَ ٱلْحالِياتِ ٱلْعالِياتِ مَناصِبًا ... تُماثِلُ مَنْ قَبْلِي وَتَفْضُلُ مَنْ بَعْدِي

تُظَنُّ مُقِيماتٍ وَهُنَّ سَوائِرٌ ... مُخَيَّمَةً تَسْرِي مُعَقَّلَةً تَخْدِي

رِواءٌ[1] وَسَجْفُ ٱلْغَيْمِ لَيْسَ بِمُسْبَلٍ ... ضَواحٍ وَجَيْبُ ٱللَّيْلِ لَيْسَ بِمُنْقَدِّ

تَمُتُّ[2] بِآمالٍ إِلَيْكَ كَأَنَّها ... رِقابُ صَوادٍ يَعْتَرِكْنَ عَلَى وِرْدِ

وَما زِلْتَ لَبّاسًا مِنَ ٱلْحَمْدِ فَخْرَهُ ... وَلٰكِنَّ غَيْرَ ٱلسَّيْفِ يَفْخَرُ بِٱلْغِمْدِ

إِذا زَيَّنَ ٱلْحَسْناءَ عِقْدٌ بِجِيدِها ... فَأَحْسَنُ مِنْهُ زِينَةً مَوْضِعُ ٱلْعِقْدِ

أَتَيْتُكَ لِلْعَلْيا فَإِنْ كُنْتَ مُنْعِمًا ... فَبِٱلْعِزَّةِ ٱلْقَعْساءِ لا ٱلْعِيشَةِ[3] ٱلرَّغْدِ

إِذا نائِلٌ لَمْ يَحْبُنِي ٱلْفَخْرَ نَيْلُهُ ... فَإِنَّ ٱنْقِطاعَ ٱلرِّفْدِ فِيهِ مِنَ ٱلرِّفْدِ

(١) رواء : جمع ريّان وريّا .
(٢) تسير (ك) .
(٣) والعيشة الرغد (ك) .

١٠٩

وقال يمدح الحاجب علي[1] بن حامد الأتابكي، وعملها بديهاً في مجلسه على السكر :

أَتَطْمَعُ فِي ٱلْوُدِّ مِنْ زاهِدِ ... وَأَيْنَ ٱلْخَلِيُّ مِنَ ٱلْواجِدِ
وَكَمْ قَلَقٍ لَكَ مِنْ ساكِنٍ ... عَلَى سَهَرٍ لَكَ مِنْ راقِدِ
عَنانِي ٱلْغَرامُ بِحُبِّ ٱلسَّقا ... مِ شَوْقاً إِلىٰ ذٰلِكَ ٱلْعائِدِ[2]
وَقَدْ كُنْتُ جَلْداً أَبِيَّ ٱلْقِيا ... دِ لَوْ أَنَّ غَيْرَ ٱلْهَوىٰ قائِدِي
ومالِيَ فِي[3] ٱلدَّهْرِ مِنْ حامِدٍ ... إِذا لَمْ أَعُذْ بِعُلىٰ حامِدِ
هُوَ[4] ٱلْبَدْرُ يُشْرِقُ لِلْمُسْتَنِيرِ ... هُوَ ٱلْبَحْرُ يَزْخَرُ لِلْوارِدِ
تَجَمَّعَ فِيهِ خِلالُ ٱلْكِرامِ ... وَقَدْ يُجْمَعُ ٱلْفَضْلُ فِي واحِدِ
فَتىً يَحْجُبُ ٱلْفَضْلَ عَنْ طالِبِيهِ ... وَلا يَحْجُبُ ٱلرِّفْدَ[5] عَنْ قاصِدِ

---

(١) هو حاجب طغتكين صاحب دمشق، بعثه رسولا عنه إلى مصر، سنة ٥١٧ . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ص ٢١٠) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٣) من الدهر (س، ظ، م، ع) .
(٤) من هذا البيت إلى آخر هذه القصيدة ساقط من (ظ) .
(٥) الوفر (ي، ك، ن، ت) .

يَدُلُّ عَلَى جُـودِهِ بِشْرُهُ ... وَقَدْ يُعْرَفُ ٱلرَّوْضُ بِٱلرَّائِدِ
وَيَنْطِقُ عَنْ بَأْسِهِ سَيْفُهُ ... بِشَيْطَـــانِ فَتْكٍ لَهُ مارِدِ
وَمَنْ يَكُ مَوْلاهُ هٰذا ٱلْمَجِيدُ ... يَكُنْ فَوْقَ كُلِّ فَتىً ماجِدِ

* * *

١١٠

وقال (١) في بعض أولاد الرؤساء بديهاً :

يا أيُّها (٢) ٱلنَّجْمُ ما وَفَّيْتُهُ لَقَبَا ... وَأَنْتَ بَدْرٌ وَمِنْكَ ٱلْبَدْرُ يَعْتَذِرُ
أَخُوكَ شَمْسٌ عَلَى ٱلْأَيّامِ طالِعَةٌ ... فَكَيْفَ يُنْكِرُ خَلْقٌ أَنَّكَ ٱلْقَمَرُ

* * *

١١١

وقال (٣)، وقد حضر في غداء مطيرة عند الأمير سيف الدولة (٤) عون بن الصقيل (٥)، ودخل عليهم غلام حسن الوجه أول شربهم :

لِلّهِ يَوْمٌ سَقانا ٱللَّهْوُ وَٱلْمَطَرُ ... بِهِ وأُحْمِدَ مِنّا ٱلْوِرْدُ وَٱلصَّدَرُ

---

(١) وقال أيضاً في ابن شاروخ (ط) .
(٢) لم يرد هذا البيت والذي بعده في (ب) .
(٣) وقال أيضاً بديها (ك) .
(٤) ... أبي جعفر عون ... (ت) .
(٥) الصيقل (ل) .

يَوْمٌ كَفانا مِنَ اللَّذّاتِ أَنَّ بِهِ ... لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ حَتّىٰ زارَنا الْقَمَرُ
فِي قامَةِ الْغُصْنِ إِلاّ أَنَّهُ رَشَأٌ ... فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ إِلاّ أَنَّهُ بَشَرُ
زِيارَةٌ لَيْتَ يَوْمِي لا يَكُونُ لَهُ ... فِيها عِشاءٌ وَلَيْلِي ما لَهُ سَحَرُ

* * *

١١٢

وقال في هذا اليوم أيضاً، وقد حضر الأمير عضب الدولة أبق بن عبد الرزاق(١) مديهاً :

بِنَفْسِي مَنْ تُضِيءُ بِهِ الدَّياجِي ... وَيُظْلِمُ حِينَ يَبْتَسِمُ النَّهارُ
وَمَنْ أَمَلِي لِزَوْرَتِهِ غُرُورٌ ... وَمَنْ نَوْمِي لِفُرْقَتِهِ غِرارُ
يُكَدِّرُ وَصْلُهُ وَالْوُدُّ صافٍ ... وَيَبْعُدُ كُلَّما قَرُبَ الْمَزارُ(٢)
وَأَحْلَىٰ ما ظَفِرْتَ بِهِ وِصالٌ ... إِذا هُوَ لَمْ يَشِنْهُ الْانْتِظارُ

* * *

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٧٠) من هذا الكتاب .
(٢) هذا البيت والذي بعده لم يردا إلا في (ك) .

١١٣

وقال، وقد قال له الأمير عضب الدولة : رأيت الهلال لائحاً . وفوقه كوكبان يعلو أحدهما على الآخر، فشبهت جميع ذلك بكف تلقف كرتين [1] :

لاحَ ٱلْهِلالُ كَما تَعَوَّجَ مُرْهَفا ... وَٱلْكَوْكَبانِ فأَعْجَبا بَلْ أَطْرَفا
مُتَتابِعَيْنِ تَتابُعَ ٱلْكَعْبَيْنِ فِي ... رُمْحٍ أُقِيمَ ٱلصَّدْرُ مِنْهُ وَثُقِّفا
فَكَأَنَّهُ وَقَدِ ٱسْتَقاما فَوْقَهُ ... كَفٌّ تُخالِفُ أُكْرَتَيْنِ تَلَقُّفا

* * *

١١٤

وقال [2] فيه أيضاً بديهاً :

لاحَ ٱلْهِلالُ فَما يَكادُ يُرىٰ ... سُقْماً كَصَبٍّ شَفَّهُ ٱلْخَبَلُ
كَٱلْفِتْرِ أَوْ كَٱلْحَجْلِ [3] قَدْ فَتَحَتْ ... مِنْهُ ٱلْكِعابُ لِتَدْخُلَ ٱلرِّجْلُ
وَٱلزُّهْرَةُ ٱلزَّهْراءُ تَقْدُمُهُ ... فِي ٱلْجَوِّ وَهْوَ وَراءَها يَتْلُو
كَٱلْقَوْسِ فُوِّقَ سَهْمُها فَبَدا ... مُتَأَلِّقاً فِي رَأْسِهِ ٱلنَّصْلُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة فى (ل) .
(٢) لم ترد هذه القطعة فى (ل) .
(٣) الحَجْل : الخلخال .

١١٥

وقال (١) بديهاً، وقد دخل على قوم في دار نزهة بطرابلس :

دارٌ يَدُورُ بِهـا السُّرُورُ أَبداً وَيَسْكُنُها الحُبُورُ
ما إِنْ تُخِلُّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ البُدُورُ أَوِ البُحُورُ
تَحْدُو الكُؤُوسَ سُقاتُها وَكَأَنَّها (٢) فَلَكٌ يَدُورُ

* * *

١١٦

وقال (٣) في نهر ثورا (٤) :

جَرى (٥) النَّهْرُ مِنْ شَوْقٍ إِلى ماحِلِ الثَّرى وَأَجْرَيْتُ دَمْعاً شاقَهُ المَنْزِلُ القَفْرُ
فَلَوْ كُنْتَ يَوْمَ البَيْنِ شاهِدَ عَبْرَتِي وَعَبْرَتِهِ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُما النَّهْرُ
فَيا نَهْرَ ثَوْرا قَدْ أَثَرْتَ مِنَ الهَوى دَفِيناً أَجَنَّتْهُ الجَوانِحُ وَالصَّدْرُ
فَلَوْ كانَ لِي صَبْرٌ كَفَفْتُ مَدامِعِي وَلٰكِنَّ مَنْ يَشْتاقُ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (لـ) .
(٢) فكأنها (ظ) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (لـ) .
(٤) ثورا : نهر عظيم بدمشق .
(٥) جرى النهر من ثوراء لا عن تشوق (ت) .

١١٧

وقال (١) في الكمثرى :

ثَمَرٌ كَأَنَّ بِهِ الَّذي ... بِي مِنْ جَوىً فِيهِ اصْفِرارُ
أَبْقى الْهَوى أَثَراً بِهِ ... وَالسُّكْرُ يَتْبَعُهُ (٢) الْخُمارُ

* * *

١١٨

وقال (٣) في الخيار :

خِيارٌ حِينَ تَنْسُبُهُ خِيارُ ... لِرَيْحانِ السُّرُورِ بِهِ اخْضِرارُ
كَأَنَّ نَسِيمَهُ أَنْفاسُ حِبٍّ ... فَلَيْسَ لِمُغْرَمٍ عَنْهُ اصْطِبارُ

* * *

١١٩

وقال (٤) في النّرد (٥) :

أَقُولُ وَالْيَوْمُ بَهِيمٌ خَطْبُهُ ... مُسْوَدَّةٌ اوْضاحُ الضُّحى دُغُوشُها

(١) لم يرد هذان البيتان في (ل) .
(٢) يعقبه (ي) .
(٣) لم يرد هذان البيتان في (ل) .
(٤) وكان يلعب بالنرد بين يدي الأمير (عضد الدولة) مع أبي المرجّا الحلاطي وغيره، فغُلب دفعات، فقال مداعباً (ل) .
(٥) النرد : ما يسمى اليوم ، في العاميه ، طاولة الزهر .

يُظْلِمُ فِي عَيْنَيَّ لا مِنْ ظُلْمَةٍ ... بَلْ مِنْ هُمُومٍ جَمَّةٍ غُطُوشُها

وَالنَّرْدُ كَالنَّاوَرْدِ(١) فِي مَجالِها ... أَوْ كَالْمَجُوسِ ضَمَّها ما شُوشُها

كَأَنَّها دَساكِرٌ لِلشُّرْبِ أَوْ ... عَساكِرٌ جائِشَةٌ جُيُوشُها

وَلِلْفُصُوصِ جَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ ... تُحَيِّرُ الأَلْبابَ أَوْ تُطِيشُها

قاتَلَها اللهُ فَلا بُنُوجُها ... تَرْفَعُ بِي رَأْساً وَلا شُشُوشُها

أُرْسِلُها بِيضاً إِذا أَرْسَلْتُها ... كَأَنَّها قَدْ مُحِيَتْ نُقُوشُها

كَأَنَّنِي أَقْرَأُ مِنْها أَسْطُراً ... مِنَ الزَّبُورِ دَرَسَتْ رُقُوشُها

كَأَنَّ نُكْراً أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً ... مَقْمُورُها غَيْرِيَ أَوْ مَقْمُوشُها

تُطِيعُ قَوْماً عَمَّهُمْ نَصُوحُها ... وَخَصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ غَشُوشُها

تُجِيبُهُمْ مَتَى دَعَوْا أَخْرَسُها ... وَإِنْ يَقُولُوا يَسْتَمِعْ أُطْرُوشُها

مُذَبْذَبِينَ(٢) دَأْبُهُمْ غَيْظِي فَما ... تَسْلَمُ مِنْهُمْ عِيشَةٌ أَعِيشُها

كَأَنَّ رُوحِي بَيْنَهُمْ أَيْكِيَّةٌ ... راحَتْ وَكَفُّ أَجْدَلٍ تَنُوشُها

يَنْتِفُ مِنْها لَحْمَها وَتارَةً ... تَكادُ تَنْجُو فَيُطارُ رِيشُها

إِذا احْتَبَى أَبُو الْمُرَجَّا فِيهِمُ ... فَهامُنا مائِلَةٌ عُرُوشُها

(١) الناورد : القتال وحولان الخيل في ميدان .

(٢) مديدين (س ، ط ، م ، ن ، ع) .

كَأَنَّما شَنَّتْ قُشَيْرٌ(١) غارَةً ... مَجْلانُها الْحُرّابُ(٢) أَوْ حَرِيشُها(٣)

كَأَنَّ تِلْكَ الْخَمْسَ مِنْهُ قُطِعَتْ ... خَمْسُ أَفاعٍ مُرْعِبٌ كَشِيشُها

أَظْفارُها أَنْيابُها فَطالَمـــا ... نَيَّبَ(٤) قَلْبِي وَيَدِي نَهُوشُها

لا يأْتَلِي مِنْ ذَهَبٍ يَلْقُفُهُ ... مِنِّي وَمِنْ دَراهِمٍ يَحُوشُها

وَمِنْ خِرافٍ لَهُمُ مِنْها الَّذِيـ ... ـطابَ وَلِيَ ما ضُمِّنَتْ كُرُوشُها

وَمِنْ دَجاجاتٍ إِذا ما كُرْدِنَتْ(٥) ... كَأَنَّما شَكَّ فُؤادِي شِيشُها(٦)

* * *

١٢٠

وقال ارتجالاً(٧) :

أُرانِيَ مِنْ رَوْعاتِ بَيْنِكَ نازِلاً ... عَلَى حَرَكاتٍ ما لَهُنَّ سُكُون

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْأَسىٰ غَيْرُ فاتِلِي ... عَلَيْكَ وَأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ يَهُونُ

* * *

(١) قُشَيْر : قبيلة .

(٢) الحراب (ن ، ت) . والحُرّاب : جمع حارب وهو سارق الابل ، والحريش الأكول من الجمال .

(٣) حريشها (س)، تحريشها (ت) .

(٤) نَيَّب فلاناً : عضه بنابه .

(٥) يريد بـ (كُرْدِنَتْ) : ذُبِحَتْ ؛ يقال أخذه بِكَرْدَنِه وقَرْدَنِه أي بقفاه .

(٦) الشيش : كلمة تركية ومعناها السفود .

(٧) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .

١٢١

وقال (١) أيضاً بحلب، وكتبها إلى الأمير أبي الفتيان (٢) بن حيُّوس، سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِيَ ما يُباعُ بِحَبَّةٍ ... وَكَفاكَ مِنِّي مَنْظَرٌ (٣) عَنْ مَخْبَرِ
إلاّ بَقِيَّةُ ماءِ وَجْهٍ صُنْتُها ... عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ (٤) أَيْنَ المُشْتَرِي

* * *

١٢٢

وقال (٥) أيضاً :

ما عَلَى العُذّالِ مِنْ سَقَمِي ... أَبِجِسْمِي ذاكَ أَمْ بِهِمِ
لائِمِي فِي الحُبِّ وَيْحَكَ لَوْ ... ذُقْتَ طَعْمَ الحُبِّ لَمْ تَلُمِ
هَلْ تُرِيحُ الجَفْنَ مِنْ سَهَرٍ ... أَمْ تُداوِي القَلْبَ مِنْ أَلَمِ

* * *

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٢) الأمير مصطفى الدولة أبو الفتيان محمد بن سلطان ابن حيوس، الشاعر المشهور. ولد بدمشق سنة ٣٩٤ وتوفي بحلب سنة ٤٧٣. له ديوان شعر ضخم حققناه وطبعه المجمع العلمي العربي في مجلدين .
(٣) منظري ... مخبري (ن ، ت) .
(٤) ورد في هامش (ن) ما نصه : « قيل إن ابن حيوس قال وقد سمع هذين البيتين : لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن ؛ أو ما هذا معناه .
(٥) لم ترد هذه القطعة في (ك) .

١٢٣

وقال (١) يمدح أبا المنى فضل (٢) بن يوحنا (٣) :

يا دَهْرُ قَدْ عَدَّيْتُ عَنْكَ طِلابِي ‏ ‏ ‏ وَمَلَلْتُ مِنْ أَرْيِي لَدَيْكَ وَصابِ
وَرَأَيْتُ صَرْفَكَ بِالْكِرامِ مُوَكَّلاً ‏ ‏ ‏ فَصَرَفْتُ وَجْهَ غَرامِهِ بِعِقابِي
ما فَوْقَ (٤) جَوْرِكَ مِنْ مَزِيدٍ بَعْدَما ‏ ‏ ‏ عِنْدِي فَذَرْنِي يا زَمانُ لِما بِي
أَتَظُنُّ أَنَّكَ ضائِرِي بِأَشَدَّ مِنْ ‏ ‏ ‏ عُدْمِ الشَّبابِ وَفُرْقَةِ الْأَحْبابِ
لا وَالَّذِي جَعَلَ الْغِنَى بِأَبِي الْمُنَى ‏ ‏ ‏ سَهْلاً مَطالِبُهُ عَلَى الطُّلّابِ
بِأَغَرَّ تُسْكِرُ صَحْبَهُ أَخْلاقُهُ ‏ ‏ ‏ وَالْخَمْرُ جائِرَةٌ عَلَى الْأَلْبابِ
خَضِلٍ أَنامِلُهُ مَتَى أَسْتَسْقِهِ ‏ ‏ ‏ فَالْغَيْثُ غَيْثِي وَالسَّحابُ سَحابِي
أَنا أَوْحَدُ الشُّعَراءِ فَاحْبُ قَرائِحِي ‏ ‏ ‏ بِكَ رُتْبَةً يا أَوْحَدَ الْكُتّابِ
إِنِّي خَلَعْتُ عَلَيْكَ بُرْدَ مَدائِحِي ‏ ‏ ‏ وَلَوِ اسْتَطَعْتُ خَلَعْتُ بُرْدَ شَبابِي

(١) لم ترد هذه القطعة في (ل).
(٢) فضل الله (ي) .
(٣) طرابلسية (ن)، أي مما قاله في طرابلس .
(٤) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب : « ما بعد جورك من مزيد فوق ما » .



١٢٤

وقال يمدح المكين وجيه الدولة أبا محمد إسمعيل بن أبي الرضى المحسّن بن الحسن الأنصاري :

أَصُونُ[1] لِسانِي وَٱلْجَنانُ يُذالُ   وَأَقصِرُ بَثِّي وَالشُّجُونُ طِوالُ
وَأَحْبِسُ عَنْ قَوْمٍ عِنانَ قَصائِدِي   وَقَدْ أَمْكَنَ الطِّرْفَ ٱلْجَوادَ مَجالُ
تُذَمُّ ٱللَّيالِي إِنْ تَعَذَّرَ مَطْلَبٌ   وَأَوْلَىٰ لَعَمْرِي أَنْ تُذَمَّ رِجالُ
وَما أُلْزِمُ ٱلأَيّامَ ذَنْبَ مَعاشِرٍ   لِدَرِّهِمُ قَبْلَ[2] الرَّضاعِ فِصالُ
وَآلِ غِنىً جَمٍّ هُمُ ٱلْبَحْرُ ثَرْوَةً   وَلٰكِنَّهُمْ عِنْدَ ٱلنَّوائِبِ آلُ
لَوَ ٱنَّ بِلالاً[3] جاءَهُمْ بِمُحَمَّدٍ   لَعادَ وَما فِي فِيهِ مِنْهُ بِلالُ[4]
خَلِيلَيَّ ما كُلُّ ٱلْعَسِيرِ بِمُعْجِزٍ   مَرامِي وَلا كُلُّ ٱلْيَسِيرِ يُنالُ
وَلَيْسَ أَخُو ٱلْحاجاتِ مَنْ باتَ راضِياً   بِعَجْزٍ عَلَى ٱلأَقْدارِ فِيهِ يُحالُ

(١) لم ترد هذه القصيدة في (ي) .
(٢) عند (ك) .
(٣) بلال بن رباح الحبشي مؤذّن النبي عليه السلام .
(٤) زلال (ن) .

تَقَلَّبْتُ فِي ثَوْبِي رَخاءٍ وَشِـدَّةٍ ... كَذٰلِكَ أَحْوالُ ٱلزَّمانِ سِجالُ
وَقَدْ وَسَمَتْنِي ٱلْأَرْبَعُونَ بِمَرِّها ... وَحالَتْ بِشَيْبِي لِلشَّبِيبَةِ حالُ
فَلَيْتَ ٱلَّذِي أَرْجُو مِنَ ٱلْعُمْرِ بَعْدَها ... يَطِيبُ بِـهِ عَيْشٌ وَيَنْعَمُ بالُ
يَقُولُ أُناسٌ كَيْفَ يُعْجِزُكَ ٱلْغِنىٰ ... وَمِثْلُكَ يَكْفِيهِ ٱلْفَعالَ مَقالُ
وَما عِنْدَهُمْ أَنَّ ٱلسُّؤالَ مَذَلَّةٌ ... وَنَقْصٌ وَما قَدْرُ ٱلْحَياةِ سُؤالُ
تَرَفَّعْتُ إِلاَّ عَنْ نَدىٰ ٱبْنِ مُحَسِّنٍ(١) ... وَخَيْرُ ٱلنَّدىٰ ما كانَ فِيهِ(٢) جَمالُ(٣)
وَعِنْدَ وَجِيهِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ رَشِيدِها ... سَمـاحٌ وَبَذْلٌ غامِرٌ وَنَوالُ
وَأَخْلاقُ غَيْثٍ كُلَّما جِئْتُ صادِيًا ... وَرَدْتُ بِهِنَّ ٱلْعَيْشَ وَهْوَ زُلالُ
وَبِشْرٌ إِلىٰ ٱلزُّوّارِ فِي كُلِّ لَزْبَةٍ ... بِهِ تُلْقَحُ ٱلْآمالُ وَهْيَ حِيالُ
تَدانَتْ بِهِ ٱلْغاياتُ وَهْيَ بَعِيدَةٌ ... وَخَفَّتْ بِهِ ٱلْحاجاتُ وَهْيَ ثِقالُ
وَما ٱلْبِشْرُ إِلاَّ رائِدٌ بَعْدَهُ ٱلْحَيا ... أَلا إِنَّما وَعْدُ ٱلسَّحابَةِ خالُ(٤)
مَتىٰ أَرْجُ إِسْمٰعِيلَ لِلْعِزِّ وَٱلْغِنىٰ ... فَما هُوَ إِلاَّ عِصْمَةٌ وَثِمـالُ
فَتىً ظافَرَتْ هِمّـاتُهُ عَزَماتِهِ ... كَما ظافَرَتْ سُمْرَ ٱلصِّعادِ نِصالُ

---

(١) محمد (؟) (ك) .
(٢) منه (ك) .
(٣) كمال (ن) .
(٤) الخال : سحاب لا يخلف مطره .

هُوَ ٱلْبَدْرُ إِلاّ أَنَّهُ لا يُغَيِّبُهُ عَلَى طُولِ أَوْقاتِ ٱلزَّمانِ كَمالُ
مِنَ ٱلْقَوْمِ ذادَ ٱلنّاسَ عَنْ نَيْلِ مَجْدِهِمْ قِراعٌ لَهُمْ دُونَ ٱلْعُلَىٰ وَنِضالُ
نِبالُ ٱلْمَساعِي ، ما تَزالُ ثَوابِتاً لَهُمْ فِي قُلُوبِ ٱلْحاسِدِينَ نِبالُ
إِذا قاوَلُوا بِٱلْأَحْوَذِيَّةِ أَفْحَمُوا وَإِنْ طاوَلُوا بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ طالُوا
أُولٰئِكَ أَنْصارُ ٱلنَّبِيِّ وَرَهْطُهُ إِذا عُدَّ فَخْرٌ باهِرٌ وَجَلالُ
أَأَزْعُمُ أَنْ لا مالَ لِي بَعْدَ هٰذِهِ وَجُودُكَ ذُخْرٌ لِلْمُقِلِّ وَمالُ
وَمَنْ سارَ يَسْتَقْرِي نَداكَ إِلَى ٱلْغِنَىٰ فَلَيْسَ بِمَخْشِيٍّ عَلَيْهِ ضَلالُ
وَما جَوْهَرُ ٱلْأَشْياءِ وَٱلْخَلْقِ خافِياً إِذا ما طِباعٌ مُيِّزَتْ وَخِلالُ
لَفَضْلَ ما بَيْنَ ٱلسُّيُوفِ مَضاؤُها وَفَضْلَ ما بَيْنَ ٱلرِّجالِ فَعالُ
تَأَخَّرَ عَنْكَ ٱلْمَدْحُ لا عَنْ تَجَنُّبٍ وَلٰكِنَّهُ ٱلْمَعْشُوقُ فِيهِ دَلالُ
وَعِنْدِي ثَناءٌ لا يُمَلُّ كَما ٱنْثَنَىٰ إِلَىٰ عاشِقٍ بَعْدَ ٱلصُّدُودِ وِصالُ
يُزانُ بِهِ عِرْضُ ٱلْفَتَىٰ وَهْوَ ماجِدٌ كَما زانَ مَتْنَ ٱلْمَشْرَفِيِّ صِقالُ
وَلا بُدَّ لِي مِنْ دَوْلَةٍ بِكَ (١) فَخْمَةٍ بِها مِنْ صُرُوفِ ٱلنّائِباتِ أُدالُ
وَمِنْ نِعْمَةٍ خَضْراءَ عِنْدَكَ (٢) غَضَّةٍ يُمَدُّ (٣) عَلَيْها لِلنَّعِيمِ ظِلالُ

(١) بعد (ن) .
(٢) عندي (ك) .
(٣) تمد (ك) .

فَلا يَسْتَرِثْ مِيعادَ مَجْدِكَ جاهِلٌ ... فَما عِنْدَ مَجْدِ ٱلْأَسْعَدِينَ مِطالُ
فَإِنَّ نُجُومَ ٱللَّيْلِ فِي حِنْدِسِ ٱلدُّجى ... يُرَيْنَ بَطِيئاتٍ وَهُنَّ عِجالُ
وَهَلْ لِلْوَرى إِلاّ عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ ... وَهَلْ لِلْعُلى إِلاّ إِلَيْكَ مَآلُ
فَما ٱلْمَجْدُ إِلاّ لِلْكِرامِ مَمالِكٌ ... وَلا(١) ٱلنّاسُ إِلاّ لِلْكُفاةِ عِيالُ
إِذا ما ٱلْقَوافِي بَشَّرَتْكَ(٢) بِمَطْلَبٍ ... وَفى لَكَ مِنْها بِٱلْحَقائِقِ(٣) فالُ

* * *

١٣٥

وقال ايضاً يمدحه :

أَدْنى ٱشْتِياقِي أَنْ أَبِيتَ عَلِيلا ... وَأَقَلُّ وَجْدِي أَنْ أَذُوبَ نُحُولا
كَمْ أَكْتُمُ ٱلشَّوْقَ ٱلْمُبَرِّحَ وَٱلْهَوى ... وَكَفى بِدَمْعِي وَٱلسَّقامِ دَلِيلا
فَٱلْيَوْمَ قَدْ أَمْضى ٱلصُّدُودُ تَلَدُّدِي(٤) ... وأَعادَ حَدَّ تَجَلُّدِي مَفْلُولا
أَشْكُو فَيَنْصَدِعُ ٱلصَّفا لِيَ رِقَّةً ... لَوْ كانَ يَرْحَمُ قاتِلٌ مَقْتُولا
وَأَذِلُّ مِنْ كَمَدٍ وَفَرْطِ صَبابَةٍ ... وَٱلْحُبُّ ما تَرَكَ ٱلْعَزِيزَ ذَلِيلا

---

(١) وما الناس ... (س ، ن ، ت) .
(٢) شرفتك (ك) .
(٣) للحقائق (ك) .
(٤) تلذذي (ك ، ت) .

يا لَيْتَني إِذْ خانَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ يَوْمًا وَجَدْتُ إِلَىٰ ٱلسُّلُوِّ سَبيلا
ما لِي شُغِلْتُ بِحُبِّ مَنْ لا يَنْثَني كَلِفاً بِغَيْرِ مُحِبِّــــهِ مَشْغُولا
ما لِي أَرىٰ بَرْدَ ٱلشَّرابِ مُعَرَّضاً فَأُذادُ عَنْهُ وَما شَفَيْتُ غَليلا
مَنْ مُسْعِدي مَنْ عاذِري مَنْ راحِمي مَنْ ذا يُعِينُ مُتَيَّمًا مَخْبُولا
يا عاذِلي أَرَأَيْتَ مَغْلُوبَ ٱلْحَشا يَعْصِي ٱلصَّبابَةَ أَوْ يُطِيعُ عَذُولا
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما لَقِيتُ مِنَ ٱلْهَوىٰ لَوَجَدْتَني لِلنّائِبــاتِ حَمُولا
ما لِي عَلَى صَرْفِ ٱلْحَوادِثِ مُسْعِدٌ إِلاّ رَجاءُ سَماحِ إِسْمــاعِيلا
ٱلْماجِدُ ٱلْغَمْرُ ٱلْأَبِيُّ ٱلْأَوْحَدُ ٱلْـــبَرُّ ٱلْوَفِيُّ ٱلْباذِلُ ٱلْمَأْمُولا
مَنْ لا يَرىٰ أَنَّ ٱلْجَوادَ بِمالِهِ مَنْ لا يَكُونُ عَلَى ٱلْعَلاءِ بَخِيلا
ٱلْجاعِلُ ٱلْفِعْلَ ٱلْجَمِيلَ ذَرِيعَةً إِبَداً إِلَىٰ حَمْدِ ٱلْوَرىٰ وَوَسِيلا(١)
مَنْ لا يَعُدُّ ٱلْبَحْرَ نَهْلَةَ شارِبٍ يَوْمًا وَلا ٱلْخَطْبَ ٱلْجَلِيلَ جَلِيلا
قَدْ نالَ مِنْ شَرَفِ ٱلْفِعالِ ذَخِيرَةً تَبْقىٰ إِذا كادَ(٢) ٱلزَّمانُ يَزُولا
وَٱسْتَخْلَصَ ٱلْحَمْدَ ٱلْجَزِيلَ لِنَفْسِهِ فَحَواهُ وَٱتَّخَذَ ٱلسَّماحَ خَلِيلا
ما إِنْ تَراهُ ٱلدَّهْرَ إِلاّ وائِلاً لِلْمَكْرُماتِ ٱلْباهِراتِ فَعُولا

---

(١) وسيلا (ت) .

(٢) كرب (ت) ، وفي سائر النسخ (كان) إلا في (ك) ففيها ما أثبتناه .

إِنْ سِيلَ عِنْدَ ٱلْجُودِ كانَ غَمامَةً أَوْ عُدَّ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ كانَ قَبِيلا
هِمَماً تَطُولُ بِحَزْمِهِ وَعَزائِماً بُتْكاً كَما ٱخْتَرَطَ ٱلْكُماةُ نُصُولا
وَمَناقِباً لا يَأْتَلِينَ طَوالِعاً أَبَداً إِذا هَوَتِ ٱلنُّجُومُ أُفُولا
وَإِلىٰ وَجِيهِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ رَشِيدِها حَمْداً كَنائِلِهِ ٱلْجَزِيلِ جَزِيلا
مِنْ مَعْشَرٍ كانُوا لِأُمّاتِ ٱلْعُلىٰ أَبَداً فُحُولاً أَنْجَبَتْ وَبُعُولا
ٱلْباهِرِينَ فَضائِلاً وَٱلْغامِرِيـنَ نَوافِلاً وَٱلطَّيِّبِينَ أُصُولا
يَا ٱبْنَ ٱلْمُحَسِّنِ طالَ ما أَحْسَنْتَ بِي كَرَماً يَبِيتُ مِنَ ٱلزَّمانِ مُدِيلا
إِنْ كانَ يَقْصُرُ عَنْكَ ثَوْبُ مَدائِحِي فَلَقَدْ يَكُونُ عَلَى سِواكَ طَوِيلا
مَنْ ذا يَقُومُ بِشُكْرِ ما أَوْلَيْتَهُ حَمَّلْتَنِي مِنَناً عَلَيَّ ثَقِيلا
فَلَأَشْكُرَنَّكَ ما تَغَنّىٰ تائِقٌ طَرِبٌ وَما دَعَتِ ٱلْحَمامُ هَدِيلا
وَلَأَمْنَحَنَّكَ مِنْ ثَنائِي مِقْوَلاً ما كانَ قَبْلَكَ فِي ٱلزَّمانِ مَقُولا
لا تَسْقِنِي إِلاَّ بِكَفِّكَ إِنَّما خَيْرُ ٱلسَّحائِبِ ما يَبِيتُ هَمُولا
قَدْ آمَنَتْكَ ٱلْمَكْرُماتُ ٱلْغُرُّ أَنْ أُمْسِي لِغَيْرِكَ عافِياً وَنَزِيلا
حاشا لِنائِلِكَ ٱلَّذِي عَوَّدْتَنِي مِنْ أَنْ أَرىٰ لَكَ مُشْبِهاً وَمَثِيلا
هَبْ لِي نَصِيباً مِنْ شَمائِلِكَ ٱلَّتِي لَوْ كُنَّ مَشْرُوباً لَكُنَّ شَمُولا
وَٱسْلَمْ عَلَى ٱلْأَيّامِ تَكْبِتُ حاسِداً وَتُذِلُّ أَعْداءً وَتَبْلُغُ سُولا

* * *

١٢٦

وقال أيضاً :

أَسُومُ ٱلْجِبَابَ فَـلا خَزَّها أُطِيقُ ٱبْتِيَاعًا وَلا صُوفَهَا
وَكَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَىٰ جُبَّةٍ لِمَنْ لَيْسَ يَمْلِكُ تَصْحِيفَهَا(١)

فسأله إنسان أن يتم عليها بيتين آخرين، ويبعثها على يده إلى ابن أبي الرصاء، وهو الممدوح، والسائل المقترح أبو طاهر، فقال :

فَإِنْ أَمْكَنَتْ بِأَيادِي ٱلْمَـكِينِ فَما زِلْتُ أَعْرِفُ مَعْرُوفَها
وَكَمْ بَرَزَ(٢) ٱلرَّوْضُ فِي حُلَّةٍ تَوَلَّتْ يَدُ ٱلْغَيْثِ تَفْوِيفَها

* * *

١٢٧

وقال يستهدي مقلمه من الفقيه أبي الحسن علي(٣) بن أحمد بن منصور الغساني :

---

(١) تصحيف الجبة حبة .

(٢) ولم يزل الروض . . . (ك) .

(٣) علي بن أحمد بن منصور المالكي (س ، م ، ع)، علي بن أحمد بن قيس المالكي (ط)، علي بن أحمد بن منصور الغساني المعروف بابن قبيس (ك). أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قيس الغساني المالكي النحوي الزاهد، شيخ دمشق ومحدثها، قال السلفي : لم يكن في وقته مثله بدمشق، كان زاهداً عابداً ثقة. وقال ابن عساكر : كان متحرراً متيقظاً منقطعاً في بيته مفتياً يقرىء الفرائض والنحو . وكانت وفاته سنة ٥٣٠ .
(شذرات الذهب ٤/٩٥)

أَبا حَسَنٍ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْجَمِيلِ فَهَلْ لَكَ هَلْ لَكَ فِي مَكْرُمَهْ
يُفِيدُ بِها ٱلْحَمْدَ مَنْ نَفْسُهُ مُتَيَّمَةٌ بِٱلْعُلىٰ مُغْرَمَهْ
وَما زِلْتَ تَرْفُلُ فِي بُرْدِهِ وَتَلْبَسُ أَثْوابَهُ ٱلْمُعْلَمَهْ
ثَناءٌ يَعِزُّ ٱلْوَرىٰ(١) جَحْدُهُ كَما عَزَّكَ ٱلْمِسْكُ أَنْ تَكْتُمَهْ
وَمَنْ كانَ يَبْغِي لَدَيْكَ ٱلنَّوالَ فَلَسْتُ بِباغٍ سِوىٰ مِقْلَمَهْ
تُرىٰ وَهْيَ مُسْمَنَةٌ ظاهِراً ولٰكِنَّها باطِناً مُسْقَمَهْ
كَأَنَّ حَشاها فُؤادُ ٱلْخَلِيِّ لَمْ يَصْلَ نارَ ٱلْهَوىٰ ٱلْمُضْرَمَهْ
إِذا أُهْدِيَتْ وَهْيَ صِفْرٌ رَأَيْتَ صُورَةَ مُتْأَمِهٍ(٢) مُفْعَمَهْ
وَإِنْ جُدْتَ فِيها بِأَقْلامِها جَمَعْتَ ٱلذَّوابِلَ فِي مَلْحَمَهْ
فَكَمْ ثَمَّ مِنْ زاعِبِيٍّ تَخالُ مَكانَ ٱلْمِدادِ بِهِ لَهْذَمَهْ
إِذا ما طَعَنْتَ بِهِ مَطْلَبا سَفَكْتَ بِغَيْرِ جُناحٍ دَمَهْ
كَمِثْلِ ٱلْكِنانَةِ يَوْمَ ٱلنِّضالِ أَوْدَعَها نابِلٌ أَسْهُمَهْ
مُضَمَّنَةً آلَةً لِلسُّمُوِّ تُثْرِي بِها ٱلْهِمَّةُ ٱلْمُعْدِمَهْ

---

(١) الفتى (ك) .
(٢) متأمة · ممتلئة .



إذا فُتِحَتْ أُبْرِزَتْ(١) أَنْصُلاً كَما فَغَرَ اللَّيْثُ يَوْمًا فَمَهْ
لَكَ الفَضْلُ في صُنْعِها إنَّها بِلُطْفِكَ مَلْمُومَةٌ مُحْكَمَةْ
يَنُمُّ بِهِ(٢) ما كَسَتْها(٣) يَدا كَ مِنْ مُعْجِزِ الوَشْيِ وَالنَّمْنَمَةْ
كَأَنَّ عَلَيْها لِأَخْلاقِكَ الْـ ـحِسانِ مِنَ الظَّرْفِ أَبْهَى سِمَةْ
سَرى بِكَ عِلْمُكَ مَسْرى البُدُورِ فَقَصَّرَ مَنْ قالَ ما أَعْلَمَهْ
وَأَكَّدَ عَقْدَكَ أَنَّ الجَمِيـ ـلَ لَيْسَ لِبانِيهِ أَنْ يَهْدِمَهْ
وَوَفْدِ ثَناءٍ بَعَثْنا إِلَيْـ ـكَ يَشْتاقُ أَهْلُ النُّهى مَقْدَمَهْ
جَمَعْتُ صِفاتِكَ في سِلْكِهِ لِمَنْ وَجَدَ الدُّرَّ أَنْ يَنْظِمَهْ

* * *

١٢٨

وقال يهنىء الأمير جاروخ(٤) بولد :

مُلِّيتَ بَدْراً تُهَنّاهُ وضِرْغاما تَحْوِي بِهِ لِلْعِدى كَبْتًا وَإِرْغاما

---

(١) بُرِّزَتْ (م ، ع) .

(٢) بها (ت) .

(٣) ما كسته (ن) .

(٤) الأمير شمس الدولة شاروح (ي)، ساروح (ن)، وقال أيضا يهنىء الأمير شمس الدولة حارق بابن جاءه (لـ). قال ابن القلانسي: « وفي رجب من هذه السنة (٥١٣) توفي الأمير حارق بن كشتكين العراقي، وكان من مقدمي الدولة ووجوه أمرائها » ذيل تاريخ دمشق (ص ٢٠٢) .

سَمّاهُ مَجْدُكَ بَهْرامًا لِأَنَّ لَهُ ... سَعْداً يُطاوِلُ كَيْوانًا(١) وَبَهْراما

قَدْعادَ مِنْ نُورِهِ ٱلْإِظْلامُ وَهْوَضُحىً ... مِنْ بَعْدِ ما غادَرَ ٱلْإِصْباحَ إِظْلاما

بُشْراكَ أَنَّكَ ما تَنْفَكُّ تُلْبِسُهُ ٱلنُّـ ... ـعْمىٰ وَتَلْبَسُ إِجْلالاً وَإِعْظاما

يا أَكْرَمَ ٱلنّاسِ آباءً وَأَشْرَفَهُمْ ... عِنْدَ ٱلتَّفاخُرِ أَخْوالاً وَأَعْماما

أَطْلَعْتَ بِٱلشّامِ مِنْ بَهْرامَ بَدْرَ دُجىً ... أَضْحىٰ ٱلْعِراقُ عَلَيْهِ يَحْسُدُ ٱلشّاما

فَٱسْعَدْ بِهِ دائِمَ ٱلنَّعْماءِ مُعْتَلِيًا ... عَلَى ٱلزَّمانِ وَخَيْرُ ٱلْعَيْشِ ما داما

* * *

١٢٩

وقال بديهاً، وقد استدعاه إلى مجلسه خاطباً لمدحه :

دَعانِي ٱلْأَمِـيرُ فَلَبَّيْتُهُ ... وَلِمْ لا أُلَبِّيكَ يا خَيْرَ داعِ

فَوافَيْتُ أَزْهَرَ رَحْبَ ٱلذِّراعِ ... شَدِيدَ ٱلْمِصاعِ شَرِيفَ ٱلْمَساعِي

كَرِيمَ ٱلْفَعالِ غَرِيبَ ٱلنَّوالِ ... غَرِيمَ نِضالِ(٢) ٱلْعِدىٰ وَٱلْقِراعِ

وَقَدْ كُنْتُ أَنْتَجِعُ ٱلْأَكْرَمِينَ ... فَقُلْ فِي كَرِيمٍ حَداهُ(٣) ٱنْتِجاعِي

(١) كيوان : اسم زحل . وبهرام : اسم للمريخ .
(٢) نصال (ك ، ن ، ت) .
(٣) جداه (ك ، ن ، ت) .

أَشمسَ ٱلأنامِ وَمولَى ٱلكرامِ ... وَتِربَ ٱلغَمامِ وَربَّ ٱلزِّماعِ
سَأَشكُرُ ما دُمتُ في ٱلعالَمِينَ ... مَكارِمَ أَحْسَنَّ فِيكَ ٱصطِناعِي
أُطِيلُ ٱلثَّناءَ عَلَى ماجِدٍ ... أَطالَ عَلَى نُوَبِ ٱلدَّهرِ باعِي

* * *

١٣٠

وقال في مجلسه بديهاً :

قُلتُ لِلسّاقِي وَقَدْ[1] طافَ بِها ... قَهوَةً مَصبُوغَةً مِنْ وَجنَتَيهِ
أَتُرى مِنْ دَنِّهِ[2] أَترَعَها ... أَمْ تُرى أَترَعَها مِنْ مُقلَتَيهِ
أَمْ تَراهُ شارِباً مِنْ رِيقِهِ ... ضِعفَ ما يَشرَبُ قَوْمٌ مِنْ يَدَيهِ
فَأَرى أَعطافَهُ شاهِدَةً ... أَنَّهُ قَدْ جارَتِ ٱلكَأسُ عَلَيهِ
مَنْ يَكُنْ هامَ مِنَ ٱلوَجدِ بِهِ ... فَلَقَدْ ذُبتُ مِنَ ٱلشَّوقِ إِلَيهِ

* * *

(١) الذي طاف بها (ت) .
(٢) دنها (ت ، ج) .

١٣١

وقال في مجلسه ديها، وقد وقع القدح من يد الساقي فانكسر :

أَتُرى أَبْصَرَهُ مِثْلِي ٱلْقَدَحْ فَغَدا زَنْدُ حَشاهُ يُقْتَدَحْ
وَٱنْثَنَى مُنْكَسِراً مِنْ وَجْدِهِ بِكَسِيرِ ٱلطَّرْفِ كَٱلظَّبْيِ سَنَحْ
قَمَرٌ يَسْعَدُ لَوْ يُشْبِهُهُ(١) قَمَرُ ٱللَّيْلِ إِذا ٱللَّيْلُ جَنَحْ
لَبِسَ ٱلْحُسْنَ كَشَمْسِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْـمَلْكِ إِذْ تَلْبَسُ مَعْشُوقَ ٱلْمِدَحْ

* * *

١٣٢

وقال عند انصرافه :

أَرُوحُ وَقَلْبِي عَنْكَ لَيْسَ بِرائِحِ وَذِكْرُكَ باقِي ٱلشَّوْقِ بَيْنَ ٱلْجَوانِحِ
وَحَسْبِيَ شَمْسَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَلْكُ غايَةً مِنَ ٱلْفَخْرِ أَنْ تُهْدَى إِلَيْكَ مَدائِحِي
وَقَدْ كانَ شِعْرِي يَفْضَحُ ٱلشِّعْرَ كُلَّهُ وَمُسْي بِما تُولِي(٢) سَماحُكَ فاضِحِي

* * *

(١) لو أبصره (ت) .
(٢) بما يولي (ن ، ت ، ح) .



١٣٣

وقال في العميد أبي الحسن علي بن الحسين بن الجسطار :

قُلْ لِلْعَمِيدِ عَمِيدِ ٱلْمُلْكِ إِنَّ لَهُ ... عَزْمًا يُؤَمَّلُ لِلدُّنْيا وَلِلدِّينِ
يا خَيْرَ مَنْ شَعَفَ ٱلْحَمْدُ ٱلْجَزِيلُ لَهُ ... قَلْبًا بِغَيْرِ ٱلْمَعالِي غَيْرَ مَفْتُونِ
ما بالُ بابِكَ مَفْتُوحًا لِداخِلِهِ(١) ... وَلَسْتُ أَلْقاهُ إلاّ مُغْلَقًا دُونِي
إِنِّي أَعُوذُ بِعَطْفٍ مِنْكَ أَعْرِفُهُ ... ما زالَ يَقْتُلُ أَعْدائِي(٢) وَيُحْيِينِي
مِنْ أَنْ يَكُونَ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... شَيْئًا سِوَى ٱلْحَظِّ يُدْنِيهِمْ وَيُقْصِينِي

* * *

١٣٤

وقال أيضاً يمدحه :

وَكُنْتُ إِذا ما رابَنِي ٱلدَّهْرُ مَرَّةً ... وقَدْ وَلَدَ ٱلدَّهْرُ ٱلْكِرامَ فَأَنْجَبا
دَعَوْتُ كَرِيمًا فَٱسْتَجابَ لِدَعْوَتِي ... أَغَرَّ إِذا ما رادَهُ ٱلظَّنُّ أَخْصَبا
إِذا كُنْتَ راجِي نِعْمَةٍ مِنْ مُؤَمَّلٍ ... فَحَسْبِيَ أَنْ أَرْجُو ٱلْعَمِيدَ ٱلْمُهَذَّبا

(١) لسائله (ك) .
(٢) إعدامي (ن ، ت) .

عَسى جُودُهُ ٱلْمَأْمولُ يَنْتاشُ هالِكاً　　أَسيرَ زَمانٍ بِٱلْخُطوبِ مُعَذَّبا
أَرى ٱلدَّهْرَ لا يَزْدادُ إِلاّ فَظاظَةً (١)　　عَلَيَّ وَلا أَزْدادُ إِلاّ تَعَتُّبا
فَكُنْ لِبَني ٱلأَحْرارِ حِصْناً وَمَعْقِلاً　　إِذا خانَهُمْ صَرْفُ ٱلزَّمانِ وَخَيَّبا
سِواكَ يُعابُ ٱلمادِحُونَ بِنَيْلِهِ　　وَغَيْرُكَ مَنْ آبى لِجَدْواهُ مَطْلَبا

* * *

١٣٥

وقال يقتضي ناهض الملك أبا الحسن علي بن الزرّاد حاجة :

أَيا ناهِضَ ٱلْمُلْكِ أَيُّ ٱلثَّناء　　يَقُومُ بِشُكْرِكَ أَوْ يَنْهَضُ
وَمَنْ ذا يَراكَ فَيَدْعُو سِوا　　كَ يَوْماً لِخَطْبٍ إِذا يُرْمِضُ
وَكَيْفَ وَلَمّا تَزَلْ لِلنَّدى　　مُحِبّاً إِذا كَثُرَ ٱلْمُبْغِضُ
فَتَعْطِفُ إِنْ صَدَّ عَنْهُ ٱللِّئامُ　　وَتُقْبِلُ بِٱلْوُدِّ إِنْ أَعْرَضُوا
دَعانِيَ بِشْرُكَ قَبْلَ ٱلنَّوالِ (٢)　　وَأَثْرى (٣) بِهِ ٱلأَمَلُ ٱلْمُنْفِضُ (٤)

---

(١) فظاعةً (ع)، قطاعةً (م، ت) .
(٢) السؤال (ك) .
(٣) فأثرى (ك، ت) .
(٤) المنفض : من فني زاده .



وَأَحْرىٰ ٱلْحَيا أَنْ يُرَوِّي ٱلثَّرىٰ حَيًا باتَ بارِقُهُ يُومِضُ
وَأَطْمَعَنِي فِي نَداكَ ٱلْجَزِيلِ خَلائِقُ يُشْفىٰ بِها ٱلْمُمْرَضُ
وَوَجْهُكَ وَٱلْفِعْلُ[1] إِذْ يُشْرِقانِ كَأَنَّهُما عِرْضُكَ ٱلْأَبْيَضُ
فَإِمّا وَهَبْتَ فَنِعْمَ ٱلْوَهُوبُ وَإِلاَّ فَكَٱلْواهِبِ ٱلْمُقْرِضُ[2]

* * *

١٣٦

وقال يهنيه بمولود[3] :

عِشْتَ لِلْمَجْدِ أَطْوَلَ ٱلْأَعْمارِ بالِغًا فِيهِ أَفْضَلَ ٱلْإِيثارِ
وَشَفاكَ ٱلْإِلٰهُ مِنْ كُلِّ داءٍ وَوَقاكَ ٱلْمَخُوفَ مِنْ كُلِّ طارِي
يا عَلِيًّا عَنْ كُلِّ ضِدٍّ وَنِدٍّ وَبَرِيًّا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَعارِ
أَنْتَ بَدْرُ ٱلْعُلىٰ فَكَيْفَ وَقَدْ ضُمَّـتْ إِلَيْهِ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ ٱلدَّرارِي
قَدْ أَتاكَ ٱلْهَناءُ يَرْفُلُ فِي ثَوْ بِ ثَناءٍ باقٍ[4] عَلَى ٱلْآثارِ

(١) والفضل (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٣) لم ترد هذه القصيدة في (ي) .
(٤) يبقى (ن) .

بِهِلالٍ كأنَّما غُرَّةُ الشَّهْـ ـرِ بِرُؤْياهُ لَيْلَةُ الإِبْدارِ

وَجَوادٍ حازَ المَدى وَهْوَ فِي المَهْـ ـدِ سَلِيمِ الخُطى أَمِينِ العِثارِ

وَحُسامٍ(١) قَدْ(٢) قَلَّدَ المَجْدَ ماضٍ غَيْرِ خالِي القِرابِ ماضِي الغِرارِ

حُزْتَ فِيهِ المُنى فَأَطْلَعَتْ مِنْهُ قَمَرَ المَجْـدِ فِي سَماءِ الفَخارِ

فازَ مَنْ فازَ مِنْهُ يَوْمَ تَجَلَّى بِجِلاءِ القُلُوبِ وَالأَبْصـارِ

وَأَقَرَّ العُيُونَ مِنْهُ بِمَأْمُو لٍ لَهُ المَكْرُماتُ دارُ قَرارِ

قَدْ(٣) تَحَلَّتْ بِذِكْرِهِ غُرَّةُ المَجْـ ـدِ وَسارَتْ شَوارِدُ الأَشْعارِ

حَسَرَ الدَّهْرُ عَنْهُ وَانْجابَ غَيْمُ الـ ـغَيْثِ عَنْ كَوْكَبِ العَلاءِ السّارِي

فَتَمَلَّ الهَناءَ وَاسْعَدْ بِهِ حِلْـ ـفَ سُرُورٍ صافٍ مِنَ الأَكْدارِ

وَلَئِنْ خِلْتَهُ صَغِيراً فَما زا لَ صِغارُ الكِرامِ غَيْرَ صِغارِ

وَالفَتى عِنْدَ قَدْرِهِ وَعُلاهُ وَكِبارُ اللِّئامِ غَيْرُ كِبارِ

فَوَقاكَ الإِلٰهُ فِيهِ وَفِي مَجْـ ـدِكَ ما يُتَّقى مِنَ الأَقْدارِ

---

(١) هذا البيت وأربعة أبيات بعده لم ترد إلا في (لـ ، ن ، ت) ، وخلت منها بقية النسخ .

(٢) ما قلد ... (ن ، ت) .

(٣) وتحلّتْ ... (ك ، ن ، ت) .



أبداً ما اسْتَقَلَّ رَكْبٌ وَما جا ... دَ بِرِيِّ الْبِلادِ صَوْبُ قِطارِ

كَوْكَبٌ تَسْتَنِيرُ حَتّى تَراهُ ... قَمَراً باهِراً أَبا[1] أَقْمـارِ

* * *

١٣٧

وقال يمدح أبا اليمن سعيد بن علي بن عبد اللطيف التنوخي المعرّي :

سِوايَ لِمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الْمَجْدَ عاشِقُ ... وَغَيْرِي لِمَنْ لَمْ يَصْطَفِ الْحَمْدَ وامِقُ

عَزَفْتُ عَنِ الْأَحْبابِ غَيْرَ ذَوِي النُّهى ... فَلَسْتُ بِمُشْتاقٍ وَغَيْرُكَ شائِقُ

أُحِبُّكَ ما حَنَّتْ سَلُوبٌ[2] وما شَدا ... طَرُوبٌ وَما تاقَ الْعَشِيّاتِ تائِقُ

وَمالِيَ لا يَقْتادُنِي[3] نَحْوَكَ الْهَوى ... وَعِنْدِيَ حادٍ مِنْ هَواكَ وَسائِقُ

أَأَثْنِي عِنانِي عَنْكَ أَطْلُبُ مَطْلَبا ... وَأَتْرُكُ خَيْراً مِنْهُ إِنِّي لَمـائِقُ

يُطِيعُ النَّوى مَنْ خافَ في أَرْضِهِ الطَّوى ... وَلَوْلا احْتِباسُ الْغَيْثِ ما شِيمَ بارِقُ

أَيا ابْنَ عَلِيٍّ إِنْ تَرَدَّيْتَ فاشْتَمِلْ ... رِداءَ الْمَعـالِي إِنَّهُ بِكَ لائِقُ

---

(١) أبا الأقمار (س ، ظ ، م ، ن ، ع) .

(٢) السَّلُوبُ : من فقدت ولدها .

(٣) لا يعتادني (ك) .

فَأَنتَ ٱلْحَقِيقُ(١) بِٱلْعَلاءِ وَبِٱلثَّنا إِذا ٱلْحَقُّ يَوْماً أَوْجَبَتْهُ ٱلْحَقائِقُ
لَعَمْري لَئِنْ كُنْتُ ٱمْرَأً فاتَهُ ٱلْغِنىٰ فَحَسْبِي غِنىً أَنِّي بِجُودِكَ واثِقُ
وَقَدْ عَلِقَتْنِي ٱلنّائِباتُ فَوَيْحَها أَما عَلِمَتْ أَنِّي بِحَبْلِكَ(٢) عالِقُ
أَلَمْ تَدْرِ(٣) أَنِّي مِنْ أَبِي ٱلْيُمْنِ نازِلٌ بِحَيْثُ تَحاماني ٱلْخُطُوبُ ٱلطَّوارِقُ
أَلَمْ يُغْنِنِي بَحْرٌ بِجُودِكَ زاخِرٌ أَلَمْ يَحْمِنِي طَوْدٌ بِعِزِّكَ شاهِقُ
أَلَمْ يَكُ لِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صارِمٌ لِهامِ ٱلعِدىٰ وَٱلْفَقْرِ وَٱلدَّهْرِ فالِقُ
لَقَدْ بَرَّحَتْ كَفّاكَ فِي ٱلْجُودِ بِٱلْحَيا فَلا عاقَها إِلاّ عَنِ ٱلْبُخْلِ عائِقُ
سَماؤُكَ مِدْرارٌ وَرِيحُكَ غَضَّةٌ وَعِزُّكَ قَهّارٌ وَمَجْدُكَ باسِقُ
وَما بَرِحَتْ مِنْكَ ٱلْخَلائِقُ(٤) تَعْتَلِي إِلىٰ سُؤْدَدٍ لا تَدَّعِيهِ ٱلْخَلائِقُ
إِذا ما تَنُوخِيٌّ سَما لِفَضِيلَةٍ تَخَلّىٰ مُجارِيهِ وَقَلَّ ٱلْمُرافِقُ
تَوَسَّطْتَ مِنْهُمْ بَيْتَ فَخْرٍ عِمادُهُ صُدُورُ ٱلْقَنا وَٱلْمُرْهَفاتُ ٱلذَّوالِقُ
بَنىٰ أَوَّلٌ مِنْهُمْ(٥) وَشَيَّدَ آخِرٌ إِلىٰ مِثْلِهِ تَسْمُو ٱلْعُيُونُ ٱلرَّوامِقُ

---

(١) حقيق (ك) .
(٢) بحبك (ك ، ن) .
(٣) ألم تر . . . (س ، ظ ، م ، ع).
(٤) المكارم (ي) .
(٥) منه (ت) .

سَمَتْ بِسَعِيدٍ فِي تَنُوخَ وَغَيْرِها ذَوائِبُ مَجْدٍ بِالنُّجُومِ لَوَاصِقُ(١)
بِأَزْهَرَ لَوْ أَلْقَى عَلَى الْبَدْرِ مَسْحَةً بِبَهْجَتِهِ لَمْ يَمْحَقِ الْبَدْرَ ماحِقُ
أَغَرُّ إِذا أَجْرَى الْكِرامُ إِلَى مَدىً شَـآهُمْ(٢) جَوادٌ لِلسَّوابِقِ سابِقُ
فَتىً عَطَّرَ الْأَيّامَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ(٣) شَذىً تَتَهاداهُ الْأُنُوفُ النَّواشِقُ
وَزِينَتْ(٤) بِهِ الدُّنْيا فَباهَتْ وَطاوَلَتْ مَغارِبُها تِيهاً بِهِ وَالْمَشارِقُ
أَنامِلُهُ لِلْمَكْرُماتِ مَفاتِحٌ عَلَى أَنَّها لِلْحادِثاتِ مَغالِقُ
غَمائِمُ غُرٌّ لَيْسَ تُدْرَى هِباتُها أَهُنَّ سُيُوبٌ(٥) أَمْ سُيُولٌ دَوافِقُ
تَأَلَّى عَلَى الْإِسْرافِ فِي بَذْلِ مالِهِ فَلَمْ يَقْتَصِرْ وَالصّادِقُ الْعَزْمِ صادِقُ
فَوَاللهِ ما أَدْرِي أَتِلْكَ مَواعِدٌ تَقَدَّمْنَ مِنْ إِحْسانِهِ أَمْ مَواثِقُ
بَقِيتَ لِعَبْدٍ(٦) عائِذٍ بِكَ سَعْدُهُ وَعِشْتَ لِعَيْشٍ خالِدٍ لا يُفارِقُ
وَلا زِلْتَ مَأْمُولاً لِأَيّامِ عِزِّكَ الْـ ـبَواقِي وَمَأْمُونا عَلَيْكَ الْبَوائِقُ
نَطَقْتُ بِمَدْحٍ أَنْتَ أَهْلٌ لِخَيْرِهِ وَمِنْ شَرَفِي أَنِّي بِمَدْحِكَ ناطِقُ

(١) عوالى (ك) .
(٢) ثناهم (ك) .
(٣) نشره (ك) .
(٤) وَرُيِّنَتِ الدنيا فباهت وطاولت (ك) .
(٥) سيوفٌ (؟) (ظ ، ل ، ت ، ج) .
(٦) بقيت لعبدٍ سعده بك عائذٌ (ت) .

شَرُفتُ بِهِ وَالْفخرُ فَخرُكَ مِثْلَ ما تَعطَّرَ مِنْ فَضِّ اللَّطيمَةِ(١) فاتِقُ
وَلَسْتُ أُبالِي عِنْدَ مَنْ باتَ كاسِداً إذا هُوَ أَضْحى وَهْوَ عِنْدَكَ نافِقُ
غَرائِبُ مِنْ أَبْكارِ مَدْحٍ كَأَنَّها كَرائِمُ مِنْ أَزْهارِ نَوْرٍ فَتائِقُ(٢)
تَشُوقُ وَتُصْبِي السّامِعِينَ كأَنَّما بِها يَتَغَنَّى مَعْبَدٌ أَوْ مُخارِقُ(٣)
تَمُرُّ بِأَفْواهِ الرُّواةِ كَأَنَّها مُصَفَّقَةٌ مِنْ خَمْرِ عانَةَ(٤) عاتِقُ
لَقَدْ حَدَقَتْ(٥) بِي مِنْ أَيادِيكَ أَنْعُمٌ فَعِنْدِيَ مِنْ شُكْرِي لَهُنَّ حَدائِقُ
فَإِنْ أَنا لَمْ أُطْلِقْ لِسانِي بِحَمْدِها فَأُمُّ الْعُلَى وَالْمَجْدِ مِنِّيَ طالِقُ

* * *

١٣٨

وقال(٦)، يهنيه بولده أبي سالم الميسَّر :

يا حُسْنَهُ قَمَراً وَأَنْتَ سَماؤُهُ أَطْلَعْتَهُ فَجَلا الظَّلامَ ضِياؤُهُ

---

(١) اللطيمة : المسك ونافجته .
(٢) فواتق (ت) .
(٣) معبد : مغن مشهور في زمن بني أمية . ومخارق من مشاهير المغنين في صدر الدولة العباسية .
(٤) بلده في العراق ، كانت مشهورة بخمرها .
(٥) أحْدَقَتَ (ك ، ت) .
(٦) لم ترد هذه القصيده كلها في (ك) .

يا سَعْدَهُ مِنْ قادِمٍ سُرَّ ٱلسُّرو ... رُ بِهِ وَهُنِّئَ بِٱلْخُلُودِ هَناؤُهُ
وافاكَ فِي جَيْشِ ٱلْفَخارِ مُتَوَّجًا ... بِٱلْحَمْدِ خَفّاقًا عَلَيْهِ لِواؤُهُ
قَمَرٌ كَفَى ٱلْأَقْمارَ سَعْدًا أَنَّها ... أَشْباهُهُ فِي ٱلْمَجْدِ أَوْ أَكْفاؤُهُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي ٱلْبَقاءِ شَرِيكَها ... أَبَدًا كَما هِيَ فِي ٱلْعُلَىٰ شُرَكاؤُهُ
كَفَلَتْ عُلاكَ لَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ... إِنَّ ٱلنَّبِيهَ نَبِيهَةٌ أَبْناؤُهُ
مَنْ كُنْتَ أَنْتَ أَباهُ كانَ لِمَجْدِهِ ... أَنْ يَسْتَطِيلَ وَأَنْ يُشادَ بِناؤُهُ
تُنْمَى ٱلْفُرُوعُ إِلَىٰ ٱلْأُصُولِ وَخَيْرُها ... وَأَجَلُّها فَرْعٌ إِلَيْكَ نَماؤُهُ
مَنْ كانَ مِنْ نَجْلِ ٱلْبُدُورِ وَنَجْرِها ... لَمْ يَعْدُها إِشْراقُهُ وَعَلاؤُهُ
وَلَقَدْ ثَلَثْتَ ٱلنَّيِّرَيْنِ بِثالِثٍ ... لَوْلاكَ أَعْجَزَ ناظِرًا نُظَراؤُهُ
لا فَرْقَ بَيْنَهُما يُعَدُّ وَبَيْنَهُ ... فِي ٱلْفَضْلِ لولا بَأْسُهُ وَسَخاؤُهُ
مَنْ ذا يَذُمُّ ٱلشَّمْسَ عَمَّ ضِياؤُها ... أَمْ مَنْ يَعِيبُ ٱلْبَدْرَ تَمَّ بَهاؤُهُ
وَهُما هُما لٰكِنَّ مَنْ لِمُؤَمِّلٍ ... أَكْدَتْ مَطالِبُهُ وَخابَ رَجاؤُهُ
وَطَرِيدِ خَوْفٍ لا يُحاوَلُ مَنْعُهُ ... سُدَّتْ مَطالِعُهُ وَعَزَّ نَجاؤُهُ
وَأَسِيرِ دَهْرٍ لا يُرامُ فَكاكُهُ ... وَقَتِيلِ فَقْرٍ لا يُرَىٰ إِحْياؤُهُ
لَمْ يُعْطَ هٰذا ٱلدَّهْرُ قَطُّ فَضِيلَةً ... كَنَدَىٰ أَبِي ٱلْيُمْنِ ٱلْجَزِيلِ عَطاؤُهُ
إِنَّ ٱلْكِرامَ لِداءِ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... أَعْيا عَلَى ٱلْفَلَكِ ٱلْعَلِيِّ دَواؤُهُ



ما مَرَّ خَطْبٌ مُمْرِضٌ إلاّ وَفي أيدِي بَنِي عَبْدِ اللَّطيفِ شِفاؤُهُ

إنَّ المُيَسَّرَ وَهوَ كَوْكَبُ سَعْدِهِمْ لَيَجِلُّ عَنْ رَأْدِ الضُّحى إمْساؤُهُ

وَلَدٌ إذا فَخَرَتْ بِآباءِ العُلى أَوْلادُها فَخَرَتْ بِهِ آباؤُهُ

مَنْ رامَ مُشْبِهَهُ سِوى أَسْلافِهِ في المَكْرُماتِ الغُرِّ طالَ عَناؤُهُ

مَلَكَ الجَمالَ فَأَشْرَقَتْ لَأْلاؤُهُ وَحَبا الجَميلَ فَأَغْرَقَتْ آلاؤُهُ

مِثْلُ الحَيا سَطَعَتْ لَوامِعُ بَرْقِهِ في أُفْقِهِ وَتَبَجَّسَتْ أنْواؤُهُ

قُلِّدْتَ مِنْهُ مُهَنَّداً ما سُلَّ إلاّ راقَ رَوْنَقُهُ وَراعَ مَضاؤُهُ

تَسْمُو بِأَخْمَصِهِ المَنابِرُ واطِئاً وَتَتِيهُ إنْ رُقِيَتْ بِها(١) خُطَباؤُهُ

وَيُجِلُّ قَدْرَ المَدْحِ عاطِرُ مَدْحِهِ وَيَطُولُ عَنْ حُسْنِ الثَّناءِ ثَناؤُهُ

وَكَأَنَّما أَخْلاقُهُ أَعْراقُهُ وَكَأَنَّما أَفْعالُهُ أَسْماؤُهُ

جارى الأُصُولَ فَجِدُّهُ مِنْ جَدِّهِ في النّائِباتِ وَمِنْ أبِيهِ إباؤُهُ

فَتَهَنَّهُ وَتَمَلَّ عَيْشَكَ لابِساً فَضْفاضَ عَيْشٍ لا يَضِيقُ فَضاؤُهُ

وَتَهَنَّ(٢) إخْوَتَهُ الَّذينَ وُرُودُهُمْ دَيْنٌ عَلَى الأَيّامِ حَلَّ قَضاؤُهُ

---

(١) به (ت) .

(٢) لم يرد هذا البيت في (س ، ظ ، م ، ع ، ج) .

حَتَّىٰ تَراهُمْ مِنْ تَنُوخَ أُسْرَةً⁽¹⁾ كَرُمَ ٱلزَّمانُ بِأَنَّهُمْ كُرَماؤُهُ
وَٱسْتَمْلِ وَٱبْقَ فَما لِراجٍ مُنْيَةٌ إلاّ بَقاؤُكَ لِلْعُلىٰ وَبَقاؤُهُ
إنِّي هَجَرْتُ ٱلْعالَمِينَ إلىٰ ٱلَّذِي هَجَرَ ٱلْغَبِيَّ⁽²⁾ إلىٰ ٱلأَبِيِّ صَفاؤُهُ
شُكْراً وَكَيْفَ جُحُودُ فَضْلِ مُؤَمَّلٍ شَهِدَتْ بِباهِرِ فَضْلِهِ أَعْداؤُهُ
لا يُصْلِتُ ٱلْبَطَلُ ٱلْمُقارِعُ سَيْفَهُ إلاّ إذا ما ٱلرُّمْحُ قَلَّ غَناؤُهُ

* * *

١٣٩

وقال يمدحه أيضاً⁽³⁾ :

ما عَلَى فَضْلِكَ ذا مِنْ مُفْضِلِ يا أَبا ٱلْيُمْنِ سَعِيدَ بْنَ عَلِي
مَنْ يَكُنْ مِثْلَكَ فِي ٱلْجُودِ يَكُنْ غايَةَ ٱلضّارِبِ عِنْدَ ٱلْمَثَلِ
أَنْتَ بَدْرُ ٱلتِّمِّ فِي ٱلسَّعْدِ إذا ذُكِرَ ٱلسَّعْدُ وَشَمْسُ ٱلْحَمَلِ⁽⁴⁾
مِثْلَ ما كُنِّيتَ أَوْ سُمِّيتَ لا زِلْتَ مَحْرُوسَ ٱلْعُلىٰ وَٱلأَجَلِ

---

(١) إخوةً (ظ ، ج) .
(٢) الغني (س ، ت ، ع) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) برج تحله الشمس في الربيع .

فَأبْقَ وَاسْلَمْ وَاسْمُ وَاسْعَدْ أَبَداً ... وَاعْلُ وَافْخَرْ وَاعْدُ وَاقْهَرْ وَطُلِ
ما هَمَى غَيْثٌ حَكَى بِرَّكَ بِي ... وَصَفا عَيْشٌ حَكَى وُدَّكَ لِي

* * *

١٤٠

وقال أيضاً فيه وقد حضر في مجلسه منثور وورد في وقت واحد :

آيا ما أحْسَنَ الْمَنْثُو ... رَ مَنْظُوماً ومَنْثُورا
وَمــا أطْيَبَهُ نَشْراً ... وَما أشْرقَهُ نُورا
وَيا لِلْوَرْدِ ما أبْها ... هُ مَنْظُوراً ومحبُورا
يَفُلُّ(١) الْمِسْكُ مَفْتوقاً ... لَهُ وَالرَّوْضُ مَمْطُورا
كَأَنَّ عَوارِضاً غُرّاً ... بِهِ أَوْ أعْيُناً حُورا
تَراهُ كأنَّما أهْدى ... أكُفاً لمْ تَزُرْ زُورا
عَذارَى غُلْنَ(٢) أنْدِيَهُـــنَّ تخْنِيما وتَسْوِيرا
قَصرْنا عِنْدَهُ عَيْشا ... عَلى اللَّذّاتِ مَقْصورا

(١) يعل (ي) .
(٢) علن (ن ، ت) .

سُرُوراً وَالْفَتَى مَنْ صا حَبَ الأَيَّامَ مَسْرُورا

كَأَنَّا بِأَبِي الْيُمْنِ صَحِبْنا الْعُمْرَ[1] مَعْمُورا

صَفاءً ما نَرى فيهِ مَدى الأَيّامِ تَكْدِيرا

* * *

١٤١

وقال فيه، وقد مرض أبو عبد الله[2]:

مَوْلايَ تَصْبِرُ عَنْ أَدِيبِكْ حَقّاً وَتُعْرِضُ عَنْ حَبِيبِكْ

أَوَ ما نِصابُكَ مِنْ عَلِـيٍّ وَالْعُلَى أَدْنَى نَصِيبِكْ

أَوَ ما ضَرَبْتَ فَهَلْ قَدِرْ تَ عَلَى شَبِيهِكَ أَوْ ضَرِيبِكْ

مَنْ[3] مِثْلُ شاعِرِكَ الَّذِي بَهَرَ الْبَرِيَّةَ أَوْ خَطِيبِكْ

يُهْدِي إِلَيْكَ مَحاسِنًا تَدَعُ الْمَحاسِنَ مِنْ عُيُوبِكْ

نَفَحاتِ مَدْحٍ لَمْ تَزَلْ تُغْنِيكَ عَنْ نَفَحاتِ طِيبِكْ

أَمّا دِمَشْقُ فَقَدْ حوَتْ قَمَراً تَطَلَّعَ مِنْ جُيُوبِكْ

---

(١) الدهر (ت).

(٢) هو ابن الخياط صاحب الديوان.

(٣) سقط هذا البيت من (ت).

لَوْلا طُلُوعُكَ لَمْ تُنِرْ ... فَاللهُ يُؤْمِنُ مِنْ مَغِيبِكْ
لِلّهِ رَوْحُ صَباكَ كَمْ ... تَرِدُ الْمُنى وَنَدى جَنُوبِكْ
كَمْ تَكْتُمُ النُّعْمى وَما ... يَنفَكُّ جُودُكَ أَنْ يَشِي بِكْ

* * *

١٤٣

وقال فيه أيضاً :

طَرِبْتُ وَما كانَ ذاكَ الطَّرَبْ ... إلى دَعَجٍ في الْمَها أَوْ شَنَبْ
وَلٰكِنْ إِلى كُلِّ ماضِي الْجَنا ... نِ سَبْطِ الْبَنانِ كَرِيمِ الْحَسَبْ
كَمِثْلِ أَبِي الْيُمْنِ فِي الْعالَمِينَ ... وَهَلْ مِثْلُ نائِلِهِ فِي السُّحُبْ
إِذا كُنْتَ جاراً لِجارٍ لَهُ ... فَكَيْفَ تَخافُ صُرُوفَ النُّوَبْ
يَطُولُ بِأَطْوَلِ أَصْلٍ وَفَرْعٍ ... وَيُنْمى إِلى خَيْرِ جَدٍّ وَأَبْ
يَدُلُّ عَلَيْهِمْ وَهَلْ لِلْهِلا ... لِ مَعْدًى عَنِ الْبَدْرِ إِمّا انْتَسَبْ
يَرى الْمَجْدَ أَفْضَلَ ما يَقْتَنِيهِ ... وَالْحَمْدَ أَشْرَفَ ما يُكْتَسَبْ
شَرِيفُ الْمَرامِ مُنِيفُ الْمَقامِ ... عَرِبُ النَّدى وَالنُّهى وَالْأَدَبْ
فَتىً بِالْعُلى أَبَداً مُغْرَمٌ ... وَبِالْجُودِ مُغْرًى وَبِالْمَجْدِ صَبّْ
تَعَوَّدَ بِالْجُودِ صَرْفَ الْمُهِمِّ ... وَدَفْعَ الْمُلِمِّ وَكَشْفَ الْكُرَبْ

* * *

١٤٣

وقال فيه أيضاً :

كَمْ تَوالَتْ يا سَعيدُ بْنَ عَلي   لَكَ عِنْدي مِنْ أَيادٍ هُطُلِ
بادِئاتٍ عائِداتٍ أَبَداً   لا تَرى ٱلْوَسْمِيَّ(١) إِلاّ بِٱلْوَلِي
كُلَّما وافَتْ يَدٌ بَعْدَ يَدٍ   هَوَّنَ ٱلآخِرُ قَدْرَ ٱلأَوَّلِ
كَرَمٌ يَضْعُفُ شُكْري عِنْدَهُ   وَنَدىً يَقْصُرُ عَنْهُ أَمَلي
وَسَجايا لَوْ عَدَتْ أَخْلاقَهُ   لَمْ تَجِدْها في ٱلْغَمامِ ٱلْمُسْبِلِ
شامِلُ ٱلْفَضْلِ غَريبُ ٱلْحِلْمِ لا   يَنْظُرُ ٱلعَلْياءَ إِلاّ مِنْ عَلِ

* * *

١٤٤

وقال فيه أيضاً :

أَمَدَّ ٱللهُ ظِلَّكَ يا سَعيدُ   عَلَيَّ فَإِنَّهُ ٱلظِّلُّ ٱلْمَديدُ
وَعِشْتَ تُصاحِبُ ٱلدُّنْيا خُلُوداً   وَتَصْحَبُكَ ٱلأَيامِنُ وَالسُّعُودُ
إِذا ما كانَ مِثْلُكَ لي مُجيراً   وَمِثْلُكَ لا يَجُودُ بِهِ ٱلْوُجُودُ
فَإِنَّ بَعيدَ ما أَرْجُو قَريبٌ   وَإِنَّ قَريبَ ما أَخْشى بَعيدُ

---

(١) الوسميّ : أول مطر الربيع ، والوليّ : المطر بعد المطر .

عَلَوْتَ بَنِي ٱلْوَرَى كَرَماً وَجُوداً   وَحَسْبُكَ مِنْ عُلىً كَرَمٌ وَجُودُ
نَمَاكَ أَبٌ نَمَاهُ خَيْرُ جَدٍّ   كَذا ٱلْآباءُ (١) تَنْمِيها ٱلْجُدُودُ
هُمُ بَدَءُوا ٱلْعُلَى فَسَمَوْا عُلُوّاً (٢)   وَأَنْتَ لِخَيْرِ ما بَدَءُوا مُعِيدُ
وَما جُحِدَتْ مَحاسِنُ فَخْرِ قَوْمٍ   خَلائِقُكَ ٱلْحِسانُ بِها شُهُودُ
وَلَوْ سَجَدَ ٱلْوَرَى لِأَبَرِّ خَلْقٍ   يَداً وَنَدىً لَحُقَّ لَكَ ٱلسُّجُودُ
وَسُدْتَ فَما أَحَقَّ بِكُلِّ مَجْدٍ   سِواكَ إِذا تَفَرَّدَ مَنْ يَسُودُ

* * *

١٤٥

وقال يشكو حاله إليه (٣) :

كُنْتُ أَدْعُوكَ فِي مُداواةِ حالِي   بِنَداكَ ٱلْفَيّاضِ مِنْ كُلِّ سُقْمِ
وَقَدِ ٱعْتَلَّ بَعْدُ جِسْمِي فَما عِنْـ   ـدَ أَيادِيكَ مِنْ مُداواةِ جِسْمِي
وَإِذا كُنْتَ لِي عَلَى ٱلدَّهْرِ عَوْناً   فَمُحالٌ أَنْ يُمْكِنَ ٱلدَّهْرَ ظُلْمِي

* * *

(١) الأبناء (ن)
(٢) مَحَلّاً (ت) .
(٣) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .



١٤٦

وقال، يداعبه ويقتضيه فوطة يلبسها مع ثوب كان وصله به :

يَاٱبْنَ عَلِيٍّ ما أُضيعَتْ(١) عُلىً أَمْسَتْ(٢) بِتَأْييدِكَ مَضْبُوطَهْ
مَنْ كانَ مَغْبُوطاً بِإِدْراكِها فَهْيَ بِإِدْراكِكَ مَغْبُوطَهْ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَيْسَتْ بِمَجْحُودَةٍ وَنِعْمَةٍ لَيْسَتْ بِمَغْمُوطَهْ
حُزْتَ بِها شُكْرِي وَدَلَّتْ عَلَى مَحَبَّةٍ بِٱلنَّفْسِ مَخْلُوطَهْ
وَٱلْماجِدُ ٱلْمِفْضالُ لا يَأْمَنُ ٱلْـــمالُ غَداةَ ٱلْجُودِ تَفْرِيطَهْ
قَدْ وَصَلَ ٱلثَّوْبُ وَلا(٣) عُذْرَ لِي أَنْ أَلْبَسَ ٱلثَّوْبَ بِلا فُوطَهْ
لا سِيَّما وَهْيَ بِحُكْمِ ٱلنَّدى فِي عَقْدِ مِيعادِكَ(٤) مَشْرُوطَهْ
كَيْفَ وَأَخْلاقُكَ مَرْضِيَّةٌ أَصْحَبُها(٥) وَٱلْحالُ مَسْخُوطَهْ
لا قَبَضَ ٱلدَّهْرُ يَدِي عَنْ غِنىً وَهْيَ إِلىٰ جُودِكَ مَبْسُوطَهْ(٦)

* * *

(١) ما أُصيبت (ت) .
(٢) كانت (س) .
(٣) فلا (ج) .
(٤) ميثاقك (ح) .
(٥) أصحابها (م) .
(٦) مصبوطة (ن) .

١٤٧

وقال يهنئه بالعيد :

أَيّامُ دَهْرِكَ كُلُّها أَعْيادُ أَبداً عَلَيْكَ بِما تَشاءُ تُعادُ
لا يَدْعُوَنَّكَ بِالْجَوادِ مُقَصِّرٌ وَأَقَلُّ حَقِّكَ أَنْ يُقالَ جَوادُ
وَلَئِنْ غَدَوْتَ ٱلْفَرْدَ فِي نَيْلِ[1] ٱلْعُلى وَٱلْمَجْدِ فَٱلْقَمَرُ ٱلْمُنيرُ فُرادُ[2]
وَأَمَا[3] وَجُودِكَ يا سَعِيدُ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ وَعَتادُ
لَقَدِ ٱسْتَفادَ بِكَ ٱلزَّمانُ فَضِيلَةً ماخالَها أَبَدَ ٱلزَّمانِ تُفادُ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ قَدْ وَسَمْتَ بِعَهْدِها جُوداً كَما وَسَمَ ٱلرِّياضَ عِهادُ
أَوْلَيْتَنِي نِعَماً أَقَلُّ ثَنائِها بَيْني وَبَيْنَ ٱلْفِكْرِ فِيهِ جِهادُ
كَلَّفْتَنِي بِنَداكَ عَدَّ مَناقِبٍ يَفْنَى ٱلثَّناءُ[4] وَما لَهُنَّ نَفادُ
فَبِعَطْفِكَ ٱلْإِنْجاءُ وَٱلْإِنْجادُ لِي وَبِكَفِّكَ ٱلْإِسْعافُ وَٱلْإِسْعادُ

---

(١) ميل (ظ ، ي ، م ، ع ، ج) .
(٢) يريد بـ (فُرادُ) أنه فرد . ووجه الصواب في استعمالها أن يقال: (جاءوا فُرادَ وفُراداً وفُرادَى وفَرْدى ، أي واحداً بعد واحد) ، وليس كما استعملها .
(٣) أمَا وجودك . . . (ن) .
(٤) الزمان (ت) .

لا زالَ رَبْعُكَ لِلْمَطالِبِ مَرْبَعاً يَحْيَى بِهِ ٱلْوُرّادُ وَٱلْرُوّادُ
وَبَقِيتَ ما بَقِيَ ٱلرَّجاءُ فَإِنَّهُ جِسْمٌ وَنائِلُكَ ٱلْجَزِيلُ فُؤادُ

* * *

١٤٨

وقال فيه أيضاً :

أَقُولُ لِدَهْرٍ ضامَنِي بَعْدَ عِزَّةٍ بِما فَلَّ مِنْ حَدِّي وَما هَدَّ مِنْ رُكْنِي
أَيا دَهْرُ إِنْ حَمَّلْتَنِي وَيْكَ مِنَّةً لِمُولِي جَمِيلٍ فَلْتَكُنْ لِأَبِي ٱلْيُمْنِ
فَلَسْتُ بِداعٍ غَيْرَهُ عِنْدَ كُرْبَةٍ إِذا لَمْ يُفَرِّجْها فَلا فُرِّجَتْ عَنِّي
كَفَىٰ بِسَعِيدٍ فِي ٱلنَّوائِبِ مُسْعِداً سَيَبْلُغُ مِنْها فَوْقَ ما بَلَغَتْ مِنِّي
فَتىً لَيْسَ كَٱلْمُزْنِ ٱلْمَطُولِ بَنانُهُ(١) وَلٰكِنَّهُ أَنْدىٰ بَناناً مِنَ ٱلْمُزْنِ

* * *

١٤٩

وقال فيه أيضاً(٢) :

ما لِأَبِي ٱلْيُمْنِ عَلَيْنا يَدٌ لٰكِنْ أَيادِينا جَمِيعاً عَلَيْهْ

(١) في جميع النسخ (رَبابُهُ) إلا في (ك) .
(٢) لم ترد هذه الأبيات في (س) .



لِأَنَّهُ يَعُدُّ إِسْدَاءَهُ الْـــجَمِيلَ إِسْدَاءَ جَمِيلٍ إِلَيْهْ
كَأَنَّمَا نُعْطِيهِ مِنْ جُودِ أَيْـــدِينَا الَّتِي نَأْخُذُهُ مِنْ يَدَيْهْ

. . .

١٥٠

وقال فيه أيضاً :

أَمَا أَبُو الْيُمْنِ فَلْتَفْخَرْ بِهِ الْيَمَنُ ... وَالْفَخْرُ وَالدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ
فَاقَ الْأَنَامَ عَلَاءً وَالْكِرَامَ نَدَىً ... وَلَيْسَ مُسْتَنْكَراً أَنْ يَحْسُنَ الْحَسَنُ
أَغَرُّ أَزْهَرُ فَيَّاضٌ لَهُ مِنَنٌ[1] ... لَا تَسْتَقِلُّ بِأَدْنَى شُكْرِهَا الْمُنَنَ[2]
تَغَرَّبَ الْجُودُ حَتَّى حَلَّ[3] فِي يَدِهِ ... فَلَيْسَ لِلْجُودِ إِلَّا كَفُّهُ وَطَنُ

. . .

١٥١

وقال فيه أيضاً :

أَخْــلَاقُهُ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ ... وَكَـفُّهُ أَنْدَى مِنَ الْمُزْنِ

---

(١) المِنَنُ : جمع مِنَّة ، وهي اسم مِن مَنَّ عليه أي أنعم .
(٢) المُنَن : جمع مُنَّة ، وهي القوة .
(٣) صار في يده (ك ، ت) .



إذا وَصَفْنـــاهُ وَلَمْ نُسَمِّهِ قالَ ٱلْوَرى ذاكَ أَبُو ٱلْيُمْنِ
ذاكَ ٱلَّذي لَوْ لَمْ نَبُحْ بِٱسْمِهِ لَمْ يَجْهَلِ ٱلْعالَمُ مَنْ[1] نَعْني

* * *

١٥٢

وقال بديهاً في مجلسه، يمدحه ويهنيه بفطام ولده أبي سالم الميسّر، وقد اقتضاه أن يعمل في ذلك أبياتاً :

رَأَيْتُكَ تَقْتَضِي شُكْرَ الرِّجالِ وَلَسْتَ[2] بِمُقْتَضىً بَذْلَ النَّوالِ
غَرامًا بِٱلْمَحامِدِ وَٱلْمَساعِي وَوَجْداً بِٱلْمَكارِمِ وَٱلْمَعالي
وَلَسْتَ بِعـــاطِلٍ مِنْ حَلْيِ حَمْدٍ وَكُلُّ مُؤَمِّلٍ بِنَداكَ حالِ
وَلَيْسَ ٱلشُّكْرُ بَعْدَ ٱلْجُودِ إلاّ أَسيرَ ٱلْجُودِ مِنْ قَبْلِ ٱلسُّؤالِ
عَلَوْتَ عَنِ ٱلثَّناءِ وَأَيُّ خِرْقٍ[3] سِواكَ عَنِ ٱلثَّناءِ ٱلْمَحْضِ عالِ
وَأَيْنَ ٱلشُّكْرُ مِنْ هٰذي ٱلْعَطايا وَأَيْنَ ٱلْحَمْدُ مِنْ هٰذا ٱلْجَلالِ
سَلا ٱلْعُذْرِيُّ[4] عَمَّنْ باتَ يَهْوى وَلَسْتَ عَنِ ٱلنَّدى يَوْمًا بِسالِ

(١) ما نعني (س) .
(٢) وليس بمقتضٍ (س ، ت) .
(٣) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . وفي (ت): وأي خَلْقٍ .
(٤) لعله يريد بالعذري جميل بثينة العذري ، وهو من أشهر الشعراء العشاق .

بَقِيتَ مُمَلّاً غَفَلاتِ عَيْشٍ ... نَمِيرِ ٱلْوِرْدِ مَمْدودِ ٱلظِّلالِ

تُعَمَّرُ وَٱلْمُيَسَّرَ فِيهِ عُمْراً ... جَدِيداً ثَوْبُهُ وَٱلدَّهْرُ بالِ

تُسَرُّ بِهِ وَتَمْنَحُهُ أَمِينَ ٱلْـ ... ـفِطامِ حَمِيدَ عاقِبَةِ ٱلْفِصالِ

بِيُمْنِكَ يا أَبا ٱلْيُمْنِ ٱسْتَطَلْنا ... إِلى ٱلْعَلْياءِ مِنْ كَرَمِ ٱلْخِلالِ

سَعِيداً يا سَعِيدُ تَفُوزُ مِنْهُ ... بِأَيّامٍ كَأَيّامِ ٱلْوِصالِ

لَقَدْ شَرُفَتْ بِكَ ٱلدُّنْيا وَطالَتْ ... بِكَ ٱلأَيّامُ فَخْراً وَٱللَّيالِي

فَعِشْتَ[1] بِها تُسَرْبَلُ مِنْكَ فَخْراً ... وَتَلْبَسُ مِنْكَ أَثْوابَ ٱلْجَمالِ

* * *

١٥٣

وكتب إلى العميد[2] شرف الدين أبي يعلى حمزة بن أسد، في أمر عرض له :

---

(١) بقيت لها تسربل . . . (ت) .

(٢) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن القلانسي العميد؛ كانت له عناية بالحديث، وكان أديباً له خط حسن ونثر ونظم، وصنّف تاريخاً للحوادث بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى حين وفاته (وهو المعروف بذيل تاريخ دمشق)، وتولى رياسة دمشق مرتين، وتوفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ودفن في جبل قاسيون (تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٤٣٩) .



دَعَتْنِي حاجَةٌ فَبَعَثْتُ وَفْداً حَقِيقاً بِالْمَطالِبِ أَنْ يَعُودا
ثَناءً لا يَزُورُ (١) الدَّهْرَ إلاّ مَلِيكاً قاهِراً وَأَخاً وَدُودا
وَلَوْ أَنّي أَشاءُ هَزَزْتُ قَوْماً وَلٰكِنّي أَراكَ أَغَضَّ عُودا

* * *

١٥٤

وكتب إليه، وقد عاده في مرضه :

قَدْ عُدْتَنِي فَشَفَيْتَ مِنْ سَقَمِي وَحَمَيْتَ إِذْ أَلْمَمْتَ مِنْ أَلَمِي
وَوَسَمْتَ مَغْنايَ الْجَدِيبَ فَقَدْ أَثْرَىٰ بِمَوْطِئِ ذٰلِكَ الْقَدَمِ
وَمَواطِئُ الأَقْدامِ حَيْثُ خَطا الْـكُرَماءُ مِثْلُ مَواقِعِ الدِّيَمِ
وَعِيادَتِي فِي الْحالِ تُوجِبُها أَبَداً عَلَيْكَ سَجِيَّةُ الْكَرَمِ (٢)
إِنْ لَمْ يَعُدْ حالِي نَداكَ إِذاً فَبِمَ الشِّفاءُ لَها مِنَ الْعَدَمِ

* * *

---

(١) لا يزال (ن) .
(٢) محبة الكرم (س) .



١٥٥

وكتب إلى ولده محمد الكاتب[١] أبي الفتح نصر الله بن حمزة بن أسد، في آخر رقعة، يستشفعه في رسم كان له على والده :

آما[٢] ٱلزَّمانُ فَلَمْ يَزَلْ يُنْحِي ... أبَداً عَلَيَّ بِمُؤْلِمِ ٱلجُرْحِ

فلَئِنْ نوائِبُهُ سَمَحْنَ عَلَى ... ما كانَ مِنْهُ بِماجِدٍ سَمْحِ

فَلأُثْنِيَنَّ عَلَى يَدٍ فَتَحَتْ ... باب ٱلرَّجاءِ إلىٰ ابي ٱلْفَتْحِ

* * *

(١) أبو الفتح نصر الله بن أسد بن علي التميمي الكاتب، ولد في سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وتأدب على توفيق بن محمد، وكان يكتب خطاً حسناً، ويعطه شعراً صالحاً، وكتب في ديوان الانشاء، وتوفي في أول المحرم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، في حياة والده العميد أبي يعلى ابن القلانسي الكاتب (ابن عساكر مخطوط) .

(٢) محل هذه الأبيات في (ك) آخر قطعة في الديوان .



١٥٦

وقال يمدح العميد(١) (أبا يعلى حمزة بن أسد)، وكتب بها إليه في مرضته التي توفي فيها سنة ٥١٧(٢):

عَسَى باخِلٌ بِلقاء يَجُودُ ... عَسى ما مَضى مِنْ تدانٍ يَعُودُ

عسى موقِفٌ أنشُدُ القَلْبَ فِيهِ ... فَيُوجَدَ ذاكَ الفُؤادُ الفَقِيدُ

عَناءٌ سَهِرْتُ إلى هاجِدٍ ... وَأينَ مِنَ السّاهِرِينَ الهُجُودُ

إذا طالَ عَهْدُكَ بالنّازحينَ ... تَغَيّرَ وُدٌّ وحالَتْ عُهُودُ

أأحْمِلُ يا هجْرُ جَوْرَ البعادِ ... وجَوْرَكَ إنّي إذاً لَلجليدُ

أيا كمدي اللَّيْلِي انقضاءٌ ... أيا كَبِدِي النارِي خُمُودُ

مرضْتُ فَهلْ منْ شفاء يُصابُ ... وَهَيْهات وَالداءُ طَرْفٌ وَجِيدُ

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٣٢٢).

(٢) . . . ذكر القيسراني أنه عملها قبل ذلك، (ن)، . . . وكان كثير الإلمام به، وقد كانت هذه القصيدة نجزت قبل ذلك، وتأخر إنشادها لعوائق حالت دون ذلك، وهي من أحسن قوله (ت) . . . . على يدي محطي، وقد كانت هذه القصيدة نجزت قبل ذلك بمدة، وإنما تأخر إنشادها لعوائق حالت دون ذلك، وهي من أشف كلامه وأعذبه وأرقه وأحلاه في سنة ٥١٧ (ى).

وَيا حَبَّذا مَرَضِي لَوْ يَكُو ... نُ مُمْرِضِيَ ٱلْيَوْمَ فِيمَنْ يَعُودُ
أَيا غُرْمَ ما أَتْلَفَتْ مُقْلَتاهُ ... وَقَدْ يَحْمِلُ ٱلثَّأْرَ مَنْ لا يُقِيدُ
وَمَنَّى ٱلْوِصالَ فَأَهْدَى ٱلصُّدُودَ ... وَما وَعْدُ ذِي ٱلْخُلْفِ إِلاَّ وَعِيدُ
خَلِيلَيَّ إِنْ خانَ خِلٌّ أَلا (١) ... حَلِيفٌ عَلَى هَجْرِهِ أَوْ عَقِيدُ
وَهَلْ إِنْ وَفَى لِي بِعَهْدِ ٱلْوِصالِ ... أَيَنْقُصُ هٰذا ٱلْجَوَى أَمْ يَزِيدُ
وَيا قَلْبُ إِنْ أَخْلَقَ ٱلْوَجْدُ مِنْكَ ... فَأَنَّى لِيَ ٱلْيَوْمَ قَلْبٌ جَدِيدُ
إِلَى مَ تَحُومُ حِيامَ ٱلْعِطاشِ ... إِذا مَوْرِدٌ عَنَّ عَزَّ ٱلْوُرُودُ
تَمَنَّى زَرُودَ (٢) وَلَمْ تَحْتَرِقْ ... بِنارِ ٱلصَّبابَةِ لَوْلا زَرُودُ
وَتُمْسِي تَهِيمُ بِماءِ ٱلْغُوَيْرِ (٣) ... وَقَدْ ذادَ عَنْ وِرْدِهِ مَنْ يَذُودُ
إِذا ٱلرِّيُّ جاوَزَ أَيْدِي ٱلْكِرامِ ... فَلا ساغَ لِي مِنْهُ عَذْبٌ بَرُودُ
فَأَنْقَعُ مِنْ وِرْدِهِ ذا ٱلصَّدَى ... وَأَنْفَعُ مِنْ بِرْدِهِ ذا ٱلْوُفُودُ
وماذا تُرِيدُ مِنَ ٱلْباخِلِينَ ... إِذا لَمْ تَجِدْ (٤) عِنْدَهُمْ ما تُرِيدُ
أَتَأْمُلُ إِسْعادَ قَوْمٍ إِذا ... كُفِيتَ أَذاهُمْ فَأَنْتَ ٱلسَّعِيدُ

(١) فى الأصول : إلى ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) زرود : موضع على طريق الحاج من الكوفة .
(٣) الغوير : ماء فى ناحية السماوة .
(٤) إذا لم تنل (ي) .

عَمِرْتُ⁽¹⁾ أَرُوضُ خُطُوبَ الزَّما ... نِ لَوْ أَنَّ جامِحَها يَسْتَقِيدُ
وما كانَ أَجْدَرَني بالْعُلا ... لَوْ قَدْ تَنَبَّهَ حَظٌّ رَقُودُ⁽²⁾
وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ أَبِيِّ الْمُقامِ ... تُقامُ عَلَى الدَّهْرِ فِيهِ الْحُدُودُ
سَلا الْخَلْقُ جَمْعاً عَنِ الْمَكْرُماتِ ... وأَمّا الْعَمِيدُ فَصَبٌّ عَمِيدُ
غَذاهُ هَواها وَلِيداً فَلَيْـ ... ـسَ يَسْلُوهُ حَتّى يَشِيبَ الْوَلِيدُ
يُعَنِّيهِ⁽³⁾ وَجْدٌ بِها غالِبٌ ... ويُصْبِيهِ شَوْقٌ إِلَيْها شَدِيدُ
عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَخُنْهُ النَّوىٰ ... وَلَمْ يَدْرِ فِي حُبِّها ما الصُّدُودُ
فَتًى لَمْ يَفُتْهُ الثَّناءُ الْجَمِيلُ ... ولَمْ يَعْدُ فِيهِ الْمَحَلُّ الْمَجِيدُ
ولَمْ يَنْبُ عَنْهُ رَجاءٌ شَرِيفٌ ... ولَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَقامٌ حَمِيدُ
سَما لِلْعُلىٰ ودَنا لِلنَّدىٰ ... وذو الْفَضْلِ يَقْرُبُ وهْوَ الْبَعِيدُ
مِنَ الْقَوْمِ سادُوا وجادُوا وقَلَّ ... لَهُمْ أَنْ يَسُودُوا الْوَرىٰ أَوْ يَجُودُوا
بَنِي أَسَدٍ إِنَّما أَنْتُمُ ... بُدُورُ⁽⁴⁾ عَلاءٍ نَمَتْها أُسُودُ⁽⁵⁾

---

(١) عَمِرَ يَعْمَرُ عَمْراً : عاش زماناً طويلاً .
(٢) بالعطاء (ي) .
(٣) يغنيه (م ، ن) ، والبيت لم يرد في (س) .
(٤) بدور عُلى نمتها أسود (س) .
(٥) أسود ؟ (ح) .

أَلَيْسَ لَكُمْ ما بَنَى ٱلْكامِلُ ٱلْـ ـأَمِينُ عُلُوّاً وَشادَ ٱلسَّدِيدُ
سَماءُ عُلىً قَمَراها لَكُمْ وَمِنْكُمْ كَواكِبُها وَٱلسُّعُودُ
لَنا[1] مِنْ ذُرى[2] ٱلعِزِّ طَوْدٌ أَشَمُّ وَمِنْ رَغَدِ ٱلْعَيْشِ رَوْضٌ مَجُودُ
فَما ٱلْمَحْلُ ـ كَٱلْفَقْرِ ـ إِلاَّ قَتِيلٌ وَما[3] ٱلْخَوْفُ كَٱلْجَوْرِ إِلاَّ طَرِيدُ
كَأَنَّا سَقَانا[4] بِنُعْماهُ أَوْ حَمانا بِظِلٍّ عُلاهُ ٱلْعَمِيدُ
فَتىً لَمْ تَزَلْ عاقِراً فِي ذَرا هُ أُمُّ ٱلْحَوادِثِ وَهْيَ ٱلْوَلُودُ
يُظَفَّرُ فِي ظِلِّهِ ٱلْخائِبُونَ وَتَنْهَضُ بِٱلْعاثِرِينَ ٱلْجُدُودُ
إِذا نَحْنُ عُذْنا وَلُذْنا بِهِ فَمَنْ[5] ذا نَشِيمُ وَمَنْ ذا نَرُودُ
كَسا ٱلْفَخْرَ وَٱلدَّهْرَ وَٱلْعالَمِيـ ـنَ فَخْراً بِهِ أَبَداً لا يَبِيدُ
فَلا يَدْعُهُ زَيْنَ[6] كُتَّابِهِ حَسُودٌ بِصادِيهِ خابَ ٱلْحَسُودُ

---

(١) لكم (ت) .
(٢) ذُرَى : جمع ذروة وهي أعلى الشيء . وفي (س) ذرا : وهو فناء الدار .
(٣) ولا الخوف . . . (ظ) .
(٤) شفانا (ت) .
(٥) في جميع النسخ (فمن ذا نسم ومن ذا نرود) إلا (ت) التي رجحنا روايتها .
(٦) زين الكتاب : من ألقاب الممدوح .

فَما خَصَّهُمْ ما يَعُمُّ ٱلْأَنامَ وَلا جَهِلُوا ما أَرادَ ٱلْمُرِيدُ
وَإِنْ غَرَسُوا غَرْسَةً فِي ٱلْكِرام فَما كُلُّ عُودٍ[1] وَإِنْ طابَ عُودُ[1]
مِنَ ٱلْكاظِمِي ٱلْغَيْظِ وَٱلْمُحْسِنِينَ إِذا بَرَّحَتْ بِٱلصُّدُورِ ٱلْحُقُودُ
فَمُتَّ[2] بِحَزْمٍ إِلىٰ جُودِهِ يَنَلْكَ مَعَ ٱلْعَفْوِ بِرٌّ وَجُودُ
إِذا كُنْتَ سَيِّدَ قَوْمٍ وَلَمْ تَسُدْهُمْ بِحِلْمٍ فَأَنْتَ ٱلْمَسُودُ
يُفِيدُ فَيحْزُنُهُ جُودُهُ إِذا كانَ دُونَ ٱلْعُلىٰ ما يُفِيدُ
وَيُبْدِي فَيعْظُمُ مَعْرُوفُهُ وَلٰكِنْ يُصَغِّرُهُ ما يُعِيدُ
كَأَوْبَةِ أَحْبابِهِ عِنْدَهُ حُلُولُ وُفُودٍ يَلِيهِمْ[3] وُفُودُ
وَكَٱلْبَيْنِ أَنْ تَسْتَقِلَّ ٱلرِّكابُ بِهِمْ أَوْ تُشَدَّ لِعافٍ قُتُودُ
يَجِلُّ عَلىٰ أَنْ يَرىٰ راكِباً طَرِيقاً عَنِ ٱلْقَصْدِ فِيها يَحِيدُ
وَيَشْرُفُ عَنْ فِعْلِ ما لا يَشُقُّ وَيَكْرُمُ عَنْ حَمْلِ ما لا يَؤُودُ
غَنِيٌّ بِآرائِهِ ٱلْبِيضِ أَنْ تُظاهِرَهُ عُدَّةٌ أَوْ عَدِيدُ
وَقَفْتُ ٱلْقَوافِي عَلىٰ حَمْدِهِ وَما رَجَزِي عِنْدَهُ وَٱلْقَصِيدُ
يُقَصِّرُ عَنْ قَدْرِهِ جُهْدُهُ وَفِي عَفْوِها عَنْ أُناسٍ مَزِيدُ

---

(١) العود: الخشب والغصن بعد أن يقطع. والعود: ضرب من الطيب يتبخر به.
(٢) أي توسَّلْ.
(٣) تليها (ن).

أَنالَ فَكُلٌّ جَوادٍ بَخِيلٌ ... وَقالَ فَكُلٌّ بَلِيغٍ بَلِيدُ
كَأَنَّكَ مِنْ سَيْبِهِ تَسْتَبِيحُ ... مَتى[1] جِئْتَ مِنْ عِلْمِهِ تَسْتَفِيدُ
كِلا ٱلزّاخِرَيْنِ كَفيلاكَ[2] أَنْ ... تَفِيضَ سُيُولٌ وتَطْمُو مُدُودُ
لَهُ فِقَرٌ لَوْ تَجَسَّدْنَ لَمْ[3] ... يُفَضَّلْنَ إلاّ بِهِنَّ ٱلْعُقودُ
فَيُظْلَمْنَ[4] إنْ قِيلَ نَوْرٌ نَضِيرٌ ... ويُبْخَسْنَ[4] إنْ قِيلَ دُرٌّ نَضِيدُ
وإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَغْذُنِي ... نَفائِسُ بِيضٌ مِنَ ٱلنُّزْرِ غِيدُ[5]
لَيَحْسُنُ بِي في هَواكَ ٱلْغُلُوُّ ... ويَقْبُحُ بِي عَنْ نَداكَ ٱلْقُعُودُ
مَضى ٱلأَكْرَمُونَ فَأَمْسى يُشِيدُ ... بِذِكْرِ مَناقِبِهِمْ مَنْ يُشِيدُ
كَأَنْ لَمْ يَبِينُوا بِما خَلَّدُوا ... ولَيْسَ ٱلْمَحامِدُ إلاّ ٱلْخُلُودُ
مَناقِبُ تَشْرُدُ ما لَمْ يَكُنْ ... لَها مِنْ نِظامِ ٱلْقَوافِي قُيُودُ
وما زالَ يُحْفَظُ مِنْها ٱلْمُضاعُ ... لَدَيْكَ ويُجْمَعُ مِنْهُ ٱلْبَدِيدُ
فِداءُ عَطائِكَ ذاكَ ٱلْجَزِيلِ ... يا حَمْزُ شُكْرِي هٰذا ٱلزَّهِيدُ
وَجَدْتَ فَكُنْتَ حَياً لا يُغِبُّ ... سَقى ٱلْكَوْنَ رَيّاً وجَيْدُ ٱلْوُجُودُ
بَلَغْتَ مِنَ ٱلْفَضْلِ أَقْصى مَداهُ ... فَما تَسْتَزِيدُ لَكَ ٱلْمُسْتَزِيدُ

(١) إذا جئت ... (ت ، ى) .
(٢) كفيلان (ت) .
(٣) لم يفصلن (س ، ح) ، لا تفصّل ... (ب) .
(٤) فتظلم .... وتبخس (ك) .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ك) .

وَطالَ أبُو ٱلفتحِ[١] أنْ لا يكون طريفُ ٱلعُلى لَكُما وَٱلتّليدُ
فلَوْلاهُ[٢] أعْوَزَ أهْلَ ٱلزّمانِ شَبيهُكَ في عَصْرِهِمْ وَٱلنّديدُ
لَقَدْ صدقتْ فيِ نداهُ ٱلظّنُونُ فَلا كَذَبَتْ فيِ عُلاهُ ٱلْوُعُودُ

تم[٣] الديوان على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط ، من نسخه الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي[٤] .

قال مؤلفه : كل ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقرأه عليّ . وما رواه غيره مخالف ما في نسخته هذه فلا يعتمد . وكتبه أحمد بن محمد بن على الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيّ بعده . ووافق الفراغ من كتابه هذه النسخه في شهر شوال سنه أربع وثمانين وتسعمائة على يد الفقير الحقير محمد بن علي الأحلاقي الأزهري الشافعي غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً دائماً إلى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

تم

(١) هو ابن الممدوح .
(٢) هذا البيت والذي يليه لم يردا في ن ١ .
(٣) هذا ما ورد في آخر مخطوطة الاسكوريال التي كان جل اعتمادنا عليها .
(٤) القيسراني الشاعر المشهور .





المستدرك

ورد في الصفحة ٨٤ من نسخة كونهاع ما نصه :

« وله في أبي الحسين ناصر بن محمد بن حيون ؟

أَلَيْسَ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي ... وَأَنْتَ صَفِيُّهُ يَشْكُو ٱلزَّمَانا

وَمَا جَارَتْ(١) خُطُوبُ ٱلدَّهْرِ إلاَّ ... وَجَدْتُكَ مِنْ حَوادِثِها أَمَانا

وَلاَ ٱبْتَسَمَتْ ثُغُورُ النَّوْرِ إلاَّ ... ذَكَرْتُ بِها خلائقكَ ٱلْحِسَانا

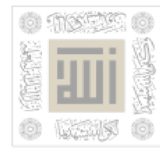
خُلِقْتَ أَبَرَّ هٰذا ٱلْخَلْقِ كَفّاً ... وَأَجْداهُمْ وَأَنْداهُمْ بَنَانا

فَلَوْ أَنَّ ٱلْعُلىٰ كانَتْ قَنَاةً ... لَكُنْتَ أَبا ٱلْحُسَيْنِ لَها سِنَانا »

ولم ترد هذه الأبيات في بقية النسخ المخطوطة ، وقد سهونا عن وضعها في مكانها عند طبع الديوان .

* * *

(١) في الأصل : حادت . والصواب ، أثبتناه .

الفهرس

(١) المقدمة في ٥٠ صفحة على حدة وأرقامها في ذيل الصفحات ، ويشار إلى صفحاتها في الفهارس بحرف (م)

المراجع

المخطوطات

تاريخ دمشق لابن عساكر . في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

سير أعلام النبلاء للذهبي . المجلد الثاني عشر ورقة ١١٠ من نسخة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٩١٠ . بعث بالمطلوب منه السيد رشاد عبد المطلب .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري . الجزء العاشر القسم الثاني ص ٣٦٧ وما بعدها مصور في دار الكتب المصرية . بعث بالمطلوب منه السيد محمد رشاد عبد المطلب .

مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي . في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

المنهل الصافي لابن تغري بردي . بعث بالمطلوب منه الدكتور صلاح الدين المنجد .

الوافي بالوفيات للصفدي . الجزء الثامن . نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

المطبوعات

الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى للسلاوي .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد . تحقيق الدكتور سامي الدهان .

أقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني .

بدائع البدائه الأزدي .

تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدي .

تاريخ الأدب العربي لبروكلمن .

تاريخ دمشق لابن عساكر ، الجزء الأول ، والقسم الأول من الجزء الثاني ، طبعة المجمع العلمي العربي وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

تاريخ دمشق لابن عساكر تهذيب الشيخ عبد القادر بدران .

خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني ، الجزء الأول قسم شعراء الشام ، طبعة المجمع العلمي العربي وتحقيق الدكتور شكري فيصل .

الخزانة الشرقية ٣ للاستاذ حبيب زيات .
خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي .
ديوان ابن حيوس . طبعة المجمع العلمي العربي وبتحقيق خليل مردم بك .
ديوان ابن الخياط . طبعة النجف .
ديوان البحتري .
ديوان جرير .
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .
رحلة ابن جبير .
زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم . بتحقيق الدكتور سامي الدهان .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي .
صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣ .
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي .
قضاة دمشق لابن طولون طبعة المجمع العلمي العربي بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
الكامل لابن الاثير .
لسان العرب لابن منظور .
مختارات البارودي لمحمود سامي باشا البارودي .
المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا .
مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي .
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور .
معجم البلدان لياقوت الرومي الحموي .
وفيات الأعيان لابن خلكان .



فهرس الأعلام



فهرس البلدان والأمكنة

فهرس القوافي



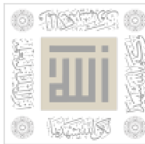


روايات ذات بال من غير نسخ الديوان المخطوطة

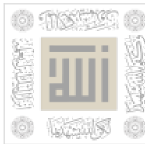
رواية مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ١٠/٦٧ ب مخطوط	سطر	صفحة	رواية الديوان
فياليتني أبقى ليَ الوَجْدُ عبرةً	٩	٤٤	فياليتني أبقى ليَ الهجرُ عَبْرةً
صنيعَ حُلّتِهِ	٥	٦٩	صنيعَ وشْيِه
ثُرنَ لها	١٢	٩٦	ثُرنَ بها
كيف تَستكثرُ	٥	١٢٤	كيف يَستكثرُ
يامحرقاً بالنار	٣	١٢٧	يامؤذياً بالنار
بين الأسنّة والقنا	٤	١٧١	بين الأسنّةِ مُعْرِضٍ
حِذاراً عليه	٥	١٧١	حِذاراً وخوفاً
(إلاّ صُبابةُ ماء وجه صُنْتُها(١))	٥	٢٨٧	إلاّ بقيّةُ ماء وجهٍ صُنْتُها

(١) هذه رواية سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ورقة ١١٠ (مخطوط)

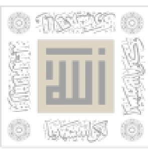

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

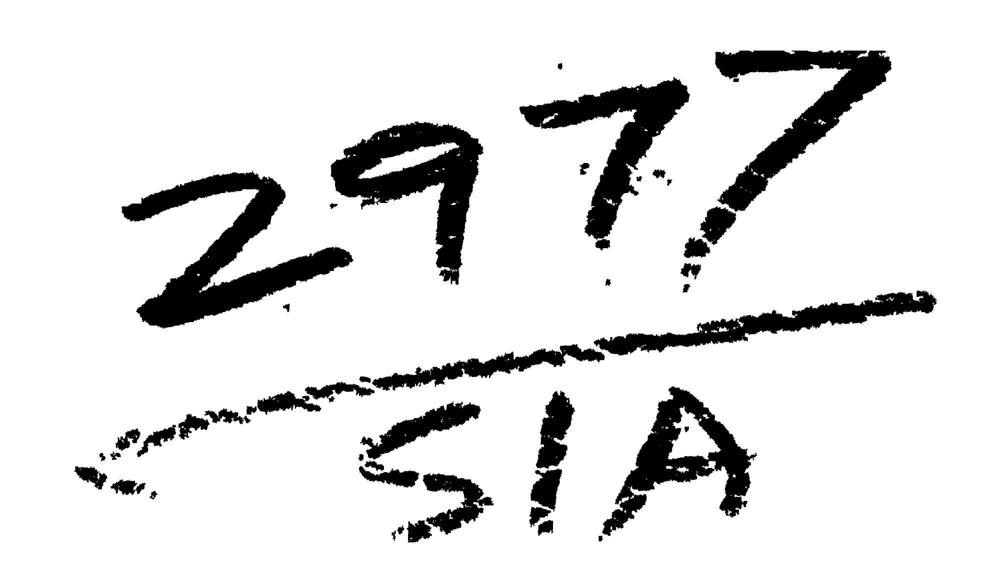



وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE




THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




2977
SIA


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE
